

العلم

الانسان والحضارة

القصاصي

عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي



جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

منشورات المدينة
ص.ب. ٦١٦٦ - ١١٣ بيروت - لبنان

تطلب كافة كتب و منشورات المدينة من	
	
العمارة أول طابق بناية مساحه	ص.ب. ١١٣ - ٦١٦٦ عائمه ٨-٦٣٥٩ بيروت - لبنان

العلم

الإنسان والحضارة

القاضي

عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشامي





الرئيس القائد العقيد **علي عبد الله صالح**
رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب (اليمن الانسان والحضارة) للمؤرخ الكبير القاضي العلامة عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشماحي . وقد كان الكتاب منذ ظهر محل اهتمام المؤرخين والباحثين ، ولم يظهر بعده كتاب أو مقال جاء يطرح جانباً من تاريخ اليمن ، إلا كان هذا الكتاب من أهم مراجعه ، لا سيما في التاريخ الحديث حيث لم يكن القاضي عبد الله الشماحي فيه أحد المؤرخين للأحداث وإنما أحد المشاركين في صنعها وأحد المصطلين بنائها ؛ فقد كان منذ نصف قرن أو يزيد في منطقة القلب من الأحداث التي شهدت البلاد ابتداء من انطلاق أول حملة ضد الإمام يحيى وإلى زوال حكم آل حميد الدين وانقراضه .

وبمناسبة صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب التاريخي النفيس لا بد أن نذكر اليمنيين بأهمية العناية بتاريخهم ، ونذكر الأجيال الفتية بالحرص على توثيق مراحل التاريخ والوقوف في وجه المتطاولين على شواخص المؤرخين وشواخص الأبطال الذين جسدوا بدمائهم وكتبوا فصول التاريخ في هذا الوطن الذي لم يكن تاريخه سوى معارك دامية لم تتوقف إلا منذ سنوات قليلة ، وعليهم أن يتنبهوا إلى أن التاريخ يزداد أهمية عند الشعوب كلما وهن عزمها ، أو ساء حاضرها ، فالتاريخ يخلق الحافز الدائم إلى استعادة المجد القديم ، وهو الذي يعلم الأمم والأفراد طريق النهوض ويكشف لها عن مواطن الضعف وعوامل

الارادة والقوة . ولأن للتاريخ كل هذه الأهمية فقد عكف عدد من أبناء اليمن منذ قيام ثورة سبتمبر المظفرة لدراسة تاريخ بلادهم في محاولة لشحذ الهمم وقهر روح التخاذل والتفكك ، ولكي يضعوا أمام الأجيال الحاضرة والقادمة مزيداً من الحقائق التي انطمست. طوال قرون التسلط والاعتساف .

وما هذا السفر النفيس إلا بعض هذه البدايات المفيدة والرامية إلى سد النقص والمشاركة في لقاء الأضواء على تاريخنا القديم، والحديث بعد أن تحررت البلاد من مرحلة الكتابة الرسمية للتاريخ واستنطاق الوقائع والأحداث من خلال الحاكمين بأمرهم والذين لا يقيمون للشعوب أدنى وزن .

وإذا كانت اليمن بسبب عوامل مختلفة قد عانت من انحطاط شامل اتسعت خارطته الزمنية إلى عدة قرون ، فإن منطق التطور ومنطق الانتشاء إلى الأمة العربية السائرة رغم المعوقات في طريق النمو الصاعد كفيل بأن يضعها في المكان اللائق من العصر ، وبالتالي من استشراف عالمها المرتقب .

والله ولي التوفيق . .

دار الكلمة - صنعاء

١٩٨٤ / ٩ / ١٣



لما ليقرأ من ملامح صورتي
أفئته ووهبت شرخ شبيبتي
وقوى الشباب معارف بفتوة
صد الدخيل بعزة وبوحدة
فيما كتبت وتلك خير هدية

من رام يعرفني ويعرف نزعني
من أجل هذا الشعب عمري جله
إن الشعوب على الشباب مصيرها
وتمسك بمبادئ غاياتها
فالي الشباب تجاري أهديتها

بسم الله الرحمن الرحيم
(والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه)

تمهيد

اليمن :

صفحة مجد لامعة . وقلعة نضال عربي شاذة . . ومعتصم إنسانية
سامية .

اليمن :

الفخورة بماضيها وحضارتها القديمة ، أمجاداً عرفتھا . . أرض العرب
عندما أقامت الأرض السعيدة (سد مأرب) .
اليمن .

التي تشهد لها النهضة الإنسانية تحت راية الحضارة بأنها القوة الرافعة لتلك
الراية ، والطاقة الدافعة لتلك النهضة .
اليمن :

في تاريخ الإسلام سند الدعوة وملجأ الرسول ، وبيان ذلك التاريخ
المشرق الصفحة ، الواضح الغرة ، القوي العزة ، الخصب بآدابه وعلومه وثقافته
الرفيعة .
اليمن :

منيع فوار دائم الفيضان بالبطولة والحضارة ، عليه تبرعت نواة الحياة
ووجد الإنسان الأول .

ومنه قبل ثمانية آلاف عام استقى العالم الحضارة التي أخرجت فيما بعد
السومريين والبابليين والمصريين والأحباب . وهو اليوم يتطلع إلى نهضة تعيد إليه
السعادة ، وتمكنه من أداء رسالته الإنسانية التي عرف بها قبل الإسلام وبعده .

اليمن :

التي على عبقرية قادته ، وسواعد فتياه امتدت الامبراطورية الإسلامية
إلى قلب الصين شرقاً وقلب فرنسا غرباً ونطحت بقرنيها منطقتي القطرين ، والتي
بعزومات مغاويره أقيمت الممالك ونسفت ، وشيدت الصروح وقوضت .

اليمن :

التي لم تفرغ من نفسها الإباء لأي طاغية ، ولا فتحت أحضانها لأي غاز
إلا ليقتبر هو وأحلامه تحت سنابك إبائها ، ثم يكون لغيره عظة وعبرة .

إهداء

لإلى أفلاذ أكبادنا ، وامتداد ظل خلودنا ، أبنائنا وبنائنا في المدارس والقادمين من أصلاب المستقبل نهدي ومضة عن تاريخ اليمن .

أيها الأبناء إليكم اليمن بنا وبثقلها تتوجه ، فإنكم أنتم اليمن الخالدة بكم تتكيف اليمن ، إن الأبناء البررة يعز عليهم أن تمس شخصيتهم اليمنية بأذى ، ولن تحتفظوا بشخصيتكم اليمنية قوية مستقلة متطورة إلا إذا كنتم بماضيكم اليمني عارفين ، وبقيمه الأخلاقية معترزين ، ومن حاضركم متزودين بما تدعو إليه الظروف من أسلحة علمية ومادية تجعلكم حماة لشخصيتكم اليمنية وعقيدتكم الإسلامية من التلاشي والميوعة والذوبان والإمعية .

ولكي تكونوا محتفظين بشخصيتكم اليمنية وعقيدتكم الإسلامية المفتحة متفاعلين مع حاضركم ، بناء لمستقبلكم .

رأينا أن نضع بين أيديكم مواضيع عن اليمن الطبيعية قل أن طرقها المؤرخون لتكون هذه المواضيع فاتحة للدراسة والنقد ، وقد أضفنا إلى هذه المواضيع ومضات خاطفة عن تاريخ اليمن الحضاري والحكومات والدول اليمنية بقصد التسلسل التاريخي الذي يسهل معه تفهم مراقب النضال اليمني ومحطاته الرئيسية عبر التاريخ ، ولم نسمح للقلم أن يسترسل في وصف الحكومات والحضارات بكيفية مانعة جامعة فقد أحلنا محاولة التوسع والمزيد إلى ما كتبه عن

حضارتنا والدول المؤرخون الذين من آخرهم المؤرخ الكبير القاضي العلامة محمد بن علي الأكوع الحوالي والسيد أحمد شرف الدين ومن رجالات القرن الرابع عشر العرشي والويسى والجرافي وغيرهم ، وقد أولينا أحداث القرن الرابع عشر اهتماما خاصا لأن ما كتب عنها قليل .

وإننا لنأمل أن يكون فيما سنكتبه عبرة وموعظة بهما نجنب أبناءنا وبناتنا الشر الناجم من تعدد العقائد والمذاهب التي مزقت الوحدة اليمنية وجعلت اليمن السعيد مسرحاً للشقاء والصراع ، ومتورداً للغرباء وعشاق السلطة والمال ، وهو ما يجب أن نتخلص منه على يدي الحكم الجمهوري إن شاء الله .

أرض الجمهورية العربية اليمنية

تقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية يحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق القسم الشرقي من الربع الخالي .

ومن الجنوب أرض الجنوب اليمني ، ومن الشمال إقليم عسير ونجران وجيزان ، عاصمتها (صنعاء) وقد قامت الجمهورية اليمنية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م اثنتين وستين وتسعمائة وألف ميلادية الموافق ٢٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هجرية .

مساحتها وسكانها : تقدر بخمسة وسبعين ألف ميل مربع ، ويقدر سكانها بما لا يقل عن تسعة ملايين نسمة كلهم عرب مسلمون .

أقسامها ثلاثة :

١ - تهامة : وهو سهل ساحلي على شرق البحر الأحمر (القلزم) يتراوح عرضه بين ٤٠ - ٦٠ ميلا ومعظمه صالح للزراعة ويحتوي على كمية وافرة من المياه الجوفية ، ومن أودية تهامة : حرض ، مور ، سردد ، سهام ، رماع ، زيد . ومن مدنها : حرض ، ميدي ، الرمث ، اللحية ، الزهرة ، الزيدية ، القناوص ، الضحى ، باجل ، القطيع ، المراوغة ، الحديدة ، الدريهمي ، المنصورية ، بيت الفقيه ، زيد ، حيس ، المخا . وتتصل ببلاد الزيدية بواسطة

لسان بري في البحر (الصليف) مما جعل الصليف (برمائية) وبالصليف الملح المعدني المشهور .

٢ - المنطقة الجبلية : تقع هذه المنطقة شرق تهامة وتمتد من الجنوب إلى الشمال وهي من جبال السراة المبتدئة من المعافر (الحجرية) جنوباً إلى الطائف شمالاً ومتوسط ارتفاعها عشرة آلاف قدم ، وأعلاها جبل حضور غرب صنعاء ، إذ يبلغ ارتفاعها أربعة آلاف متر ، ويقمته (قبر نبي الله شعيب بن مهدم) يضمه مسجد قديم وكانت هناك لوحة كبيرة من المرمر الحجري الصافي عليها كتابة بالخط المسند لا تقدر بثمن حفظها الدهر من العوادي ولكنها سرقت خلال الحرب اليمنية عام ١٩٦٣ م . ومن المحزون أن هذا النص الأثري لم تنقله يد مؤرخ ولا مستشرق ، ونرجو أن يعثر عليه فيزودنا بمعلومات جديدة عن اليمن قبل الإسلام ، سيما عن الناحية الدينية قبل الميلاد فإن لفظ « مهدم » كأنه مأخوذ من اسم (ماتم) النسب إليه شعيب وله صلة بلفظ (أميتم) الوارد في اللغة اليمنية قبل الميلاد وقد سمي به جد أحد الملوك الحضرميين وهذا الملك « يدع أب غيلان بن أميتم أبين من ملوك القرن الأول ق . م » .

وعرض هذه السلسلة الجبلية من الشرق إلى الغرب متفاوت ولا يقل أضيقة عن مائة كيلو متر ، وتمتاز جبال اليمن بشدة ارتفاعها وانحدارها وغناها بالمواد المعدنية والمياه ، ومنعتها الحربية وهي أهلة بالسكان وتخللها الوديان العامر معظمها بالزراعة ، كما أن معظم هذه الجبال تشكل سهولا هرمية لولبية كونتها يد اليمني القديم واحتفظ بها الخلف عبر التاريخ .

٣ - السهل : هي هضبة مرتفعة واسعة شرق جبال اليمن وتمتد شرقاً إلى الريع الحالي ، ويتخلل هذه الهضبة كثير من الجبال ، وفيها سهول وجبال أراضيها صالحة للزراعة ، وفيها كانت عاصمة المعينيين (معين) و (قرناو) وعاصمة سبأ (مأرب وصرواح) وعاصمة حمير (ذي ريدان) وعاصمة حضرموت (ميفعه) و (شبوه) وعاصمة القتيان (تمنع) وعاصمة اليمن الخالدة (صنعاء)

وتقع صنعاء في أعدل السهول هواء وأخصبها تربة ، وأصحها مناخاً ، وأحصنها موقعاً ، وأغناها معادن ، وأعتاها عشائر ، وأكثرها مياهاً نهريّة وجوفية .

تزيد صنعاء جمالا وجلالا :

هذا السهل القائمة بقلبه صنعاء ، مع الجبال المحيطة به فلا هي عنه بعيدة حتى يكون السهل منفهقاً يتعب النظر ويرجع عنه الطرف حسيراً ولا تلك الجبال متدانية تخرج الصدر وتحيل السهل مضيقاً يخنق الأنفاس وتحجب نسيمات الصباح العليلة المنعشة ، ومناظر الأصيل والوأنها البهيجة ، وإنما هي جبال بين البعد والتقارب متوسطة تثير البهجة ويندو كأنها وجدت لحراسة صنعاء من طوارق الجو والبر . إنها قلاع طبيعية إذا حصنت علمياً تقطعت أنفاس الطيران دون أن تمس صنعاء بقاذفة .

والى جانب هذه الحصانة العسكرية فلإنها جبال تزخر بالخيرات والمياه ، والعشائر القوية التي تؤكد ما رواه المؤرخون .

إن أول العمالقة نشأوا في منطقة صنعاء فهي مهد للرجال الأشداء كما هي اليوم .

وهذا السهل يعد وسط اليمن وفي سرته تقوم صنعاء ، ويلبها من الغرب سوق بوعان مركز قبيلة بني مطر ، ثم مدينة العر مركز الخيمة الداخلية ، ومدينة مناخه مركز حراز الذي من جبالها جبل مسار العملاق المطل بشموخه على البحر المطاول النجوم بشممه وتاريخه . ففيه تكونت دولة (الملك علي بن محمد الصليحي الهمداني) وعنه انطلقت حتى غطت اليمن الطبيعية بوحدة شاملة ، وإلى جنوب مسار جبال براع وريمة .

وفي الشمال الغربي لصنعاء واديا ضلع والضهر ويلبها مدن ثلا ، وشبام وكوكبان والطويلة والمحومت وحفاش وملحان وحجة والظفير والمحابشة ، وفي شمال صنعاء الروضة وعمران وريده ، وذيبين ، ونحر ، وحوث ، وجبور

والسودة ، وشهارة ، وصعدة ، ومن شرق صنعاء السر ، وذئ مرمر والكبس ،
وجحانه ، وصرواح ، ومارب ، والمطمة ، والزاهر ، والحزم في الجوف مقر
المعنيين ، وفي جنوب صنعاء ، وعلان ، ومعبر ، وضوران ، وعمسة ،
وأصابان ، وزراجة ، وذمار ، ورداع ، ويريم ، والمخادر ، وإب ، وجبله ،
وتعز ، والجند .

وفي بلاد يريم ظفار (ذي ريدان) عاصمة حمير وتعرف المنطقة بأرض
(يحضب) بالضاد المهملة مع أنها في الأصل بالضاد المعجمة تخليداً للزعيم
الحميري الثاني (اليشرح يحضب) بالضاد المعجمة .

حاشد وبكيل

في اليمن قبائل وعشائر كثيرة كلها ذات إباء وكرم متوارث وكلها تنسب إلى حمير وكهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن الرسول (هود) عليه السلام ؛ ومن هذه العشائر (قبيلة حاشد وبكيل) ويسميان (الجناحين) ومنها تتكون همدان بن زيد .

ولا توجد قبيلة موحدة الأفراد والمساكن مثل قبيلة همدان بن زيد ، فإن مساكنها مجتمعة تمتد من صنعاء جنوباً إلى صعدة ونجران شمالاً ، ومن الجوف وبرط شرقاً إلى وشحه وحرص غرباً أي أنها تشمل الأهنوم والشرفين وحجور الشام وشحه وقاره ومنطقتيها ، وحجور اليمن أي كعيدنه ومنطقتيها وحجة ومنطقتيها وتكاد تكون منازل بكيل في القسم الشرقي ومنازل حاشد في القسم الغربي . ولحرص حاشد وبكيل على اسم جددهم همدان وعلى منطقتهم وحدودها ، أطلقوا لفظ همدان على طرفي بلادهم ، على الطرف الجنوبي بغرب الممتد من شمال غرب صنعاء إلى شيام وتسكنه بطون حاشدية ، وعلى الطرف الشمالي بشرق الممتد حول صعدة إلى نجران وتسكنه بطون بكيلية .

الإدارة

تتكون الجمهورية العربية من ثمان محافظات :

- ١ - محافظة صنعاء .
- ٢ - محافظة حجة شمالاً بغرب .
- ٣ - محافظة صعدة شمالاً .

- ٤ - محافظة الحديدة غرباً .
- ٥ - محافظة مرداع جنوب بشرق .
- ٦ - محافظة البيضاء شرق بجنوب .
- ٧ - محافظة إب جنوباً .
- ٨ - محافظة تعز جنوباً .

هذه هي المحافظات وكانت تسمى سابقاً بالمخاليف ثم بالامارات ثم بالألوية؛ كما أن المخلاف قد يسمى به القضاء والناحية فيما مضى ، وتنقسم المحافظة الآن إلى عدة قضاوات وكل قضاء إلى عدة نواحي وهذه النواحي هي التي كانت تسمى بها قبلاً كثيراً بالمخاليف ويعرف الحاكمون بها بالأذواء الذي حل محله الآن (الشيخ) أو (السلطان) وعن الجمهورية العربية اليمنية نتحول إلى الجزيرة العربية .

جزيرة العرب

بدأنا بذكر الجزيرة العربية لارتباطها باليمن ككل أو جزء ولأنه يتوقف جانب من حقيقة اليمن الطبيعية على تشخيص الجزيرة، وقلنا إرتباط جزء أو كل لأن من المؤرخين من يرى أن اليمن تتناول جميع الجزيرة حتى سيناء .

وتقع الجزيرة العربية في الجنوب الغربي لقارة آسيا ، وتبلغ مساحتها مع سيناء نحو مليون ميل وثلاثمائة ميل مربع ، ومتوسط طولها من الشمال إلى الجنوب ألف ومائتا ميل . يحد الجزيرة غرباً البحر الأحمر وخليج السويس ، وشرقاً دجلة والفرات وخليج عمان وخليج فارس (خليج العرب) وجنوباً المحيط الهندي والبحر العربي وخليج عدن ، وشمالاً بادية الشام وفلسطين .

وشكل الجزيرة مستطيل من الشمال إلى الجنوب في انحراف نحو الشرق ، ويبدو شطرها الجنوبي من نقطة خط المدار الشمالي متمدداً نحو الشرق في إنحناء هلالى بصوره ساحل الجزيرة الجنوبي بما فيه من تعاريج وخلجان وروؤس ، ويبتدىء هذا الإنحناء من رأس الشيخ سعيد ومضيق المنذب نهاية الغرب بجنوب وينتهي برأس مسفدم بمسقط نهاية الجنوب الشرقي .

انفصال الجزيرة عن إفريقيا

لقد كانت الجزيرة العربية متصلة بأفريقيا الشرقية ، ثم حدث في أحد الأدوار الجيولوجية (طبقات الأرض) حركات أرضية كونت البحر الأحمر وفصلت الجزيرة عن أفريقيا ، يدل على ذلك تشابه الصخور على جانبي البحر الأحمر وأعماق الجانبين .

تطور الحياة على الأرض والإنسان الأول بحق

يقرر العلماء والباحثون أن الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت قطعة من هب وأنها والشمس كانا يسيران في سرعة متناهية ، وأنه لم يكن للتراب ولا للماء وجود في الأرض ، وأن الأرض لم تصل إلى شكلها الذي نراها به اليوم من ماء وتربة وبحار وبراري وقارات إلا بعد أن اعترتها تقلبات فلكية ومدارية وشكلية كثيرة لا يقل عمرها عن ألف مليون ونصف مليون من السنين وإن لم يكن عليها أثر للحياة النباتية والحيوانية ، وأنه لا يعلم متى بدأت عليها الحياة وأنها بدأت في البحار ثم في اليابسة وبدأت الحياة على اليابسة في المناخ المعتدل بين الطين والماء الدافئ الضحل القليل الملوحة والمعرض لنور الشمس ثم تعرض المناخ المعتدل لفصل جديد من الجليد القارس والتغيرات أكل كل معالم الحياة وأبقى آثارها على الصخور وطبقات الأرض والمعادن كالفحم والبترو .

وبعد تقلبات بين الحر والإعتدال والجليد حل فصل معتدل ، جددت الحياة نشاطها إلى أن بلغت المستوى البدائي للفرد وما يشبهه منذ أربعين مليون من السنين ، ثم دارت الأرض دورة ثالثة نحو عصر جليدي فبرد مناخ العالم وهلك معظم الكائنات الحية ثم اعتدل ثم تثلج ثم جاء عصر مكفهر قارس أدى إلى غرلة كثير من الأنواع الحية ولم يبق إلا أقواها وأصلحها للحياة ثم أخذ شبح الموت الثلجي والجليدي يظهر من جديد ثم اعتدل المناخ ثم ارتكس نحو البرد

والجليد وهكذا استمر التقلب وهذه التقلبات الأخيرة بدأت منذ ستمائة ألف سنة .

ويطلق الجيولوجيون على هذه الأدوار الأخيرة الشتوية اسم العصر الجليدي الأول والثاني والثالث والرابع ويطلقون على ما بينها من فترات الدفء (اسم عصور ما بين الجليدية) وأن العصر الجليدي الأول ، حل بهذه الدنيا منذ ستمائة ألف سنة على حين بلغ العصر الجليدي الرابع أقصاه منذ خمسين ألف سنة تقريباً في أوربا ، وأن في هذا الشتاء الطويل الشامل وبين الثلوج عاشت على كوكبنا هذا أول الكائنات الشبيهة بالإنسان ، وأما الإنسان الأول الحق فإن البحث العلمي لم يصل إلى تحديد الزمن الذي وجد فيه .

ويقرر العلم أن منطقة وجود الإنسان الأول هي أقدم المناخات إعتدالاً في آسيا وبعض أفريقيا التي لم تصل إليها يد الباحث المدرب الناقد ، تلك اليد التي تمكنت من إجراء بحوثها في أوربا فعثرت في غربها سيما في أسبانيا على آثار الإنسان الحق ، وتدل تلك الآثار على أنه وجد هناك قبل ثلاثين ألف سنة وذلك لأن مناخ غرب أوربا إذ ذاك كان من المناطق التي بدأ فيها المناخ يعتدل ، ويدفأ وإن لم يتخلص من شدة الزمهرير والبرد القارس .

فأين كانت الجزيرة العربية من هذه الحياة المتطاولة الأمد ومن تلك التقلبات والدورات ، ذلك ما تنقطع عنه أنفاس التصور والخيال ، وحسبنا أن نقف نحن والجزيرة العربية مع العصر الجليدي الرابع والمائة ألف سنة التي يعيش عالمنا في نهايتها ولا ندري إلى أين ينتهي هذا الدور بالإنسان والحياة .

أين الجزيرة العربية من هذا التطور

في أوائل المائة ألف عام الأخيرة من ماضينا العميق كان عالمنا أو معظمه ما يزال تحت وطأة البرد القارس من مخلفات العصر الجليدي الرابع ، وقد بدأ المناخ يعتدل في بعض المناطق القريبة من خط الإستواء المهيأة للإعتدال، وقد كانت الجزيرة العربية على جانب من الإعتدال والخصب المبكرين ، تهطل على

أرجائها الأمطار الغزيرة وتتدفق من هضباتها وجبالها الأنهر العظيمة إلى سهولها الواسعة التي هي اليوم صحارى ، فقد كانت تلك الصحاري سهولا عامرة بحياة الإنسان البدائية كالربع الخالي والأحفاف فقسمه الغربي عامر بالأحياء الإنسانية ، وقسمه الشرقي تغمره بحيرة عذبة كوئتها الأمطار والأنهر تخبرنا بذلك أصداف الماء العذبة الكثيرة في شرق الربع الخالي ، وقطع متحجرة من بيض النعام والأسلحة الصوانية في القسم الغربي يرجع تاريخها إلى ما قبل عشرات الآلاف من الأعوام قبل الميلاد ، ولعل الإنسان الحق الأول وجد في الجزيرة العربية قبل مائة ألف سنة وقد يكشف ذلك يوم يتاح لعلماء الآثار والجيولوجيين فحص هذه المنطقة التي امتازت بالمناخ المعتدل المبكر حينما كانت فرنسا وأسبانيا يغمرهما الجليد والزمهرير المرير .

الجزيرة والخصب والجفاف

لقد أثبتت البحوث العلمية والجيولوجية أن الجزيرة العربية من أقدم المناطق التي بدأ العصر الجليدي الرابع ينحسر عنها ، فاستقبل مناخها الاعتدال قبل كثير من بقاع الدنيا كما سبق ، فدبت فيها الحياة في ظل ذلك الجو الباعث المنعش ، من شمس ترسل أنوارها المغذية خلال سحب ممطرة وعلى سهول خضراء وارفة وجبال تكسوها الغابات وتشدر منها الأنهر العظيمة المنطلقة من قيود الجليد من آماذ بعيدة ، فهي أنهار حرة تنساب من القمم شرقاً وغرباً إلى السهول تحمل إليها المياه فتحولها إلى جنات ذات قرار معين .

ولقد كان نهر الدواسر من أعظم أنهر الجزيرة ، ينبع من جبال اليمن الشرقية والشمالية ماراً بالأحفاف منحنياً نحو الشمال مخترقاً الربع الخالي إلى شواطئ الخليج الفارسي .

وذلك يجعلنا نفترض أن الإنسان الأول الحق قد وجد في الجزيرة من قبل مائة ألف سنة ، وبدأ يضع براعم المجتمع الإنساني ونظمه البدائية ، ويفكر - فيما نتخيل - في التفاهم إلى جانب الاشارات بأي لغة وواسطة ، وفي سن قواعد فجة للعلاقات الاجتماعية ظلت تنمو كما تنمو مع الطفل المعلومات والتصورات نمواً في

أفياله الممتد تكوّنت أول أسرة وجماعة فقييلة قامة لها شرائعها وعاداتها وأساطيرها وعقائدها من قبل مائة ألف سنة ، حفظت لنا منها القليل المجلد أخبار تنقلها الأجيال ، منها قصة نوح عليه السلام والطوفان والسفينة ومنها العمالقة وعظمتهم ، وأن اليمن كانت موطن العمالقة الأول وأنهم من العرب البائدة ، وسلفاً لمن تلاهم من عاديين ومن تلاهم من كلدانيين وعدنانيين وقحطانيين وغيرهم من أسم حدثتنا عنها الأخبار وأيدتها الكتب المقدسة والآثار في أحيان كثيرة .

وقد كان خصب الجزيرة واعتدال مناخها المبكر من عوامل قيام هذا الإنسان على تربتها قبل غيرها - فيما نراه - ثم لتعرضها للجفاف المبكر .

الجفاف واليمن العربية السعيدة

إن ذلك الخصب والمناخ المعتدل الميكر جعل من الجزيرة المصدر الأول للاشعاع الحضاري الإنساني ومنبع الرسائل السماوية ، ولكن سنة التغير لا يحصى من الخضوع لحكمها .

فإن قرب الجزيرة من خط الاستواء مع تكوينها الجبلي والسهلي ، وموقعها من المحيطات هي التي وهبتها في الماضي العميق ذلك الجو المعتدل حينما كان العصر الجليدي الرابع لم ينحصر عن كثير من الكرة الأرضية أو انحصر تاركاً برده القاسي وزمهريره القارس . وما بدأت بعض تلك البلدان تدخل في دور الاعتدال المناخي وتتخلص من وطأة الجليد إلا وبدأت الجزيرة تتعرض لا للعصر الجليدي الخامس فحسب بل للجفاف البطيء الذي لم تظهر آثاره إلا بعد آلاف السنين فقلت الأمطار تدريجياً ، وارتفعت الحرارة . واختفت الأنهر الكبار ، وتحولت معظم السهول الخضراء إلى صحارى رملية موحشة وتراجعت الحياة من معظم شمالها وشرقها الصحراوي إلى جنوبها وغربها وبعض جبالها الشرقية ، ومن هنا تسمى الشطر الجنوبي من الجزيرة باليمن ، وبالعربية السعيدة - فيأأواه - من تسمية الكل باسم الجزء ، فلفظتا (يمن) (وسعيدة) مؤداهما البركة والسعادة ، ويقع معظم هذا اليمن والسعادة من محاذة خط المدار الشمالي جنوباً فجبال عمان شرقاً والطائف غرباً . ومن هنا كان المدار الشمالي أهم ما تحد به اليمن الطبيعية .

اليمن الطبيعية

اختلف المؤرخون فيما يتناوله مدلول اليمن وحدودها . فاليونانيون عندما

يذكرون اليمن أو العربية السعيدة - يعنون بها تقريبا الجزيرة العربية وقد يتناولون سيناء . ويبدو لي أن ذلك يرجع إلى أن اليونانيين عاصروا السبئيين « وكان السبئيون إذ ذاك يحكمون كل الجزيرة العربية ، ويمتد نفوذهم الاقتصادي إلى شواطئ البحر الأبيض . ويتبادلون التجارة مع أبناء جلدتهم الفينيقيين وهم الذين وقفوا في وجه الزحف الآري من فارسيين ويونانيين ورومانيين إبتداء من سقوط بابل سنة ٥٢٧ وما بعدها .

١ - ومن الكتاب من يقصر اليمن على المنطقة التي تضم عسير والمخلاف السليماني شمالا وخليج عدن والبحر العربي جنوبا ولا يعد حضر موت وعمان من اليمن .

٢ - وظهر أخيراً خلال الاحتلال البريطاني لمنطقة عدن من حاول أن يقصر اليمن على القسم المتوسط من الشطر الجنوبي للجزيرة فيحدد اليمن من الشمال بعسير ومن الجنوب بلحج والمحميات الشرقية وهذا ما روجته بريطانيا خلال احتلالها لجنوب اليمن الذي أطلقت عليه اسم (الجنوب العربي) ، ولتغلب هذه التسمية المفرضة سخرت بريطانيا كل الوسائل وبذلت ملايين الجنيهات واستخدمت الكثير من المنظمات والصحافة والشخصيات ، ولكم تصارعنا مع أفراد هذه المنظمات في المؤتمرات والأندية والصحافة منبهين إلى ما تحمله هذه التسمية (الجنوب العربي) من جنسية على اليمن ، ولم نجد هذه التنبيهات أذنا صاغية .

وأملنا كبير في أن يتحرر جنوب اليمن من الاستعمار وتحلّفه وتحريّفه وما ذلك ببعيد^(١) .

٣ - يرى أكثر المؤرخين العرب وكل عارف بالتاريخ بعيد عن التيار السياسي ، أن اليمن هو الشطر الجنوبي من الجزيرة بما فيه حضر موت وعمان ومشيخات جنوب الخليج الفارسي ومكة المكرمة ، فيحدون اليمن غربا بالبحر الأحمر وشرقا بخليج عمان وجنوب خليج فارس وجنوبا بخليج عدن والبحر

(١) كان هذا عام ١٣٨٥ هجرية تاريخ التأليف ، أما اليوم علم الطبع فقد تحرر جنوبنا من المحتل وقامت به جمهورية نتظر أن نلتقي معها في وحدة اليمن الكبرى .

العربي والمحيط الهندي ، وشمالاً بنجدويرين ، وهذا هو الذي يقرره الواقع التاريخي قبل الإسلام وبعده .

والاعتبار الجغرافي والعرفي ، فإن معظم القبائل في هذا الشطر تنتسب إلى قحطان بن هود عليه السلام .

وأدق ما تحدد به اليمن الطبيعية من الشمال المدار الشمالي المار بمحاذاة رأس (برمس) ما بين رابغ وينبع فمهدها الذهب فيبرين ثم ينحني الحد نحو الشمال متجاوزاً خط المدار الشمالي . ثم ينحني الحد في تعريج نحو الشرق إلى البحرين وقطر على شاطئ الخليج الفارسي .

وعلى هذا فاليمن الطبيعية هي كما يلي مساحة وأقساماً :

مساحة اليمن الطبيعية لا تقل عن ٩٠٠,٠٠٠ ميل مربع ، تسعمائة ألف ميل مربع وهي تتناول اليوم الأقسام الآتية :

١ - منطقة عمان بما فيها سلطنة مسقط وقطر والبحرين والمشيكات بين البحرين وعمان ، وهي رأس الخيمة والشارقة ودبي ، وأبو ظبي ، وأم الكراين ، ولا تقل مساحتها عن مائة ألف ميل مربع .

٢ - الجنوب اليمني ومساحته لا تقل عن ربع مليون .

٣ - منطقة عسير ونجران وجيزان وما بشمالها إلى خط المدار الشمالي بما فيها مكة المكرمة ورابغ ولا تقل مساحتها عن مائتي ألف ميل مربع .

٤ - الربع الخالي ولا تقل مساحته عن ربع مليون ميل مربع .

٥ - الجمهورية العربية اليمنية وتقدر مساحتها بخمسة وسبعين ألف ميل مربع .

هذه هي اليمن الطبيعية . وقبل أن ندخل في سرد اليمن ذات الملامح التاريخية الأثرية نضع أمام القارئ ما يلي :

العرب والساميون

إن دارسي السلالات البشرية قسموها إلى ثلاثة أصناف رئيسية :

١ - الصنف الزنجي أو الأسود .

٢ - الصنف المغولي أو الأصفر .

٣ - الصنف الأبيض .

والصنف الأبيض له ثلاثة فروع :

(أ) الحاميون .

(ب) الآريون .

(ج) الساميون .

ومن أشهر الساميين : البابليون ، والعرب ، والعبرانيون ، والفينيقيون ، والأراميون ، والآثوريون . والحثيون ، والسومريون ، وغيرهم في رأي المؤرخ^(١) (ويلز) ويقول المؤرخ (فيليب فان نس مير)^(٢) الأمريكي : إن رأي أكبر العلماء أن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب ، وإن مما يجب ذكره أن أديان التوحيد الثلاثة العظمى الموسوية والمسيحية والإسلامية ظهرت بين الشعوب السامية ، وأن الساميين هم الذين حملوا راية الحضارة في العالم القديم .

(١) موجز التاريخ صحيفة ٧٣ و ٦٦ و ٦٧ .

(٢) التاريخ العام صحيفة ٧ .

ومما يلفت النظر أن المؤرخين القدامى لم يتكلموا عن الساميين بهذا التعديد والتصنيف ، وإذا تكلموا عنهم فباعتبار ارتباط الكلمتين في المفهوم وإن كلمة العرب تتناول مفهوم السامية ، وقالوا إن العرب مروا في أدوار ثلاثة :

١ - العرب العاربة (البائدة) منهم العمالقة والعاديون .

٢ - العرب المتعربة القحاطانيون .

٣ - العرب المستعربة العدنانيون .

وإن العرب العاربة البائدة هي التي لم يبق إلا أخبارها ، ومنهم العمالقة وعساد وشمود وجهرهم ، وإن العمالقة أول ما ظهروا باليمن ومنهم من استقر باليمن ، ومنهم من نرح عن اليمن إلى أفريقيا وإيران والشام والعراق وإنهم والعاديين أسلاف السومريين والكلدانين وغيرهم .

ولم يكن هناك قبل قرنين من يتكلم عن الساميين إلا اليهود ومن أخذ عنهم ، فاليهود منذ القدم هم الذين أشاعوا هذه التسمية هادقين من روايتها إلى جعل كلمة (عرب) ذات مفهوم ضيق لا تتعدى سكان الجزيرة العربية وتحويل العرب إلى جزء من الساميين لا أصلاً ترتبط به إرتباطاً عضوياً ، أي أمة تربطها اللغة والدم .

الهدف الثاني لإخراج بعض الشعوب العربية كالشعب المصري القديم فإنه عربي اللغة والثقافة اللذين تأثر بهما قبل التاريخ ، على أثر نزوح اليمنيين إليه وكذلك الكنعانيون والفلسطينيون الذين غزا أرضهما اليهود في الألف الثاني قبل الميلاد واستمروا في حرب مع اليهود إلى الألف الأولى ق . م مع أن هذين الشعبين عرب وساميون دماً ولغة .

وقد بقيت هذه التسمية اليهودية في الأوساط اليهودية كاملة بمفهومها اليهودي إلى قبل قرنين عندما ظهر الاستعمار الغربي الأوربي وطلّاعه من المستشرقين ، وهناك انطلقت كلمة السامية تزحف بمدلولها العبري ، لقد رأى فيها المستعمر سلاحاً قوياً لا يقل أثره عن الأساطيل الجوية والبحرية والجيش

الحرارة ومعداتها المدمرة التي ساقها الغرب إلى الشرق ليقتضي فيه على عدوه الطبيعي وهما الإسلام والعروبة .

فإذا كان حقد اليهود على العرب حلهم من سالف القرون على أن يحرفوا مفهوم السامية والعربية ويحلوا كلمة السامية محل كلمة العربية فإن في استخدام المستعمر لهذا التبديل والتحريف سلاحا يفرق العالم العربي إلى قوميات عنصرية عرقية إلى جانب ما قام به الاستعمار من تفريق العالم الإسلامي إلى قوميات وما يشه من أفكار مفرقة هدامة ، ولذلك بذل المستعمرون جهوداً لنشر هذا التحريف والتبديل حتى كاد مفهوم كلمتي العربية والسامية الحقيقي يختفي وكادت تحي كلمة العرب القدامى بمفهومها المتناول ، قدامى المصريين وأبناء النيل وشمال أفريقيا والبابليين وغيرهم .

إلا أن من مفكري العرب ومؤرخيهم من تيقظ لهذه الخدعة فكشفوها كما فعل الأستاذ محمد عزة دروزة ورواه في مؤلفه (الوحدة العربية) ^(١) ص ٢٦ .

وهذا ما أردنا أن نعرفه لابنائنا فإن السامية والعربية معنهما واحد هو العرب القدامى ومن تفرع منهم فالجميع يتسبون إلى سام بن نوح أول لغة العربية والجميع بالعرب منذ القدم عرفوا ولولا التفسير اليهودي المحرف وإشاعة الاستعمار له لما احتجنا إلى هذا التنبيه ، ولتحويل إلى الوطن الأول للعرب أو الساميين أينما كان .

(١) قال : إن تسميتها بالاقوام السامية خطأ ، ابتكره المستشرق النمساوي « ثلوزر » عام ١٧٨١ م استنادا إلى الانساب الوارد في سفر التكوين وليس له سند من تاريخ وعلم ، وإن التسمية الصحيحة هي « الاقوام العربية » .

اليمن المهد الأول للحضارة وللعرب السامية

لتؤجل كلام المؤرخين والمستشرقين إلى أن نستعرض ما توحيه النواميس الإلهية، وما أسلفناه ، أن المناخ المعتدل المنعش هو الصدف المتكون فيه أجنة الحياة ، ومن الدراسة السالفة يكون اليمن هو الحقل الذي نبت عليه الإنسان الأول قبل مائة ألف سنة حين كانت أوربا بغربها ومعظم الكرة الأرضية في غلاف الجليد الرابع الرهيب الذي لم يجعل الإنسان أن يتبرعم على أرض فرنسا وأسبانيا إلا بعد سبعين ألف سنة .

فإن منذ ثلاثين ألف عام بدأ المناخ بغرب أوربا يشع بومضات من الدفء والاعتدال ويبدأ هناك الإنسان وهو يرتعش من الزمهرير الذي ما تزال وطأته تقيد الحياة وترعب الإنسان بينما كانت الجزيرة العربية إذ ذاك في أوج الاعتدال المناخي ونشوة طفولة الحياة المرححة الطموحة المتفتحة تدغدغها أحلام الطفولة الجميلة ، وترقصها الخيالات السابحة مع اللجج على صفحة البحار ، مع أجنحة الطيور على الفضاء ، مع الأرام والسباع أحياناً على قمم الجبال ومهاوي الأودية . ويراح الغابات المتدوحة والسهول النضرة . وأحياناً مع المنام ومراثيه والموت ورهبته والسحب ويروقها ، واختلاف الفصول والليل والنهار ، إننا كلما أطلقنا خيالاتنا الزمام ونحن معه إلى اليمن في تلك الأزمان السحيقة الموعلة في القدم فإذا بنا على ربوة تكسوها بهجة الحياة الفطرية تموج على جوانبها طفولة الإنسان الأول ذي العناصر المادية والخيالية والوجدانية والفكرية القوية النمو التي لم تدعه أليف نوم وجمود .

ولمّا حركة خاطئة أكثر منها صائبة ، بعثته على أن يصارع الطبيعة وما حوله وعلى أن يؤمن وجوده ومقومات حياته وبقاء نوعه فيبحث عن الأمان في الكهوف والقمم والماء والنار وتسلق الجبال والأشجار كما يبحث عنها في الأنهر والبحار وراء الأسماك ، وفي البراري والغابات وراء الحيوانات بصيدها ثم يستأنس أسلسها فإذا بها تفرض عليه رعايتها متنقلا فيما حوله متأملا يريد أن ينفذ إلى ما تحويه الجبال والسهول من أسرار ومعادن ، ومما توحيه حرفة الرعي إلى ذوي المواهب ، وإلى جانبه أخوه الزارع تسود عليه طبيعة الفلاحة الداعية إلى معرفة شق الأرض وربها ومعرفة الزراعة ومواسمها وطرق استغلالها إلى آخر ما تفرضه معرفة الزراعة ، إلى جانب الصبر والكثح والهدوء والاستقرار .

ومن الصيد والقنص والرعي والزراعة تولدت مفاهيم جديدة للحياة في أحقاب مدينة على محتواها تجاوزت الصلات والروابط .

الأسرة والخيمة والكهف والزوجية ، إلى مجتمع قبلي يفرض حياته نظاماً يحدد العلاقات بين أفراد وأصنافه ، وبينهم وبين من حولهم .

وعن هذه التطورات والتفاعلات يتمخض المجتمع عن أمة عليها حكومة لها نظامها وقوانينها وعقائدها وحكامها .

وإذا كانت اليمن هي الحقل الصالح لولادة الإنسان الأول فلنا أن نتخيل تحت أضواء نوايس التكوين - إن اليمن شهدت قبل غيرها تطورات هذا الإنسان في أدوار الماضي السحيق الذي لم يكن لدينا عنه أثر (نعتمد عليه) إلا الافتراض الذي من أجل الاطمئنان نرجع إليه إذعاناً للطبيعة البشرية وناموس سيرها والذي يبعثنا لتصور وجود الإنسان الأول على اليمن ، وتلفت إلى قبر حواء بجدة ، بأنه ليس من قبيل الأساطورات الفارغة بل قصة لها مغزاها ، أنها قصة ترمي إلى تقدم قدم الإنسان في اليمن تقدماً غير متنازع ولا مسبوق ، وعلى يربة اليمن سار ذلك الإنسان الأول بخطى رتيبة نحو مدينة العالم القديم التي تركت لنا الكتب المقدسة ، منها قصة آدم وقصة نوح والطوفان والسفينة وما حملته من كل زوج اثنين وأن قوم نوح اتخذوا آلهة ودأ وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً ،

وهي أسماء عربية يمنية ، وقد أسدل الستار على عهد نوح وما قبله وغمره الماضي بطوفان النسيان ما عدا ما حفظته الكتب المقدسة المسجلة لعروبة ذلك العهد بأسمائه وتقاليد وحضارته .

وتتجدد بعد نوح وطوفانه ، مسرحية جديدة للإنسان نرى من فصولها قصة سام بن نوح والتي تدور في اليمن الذي احتضنت أرضه ساما وفروعه ومنحتهم من معطياتها القدرة على أن يأخذ ذلك الإنسان السامي والعربي يسير على تربة اليمن عبر القرون الكثيرة في نموبطية مطرد ، وتبرز من صنوفه أمم حفظت لنا الأخبار منها العمالة وعاد الأولى والثانية وكلها عرفها الإخباريون والتاريخ بالعرب القديمة ، (البائدة) ويرى أكثر المؤرخين الإخباريين وجماعة من الأثريين أن هؤلاء العمالة كانوا باليمن وأن منهم ومن عاد من أقام باليمن ومنهم من هاجر إلى العراق وإيران والشام وإفريقيا الشرقية منسايين منها إلى وادي النيل وشمال أفريقيا وغيرها ، حاملين معهم حضارتهم ومعلوماتهم ، ولعل منها الكتابة البدائية كرموز للتدوين والتصوير والذي منه اقتبست الحضارة السومرية والفرعونية والآرامية فيما اقتبست الكتابة ، فطورتها ثم اهتمت إلى نقشها وتدوين الأخبار بها على الأحجار والبردى والأواح الطين المجفف مما حفظ الكتابة وأخبار تلك الأمم ، ويبدو أن العمالة وعاد لم يستعملوا هذه الطريقة فضاعت كتاباتهم وأخبارهم أو استعملوها ولكنه لم يعثر عليها إلى اليوم ، وهي في رأينا الأصل للأبجدية اليمنية المعروفة بالمسند ، ومن تلك الأخبار وذلك الافتراض نرى أن السومريين والآشوريين والحيثيين وقدامى الفراعنة والمصريين هم من فروع العمالة الذين هاجروا قبل التاريخ كما أن من العمالة والعاديين يعد الكلدانيون والبابليون والفينيقيون والشاسوء الكنعانيون والفلسطينيون والآشوريون والebraيون وغيرهم ، وقد أوصلنا إلى هذه النتيجة ما حكاه الإخباريون والكتب المقدسة وما استوحيناه من نوايس الطبيعة وتطوراتها وهذه النتيجة تقرب من النتائج التي استقاها من الدراسة الجيولوجية والأثرية والتاريخية كثير من مؤرخي الغرب وأمريكا والمستشرقين وغيرهم .

فقد قال أحد المستشرقين : إن اليمن وحده هو الذي يستطيع بأن يطالب

تاريخنا بلقب (مهد العروبة) .

وقال المؤرخ (مولر) أنه جاء ذكر المعينين في أقدم نص بابلي عليه نقش بالمسمارية تاريخه ٣٧٥٠ ق . م عام ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين قبل الميلاد وقال لورنس : اليمن هو مصنع العرب .

وقال المؤرخ الأمريكي (ولز)^(١) أن السومريين أولو بشرة سمراء وأنوف شماء ، وأن شعباً أبيض قائماً أو أسمر ، هم الساميون جاءوا من بلاد العرب إلى بلاد سومر متجرين ومغيرين وبعد قرون تم لهؤلاء المغيرين فتح بلاد سومر بقيادة (سرجون) الكلداني العظيم في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد وأصبح سرجون سيد العالم كله في الخليج الفارسي إلى البحر الأبيض ، وإنه لم يأت عهد حمورابي أواخر الألف الثالث قبل المسيح إلا وقد انتشر الساميون على طول حوض البحر الأبيض وتوغلوا في أوروبا بإسبانيا وغيرها وأقاموا مستعمرات على شاطئ أفريقيا وأن من الساميين الفينيقيين والحبشيين وعمالقة الشام والعراق والشاسوه الذين فتحوا مصر وحكموها أكثر من خمسمائة سنة ، وقال المؤرخان المصريان محمد عبد الرحيم مصطفى وعبد العزيز مبارك في مؤلفهما (تاريخ مصر القديم)^(٢) أن الحضارة بمصر بدأت قبل عصر التاريخ بما يقدر بمائة ألف سنة وأنها أغارت قبل عصر التاريخ على مصر قبائل آسيوية من الجنس السامي جاؤوا عن طريق برزخ السويس وقد استطاع هؤلاء الساميون أن يؤثروا في حضارة المصريين ولغتهم تأثيراً كبيراً .

وقد خرجنا عن الاختصار لأهمية المواضيع ، فمفهوم السامية قد حرف كما حرف مفهوم العرب ، واليمن ما تزال تتطلع إلى من يمنحها دراسة من الناحية الجيولوجية وأدوارها في تطور الإنسان وحضارته إلى جانب المزيد من دراسة الآثار والتنقيب عنها لعلها تمنح العالم معلومات جديدة عن الإنسان الأول وتطوره .

ونحن لا ندعي أننا قد لبينا هذا التطلع وقمنا بهذه الدراسة ، إنما لم نفعل

(١) موجز التاريخ العام ص ٦٦ و ٦٧ .

(٢) ص ٩ .

أكثر من طرق الباب الذي نرجو أن يفتح لذوي المواهب الجيولوجية والتاريخية .
ونبتدىء سيرنا في بيان ما وصلنا إليه من معلومات ونظريات حول اليمن
قبل الإسلام ويعدّه ملتزمين الاختصار إلا في مواطن تستدعي الوقفة .

اليمن قبل الاسلام

من المسلم به أن قصة اليمن التاريخية لا تزال ناقصة تتخللها فجوات يتعثر فيها الكتاب والمؤرخ وهو يحاول أن يقيم منها بناءً مترابط الأدوار ، متراصن البنيان ، واضح المعالم .

ومع ذلك فبين أيدينا مما لمحتنا إليه ما نستطيع أن نقول معه :

- ١ - ما قبل العمالة .
- ٢ - العرب القديمة البائدة ذات الأخبار .
- ٣ - العرب ذات الآثار .

الفصل الأول ما قبل العمالة

وما يمكن القول به في هذا الفصل : إن اليمن هي المهد الأول للإنسان الأول وللحضارة ، وإن على أرضها تكونت أول أسرة عربية أي سامية قطعت بعد ذلك آلاف السنين حتى بلغت مستوى التنظيم والحكم والامتداد إلى الخارج كما أوضحناه آنفاً ، ولم تعطنا تلك الأضواء الخافتة معلومات تفصيلية نتعرف بها إلى أسرة أو شخصيات حاكمة أو غير حاكمة ، وكلما أعطتنا معلومات إجمالية نوجيها لنواميس الحياة التي بتطورها وحكمها الصارم جعلت من آخر هذا الفصل انتفاضة تفتحت عن علم ظهر على معالم طريق الحضارة اليمنية ، ذلك العلم هي أسرة العمالقة أو العرب القدامى .

الفصل الثاني العرب القديمة ذات الأخبار

تعرف هذه الأمم بالعرب البائدة والعرب العرباء ، ولم يبق إلا الحديث عنهم وبعض أخبارهم ، ولم يعثر لهم إلى الآن على آثار ولا كتابة تبين أسماء من حكموا ولا الزمن الذي وجدوا فيه أو انتهوا ، وقد حفظت الأخبار من أمم هذا الفصل :

١ - العمالقة

٢ - عاد الأولى

٣ - عاد الثانية

٤ - ثمود

٥ - قحطان ويعرب

٦ - جرهم الأولى

٧ - جرهم الثانية

٨ - عمان

٩ - حضرموت

١ - العمالقة

هم كما يرى الإخباريون أقدم العرب العاربة . وأن موطنهم الأول اليمن ومن المؤرخين من يحدده بحقل صنعاء ومنطقتها ، وقد امتدت أيامهم آلاف الأعوام ونسج حولهم كثير من الأساطير سيما حول عظم الأجسام وطولها والقوة والبطش والبطولات والصحة ورفع الأبنية والسلود إلى غير ذلك مما يتناسب مع

مميزات الإنسان العربي واليمني التي برزت آثارها في أعمال وآثار المعينيين والسبئيين ومن بعدهم من خلف العمالة ، ولم يكن في أساطيرهم ما نراه في أساطير اليونان والرومان من آلهة وخيالات حب وتناسل بين تلك الآلهة إلى ما هناك من تصورات .

وللأساطير في كل أمة دورها الذي يعد مرآة لبيئة الأمة وميوها ، وأغلب ما تأتي الأساطير مقدمة ينتج منها تاريخ الأمة الحقيقي وقد لا يتخلل التاريخ الحقيقي عن آثار تلك الأساطير ، ومن هذا المزيج قد يكون العمالة والأخبار عنهم المفيدة أنهم تكاثروا ورحل منهم في فترات متتابعة إلى الخارج عدد كبير يدفعهم فيها يبدو ما دفع من تلاهم هو حب الفتح واكتساب مواطن جديدة ، وقد تكون لطلب الرزق أو فراراً من متقلب يماني جديد على من قبله ، وقد احتفظ هؤلاء المهاجرون لأنفسهم في كثير من المواطن الجديدة بالحكم أزماناً طويلة حتى بعد أن غلبهم في اليمن فروعهم العاديون . فقد كان لهم بعد زوال حكمهم عن اليمن دول في العراق وشمال الجزيرة ، ولعل منهم السومريين في العراق الذين غلبهم بعد أبناء عموماتهم من العاديين في الألف الرابع قبل الميلاد ثم تغلبوا عليهم بقيادة (سرجون) في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان لهم في الألف الثاني قبل الميلاد دولة بمصر وهي المعروفة (بالشاسوا) أو (الهكسوس) أي العرب والرعاة فقد أثبتت الآثار المصرية أنهم حكموا مصر من سنة ٢٢١٤ ألفين ومايتين وأربعة عشر قبل الميلاد إلى سنة ١٧٠٣ ألف وسبعمائة وثلاثة ق . م .

كما يحكي الإخباريون أنه بقي لهم حكم بمكة إلى أيام يعرب فبعث أخاه جرهما بن قحطان فأجلاهم عن مكة .

وعلى كل فإن العمالة هي أمة ذكرها المؤرخون ، وأن مساكنهم باليمن وأنهم قدماء العرب ، وأنهم باليمن تكاثروا ، ومنه انطلقوا إلى خارج اليمن وأنه امتد حكمهم في اليمن آلاف السنين حتى غلبهم العاديون وبقي لهم خارج اليمن حكم آماداً متطاولة .

كما أن اسمهم الرنان (العمالقة) استعارته أمم أتت بعدهم .

٢ - عاد الأولى

هي الأمة التي تبدو أكثر وضوحاً من دولة العمالقة عنها تحدثت الأخبار والكتب المقدسة ، وقد أخبر القرآن أن موطنها هي (الأحقاف) وهي شمال حضرموت ، وأنها كانت على جانب مهيب من القوة العسكرية والجسمية والحضارية والاقتصادية وأن أرضها كانت على جانب من الخصب والاعتدال ، ذات جنات وأنهار ونعم وعيون ، وأن الله استخلفهم من بعد نوح وزادهم في الخلق بسطة ، وأنه أرسل إليهم من أنفسهم (هوداً) فأصروا على كفرهم وبغيتهم ، وتجاوزوا حد الغرور فقالوا (من أشد منا قوة) ولم تنجح فيهم النصيحة فلم يلتفتوا إليها وإلى تذكيرهم بما هم فيه من قوة ورخاء فقد خوطبوا : وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، واتقوا الذي أمركم بما تعلمون ، أمركم بأنعام وينين ، وجنات وعيون فلم يؤمن منهم بالنبي هود إلا قليل ، فقلت الأمطار ، واشتد الجفاف وهم سادرون في غيهم فأخذتهم الرياح العقيم لمساكنهم ناسفة ولمزارعهم محتاجة ولأجسامهم رامية ﴿ كأنها أعجاز نخل خاوية ﴾ ، فهل ترى لهم من باقية ؟ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴿ - إلى قوله تعالى ﴾ الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد ﴿ .

هذه الصورة القوية لحضارة قوية عميقة القدم قامت بعد نوح تعد تصويراً رائعاً وبرهانا ساطعاً على أن اليمن أول مهد للحضارة والعرب أو السامية بالتعبير الجديد ، إنها شهادة من مصدر قوى الإيمان ، ومع هذا وما ذكره الإخباريون من تحول هود ومن معه إلى حضرموت وأنه مات بها ، وبها قبره الذي لا يزال مزاراً إلى اليوم ، مع كل ذلك فلم يبين الزمان الذي بدأت فيه دولة عاد الأولى ولا قدر المدة التي حكمت فيها وانتهت ، ولا أسماء الملوك والحكام منها إلا اسم الملك (الخليلخال) فقد ذكرت القصص أنه هلك مع قومه ، ولنا أن نفترض بمعونة الكتاب المقدس وسنة التطور المناخي الزمن الذي كانت به عاد الأولى فإنهم كانوا في زمن كانت الأحقاف تتمتع فيه ببقية من الخصب والمناخ المعتدل ،

ولم يكن الجفاف قد بلغ بوطأته إلى أن جعل الأحقاف يلفظ آخر نفس من الحياة ، ومن هذه النظرة الجيولوجية يمكن أن نقول : إن آخر عهد الأحقاف بالحياة هو في الألف الثامن أو السابع قبل المسيح إذ قد وجدت في الربع الخالي أصداف المياه العذبة وأسلحة صوانية وقطع متحجرة من بيض النعام يعود إلى قبل خمسة آلاف عام قبل المسيح ، إذاً فعهد الأحقاف بالحضارة العادية وإرم ذات العماد كان قد انتهى قبل المسيح بأكثر من خمسة آلاف سنة فكون عاد الأولى قد وجدت قبل ذلك بما لا يقل عن ألفين أو ثلاثة آلاف عام فتكون زمنها الذي اكتملت فيه الألف السابع قبل المسيح أو الثامن ، ويدعم هذا الافتراض ما يشير إليه القرآن من الخصب ثم الجهد الذي عانته عاد ثم العاصفة المفاجئة التي قضت على ما بقي للحياة من عناصر ومعالم .

وهذا التحول تقره البحوث العلمية الجيولوجية والتاريخية وتكاد تحدد معنا أن عاد حكمت في الألف الثامن ق . م ، والأحقاف قد بدأت تتعرض لغزو الجفاف البطيء الذي لم تأت ضربته الحاسمة إلا في الألف السابع ق . م الذي انتهت فيه عاد الأولى وانتهت فيه الحياة الصالحة في الأحقاف التي تحولت بعد قرون إلى صحراء رملية تبتلع الأثقال تكاد تشارك الكتلة القمرية في الخلو من الحياة ، فقد دب إليها الموت دبيب الخنافس والسلاحف ، ويمكن أن يكون آخر عهدها بالحياة الصالحة كما قدرنا هو الألف السابع قبل الميلاد والذي بدأت فيه عاد الثانية تتكون .

٣ - عاد الثانية

لم يحدثنا عنها القرآن وعن هود عليه السلام بعد هلاك عاد الأولى إلا بأن الله نجى هوداً والذين آمنوا به . وإنها عاد الأولى وفي نعت عاد بالأولى دليل أن هناك عاداً ثانية ، وقد أفادت الأخبار أن هوداً ومن معه فارقوا الأحقاف إلى حضر موت وبها استقروا وبها مات هود عليه السلام وكأنهم تكاثروا وتآلفت من نسلهم عاد الثانية ولا نعلم متى حكموا ، وهناك من يقول إنهم استمروا في الحكم ألف عام حتى غلبهم يعرب في رواية وهو الأقرب إلى سير التاريخ وقيل ثمود .

وإذا رجعنا إلى سنة النمو فقد يكونون استمروا في التكون بقية الألف السابع وشطراً من الألف السادس الذي في شطره الأخير حكموا واستمروا إلى الألف الخامس قبل الميلاد حتى غلبهم يعرب أو في الألف الرابع كما يأتي وقد ذكر المؤرخون ملوكاً لعاد منهم :

١ - شداد بن عاد

٢ - لقمان بن عاد

٣ - الهمال بن عاد

٤ - الحارث بن الهمال .

ولا نعلم هل هؤلاء من ملوك عاد الأولى أم الثانية أم منها ونحن لا نشك ذلك ولا ننفيه تاركين الحكم للمستقبل الذي قد يكشف لنا عنهم وعن ثمود آفاقاً جديدة .

٤ - ثمود

نحدث القرآن عن ثمود وأنها قبل إبراهيم ويقال إن منازلهم الأولى كانت بالجنوب الشرقي من اليمن ما بين عسير وحضر موت ثم تحولوا لسبب مجهول إلى الشمال ونزلوا وادي القرى أو مداين صالح والحجر واتخذوا منها موطن جديدة ما تزال آثارها إلى اليوم قائمة ، أما في الجنوب فلم يعثر لهم ولا لعاد على أثر إلى الآن ولا يبعد أنهم من فروع عاد ، ويستظهر على هذا الفرض أن يعرب قضى على عاد في اليمن وعلى العمالة في الحجاز فيكون قد أنهى ثموداً في الحجاز .

العهد القحطاني - والعهد اليعربي

٥ - يعرب بن قحطان بن هود ٤٠٠٠ ق م

نشأ القحطانيون في اليمن أثر عاد ويقايا العمالة فيها يسدو وامتداداً لمن سلفهم من العمالة والعاديين وهم بطن من عاد فلن النسابين يقولون : إن قحطان بن عابر (هود عليه السلام) وإن يعرب بن قحطان وإن حمير وكهلان

هما ابنا (عبد شمس) الملقب (سبا) بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإن سبا
غزا أرض بابل وإنه أول من ضرب الأتاه وسبا ولذا لقب (بسباء) وفيه يقول
الشاعر :

ملك الأفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
له ملك قحطان بن هود وراثة عن أسلاف صدق من جدود ومن أب
ويزعمون أن مدة ملكه أربعمئة وأربعة وثمانين عاما ، ولعل تلك المدة
القرية من خمسمئة عام لملك أسرة سباء ، كما قد قيل ذلك في مدة ما لبث نوح
في قومه ، ويقول الإخباريون : أن يعرب هو أول من حياه العرب بتحية الملك
(آيت اللعن وأنعم صباحا) وأول من هذب اللغة العربية في دورها الثاني
(العرب المتعربة) ونطق إذ ذاك بأفصحها وأوجزها وأن العربية منسوبة إليه
مشتقة من اسمه . ومن هنا قال حسان بن ثابت فيه :

تعلمتم من منطلق الشيخ يعرب أبينا فصرتم معربين ذرى نفر
وكتتم قديما مالكم غير عجمة كسلام وكتتم كالبهائم في القفر

وإن يعرب بسط نفوذه على الجزيرة العربية وقضى على عاد في اليمن
والعمالقة في الحجاز وإنه ولي أخاه جرهما على الحجاز فقضى على من بها من
العمالقة . وولى أخاه عمانا منطقة عمان وبه سميت ، وولى أخاه عامر بن
قحطان الملقب حضر موت وبه سميت ، وقد قضى فيها على عاد ، وكان مغواراً
ويكثر من القتل في المعركة فإذا حضر معركة يقولون : حضر موت ، فلقب به ،
ويلقبه سميت المنطقة ، هكذا يقول الإخباريون والنسابون ، ونحن لا نأخذه
على علاقته وكلما يمكن القول به ، أن يعرب شخصية لامعة عبر التاريخ الطويل
مما يجعلنا نحكم أنه من أعلام القادة الذين أثروا في مجرى التاريخ والحياة
وتطورها ، ونحن وإن لم نقف إلى اليوم على آثار تحدثنا عنه وعن الزمان الذي
حكم فيه فإن وجوده كعظيم دفع الحضارة إلى الأمام - تكاد تكون متواترة
تتناقل أخبارها الأجيال ومنها أنه من أبناء قحطان وأن إليه يرجع أنساب القبائل

اليمنية الذين منهم المعينيون والسبثيون وكهلان وحير ، وأن في عصره وبقيادته تغلب القحطانيون على اليمن وامتصوا جميع سكانه من العاديين ، ومن هذه القضايا شبه المتواترة يرد سؤال هو ، كيف يكون يعرب بن قحطان ويكون سبأ حفيد يعرب ، ويكون حير وكهلان ابني سبأ مع القول بأن القحطانيين بقيادة يعرب تغلبوا على سكان اليمن ، ودولة معين لم يتكلم عنها مؤرخو العرب ، ودولة سبأ لم تظهر إلا في أوائل الألف الأول قبل المسيح . ودولة حير لم تأت إلا من آخر الألف الأول قبل المسيح ، وأين معين التي هي أقدم وجوداً من سبأ وأنتم تعدونها قحطانية ؟

والجواب على هذا : أن النساين كثيراً ما ينسبون الشخص أو القبيلة إلى شخص فيقولون : فلان ابن فلان ، ويعنون به أنه من نسله ويرتفع بنسبه إليه وإن كان بينهما عشرات الآباء كما نراه اليوم وعليه درج الماضون فيقولون فلان ابن رسول الله . أو ابن علي . أو ابن العباس . وأبناء أمية . وأبناء العباس وينو مروان إلى غير ذلك ، وما نحن فيه من هذا القبيل فإن قحطان قديم ، وقديم جداً جاء ذكره في التوراة بإسم (يقطن أو يقطان بن عابر) أي هود عليه السلام فيكون قحطان من رجال الألف السابع أو الثامن قبل الميلاد عصر تكون عباد الثانية

أما يعرب وجعله ابن قحطان من قبيل اتصال نسبه بقحطان لا أنه ابنه بلا فاصل ، وأن الذي تدل عليه طبيعة نحو الأسرة وتكاثرها هو أن بين يعرب وقحطان عشرات القرون فيها تكاثر أبناء قحطان وتساملوا في ظل دولة إخوانهم من العاديين وما زال جمع القحطانيين ينمو ويشند إلى عصر يعرب الذي مكن لهم السيادة على من عداهم من العاديين وبقيّة العمالقة .

وإذا اعتبرنا معيناً من قحطان وهو الصحيح كما سيأتي وسلمنا بوجود جرهم الأولى والثانية فيكون يعرب من أعلام أواخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع قبل المسيح ، فقد جاء ذكر معين في نصب بابلي تاريخه ٣٧٥٠ ق.م نقش عليه إسم المعينيين وصلاتهم بالبابليين ، وجرهم الثانية كانت قد تكونت بمنطقة مكة قبل إبراهيم بزمان طويل وعهد إبراهيم في أواخر الألف الثالث (ق.م) فيكون

جرهم الأولى هو جرهم أخو يعرب فيكون يعرب من رجال الألف الرابع أو أواخر الألف الخامس ق . م وما يقرب هذا الافتراض إلى الحقيقة ، أن الكلدانيين كانوا قد بدأوا يزاحون السومريين في الألف الرابع ق . م فقد مضى ما رواه المؤرخ (ولز) أن ساميين من بلاد العرب جاؤوا إلى بلاد سومر متجربين ومغربين وبعد قرون تغلبوا على السومريين بقيادة (سرجون) سنة ٢٧٥٠ ق . م ، وهؤلاء العرب من بقايا عاد الذين أخرجهم يعرب من اليمن بعد تغلبه عليهم ، ولعلمهم نزحوا إلى الشمال ومن هناك بعد قرون دخلوا بلاد سومر ثم تغلبوا عليها . ومن كل هذه الافتراضات المتضاربة مع القرائن نستنتج أن قحطان ابن رسول الله هود عليه السلام من رجال الألف السابع قبل الميلاد ، وأن يعرب من أعلام أواخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع ق . م وربما يأتي المستقبل بما يثبت ما ذهبنا إليه ، وقد ارتبط بـ يعرب ذكر جرهم وعمان وحضر موت .

٦ - جرهم الأولى ٤٠٠٠ ق . م

يروى الأخباريون أن يعرب ولّى أخاه جرهما على الحجاز فقبض على العمالة بالحجاز وبذلك ابتدأت دولة جرهم الأولى التي استمرت إلى أن تغلبت عليها جرهم الثانية ولم يبق لجرهم الأولى إلا الحديث عنها .

٧ - (جرهم الثانية ٣٠٠٠ ق . م إلى ٣٠٠ ب . م والعرب المستعربة)
هي قحطانية وامتداد لجرهم الأولى وقد أقامت بالحجاز بمنطقة مكة قبل قدوم الخليل إبراهيم إلى مكة بولده اسماعيل ، وقد نشأ اسماعيل بين الجرهميين ثم تزوج منهم وأخذ العربية عنهم فكانت لسان أبنائه العدنانيين وهم (العرب المستعربة) ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام من رجال الألف الثالث ق . م عصر (حورابي) وهو كلداني الجنس فيكون جرهم الثانية ممن عاش في الشطر الأول من الألف الثالث ق . م وقد بقيت تحكم مكة إلى القرن الثالث ب . م حيث غلبتها خزاعة القحطانية وأخبارها كثيرة ولا تعد من العرب البائدة بل من العرب المتعربة .

٨ - عمان

منطقة عمان من اليمن وقد ذكر ابن خلدون أنها سميت باسم عمان بن قحطان الذي ولّاه أخوه يعرب عليها ويذكر آخرون أن قبيلة الأزدي هاجرت إلى هذا القطر بعد انهزام سد مأرب فسموه باسم واد لهم بقرب مأرب .

وسكان عمان هم إلى الآن من الأزدي وكانت قبل الإسلام تابعة للتبابعة الحميريين ، وجاء الإسلام وملكها عبيد و جعفر أبناء الجلندي الأزدي وقد أسلموا تلبية لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي حلها عمرو بن العاص ثم قاما بنشر الدعوة الإسلامية في قبائل الخليج وإلى مفره وشمل الإسلام جميع عمان إلا من كان من أصل فارسي فقد أبوا ، فكان إخراجهم بأنفسهم وذرائعهم إلى فارس .

٩ - حضر موت

سبقت الإفادة بأنها سميت بلقب عامر بن قحطان الذي ولّاه أخوه يعرب على هذا القطر وبدأ تاريخ حضر موت (بعد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وكانت منازلهم بالأحفاف ثم انتقل هود عليه السلام ومن آمن به إلى حضر موت وذلك ما يعرف عنها قبل يعرب إلى أن جاء يعرب وإلى أن قامت فيها حضارة لها ملوكها وقلمها وآثارها كما سيأتي في فصل الدول ذات الآثار .

الفصل الثالث

الدول اليمنية الأثرية قبل الاسلام

هذا الفصل يقف بنا على عتبة عهد جديد ، عهد تاريخ اليمن المستمد من الآثار ويتناول هذا الفصل تسع دول هي :

- ١ - معين
- ٢ - سبأ
- ٣ - حمير
- ٤ - قتيبان
- ٥ - حضرموت
- ٦ - أوسان
- ٧ - جبا أو حبان
- ٨ - سمعى حاشد
- ٩ - اربع

وأشهرها ثلاث : معين ، سبأ ، وحمير

دولة معين

١ - دولة معين من سنة ١٥٠٠ - ٨٠٠ ق.م والذي نراه أنه من خلال ٤٠٠٠ ق. م ويذهب بعض العلماء مما عثروا عليه في جوف اليمن من آثار أن معيناً عاشت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقيمت إلى القرن الثامن قبل الميلاد وأن عاصمتها الأولى (معين) والأخرى (قمرناو) كلاهما بجوف اليمن وأن عدد ملوكها الذين عثر على أسمائهم ٢٨ ملكاً ومكرباً في ست سلالات وهم كما يلي :

(أ) السلالة الأولى سلالة يدع

اسم	لقب	شرح
١ - أب يدع		
٢ - أب يدع ،	يثع	المنقذ
٣ - أب يدع ،	ريام	السامي
٤ - حفن أب يدع	ريام	السامي
٥ - حفن أب يدع		

(ب) السلالة الثانية سلالة اليفع :

٦ - اليفع		
٧ - اليفع ، يفيش		الشهير
٨ - اليفع ، يثع		المنقذ
٩ - اليفع ، ياسر		السعيد
١٠ - اليفع ، ريام		السامي
١١ - حفن ريام بن اليفع ياسر		السعيد

(جـ) سلالة وقه :

- ١٢ - وقه آل يشع ، المنقذ . . .
- ١٣ - وقه آل ، بنط ، لقب شرف
- ١٤ - وقه آل صديق ، الصادق
- ١٥ - وقه آل ريام ، السامي

(د) سلالة يشع آل صديق :

- ١٦ - يشع آل صديق ، صادق
- ١٧ - يشع آل ريام ، السامي
- ١٨ - حفن صديق يفع كرب
- ١٩ - يشع آل ريام ، السامي

(هـ) سلالة خال كرب :

- ٢٠ - خال كرب صديق ، صادق
- ٢١ - هوفعت بن اليفع ريام ، السامي
- ٢٢ - خال كرب

(و) سلالة كرب :

- ٢٣ - معدي كرب بن اليفع
- ٢٤ - يشع كرب ريام السامي
- ٢٥ - أم يشع أبو كرب
- ٢٦ - أبو كرب
- ٢٧ - يشع كرب
- ٢٨ - ثوب كرب

هؤلاء ثمانية وعشرون ملكاً ومكرباً معيناً عشر على أسمائهم في جوف

اليمن وقد فهم من النصوص العثور عليها بالجنوف وغيرها أن الملك في المعينيين كان وراثياً ، وأن دولتهم شملت الجزيرة وامتدت إلى الخليج الفارسي والبحر الأبيض ولم تكن دولة حرب وفتح بل دولة تجارة وفتح اقتصادي تمتد طرقها ومخاطباتها أواسط الجزيرة العربية ، كما كانت لها موانئ على البحر الأحمر والأبيض والبحر العربي تستقبل سفنها العابرة إلى الهند وغيرها ، وكانت واسطة للتجارة بين الشرق والغرب ، كما كانت تصدر منتجاتها وصناعاتها من المر والبخور والتوابل إلى دول شرق البحر الأبيض كمصر وغيرها ، وتتبادل مع تلك الأقطار والهند وما جاورها السلع والتجارة ، وكانت لها نظمها التشريعية والاقتصادية وقلمها المسند ، ومن أحب المزيدي فليرجع إلى ما كتبه الأستاذ أحمد فخرى وغيره ، والذي يهمننا عن هذه الدولة معرفة أصلها والزمن الذي بدأ ظهورها فيه وعلاقتها بسبأ من ناحية النسب والتسمية واللغة والأبجدية .

فقد ذهب الكثير أنها عاشت في القرن الرابع عشر ق . م وتغلبت عليها سبأ في القرن التاسع أو الثامن ق . م ثم يذهب « جرجي زيدان » وأمثاله إلى أن أبجدية المعينيين مأخوذة من الأبجدية الفينيقية وأنهم ليسوا من القحطانيين لأنهم أقدم زمناً من قحطان . وأنهم من البابليين لما بينهم من التشابه في أسماء الأشخاص والآلهة والأحوال الاجتماعية والسياسية واللغوية والدينية . فلما ذهبت دولة العرب (أي بابل) من العراق نزح المعينيون عنها في جملة القبائل العربية فلم يستطع المعينيون حياة البادية ، فبحثوا عن موطن يلائمهم فنزلوا اليمن واتخذوا من الجوف وطناً أقاموا فيه حضارتهم المنقولة من بابل ، وهذه نظرية مردودة ، فإن من أفاد أنها عاشت في القرن الرابع عشر ق . م لم يقرر أنه بداية تكوينها ، وأنه يحتمل أن تاريخ بدايتها أقدم ، وهو كذلك ، تثبت ذلك الآثار والأدلة التكوينية والمناخية كما أشرنا إليه .

وقد جاء ذكر المعينيين في أقدم نصب بابل (سومري) يعود تاريخه ٣٧٥٠ ق . م نقش عليه بالمسمارية البابلية صلات بابل مع المعينيين ، ومن هذا السجل يمكن أن تبرز عدة أحكام ، أولها - أن المعينيين غير بابليين لأن النص يشرح

صلات البابليين بالمعنيين وهذا لا يكون إلا مع أمتين أو دولتين لا مع أمة واحدة أو دولة واحدة .

الحكم الثاني أن السومريين كانوا يعرفون البابليين من قبل موجة العرب الكلدانيين السرجونيين ، مما يعطينا تأكيداً أن السومريين من العرب الساميين .

الحكم الثالث أن معيناً من دول الألف الرابع قبل الميلاد وهو عصر عظمة قحطان التي افترضناها والتي برزت في قيادة يعرب الذي سبق أن رجحنا أنه من أعلام آخر الألف الخامس أو أوائل الألف الرابع ، وإذا فمعين قد يكون حفيد يعرب أو هو سباء نفسه ، ويكون لقباً ثانياً لعبد شمس كسباء ، فيكون لعبد شمس بن يشجب لقبان (سباء) و (معين) .

اشتهر معين في الشطر الأول للدولة اليمنية وبه عرفت الدولة ، واشتهر (سباء) في الشطر الثاني للدولة اليمنية ، وبه عرفت الدولة .

ويؤيد هذا تداخل الدولتين (المعينية والسبئية) زمنياً وأخباراً وحكماً ، فالآثار تخبرنا : إنه كان للسبئيين مقاماً مرموقاً وصوتاً مسموعاً وحكماً نافذاً في العهد السبئي المبكر ، والعكس مما يدل على أن معيناً وصباء ، أسرة واحدة عرفت أولاً بالمعنيين ، وأخيراً بالسبئيين .

ومما يستأنس به أنه جاء ذكر سباء في قصة سليمان مع ملكة سبأ وعصر سليمان القرن العاشر ق . م وجاء في الأخبار . أن سبأ غزا بابل ، وجاء ذكر سباء في نقش سومري وقرر المؤرخ (هومل) أن سبأ عاصرت السومريين .

وكان المصريون القدماء يطلقون على اليمن (فانت) ومعناها بالمصرية أرض الله ، وكانوا أيضاً يطلقون على اليمن (نبط) وهو في اللغة المعينية (لقب شرف) وقد لقب به الملك الثالث عشر من ملوك معين (وفيه النبط) وجاء ذلك في نص مصري يعود إلى ١٥٠٠ ق . م ومادة نبط ما زالت من ضمن اللغة الدارجة باليمن فيقال لمن يريد أن يحط من شرف إنسان يجذبه إلى المصارعة فلان (يتنبط) بفلان أي (يتحرش به) وفلان (متنبط) أي شريـر يتعرض إلى أن

يسقط شرف غيره بالملاحه والمهاترة ، ومن هذا نعرف أن دولة النبط فرع من
يعرب وأن لقبهم بالنبط جاء عن المعينيين .

ويفيد « جواد علي » أن النصوص المعروفة التي عثر عليها في مصر بالجيزة
تقرر وجود المعينيين وسلطتهم أيام البطالسة بمصر وأنها كانت بين البطالسة وبين
اليمن والمعينيين صلات وكانت اليمن تزود معابد مصر بالبخور وكانت بمصر
جالية معينة ومن المعلوم أن عصر البطالسة في القرن ٣٢٣ ، ق.م - ٢١ ق.م .

فانت ترى من هذا أنه جاء ذكر المعينيين وسلطتهم في أزمان تعد متأخرة
لا تتجاوز ثلاثمائة سنة ق. م بل مائة سنة ، وقد انتهت سبأ وبدأت الدولة
الحميرية ، والعكس صحيح ، فقد جاء ذكر المعينيين وسلطتهم في أزمان متقدمة
بعضها يتجاوز الألف عام قبل الميلاد بل منها ما يرجع إلى أكثر من ثلاثة آلاف
سنة ق. م كالنص الذي ذكره المؤرخ (هومل) وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن
معيناً وسبأ أسرة واحدة وأن اللفظين كانا لفيين (لعبد شمس بن يشجب بن
يعرب) غلب أولاً لقب (معين) من دون أن يختفي الثاني ثم غلب أخيراً لقب
(سبأ) من دون أن ينمحي الأول ويزيد ذلك إيضاحاً أن الدولة الحميرية عندما
قامت احتفظت بلقب (سبأ) وأضافت إليه لقب ذي ريدان .

وبهذا يتبين أن معيناً وسبأ وحميراً وقتبان وغيرهم أبناء عمومة توارثوا الملك
من يعرب في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد الذي يبدو أنه مبدأ الدولة اليمنية
المعروفة بمعين ، والتي كانت تسمى أحياناً (سبأ) والتي امتدت فعاصرت الدولة
البابلية ، (السومرية) ثم الدولة البابلية ، الكلدانية (السرجونية) في الألف الثالث
ثم الدولة البابلية (الحمرابية) في أواخر الألف الثالث والألف الثاني ق. م ،
ومن المعلوم أن ملك معين خلال الثلاثة آلاف سنة لم يبق في سلالة واحدة بل
تنقل في عشرات السلالات وأن السلالات الست التي ذكرناها من آخر تلك
السلالات ، ويبدو أن السلالات الست التي ذكرناها هي التي عاشت آخر
الألف الثاني وأوائل الألف الأول ق. م ودلت عليها الآثار بجوف اليمن وكانت

قد بلغت الأوج من حضارة عصرها فغلب على المتأخرين منها الشرف مما مهد لسلالة أخرى من قرابتها القريبة أو البعيدة التدرج إلى إنتزاع السلطة ودفة التجارة ، وأحببت أن تظهر في مظهر قوي يجتذب الشعب فأحيت لقب سبأ ، لما في مدلوله من القوة والفتوة اللتين عرف بهما عبد شمس مع الاحتفاظ بلقب معين كلقب ثاتوي ، ومن هذا وما أسلفناه وبناء عن قحطان ويعرب ، فالمعينيون من أبناء يعرب بن قحطان وهم والسبثيون أنفسهم أسرة واحدة لها بطون وسلالات ، وأن مبدأ وجودهم كدولة هو في أوائل الألف الرابع ق . م ، ومن تقدمهم الزمني فقد يكونون هم الذين أمدوا الفينيقيين بمبادئ الكتابة فإن الأبجدية الفينيقية لم تظهر إلا في أوائل القرن العاشر ق . م .

وأما المشابهة بينهم وبين البابليين في الأحوال الاجتماعية وغيرها التي اعتمدت عليها نظرية جرجي وأمثاله فإنها لو سلم بشمولها لتوجب أنهم استقوا حضارتهم من البابليين إذ يمكن العكس وهو الأقرب ، فاليمن أقدم حضارة من بابل وغيرها .

ومع هذا فبين أيدينا أسماء الملوك معين ولم يكن فيها اسم بابلي كسرجون ، حمورابي ، وإنما هي أسماء تلتقي مع الأسماء السبئية والحميرية والقبتانية والحضرية وهذا ما يقرره المؤرخ الأستاذ (مولز) فيقول : إن لغة معين وسبأ وحمير وأبجديتها واحدة أما القول بأن ذهاب دولة العرب (أي بابل) عن العراق هو الذي جعل المعينيين ينتقلون عن بابل إلى اليمن ، فإنه قول غريب فدولة العرب البابلية الحموارية لم تنته إلا في آخر القرن الثامن ق . م عام ٧٢٨ ق . م وقد حلت محلها دولة آشور العربية البابلية التي استمرت إلى القرن السادس ق . م وكلا التاريخين وقد انتهت معين على رأي جرجي .

وبذلك نبين اطراح ما جنح إليه أمثال جرجي ، وتبين أن معيناً وسبأ وحمير وقتبان وحضر موت أسرة واحدة يعربية قحطانية امتدت تحكم من أول الألف الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد عرفت الدولة الأولى وسلالتها بمعين من ٤٠٠٠ ق . م إلى ٨٠٠ ق . م ثم الدولة الثانية عرفت بسبأ .

دولة سبأ من سنة ٨٥٠ - ١١٥ ق . م

كما سبق تبين أن معيناً وسبأ أسرة واحدة يجمعها (عبد شمس) بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتبين أن عبد شمس كانت له القاب منها (معين) (وسبأ) وأنها تفرعت من هذه الأسرة اليمنية سلالات متعددة تعاقبت على الحكم ، غلب على دولة الفترة الأولى منها لقب (معين) من دون أن يختفي لقب سبأ ، وغلب على دولة الفترة الثانية لقب (سبأ) من دون أن ينمحي لقب معين كما تدل عليه النصوص الأثرية التي أشرنا إلى بعضها ، وهي تثبت ما قررناه ، وبه توحى الكتب المقدسة ، وقد اعتبر القرآن جميع الدول اليمنية من معينة وسبئية وحميرية وغيرها أمة وأسرة واحدة يتناولها لفظ (سبأ) بمفهومه ، فها هو مع سبأ في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (وجئتكم من سبأ بنبأ يقين) إلى آخر العرض الرائع ومحاورة ملكة سبأ مع سليمان ، الذي هو من رجالات القرن العاشر ق . م ، حين كانت سبأ في أوج قوتها وخضارتها التي هي وليدة عشرات قرون مضت وها هو القرآن مع سبأ بعهد حمير وبعد الميلاد ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ إلى آخر التصوير لسبأ بعد خراب السد .

إن سبأ في نظر القرآن هي سبأ قبل الميلاد بعشرات القرون وبعد الميلاد ، فإجلال القرآن وعظمة آياته الظاهرة والباطنة ، الدالة على أنه تنزيل رب العالمين عالم الغيب والشهادة ، أن القرآن جعل جميع الدول معينة وغيرها كلها يتناولها لفظ (سبأ) وهذه هي الحقيقة التي كشفها علم الآثار ، ومن الغريب المعجز أن البحث لم يعثر إلى الآن على اسم بلقيس في آثار ، ونصب القرن العاشر قبل الميلاد عصر ملكة سبأ وسليمان وهكذا القرآن لم يقل أن الملكة اسمها (بلقيس) بل قال :

﴿ إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾
فالحقيقة تسير مع أحاديث القرآن وأخباره .

ومن كل هذا نكاد نجزم مطمئنين أن جميع الدول اليمنية قبل الإسلام
أسرة واحدة وأن دولة معين اليمنية القحطانية ابتدأت من أول ٤٠٠٠ - وانتهت
٨٥٠ ق . م .

وإن دولة سبأ من ٧٥٠ - ١١٥ ق . م وقد تناولت عهدين عهد المكارب
من ٨٥٠ - ٦٢٠ ق . م وكانت عاصمتهم (صرواح) .
وهذه أسماء من عثر على أسمائهم من المكارب .

- | | |
|---------------------------------------|-------------------|
| ١ - سمه علي ينوف بن ذمار علي | ٨٥٠ - ٨٢٠ ق.م |
| ٢ - يدع آل ذرح بن سمه علي ينوف | ٨٢٠ - ٨٠٠ ق.م |
| ٣ - سمه علي ينوف بن يدع آل ذرح | ٨٠٠ - ٧٨٠ ق.م |
| ٤ - يدع آل يبين بن يشعر | ٧٨٠ - ٧٥٠ ق.م |
| ٥ - يشعر وتار بن يدع آل ذرح | ٧٥٠ - ٧٣٠ ق.م |
| ٦ - ذمار علي ذرح بن يدع آل يبين | ٧٣٠ - ٧٠٠ ق.م |
| ٧ - كرب آل يبين بن يشعر | { ٧٢٠ - ٧٠٠ ق.م } |
| ٨ - يشعر وتار بن سمه علي ينوف | { ٧٢٠ - ٧٠٠ ق.م } |
| ٩ - ذمار علي وتار بن كرب آل يبين | ٧٠٠ - ٦٨٠ ق.م |
| ١٠ - سمه بن علي ينوف بن ذمار علي وتار | ٦٨٠ - ٦٦٠ ق.م |
| ١١ - كرب آل وتار بن ذمار علي وتار | ٦٦٠ - ٦٤٠ ق.م |
| ١٢ - يشعر يبين بن سمه علي ينوف | ٦٤٠ - ٦٢٠ ق.م |
| ١٣ - كرب آل وتار بن سمه علي ينوف | ٦٢٠ - ٦١٠ ق.م |

هؤلاء ثلاثة عشر مكرباً ممن عثر على أسمائهم ، والمكرب هو الذي يجمع
بين الحكم والكهانة والرياسة الدينية وإليه عهد الملوك .

عهد ملوك سبأ من ٦١٠ - ١١٥ ق . م
عاصمتهم مأرب ، وعدد من عثر عليه من أسماء ملوكهم ٢٦ ملكاً وهذه
أسمائهم ، أولهم هو كرب آل وهو آخر مكرب وأول ملك .

- ١ - كرب آل وتار ٦١٠ - ٦٠٠ ق.م

- ٢ - سمه علي ذرح
٣ - كرب آل وتار بن سمه علي ذرح
٤ - اليشرح بن سمه علي ذرح
٥ - يدع آل يبين كرب آل وتار
٦ - يكر بملك وتار بن يدع آل يبين
٧ - يشعر يبين بن مكرب ملك وتار
٨ - كرب آل وتار بن يشعر يبين
٩ - سمه علي ينوف
١٠ - اليشرح بن سمه علي ينوف
١١ - دمار علي يبين بن سمه علي ينوف
١٢ - يدع آل وتار بن دمار علي يبين
١٣ - دمار علي يبين بن يدع آل وتار
١٤ - كرب آل وتار بن دمار علي يبين
١٥ - كرب يهنعم
١٦ - كرب آل وتار
١٧ - وهب آل / تمثاله بمتحف صنعاء
١٨ - إثمار يهنعم بن وهب آل
١٩ - دمار علي ذرح بن إثمار يهنعم
٢٠ - نشاء كرب يهنعم بن دمار علي ذرح
٢١ - ياسر يهنعم
٢٢ - وهب آل يحز
٢٣ - كرب آل وتار يهنعم بن وهب آل يحز
٢٤ - يريم أيمن ، وابنه علهان نهفان من الأسرة
الهمدانية ثارا على كرب آل وتار
وتغلبا على العرش السبتي إلى أن استرجعه
(فرع ينهب)
- ٦٠٠ - ٥٨٠ ق.م
٥٨٠ - ٥٧٠ ق.م
٥٧٠ - ٥٦٠ ق.م
٥٦٠ - ٥٤٠ ق.م
٥٤٠ - ٥٣٠ ق.م
٥٢٠ - ٥٠٠ ق.م
٥٠٠ - ٤٨٠ ق.م
٤٨٠ - ٤٦٠ ق.م
٤٦٠ - ٤٤٥ ق.م
٤٤٥ - ٤٣٠ ق.م
٤٣٠ - ٤١٠ ق.م
٤١٠ - ٣٩٠ ق.م
٣٩٠ - ٣٥٠ ق.م
٣٥٠ - ٣٣٠ ق.م
٣٣٠ - ٣١٠ ق.م
٣١٠ - ٢٩٠ ق.م
٢٩٠ - ٢٧٠ ق.م
٢٧٠ - ٢٥٠ ق.م
٢٥٠ - ٢٠٠ ق.م
٢٠٠ - ١٨٠ ق.م
١٨٠ - ١٦٠ ق.م
١٦٠ - ١٤٥ ق.م

٢٥ - فرع ينهب الذي استرد مأرب من الهمدانيين ١٣٠ - ١٢٥ ق.م

٢٦ - اليشرح يحضب بن فرع ينهب ١٢٥ - ١١٥ ق.م

هؤلاء من عثر على أسمائهم من ملوك سبأ وفيهم همدانيان من مقتصبي العرش بمأرب وقد تمكن فرع ينهب الأول من استرجاع العاصمة مأرب وبذلك استرجع العرش السبئي ولكن الهمدانيين كما يبدو ما برحوا أقوياء ، وكانوا بالمنطقة التي تعرف اليوم (ببلاد يريم) وكانت ذي ريدان (ظفار) مركز الهمدانيين وقد ظلوا بها حتى بعد أن استرجع فرع ينهب الأول مأرب ، ففي النقوش ما ينص على أن يريم بن أيمن بن أوسله (همدان) امتد حكمه من عام ١١٥ ق.م ثم ابنه علهان نهمان إلى ٨٠ ق.م ثم شعرا بن علهان ثم يريم بن علهان نهمان بن يريم إلى عام ٥٠ ق.م وقد كان لشعرا بن علهان نفوذ امتد إلى حضرموت وشبوة وصنعاء وهو الذي بنى سور صنعاء ويريم هذا سميت منطقة ذي ريدان بيريم ، وهو آخر ملوك الأسرة الهمدانية التي وثبت على السلطة وعرش سبأ ، وكان فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني هما اللذان أنقيا سلطة الهمدانيين وبذلك تمما مخطط سلفهما جديهما الرابع أو الخامس تقديراً لفرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب الأول فلم يأت نحو عام ٣٠ ق.م. بتاريخ حكم (اليشرح يحضب) الثاني إلا واليمن موحدة يقودها علم من أعلام التاريخ « اليشرح الثاني » الذي يبدو أنه كان يضم إلى مواهبه الفطرية مواهب التجارب التي حركته في ميدان الاقتصاد وميدان الصراع والجهاد فالإقتصاد كان البطالسة قد أنزلوا به ضربات هزته وهزت معه اليمن ، ومأربا ، والعرش وثب عليه أبناء العمومة الهمدانيون والعالم من حول اليمن والجزيرة العربية قد ألقى جرانه وزمامه بيد الأريين ، فرس ويونان ثم رومان ودفن في قبور الفناء والنسيان جميع الدول العربية ولم تثبت إلا اليمن التي تم اليونان بعد الفرس وتم الرومان اليوم اهتمام اليونان بالأمس هذه اليمن المطموع في ابتلاعها يراها فرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب الأول منقسمة على نفسها ، والخطر يهددها اقتصادياً ، وعسكرياً ، فلا بد لهذا الانقسام من نهاية ، وإلا جاءت الحاققة ، وقد تمكن (فرع ينهب) من استرجاع مأرب عاصمة اليمن وربة العرش ولكنه

ترك لابنه اليشرح يحضب الأول إكمال الخطوة وهو مجهود مرهق كلما يمكن لليشرح هو أن يفكر في الطريق الصحيحة المؤدية إلى تحقيق الغاية ، وكأني أرى هذا (اليشرح الأول) يستلهم من واقعه اليميني وواقعه الزمني أنه لا يمكن إنقاذ البلد من خطر إنبهار الاقتصاد ، وخطر الانقسام ، إلا في مراحل تشترك في اجتيازها عدة عناصر ، الروح العسكرية السامية ، وشعور الأمة بالخطر ، فبدأ اليشرح في العمل ، فهو يخطط الخطوة في تقليص الحكم الهمداني ويضع خطة لخطوة جديدة ومرحلة قادمة نحو الوحدة وإنقاذ الاقتصاد ودرء الخطر الاري الفاغرفاه لبيتلع البقية الباقية للأمة العربية ، وقبل أن نتصور اليشرح يحضب وهو يضع نواة الجيش الحميري ، نترك له - ومعه نحن بتصوراتنا - أن يرمي بنظره إلى ما حوله وإلى ما يدور في العالم من اتجاهات وتمخضات ، إنها لأحداث عظام ، فهاهم البطالسة اليونانيون يستعمرون مصر العربية الثقافة واللغة والحضارة ، ويتمكنون من الملاحة في البحر الأحمر والعربي والهندي فيضربون الاقتصاد اليميني ضربة هزت الرخاء اليميني .

وها هي الحرب الرومانية الفينيقية الطويلة تنتهي بتغلب الرومانيين وإحراقهم عاصمة الفينيقين (قرطاجنة) عام ١٤٤ ق.م ويسترقون خمسين ألفاً ممن بقي من أهلها بعد هلاك ستمائة ألف وخمسين ألفاً قتلاً في المعارك ، وموتاً جوعاً من طول الحصار .

وقد كان الفينيقيون والسبثيون على صلة دائمة يكمل أحدهما الآخر ، صلة مكنتهما من السيطرة الاقتصادية في عصرهما وأصبحت لهما مستعمرات تجارية برية وبحرية تمتد من غرب البحر الأبيض إلى الهند والصين لتيسير التجارة وتنقلاتها بين الشرق والغرب ، فاحتكرتا التجارة وذلك ما جعلها دولاً ذات فتوحات اقتصادية أكثر منها دولاً ذات فتوحات عسكرية .

وليس مزيد اهتمامهما بالناحية الاقتصادية معناه أنها أهملتا الناحية العسكرية فقد كان لهما بالمنظم العسكرية دراية في نبيل ، وتخطيط في أخلاق عربية ، تتمثل في (فرع ينهب) الأول السبثي الذي استرجع العرش السبثي بمأرب وفي القائد الكبير (هنيبال) الفينيقي أعظم قائد عرفه العالم القديم ،

والذي اخترق الألب واحتل إيطاليا وحاصر روما وكاد يفتحها وينهي الرومانيين لولا القدر الذي فرضته الظروف بوطنه قرطاجنة .

وقد كان احتكار سبأ وفينيقيا للتجارة موضوع اهتمام اليونان ثم الرومان ومبعث حسدهما وتدمرهما مما حل الاسكندر الكبير المقدوني في القرن الرابع ق . م على محاولة نحو الفينيقيين والسبثيين ، وقد تمكن من تدمير (صور) عاصمة الفينيقيين بالشام على البحر الأبيض ، وأخذ يفكر في الإجهاز على الفينيقيين بأفريقيا وأسبانيا وجزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه ، واحتلال اليمن ، وانتزاع زمام التجارة والملاحة من يديهما ، فاحتل مصر وبلغ ليبيا ، ومن مصر أرسل قائده البحري (تبار خرس) للتصرف باليمن والملاحة في البحر الأحمر والبحر العربي والجنوبي والهندي ، فيقوم قائده البحري بالتطواف ، ويفرغ من مهمته ، ولظروف طارئة يصادر الاسكندر مصر إلى فارس فيتغلب على كسرى (دارا) ويواصل فتوحاته إلى الهند ويعود إليه (تبار خرس) بقراره الذي يصف فيه اليمن بالثراء وأنها ذات البخور واللبان والتوابل والمجوهرات والمصوغات الثمينة ولكنها مبعوضة لمناعة جبالها ورداءة موانئها وأنها مزعجة من كل الوجوه ، هكذا يقول .

عما دعا الاسكندر إلى التريث في تنفيذ خطته لغزو اليمن حتى يعد العدة لغزو اليمن والاجهاز على فينيقيا ، ولكن الاسكندر يموت تاركاً فكرته وخطته لينفذها خلفاؤه .

وقد أخذ البطالسة من مصر في تنفيذ مخطط سيدهم الاسكندر ، لا بغزو اليمن فدون ذلك أهوال ، ولكن بالملاحة في البحر الأحمر والبحر العربي والهندي وقد تمكنوا من ذلك تساعدهم الحبشة فضربوا الاقتصاد اليمني ضربة ، اضطرب لها الاقتصاد اليمني ، وأضعف مشاريعه الائتمانية داخل البلاد .

وجاء الرومانيون فنفلوا مخطط الاسكندر في فينيقيا ومحوها إلى الأبد بعد حرب تجاوزت العشرين عاماً شهد نهايتها عصر (فرع ينهب) وإبنه (اليشروح بحضب) الأولين .

وتم للآريين القضاء على الدول العربية (السامية) وجثم الاستعمار الآري الاستيطاني الافناني على صدر الأمم العربية في افريقيا الشمالية ووادي النيل وشرق البحر الأبيض وجزره وبعض موانيه العربية والعراق وأرض بابل والشام ، وامتد نفوذ البطالسة السياسي والاقتصادي إلى الحبشة العربية السامية واتخذ منها مخلب قط يفري جلد القط نفسه ، وبكلمة مختصرة لم يبق خارج دائرة السلطة والنفوذ الآري الهدام إلا (اليمن) المنقسمة على نفسها ، التي تطرقها الأخطار من الشمال براً ، ومن الجنوب بحراً .

كل هذه الأخطار ، تتجسم بأشكالها الرهيبة أمام (المشرع يحضب) الأول فيلقي نظرة فاحصة على تلك الأشباح ، لا لينفر من مواجهتها ، بل ليتفهمها ويتعرف بمآهيتها ومراميها ، ليعد اليمن لمواجهتها في قوة الحكيم الخبير وقوة القائد العليم بالحرب وإدارتها ، قوة تدفع عن اليمن الخطر المحدق ، ثم تنفذ العالم العربي من وطأة الكابوس الآري الجاثم على صدر العروبة ، وهذا الإعداد يتطلب زماناً طويلاً ، فليشرع (المشرع يحضب الأول) في وضع الأسس لقيام هذا التحصن ، ونسج دروعه الطلاس ، وحصونه التي لا تهصر ولا تسداس ، فليشرع المشرع تاركاً للمستقبل وخلفائه مواصلة العمل ، في طريق تحقيق ذلك الإعداد .

ويبدو أنه وضع نواة الجيش القوي ، ونواة استرداد الوحدة ، ونواة إنقاذ الاقتصاد ، جيشاً يمينياً قوياً يهيئ إنشفاق الهمدانين الريدانيين ، ويقوي في ظل الوحدة اليمنية على الذود عما قد تأتي به الأيام من مفاجئات ، كما أن (المشرع الأول) قد فكر في تحويل العاصمة من مأرب وسهلها المكشوف ، اللانهائي غير الحصين ، إلى جبال اليمن الجامعة بين الخصب والحصانة ، ولعله فكر في منطقة (ذي ريدان) التي ما يزال الهمدانيون المنشقون يتحصنون بها ، وفكر وفكر ثم وضع لكل مشروع النواة الصالحة التي ترك خلفه الإشراف على رعاها وإغاثتها ، وأول قافلة من خلفه لم تعثر على أسمائهم ، وهم لا يقلون عن أربعة ، إذ بين المشرع يحضب الأول وبين حفيده الرابع تقديراً فرع ينهب الثاني نحو سبعين عاماً ولا ريب أن الخلف المجهولين لدينا قد أدوا واجبه المدا

عليه تمكن فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني من القيام بأعمال جعل
اليشرح الثاني من الأعلام الخالدين .

فرع ينهب الثاني ينهي انشقاق الهمدانين ويعيد الوحدة إلى قوتها قبل مائة
عام وبقي (اليشرح يحضب) الثاني فينقل العاصمة من مأرب إلى ذي ريدان
بمنطقة يريم التي أصبحت تحمل اسم (يحضب) تقديراً لأعماله ، والعامة
ينطقونه (بالصاد غير المعجمة) وفي عصر اليشرح الثاني بلغ اليمن من الناحية
العسكرية ذروة من الإعداد العسكري مادياً ومعنوياً نلمسه في إنهاء انشقاق
الهمدانين ، ثم في معركة المصير العربي مع القائد الروماني (جالوس) كما
سيأتي ، ومع ذلك فإن اليشرح الثاني لم يحمل الجانب الاقتصادي والعمرا فيفسد
أنه بدأ يقلص نفوذ ملاحه البطالسة في البحر الأحمر والعربي ، ولم تفت من يده
فرصة تضعضع البطالسة أيام (كليوترا) وما تعقبه من نهاية البطالسة ، فقد
استغل الفرصة وأعاد إلى اليمن نشاطاً اقتصادياً لا يستهان به ، وإن لم يبلغ ما
كان عليه أيام العصر السبئي النشيط ، وبدل على هذه الاستعادة أنه التفت إلى
ترميم السدود ، فأصلح سد مأرب وأعاد إليه عظمته ، كما شاد قصر غمدان إلى
غير ذلك من الإعداد العسكري والاقتصادي الكاشفة له النصوص الأثرية التي
عثر عليها لهذا المصلح الكبير في مأرب وصرواح وظفار وغيرها إنه إعداد كفل
لليمن بالثبات وللعروبة بالبقاء فإنه لم يمض قرن واحد على نحو الدولة العربية
الفينيقية وأقل من قرن على موت (اليشرح يحضب) الأول إلا وقد تحولت
الجمهورية الرومانية إلى امبراطورية عليها أعظم قائد آري ومشرع روماني ، هو
القيصر الأكبر (أغسطس) الذي تم له فتح مصر عام ٣١ ق.م . وقضى على
كليوباترا آخر من حكم من البطالسة وأعاد إلى الدولة الرومانية مجدها وتماسكها
الذي دام بعده خمسمائة عام مما جعله في نظر المؤرخين الغربيين قديماً وحديثاً
فوق غيره ممن مضى وأتى بعده فقد قال فيه المؤرخ (مريفال) أنه خلق من
الفوضى والاختلال الامبراطورية الرومانية على أسس مكنها من الحياة خمسمائة
سنة ، وأن هذا أعظم الأعمال السياسية التي أتمها بشر ، فأعمال الاسكندر
الأكبر ، وقيصر شارلمان ، وناپليون ، ليست شيئاً بالنسبة إليه ، وهذا هو القيصر

الروماني الذي بسط حكمه على العالم في وقته ولم يبق خارجاً عن سلطته في إفريقيا وأوروبا وغرب آسيا ، إلا الجرمان شرق أوربا ، وإلا اليمن في أقصى الجنوب الغربي لآسيا ، وكان اليمن في نظره ، أخطر ، فالجرمان هم من الجنس الآري ومجموعة من برايرة رحل كل ما يجيدونه القرصنة واللصوصية ، وليس لهم نظرية يخاف منها ، أما اليمن فهي ذات الحضارة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهي بقية الدول العربية ومهددها وقلعتها ، فاليمن إذاً هي العروبة ، والعرب هم العدو الطبيعي للإمبراطورية الرومانية وسلطانها ، القالم على حساب الحضارة العربية ودولها .

ثم إن اليمن هي الغنية بمواردها الاقتصادية إلى جانب موقعها الاستراتيجي الذي جعلها تتحكم على طرق المواصلات بين الشرق والغرب وتحتكر التجارة كما أنها دائمة الفيضان بالطاقات البشرية إلى ما حولها وإلى العالم .

ففي القضاء على اليمن وإخضاعه للنفوذ الروماني الآري ، تخلص من عدو طبيعي ، وتأمين لمستقبل الغرب ، وتحصين للإمبراطورية الرومانية ، ثم فيه استغلال واضح بشريا واقتصاديا يعود على الرومانيين بالثراء الواسع وبالقوة المتضافرة الحارسة ، ومن هنا أمر القيصر (اغسطوس) أكبر قواده وهو نائبه في مصر (ايلوس جالوس) بغزو اليمن وإخضاعه عسكرياً فأخذ (جالوس) يستعد وفي عام ٢٤ ق.م أربعة وعشرين ، تحرك الجيش الروماني الجرار يقوده (جالوس) سالكا البر إلى الأردن وقد ضم إليه جيوشاً من الشام والأنباط وصحبه (سيلوس) وزير دولة الأنباط التي كانت خاضعة للرومان ، مع نحو خمسمائة من اليهود الذين كانوا يتعرضون للإضطهاد الروماني فرأى القائد في اصطحابهم معه نوعاً من الاضطهاد والتخلص .

وكأنه مر في طريق القوافل التجارية التي كانت تربط اليمن بالأردن ودولة النبط وفيها واصل زحفه مستهدفاً مأرباً ، ولكنه ما أن بلغ نجران إلا وكانت نهاية جيشه الروماني ومن انضم إليه ، فقد قضى على ذلك الجيش الضخم ولم

ينج منه إلا من كان في المؤخرة وهو القائد (جالوس) ومجموعة كان منها المؤرخ الشهير (استرابون) صديق جالوس ورفيقه وهو الذي كتب عن الحادثة ، وأن الصحراء التي تورط بها الجيش هي التي ابتلعتهم وأرغمت القائد على تلمس النجاة بنفسه ومن بقي معه إلى شاطئ البحر الأحمر ومنه عبروا بحرا إلى مصر ، وقد استغرقت رجعتهم إلى مصر ستين يوماً ، وقد صيب استرابون غضبه على الوزير النبطي (سيلوس) مدعياً أنه سبب هذا الفشل لأنه أحس بوخيز في ضميره على جر الهلاك على أبناء جلدته عرب اليمن فحاد بالجيش عن الطريق حتى ورطه في متاهات الصحراء التي ابتلعت الجيش ، ولم يبق للقائد جالوس إلا أن يبحث عن طريق النجاة له ولمن بقي من جيشه .

هكذا يقول استرابون بعد أن تمكن هو وجالوس من الإفلات من قبضة الموت ولحقاً بمصر ، تاركين الوزير النبطي (سيلوس) والجيش الروماني ومن انضم إليه صرعى على التربة اليمنية .

والحقيقة أن الذي أنهى ذلك الجيش الجرار وجعل من الصحراء أو من التربة اليمنية مقبرة لهم هو ابن اليمن الذي عُرف عبر الزمان أنه جعل من اليمن مقبرة للغزاة .

ولو كانت الصحراء والتورط في متاهاتها هي وحدها التي ابتلعت الجيش الروماني ، فكيف نجا المؤرخ (استرابون) وصديقه القائد جالوس .

لقد كان القائد الروماني هو أول من سبّطه الصحراء ، ثم أين الوزير العربي النبطي (سيلوس) ثم أين هي الصحراء ونجران من البحر الأحمر الذي زعم (استرابون) أن جالوس انسحب إليه ثم رجع إلى مصر ، إنها المعركة وخطتها وخطبها وأبطالها اليمنيون ، يا استرابون ، إنها السيوف اليمنية والعزمات اليمنية التي عمت تلك الجيوش المغيرة ودفنتها في التراب ويطون السباع والنسور ، إن تلك السيوف في يد فتيان اليمن هي الصحراء التي ابتلعت الغزاة وذلك القائد العربي النبطي (سيلوس) الذي أبت همته العربية إلا أن يتقدم مع جيشه العربي النبطي إلى قلب المعركة فيشارك جيشه في الموت ، أما

رفيقك القائد جالوس فيبدو أنك وإياه ، كنتما بعيدين عن المعركة ، فأنت
تعترف أنك والقائد انسجبتا إلى البحر الأحمر ، وأين البحر الأحمر من نجران
والصحراء بينهما أهوال وأهوال ، بينهما عشائر خولان ابن عامر القضايعيون أولو
قوة وبأس شديد ومن أغير اليمنيين على تربة اليمن أن تمس بأذى أو تمشي عليها
قدم غاز ، فلن بقلت من أيديهم (جالوس) وهناك قبائل أخرى وهناك جبال
عالية ومسافات طويلة تفصل بين البحر الأحمر ونجران والصحراء يرهق تسلقها
واختراقها فتیان المغاور اليمنيين فبأي فتوة عربية تسلقها واخترقها (جالوس)
(واسترابون) المترفان اللذان زادت بها مصر والاسكندرية رقة واسترخاء .

يبدو يا (استرابون) أنك وسيادة القائد جالوس كنتما بعيدين عن مجرى
المعركة ، لعلكما كنتما في جيزان أو أحد المواني على البحر الأحمر لا تعلمان ما
يدور في نجران ميدان المعركة بين الغزاة وبين الجيش اليمني والجيش الحميري
الذي أعده (اليشرح يحضب) لمثل هذا اليوم ، إنه الجيش وابن اليمن الذي
نحت ضرباته ومواضيه سحق الغزاة الرومان وابتلعت اليمن ذلك الجيش
الروماني الجرار مع القائد الوزير العربي النبطي (سيلوس) ضربة تناقلت لها الأنباء
إلى أن بلغت بعد أسبوع تقديرا جالوس فأعار رجله للريح فارا إلى مصر معه
المؤرخ (استرابون) الذي لم يجد ما يقدمه من خدمة لسيد المهزوم ، إلا أن
يلقي التبعة على القائد النبطي (سيلوس) وأن الصحراء هي التي ابتلعت
الجيش ، اعتذارات ربما تنطلي على من لا يعرف اليمن ، ويظهر أنها أفادت
جالوس ، أما من له معرفة باليمن فإنه يعرف وهن هذه الأعذار .

ويعرف أن ابن اليمن بقيادة (اليشرح يحضب الثاني) هو وحده الذي
انتزع النصر ومنحه لليمن في تلك المعركة التاريخية التي قررت مصير اليمن
والعروية إلى ما شاء الله ، والتي لو تم فيها إخضاع اليمن وإخاقه بالعرب
البابليين والفينيقيين والمصريين وغيرهم لما كانت هناك أمة عربية شاء الله لها أن
تكون ناشرة الدعوة السماوية الإنسانية التي جاء بها خاتم الأنبياء محمد عليه
الصلاة والسلام ، تلك الدعوة التي أخرجت الناس من عبادة القياصرة
والأكاسرة الأريين إلى عبادة الله وحده بعد سبعة قرون من هذه المعركة اليمنية

الخالدة مع جالوس الذي كان في هزيمته بداية هزيمة البربرية الآرية وحضارتها
الملاحية المتحجرة.. على يد العرب وهم يحملون راية القرآن وتعاليمه السامية
الإنسانية .

ومن الطبيعي أنه كان لهزيمة الجيش الروماني باليمن وفنائه وفرار جالوس
آثره الخائر وجرحه العميق في قلب قيصر الروم (اغسطوس) أثراً لا يقل عن
إنزعاج القيصر لهزيمة جيشه بقيادة (فارس) في جرمانيا بعد عشرين عاماً من
هزيمة جالوس باليمن ، فقد روى أنه لما بلغه خبر الهزيمة أبى أن يتعزى ، فأبعده
ومهام الامبراطورية كانت قد أنهكتة فظل يتمشى في صرح قصره وحشيرة الألم
تكاد تخنقه ، وظل ينادي ، يا فارس ، يا فارس ارجع لي كتابي ، ارجع لي
كتابي ، وقد اختفى ذكر جالوس بعد هزيمته في اليمن وربما كان القيصر قد
أعدمه .

ونصادف هذه المعركة الخالدة ، وفرع ينهب الأول وابنه اليشرح يحضب
قد أنبيا الانشقاق الهمداني ورسخا الوحدة اليمنية والروح العسكرية وقد كان
لانتصار اليمن على الرومان في هذه المعركة سنة ٢٤ ق.م أثره في تقوية الجيش
اليمني معنوياً وإعداد اليمن إعداداً عسكرياً أخذ به خلفاء (اليحضب الثاني)
من ملوك حمير الذين استمروا في صراع عسكري وسياسي وعقائدي مع الدولتين
الآريتين (الفارسية) (والرومانية) أكثر من ستة قرون كانت اليمن خلالها
كجزيرة شاذة في بحر محيط هائج من الآريين ، بحر يحاول بأمواجه أن يقتلع
الجزيرة العربية ويبتلعها ، ولكن الجزيرة صمدت تنكسر على جوانبها أطماع
الآريين ، ولقد انحسرت تلك الأمواج عن الجزيرة الصامدة التي اندفعت بأبنائها
العرب بقيادة الدعوة الإسلامية تطارد تلك الأمواج الآرية فما لبثت تلك الأمواج
أن تلاشت وتبخر بحرهما الأجاج المرت تحت أشعة الإسلام الذي انتزع من أيدي
الآريين صولجان العالم وأعاده إلى ذويه العرب ، الذي اختار الله أن يكونوا حاة
شريعته الإسلامية وناسريها ، وهذه النتائج هي التي تجعل التاريخ يضع
(اليشرح يحضب الأول) وحفيده الرابع (تقليداً) (اليشرح يحضب الثاني) في
مقدمة أعلام التاريخ العربي وباليشرح الأول تبدأ الدولة الحميرية .

الدولة الحميرية

من ١١٥ ق . م إلى ٥٢٥ ب . م

حمير أخو كهلان وكلاهما ينسبان إلى سبأ بن يشجب بن يعرب وقد يكونان ابني سبأ بلا فاصل أو أنهما من نسله ، وعلى كل فهما قديمان لم يأت عام ١١٥ ق . م إلا ولكل من حمير وكهلان بطون يرجع إليها كل سكان اليمن ، ومن بطن حمير الملوك والتبابعة ، نظام قل أن يخرج عليه ، فقد كان ملوك حمير والتبابعة في نظر العرب كالحلفاء في الإسلام ، أو الأكاسرة في فارس يذعن العرب لهم ، وحوهم تلتف ، وقد عرف ما أحدثه اغتصاب الهمدانيين للعرش من اضطراب لم يطفئه إلا فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح الثاني .

وقد مرت الدولة الحميرية في عهدين أو طبقتين عاصمتها (ذي ريدان) ظفار .

الطبقة الأولى ملوك سبأ وذي ريدان

من ١١٥ ق . م - ٢٧٥ ب . م

وعدد من عثر على أسمائهم ١٧ - كما يلي كما يؤخذ من تاريخ جواد علي وفؤاد حسنين ويظهر أن أولهم .

١ - اليشرح يحضب الأول بن فرع ينهب الأول ١١٥ ق . م

وقد أعقبته فترة لا تقل عن ستين عاما لم يعثر في النصوص
الاثنية على أسماء ملوكها من نسل اليشرح يحضب الأول وهم لا
يقلون عن أربعة يظهر أنهم استمروا في تنفيذ مخططات سلفهم
اليشرح يحضب وعاربة الحمدانيين المنشقين إلى أن تغلب على
الحمدانيين نهائيا فرع يهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني عام
٥٠ ق . م .

٢ - فرع يهب الثاني
٣ - اليشرح يحضب الثاني بن فرع يهب الثاني

الذي أعاد الوحدة اليمنية وهزم القائد الروماني جالوس بعد أن قضى على
جيشه عام ٢٤ ق . م وباني قصر غمدان ومرمم السدود ومنها سد مأرب .

٤ - يازل يمين أخو اليشرح يحضب ولعل أزال صنعاء
منسوبة إليه ، ويازل قرية ببني مطر .
٥ - نشا كرب يهامن يهرجب بن اليشرح يحضب

٦ - وتار يهامن بن اليشرح يحضب (٥ ق . م ١٥ ب . م)
٧ - ياسر يصدق بن وتار يهامن (١٥ - ٣٥ ب . م)
٨ - ذمار علي بن يهير بن ياسر يصدق

٩ - ابنه يارث : له ولابنه ثمالان بمتحف صنعاء وهو أول من اختط ذمار
١٠ - كرب آل وتار يهامن بن ذمار علي يهير ٣٥ - ٧٠ ب . م
١١ - ذمار علي ذراح بن كرب آل ٧٠ - ٩٥ ب . م
١٢ - هلك أثر بن كرب آل ٩٥ - ١٢٠ ب . م
١٣ - ذمار علي يمين ١٢٠ - ١٤٥ ب . م
١٤ - وهب آل يمز ١٤٥ - ١٧٠ ب . م
ملوك مجهولون ١٧٠ - ٢٥٠ ب . م

١٥ - ياسر ينعيم ويسميه العرب : ناشر النعم (

١٦ - ابنه شمدار ينعيم (٢٥٠ - ٢٧٥ م . ب

١٧ - ابنه همدان ينعيم في أو عمدان (

العهد الثاني من ملوك حمير ويعرف بعهد التبابعة وهم ملوك سبأ وذي
ريدان وحضر موت ومينت ٢٧٥ - ٥٢٥ م . ب

وقد عثر على ١٣ من ملوكهم أولهم :

١ - شمر ، يرعش بن ياسر ينعيم ، وقد تكلمت عنه نصوص
كثيرة من أهمها نص طويل يشتمل على ٢٥ سطراً نص على أن
قائده ذو حزفر قاد جيشاً أوغل به في فارس .
٢٧٥ - ٣٠٠ م . ب

وأحرز انتصارات في مناطق عددها بفارس ثم عاد ماراً بصعده وخولان
ولهذا النص قيمته المؤيدة ما حكاه مؤرخو العرب .

٢ - ذو القرنين أو أفريقس الصعب في أيامه غزا الأحباش
اليمن بزعامة العلي اسكندي ومساعدة قيصر الروم حتى أجلاهم
كرب يهامن عام ٣٧٢ م . ب
٣٢٠ - ٣٢٠ م . ب

٣ - ابنه عمرو ويسمى تبع الأكبر وتزوج بلقيس ٣٢٠ - ٣٣٠ م . ب

٤ - بلقيس وتسمى الفارعة وهي غير صاحبة سليمان ٣٣٠ - ٣٤٥ م . ب

٥ - الهدهاد أخو بلقيس وفي عهد الثلاثة اشتدت الحرب
اليمنية الحبشية التي هدف القيصر من ورائها إلى نشر النصرانية باليمن .
٣٤٥ - ٣٧٤ م . ب

٦ - ملك كرب يهامن عم ينعيم وهو الذي طهر اليمن من
الحبشة ٣٧٤ - ٣٨٥ م . ب

٧ - أبو كرب أسعد ابن ملك كرب المعروف بأسعد الكامل
ولد بخمر ونشر اليهودية باليمن ٣٨٥ - ٤٢٠ م . ب

- ٨ - حسان بن أسعد الكامل ٤٢٠ - ٤٢٥ ب.م
 ٩ - شرحبيل يعفر بن أسعد الكامل ٤٣٥ - ٤٥٥ ب.م
 ١٠ - شرحبيل ينوف ٤٥٥ - ٤٧٠ ب.م
 ١١ - معدي كرب يهنعم وابنه لحيعه ٤٧٠ - ٤٩٥ ب.م
 ١٢ - مرثدال ينوف ٤٩٥ - ٥١٥ ب.م
 ١٣ - ذو نواس ويسميه اليونان دميانوس ٥١٥ - ٥٢٥ ب.م

حاول توحيد اليمن وإعادة مركزه التجاري والعسكري وكان يرى أن النصرانية قنطرة للاستعمار الروماني فحاول التخلص منها فأخسدها ولكنها كانت قد تمكنت في اليمن سيما بعدن وشمال اليمن وأثرت في الوحدة اليمنية ، فما أن خاض ذو نواس المعركة مع الأحباش المدعمين بالمتنصرين من اليمن وبالمساعدة الرومانية حتى طعنه اليمنيون المتنصرون من خلفه ومن بين صفوف جيشه فترق عنه جيشه ولم يرعه ذلك فقد استمر في القتال ولما لم يبق إلا أن يقع في الأسر أقحم فرسه في بحر المنذب مفضلاً الغرق على الأسر بعد أن خذله قومه نتيجة الفرقة العقائدية .

وقد قاتل على أثره ذو جلدن الهمداني الأحباش وكان مصيره مصير ذي نواس .

- ١٤ - ذو جلدن بن ذو نواس ، ٥٢٥ - ٥٣٣ ب.م
 بقي في أحد المقاطعات اليمنية التي لم يتناولها حكم الأحباش ، فإن الأحباش بهذه الغزوة وإن أوغلوا في اليمن إلا أن نفوذهم لم يتناول جميع اليمن كما سيأتي :

هذه هي الدول الكبرى الثلاث .

أما الدول الست الصغرى فهي كما يلي :

- ١ - دولة قتبان من ١٠٠٠ ق.م على الأرجح ، عاصمتها (تمنع) بحريب بيحان وكانت تعرف (بتمنا) وحديثاً (بكحلان) وقد امتد نفوذ قتبان

إلى المنذب وأخيراً اندمجت في دولة سبأ في القرن الرابع ق. م وقد عثر من أسماء
ملوكها على ٢٠ عشرين كما يلي :

- ١ - أب شيم
- ٢ - شهر غيلان
- ٣ - بن عم
- ٤ - يدع اب ذبيان
- ٥ - شهر حلل
- ٦ - شهر يحل بهرجب باني مسلة تمنع
- ٧ - يدع اب ذبيان
- ٨ - شهر حلل
- ٩ - نبط عم أو يدع اب غيلان باني بيت يفش يتمنع
- ١٠ - هوف يهنعم
- ١١ - شهر يحل بهرجب
- ١٢ - وروال غيلان يهنعم، الذي صك النقود الذهبية باسمه
- ١٣ - فرع كرب يهوضع
- ١٤ - سمه وثار
- ١٥ - وروال
- ١٦ - ذمار علي
- ١٧ - يدع اب يحل
- ١٨ - يدع اب بنوف يوهنعم ذراء
- ١٩ - شهر هلال يوهقض بن كرب
- ٢٠ - وروال غيلان يهنعم

هذه قتيان وهناك تفسيرات لقلبي وآخر (لو يندل فليس) في مؤلفه كنوز
مدينة بلقيس .

٢ - دولة حضر موت من ١٠٢٠ ق. م ٢٩٥ ب. م .

وتمتاز باحتفاظ اسمها إلى اليوم وكانت تستقل ثم تندمج في غيرها ثم تنفصل ونهايةً اندمجت في مملكة سبأ وذو ريدان وحضر موت وبنت أيام التبعية « شمر » يهرعش عام ٢٩٥ ب. م عاصمتها الأولى (ميفعه) ثم (شبوه) وقد كان ملوك حضر موت كعميين لهم الألقاب لمرتبة الملك والمكرب ومن هذه الألقاب :

(ال) لقب خاص بالملك (ذرح الشريف)

(وئار) المعظم (يشعم) المحسن

(يبين) المختار (ينوف) السامي

ويعرف حضر موت ببلاد كنده لتزوج قبيلة كنده إليها بعد أن أجليت من البحرين .

وهذا بيان من عثر عليه من أسماء ملوكها ومكاريها :

١ - صديق ال - بدء حكمه حوالي ١٠٢٠ ق. م

٢ - ابنه شهر ال - ١٠٠٠ ق. م

٣ - معد يكرب بن اليفع يثع ٩٨٠ ق. م

الملت حضر موت بعد موته بمعين وسبأ إلى عام ٦٥٠ ق. م

٤ - السمع ذبيان بن ملكي كرب

٥ - يدع ال يبين بن سمة يفع ٦٥٠ - ٥٩٠ ق. م

٦ - يدع ال يبين بن رب شمس ، المؤسس الجديد لمملكة

حضر موت وعاصمتها شبوه بعد أن فقدت استقلالها ١٨٠ - ١٦٠ ق. م

٧ - اليفع ريام بن يدع ال يبين ١٦٠ - ١٤٠ ق. م

٨ - يدع اب غيلان بن يدع ال يبين ١٤٠ - ١٣٠ ق. م

٩ - العز بن يدع اب غيلان وشقيق اميتم ايين ١٢٠ - ١٠٠ ق. م

١٠ - يدع اب غيلان بن اميتم ايين ١٠٠ - ٨٠ ق. م

١١ - يدع ايين بن يدع اب غيلان ٨٠ - ٣٥ ق. م

١٢ - عم ذخر بن حربان ٣٥ - ١٥ ق. م

- ١٣ - العزيز بن عم ذخر
١٤ - علهان أو سلفان بن العزيز
١٥ - العزيز بن علهان - اسلفان آخر الملوك
إليهم الأمراء الكاريب الحضرميون
١٦ - اب يزع ، أو يسع كان مكربا
١٧ - يرعش بن اب يزع
١٨ - علهان بن يرعش
١٥ - ١٥ ق. م
٥ ق. - ٢٥ ب. م
٢٥ - ٦٥ ب. م
٦٥ - ٨٥ ب. م
٨٥ - ١٠٥ ب. م
١٠٥ - ١٢٠

٣ - الدولة الثالثة دولة أوسان ٨٠٠ ق. - ١١٥ ق. م

هذه الدولة بالضبط لا يمكن تحديد بدايتها ونهايتها ولكن الأرجح أنها ظهرت في القرن الثامن ولم يعثر في النقوش على منازلها وتعداد ملوكها والأرجح أنها كانت ضمن مملكة قتيان ثم انفصلت واستقلت بدليل ما عثر عليه من التماثيل الرخامية لبعض ملوكها وقد عثر على ثمانية منهم كالتالي :

- ١ - زيلم سيلان بن معدال ، والميم آخر زيد عوض عن التثوين في لغة حمير عند بعض العلماء .
- ٢ - معدال سلحان بن يصدق الـ .
- ٣ - يصدق آل فرعم شرح عث بن معدال سلحان .
- ٤ - يصدق آل فرعم ، غير الأول له تمثال .
- ٥ - مريو .
- ٦ - معدال سلحان بن زيدم .
- ٧ - عم بتع لحي .
- ٨ - فرعم رمان آل شرح وقد امتد نفوذهم من جنوب قتيان إلى حضرموت وهم الذين قضوا على الأحباش وملكها (جدريت) .

٤ - الدولة الرابعة جبا . أو حبان

عارضت القتيانيين وكانت في الجانب الغربي لقتيان ولا يبعد أن منازلها

كانت في جبال المعافر (الحجرية) ولا يزال هناك جنوب صبر سهل واسع يسمى قاع جبا كما أن هناك مدينة مهتمة تسمى (جبا) وقد كانت بعد الإسلام عاصمة آل الكوندي الحميريين .

٥ - الدولة الخامسة - إمارة سمعي ، وهي حاشد .

عاصرت سبأ ثم اندمجت فيها وقد عرف من ملوكها « ايهمان ذبيان بن يسمع آل بن سمه كرب عاصر آل وتر » وعرف من النقوش اسم أفق بن سمايتع ، وقد قدر لهذه الإمارة أن تغلب في آخر العهد السبئي على عرش سبأ حتى استرجعه فرع ينهب الأول ١٣٠ ق.م .

ومع ذلك فإنه لم يتغلب عليهم فقد استمروا في حرب وبذي ريدان إلى ٢٥ ق.م حين أنهى عمردهم وانتشاقهم فرع ينهب الثاني وابنه اليشرح يحضب الثاني ٢٥ ق.م كما سبق .

٦ - الدولة السادسة إمارة أربع لم يعرف من الآثار إلى الآن مدتها وتاريخها بداية « ونهاية » . وقد عرف من ملوكها ثلاثة .

١ - نبط الـ

٢ - الحى عث بن سلحان

٣ - عم أيمن بن نبط الـ

هذه هي الإمارات أو الدويلات الست التي عرفت من الدول قبل الإسلام إلى جانب هذه الدول الكبرى الثلاث معين ، وسبأ ، وحير ، وهناك دولة عاشرة فيما يبدو (دولة نبط) جاء ذكرها في نصوص المصرية الراجعة إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولعلها معين ، ولفظ نبط لقب شرف في اللغة المعينية لقب به الملك ١٣ (وقه آل نبط) وفي القتبانية وأربع من أسماء الملوك سمي به الملك القتباني التاسع ولعل المستقبل يأتي بمعلومات جديدة عن هذه الدول وعن اليمن لها قيمتها .

ومما يجدر ذكره أن دولة حير تختلف عن سلفها في الناحية العسكرية فقد

نبيغ من ملوكها زعماء فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والرومان والأحباش وغيرها ويرجع ذلك إلى ما أسلفناه عند الحديث على الملكين اليشرح الأول وحفيده الرابع أو الثالث (اليشرح يحضب) الشافي وقد تحدث مؤرخو العرب كنشوان ولسان اليمن الهمداني وغيرهما عن غزوات حمير وفتوحاتهم ، وقد كانت تلك الأخبار محور النقد إلى درجة أن طرحها الكثيرون ، إلا أن النصوص الأثرية بدأت تؤكد ما رواه مؤرخو العرب ، من ذلك النص الطويل المعثور عليه بمأرب على حجر من المرمر مكون من ٢٥ سطراً فيه سجل (ذو حزفر) قائد التبغ (شمر يهرعش) غزوة من غزواته لأرض فارس وبلوغ الجيش اليمني إلى قط ، وكوك ، وصف ، ومروره بأرض تنوخ ، وأنه بعد انتصاراته بفارس عاد عن طريق مدينة صعدة وخولان إلى آخر هذا النص التاريخي الذي قد يكون من سلسلة نصوص أكثر أيضاً يحضر عليها « فتسد من سلسلة » تاريخنا فجوات يتعثر فيها فكر المؤرخ القدير دون الوصول إلى ما يطلبه اليمني لتاريخه المتماسك اللبناات ، بحيث يمكن الصعود في مدرجه إلى القمة التي من على شرفتها فيها يظن - تكون الرؤية الواضحة لأقدم خطوة لقدم الإنسان الأول . ولأول حضارة خبطتها بنان الحضارة أقدمية ، نلمسها من مناخ اليمن من الأخبار . من الأساطير ، من التواتر ، من الكتب المقدسة ، ثم مما عثر عليه في اليمن وخارج اليمن حتى البحر الأبيض وغيرها من نصوص وهياكل وتمائيل وأنفاق وبغد تخترق بطون الجبال تسلك فيها المياه والرواحل ، إلى ما توحى به تلك السهول الجبلية اللولبية المنتشرة في اليمن إلى جانب سهولها التي كانت عامرة بسدود تقوم على جانبيها شبكة ري من أدهش ما خطته يد مهندس إلى اليوم تنبيك عن القدرة الرياضية التي بلغها اليمن في ماضي الإنسانية العميق .

أما النظام الإجتماعي فقد كان يمثل أقصى ما بلغته الحضارة الإنسانية من عدل في تلك العصور الماضية .

النظام الاجتماعي للدول اليمنية قبل الاسلام

كان لكل نظام متقارب فقد كانت الدولة تتألف من ولايات شبه اللامركزية ترتبط بالحكومة المركزية ، وكانت معظم هذه الدول تجارية أكثر منها حربية ما عدا حمير فقد فرضت عليها الدولة الرومانية والفارسية ومطامعها أن تكون دولة حربية كما سبق ، وكان للدول اليمنية الثلاث معين وسبأ وحمير سبأ معين وسبأ مستعمرات تجارية وأسواق عالمية متناثرة في أفريقيا وآسيا والبحر الأبيض المتوسط ، وقد ساعد موقع اليمن الاستراتيجي دول اليمن على امتداد نفوذها التجاري ، وكانت نظمها الاجتماعية ذات طابع تعاوني رأس مالي اقطاعي ، وكانت الضرائب على ثلاثة أنواع ، لمنفعة خزانة الملك ، للكهنة والمعابد ، للشيوخ الأذواء والحكام .

وكان للاقطاع نظام معقول يسير عليه الاقطاعي وفالح الأرض على شروط عادلة تكفل مصلحة الجانين .

وقد سبقوا غيرهم في مضمار العمران والحضارة تغني بهم كتاب الرومان واليونان .

أما في هندسة المباني والقصور والسدود والأبنية والتجارة وطرق الري والملاحة فلم يلحق بهم أحد في العالم القديم إلا ما كان لآخوانهم العرب الفينيقيين في الملاحة والتجارة .

وكانت الأمة مؤلفة من أربع طبقات :

- ١ - الجند المسلح لحفظ النظام .
- ٢ - الفلاحون لزراعة الأرض واستغلالها .
- ٣ - الصناع .
- ٤ - التجار .

ولكل طائفة حدود لا تتعداها ، وإلى جانب الطبقات الأربع طبقة الحكام والاشراف والكهائن والعلماء والمشايع الأذواء ، وهذه الطبقة الخامسة إليها أمر التشاور والإشراف على سير الأعمال وسن التشريع في السلم والحرب كما يشير إليه القرآن الكريم ﴿ يا أيها الملا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ .

اليمن والحبيشة

لقد كثر الجدل من المؤرخين حول علاقة الحبيشة باليمن كما بيناه في تاريخنا العام الذي نرجو إكماله ، والحقيقة أن الحبيشة قدم إليها قبل التاريخ بزمان القحطانيون من اليمن وتغلبوا على أهلها الأصليين ثم حكموها وطبعوها بطابعهم اليمني ثقافة ونظاماً ولغة وكتابة وأصبحت الحبيشة عربية سامية وذاب من بقي من أهلها الأصليين ضمن الساميين العرب ، وما زالت مرتبطة باليمن إلى الألف الأول قبل الميلاد ثم انفصلت ولما قويت طمعت في اليمن ومواردها الضخمة من التجارة والملاحة البحرية ، ومن العوامل التي كانت تثير حسد الأحباش احتكار اليمنيين للملاحة في البحر الأحمر الذي تقع الحبيشة على جانبه الغربي ، ومن دون أن تعود إليها إلا فوائد تافهة ضاعفت من حقدتها على اليمن ، فصارت تنتظر الظروف وتستعد لتحل محل اليمن في البحر الأحمر ولتغزو اليمن كلها لاحت الفرصة ، وقد قامت بست غزوات لم تتجاوز في خمس منها تهامه والسواحل الجنوبية ، ويفسر هذا دولة بني نجاح الأحباش بعد الاسلام .

الغزوة (١) في القرن الثامن قبل الميلاد .

الغزوة (٢) في القرن الثالث قبل الميلاد بالتواطؤ مع البطالسة .

الغزوة (٣) في القرن الثالث بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٤) في القرن الرابع بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٥) في القرن الخامس بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان
الغزوة (٦) في القرن السادس بعد الميلاد بالتواطؤ مع الرومان .

وقد كان القياصرة الرومانيون وراء الغزوات الأربع الأخيرة ونشر النصرانية في الغزوات الثلاث الأخيرة حين أخفقوا في النصر العسكري الذي كانت تمزقه الوحدة اليمنية ولقد نجحوا في نشر النصرانية سيما في نجران والشمال وفي عدن ، فضربوا الوحدة اليمنية في الصميم مما مهد للحبشة وسيدتهم القيصرية الرومانية الانتصار المؤقت في الغزوة السادسة والأخيرة فقد استولت الحبشة عام ٥٢٥ م على التهائم والسواحل الجنوبية ونفذت إلى صنعاء ومارب ولم يستتب لها الأمر بل ظلت في نضال مع اليمنيين ، ولم تقض سبعة وأربعون عاما إلا وقد ضيق اليمنيون على الحبشة السارقة والسلطة وأخرجوها من صنعاء ومعظم الشمال ولم يبق لها وجود إلا في عدن والسواحل الجنوبية الشرقية وحضر موت حتى قضى عليهم التبع (سيف بن ذي يزن عام ٥٩٥ م) ولم يتمكن الأحباش من بسط نفوذهم على جميع اليمن كما قرره الهمداني ومؤرخو اليونان وتؤيده الآثار التي منها النص بمارب (لابرهه) وبه أخذ الدكتور فؤاد حسنين فقد قرر في صفحة ٣٦٥ من تاريخ العرب أن الاحتلال الحبشي لليمن لم يدم أكثر من سبعة وأربعين عاما من عام ٥٢٥ - ٥٧٣ م ويؤيد ذلك حادثة الفيل عام ٥٧٣ م ويقرر مؤرخ اليمن الكبير القاضي محمد بن علي بن حسين الكوع أن (أبرهه) يني اعتنق النصرانية وأخلص لها .

فارس واليمن

لم تتمكن فارس من حكم اليمن على أثر مصرع التبع سيف بن ذي يزن بل بقيت لها مقاطعة في صنعاء وخلافها ، استمر فيها الفارسيون في نزاع مع الهمدانيين إلى أن جاء الإسلام .

الحالة في اليمن عند ظهور الاسلام

وفي القرن السادس الميلادي بلغ التصدع والاضطراب في اليمن الذروة فقد شاهدت في هذا القرن إنقساماً وافتراقاً لم يسبق أن عرفت لها نظيراً لأن الرومان على أثر اليونان لما عجزوا عن بسط نفوذهم على اليمن بالقوة العسكرية عدلوا إلى التدبير فجعلوا منه منفذاً لمطامعهم نحو اليمن ، فحملوا إلى اليمن في أوائل القرن الرابع ب. م الدعوة المسيحية مع حملتهم العسكرية التي قامت بها الأحباش بعد تنصيرهم وقد طالت الحرب في القرن الرابع بين اليمن والحبشة انتهت بتغلب الحميريين على الحبشة . ولكن الحبشة والقسس الرومانيين الدهاة خلفوا وراءهم الدعوة المسيحية تعمل عملها في أفكار الأحداث من اليمينيين . وللتخلص منها ساعد الحميريون التعاليم اليهودية التي حملت بدورها ملكة سبأ على أثر زيارتها سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد ويظهر من النصوص أن الذي حملته ملكة سبأ هو التوحيد لله رب السماء الذي ترمز إليه (باللقه) فان اسم (الملقه) لم يظهر في اليمن في النصوص إلا من القرن العاشر عما يدل على أن المراد (هو الله الواحد) لا أنه رمز (القمر) كما ذهب اليه المستشرقون ويظهر أن هذه التعاليم التي حملتها ملكة سبأ كانت مجردة عن المطامع اليهودية والعنصرية الاسرائيلية إذ مصدرها سليمان فكانت دعوة لها قيمتها في اليمن ربما اعتنقها الكثيرون مما جعل اليمن تستقبل الفارين من اليهود بعد أن ضرب (قيصر الروم فسيسا سمان) الهيكل وأخذ (ارشليم) وأهلك أكثر من مليون يهودي في آخر القرن الأول بعد الميلاد فوجد أولئك اليهود الفارون ملجأ في اليمن والجزيرة العربية ، أطمأنوا فيه ، ويظهر أن اليمن والجزيرة العربية كانت إذ ذاك تنعم بالحرية الفكرية ، في ظلها تمكنت اليهودية من نشر دعوتها من دون تشجيع من التبابعة ولا معارضة ، فلما جاءت النصرانية في القرن الرابع مصحوبة بالاستعمار الروماني ومؤيدة لمطامعها حارب التبابعة النصرانية محاربتهم للرومان والأحباش وساندوا اليهود للتخلص من انتشار المسيحية الرومانية .

ويدل من أن تقضي العصبية اليهودية على المسيحية فإنها قامت إلى جانبها

يتنازعان الشعب اليمني ، وبذلك انقسم اليمن على نفسه في عصبية عقائدية قضت على الوحدة اليمنية التي كان التسامح الفكري عنصراً أساسياً ، ذلك التسامح الذي نسفته العصبية اليهودية والنصرانية الرومانية ، فأصبح اليمن كتلتين متعاديتين لا يفكران في اليمن ومصيره ، يهم كل منهما أن تحقق أهدافها وتفرضها على اليمن ولو كانت الوسيلة هي خراب اليمن وانتهاء العرب . وهذا الانقسام العقائدي قضى على الوحدة اليمنية وسلبت من اليمن السيطرة على الطريق بين الشرق والغرب تدريجياً ، إلى أن سلبها هذا الانقسام العرش على أثر سقوط التابع ذي نواس والتابع سيف بن ذي يزن وجلب إليها مذهباً ثالثاً هو المذهب الزرادشتي مع الفارسيين ولذلك أصبحت اليمن على عباب من الخلاف والاضطراب لم يقر هديره إلى اليوم هديرأ يزيد في سعيه ذلك الفراغ الذي تركه انهيار الحضارة اليمنية ورائه في نفوس اليمنيين الحساسة ذات الإباء ، (والفراغ النفسي) وبعبارة أوضح (القلق النفسي) ، هو من لوازم الإنسان إذا سلب نعمة أو أخفق في مطلب ، والأمة في ذلك كالفرد أو الأسرة . إلا أن من الأمم من يستسلم للتعبية والهوان وسرعان ما يذوب في غيره فينسى الفرد والأمة شخصيتهم ومقوماتها فيلقون زمامهم إلى الغير ويرتاحون من حيث يتعب الكرام والشعب الكريم ، والشعب اليمني قسوي الإحساس لا تؤله طبيعته أن يمس بضيم ولا أن يرى غيره عليه مترفعاً أو له بالقهر قائداً ومن هنا استمر منذ سقوط العرش الحميري في فراغ نفسي يتلمس أن يملأه بما يشبع نفسه الكبيرة الأبية ، ولم ولن يزول هذا الفراغ حتى يحقق اليمن وابن اليمن في أرضه حضارة لا تقل عن أرقى حضارات عصرنا ذات طابع عملي وفي ظل وحدة قوية شاملة ، وإلا فسيظل هذا الفراغ يتقاذف هذا اليمني الأبي المتطلع ، فعلى القادة اليمنيين أن يشعروا بهذه الناحية ويعملوا في حكمة وقدره وأناة لسد هذا الفراغ فتحقق الجمهورية ما لم تستطعه الأوائل حتى اليوم .

الدول اليمنية الكهلانية والحميرية خارج اليمن

هي كثيرة منها خمس قضاعية من أولاد قضاعه بن مالك بن عمرو بن

مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وهذه الدول الخمس القضاعية هي :

١ - جهينه [هذان البطانان منازلها الأخيرة في الحجاز الغربي وبرى سيناء إلى
٢ - بلى [حدود مصر وقد استولوا على صعيد مصر والحيشة قبل الميلاد^(١) .

٣ - تنوخ العراق ، ومنهم جذيمة الأبرش .

٤ - تنوخ الشام ، نزلوا مشارق الشام وعرف من ملوكهم النعمان بن عمرو .

٥ - دولة الضجاعمة نزلوا بالبلقاء والزيتون ، من ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك وقد تغلب عليهم الفساسنة .

الدولة السادسة (الفساسنة)

بطن من الأزد هم أولاد جفنة بن عمرو (مزيقيا) بن عامر بن ماء السماء ابن جارية (الغطريف) ابن امرؤ القيس بن ثعلبة بن عدنان بن نصر بن الأزد خرجوا من مأرب قبل الميلاد ، ثم نزلوا على ماء يقال له غسان بين بلاد الأشعرين وعك ، ثم نرحوا إلى مشارق الشام ، وفيها تغلبوا على الضجاعمة وقد ملكوا مدة طويلة نحو ٦٠٠ سنة مائة سنة ذكر من ملوكهم ٣٢ ملكا أولهم جفنة بن عمرو (مزيقيا) وآخرهم جبلة بن الايم ، ومن ذرية جبلة ملوك بني رسول الذين منهم (الملك المجاهد علي بن داود بن المظفر يوسف بن العزيز عمر بن علي بن رسول) وإلى المجاهد علي الرسولي ينتسب آل المجاهد باليمن وهم كثيرون ومنهم الذي بصنعاء وثلا وحجه وخولان وبني بهلول وبني عيسى بالحداء وذيمار وقفل وادي الحار وصنعه واب وتعز والمسراخ .

الدولة السابعة دولة اللخمين في العراق

بطن من كهلان من آل نصر ، وأولهم عمرو بن عدي بن نصر وهم كثيرون كان مقرهم بالحيرة ومدة ملكهم (٣٦٤) سنة أولهم عمرو بن عدي وآخرهم المنذر المنصور .

(١) جرجي العرب قبل الإسلام ص ١٧٣ و ١٧٣ .

الدولة الثامنة (كندة) بطن من كهلان

كانوا بالبحرين ثم نزحوا عنها إلى حضرموت واتخذوا من مرتفع هناك
موطناً لهم سمي بهم إلى الآن ، وكانوا كالعُمانيين مرتبطين بالحميريين ، أول
أمرائهم مرتع بن معاوية بن ثور ، وأول ملوكهم حجر بن عمرو (آكل المزار)
وأنحرفهم امرئ القيس ، الملك الشاعر ، وقد استمروا في الإمارة والملك من
عام ٣٣٥ - ٥٦٠ م تاريخ موت امرئ القيس ، هذه خلاصة لليمن قبل
الإسلام نقدمها لابنائنا طلاب المعارف ، وستلي هذه خلاصة عن اليمن بعد
الإسلام .

اليمن في عهد الاسلام

سبق أن بينا أن الوحدة اليمنية الشاملة للجزيرة بدأ تصدها بداء الفرقة العقائدية من القرن الرابع بعد الميلاد حين غزتها المسيحية على يد الرومانيين بواسطة القسّس الدهاة وعن طريق عميلتهم الحبشة ، وكانت اليهودية قد دخلت اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد كما سبق ، ثم ولجتها المزدكية الفارسية ، والزرادشتية المجوسية بآلهي النور والظلمة ، على يد الفارسيين ، وجاء الإسلام في القرن السابع بعد الميلاد ، واليمن على عباب هائج ، من النظريات الهدامة والنزعات الأسرية الضيقة التي تمزق معها اليمن واليمنيين إلى إمارات خارج اليمن وداخلها ، تفرقاً أوقف النمو في مجالات الحياة باليمن وإنهار تحت مطارقه ما بقي من ملامح الرخاء ومصادر الثراء من سدود ونجارة انهياراً عمق في النفوس الفراغ والقلق نفوس لا ترضى بالخنوع والاستسلام وإنما تتطلع لما تزيل به هذا المرض العارض من الفراغ ، وما أن جاء الإسلام إلا واندفع اليمنيون إلى الدعوة الإسلامية في اقتناع وحرارة ، ثبتت دعائم الدعوة ونشروا كلمة الإسلام .

وكان اليمنيون في طريق استعادة الوحدة اليمنية في ظل الإسلام ودعوته الموحدة ، إلا أن القوى الهدامة من يهودية ومسيحية رومانية وأيدٍ فارسية كانت كامنة في الجسم اليمني تنفث سمومها فلم يكسد الخلاف على الخلافة الإسلامية

يوم السقيفة يطلع قرنه حتى انضم إلى تلك القوى الثلاث الهدامة عنصر كان له خطره على الدعوة الإسلامية فيما بعد ، ذلك العنصر هو حقد الطلقاء من القرشيين ذلك الحقد الذي أثارته مناصرة اليمنيين للدعوة الإسلامية ، فإذا بتلك القوى تقصى تدريجياً عن الحكم أولى السبق إلى الإسلام والعارفين به ، جاعلة نصب أعينها تفريق الصف اليمني من جديد ، ولم تمض ثلاثون عاماً على وفاة سيدنا محمد إلا والحكم كله بأيدي الطلقاء وأبنائهم ، أما اليمنيون فقد بدأ النزاع بينهم بوجه جديد انطلقت ومضاته آخر أيام عثمان واتضح ملامحه من أيام معاوية ، وهذا ما سنشرحه بعد العرض السريع لحالة اليمن منذ مولد سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه .

مولد محمد صلوات الله عليه

ولد الرسول يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الموافق ٢٠ أغسطس ٥٧٠ م فتلقى دورس الحياة من مظاهر الكون الذي تعمق في دراسته والتفكير فيه ، ولما بلغ أربعين عاماً قمرياً جاءه الوحي ٦٠٩ ب.م ، وكانت رسالته تقوم على أساسين : هما الإيمان والإحسان وهي في مجموعها ثورة اجتماعية قلبت العقلية العربية ، وقد ذعرت منها الأعراب الجلفاء وطغاة قريش الفساة ، وأرهفت إليها قلوب اليمنيين الذين كانوا يرون في الدعوة منطلقاً للوحدة ، ولذلك وفدت إلى محمد طلائعهم وهو ما يزال بمكة ، ومن الوفود اليمنية إلى مكة وفد الأوس والخزرج الذين هاجر إلى مدينتهم (يثرب) بعد عدة اجتماعات عقدها معهم سراً بمكة في مواسم الحج .

عام الهجرة

قدم محمد صلوات الله عليه إلى يثرب يوم الاثنين الثاني عشر ربيع الأول على الأصح سنة ٥٣ من مولده ، وأربعة عشرة من مبعثه الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ٦٢٣ م وبمقدمه إلى المدينة ولد الوطن الإسلامي الذي استمر نموه واتساعه مناصرة اليمنيين ، فيما استقر محمد في المدينة إلا وشرع في إقامة الدولة الإسلامية ومن ما تتطلبه من تشريع وبدأ الإسلام ينتشر ، وبعد معارك أرغمت قريش

على الاستسلام ، وباستسلامها ذهبت الصخرة عن طريق الدعوة الإسلامية
فانطلقت كلمة الله تشرق وتغرب ، وقد كان اليمن أول شعب بكامله اعتنق
الإسلام على إثر وصول كتب محمد إلى أقيال اليمن ثم أرسل محمد عماله إلى
اليمن .

عمال محمد باليمن

على إثر إعلان اليمنيين إسلامهم ارتبطت اليمن بالمدينة عاصمة الإسلام
الأولى ، ولذلك أرسل محمد عماله إلى اليمن كما استعمل الكثير من أبناء اليمن
أنفسهم بعد إسلامهم ، ومن بين أولئك العمال كثيرون ممن لعبوا دوراً في تاريخ
الإسلام مثل علي أمير المؤمنين عليه السلام ، وجابر بن عبد الله البجلي ،
وخالد بن الوليد ، وأبي موسى الأشعري ، وفروة بن مسيك المرادي ، ولم يكن
هناك نظام خاص بإرسال العمال إذ كان الوقت وقت جهاد ودعوة وكانت المهمة
الأولى لأولئك العمال هي تعليم الناس أصول الدين والحكم بما جاء في القرآن
وسنة الرسول بلا إلتواء ولا تعقيد .

وقد قسم النبي اليمن كما تفيده بعض المصادر بين خمسة : خالد بن
سعيد بن العاص على صنعاء ، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي على كندة ، وزياد
ابن ليبيد الأنصاري على حضر موت ، ومعاذ بن جبل على الجند ، وأبو موسى
الأشعري على زبيد ، وتهامة على عدن .

فتنة الأسود بن كعب العنسي

الملقب عبهلة أو ذو الخمار

في أواخر أيام النبي صلوات الله عليه أعلن الأسود الفساد بوادي خب
بالجوف ونفذت كلمته إلى حضر موت وتابعت بعض القبائل ومنهم قبيلة مذحج
ثم زحف على صنعاء فدخلها وطرده الفارسيين منها ، ثم اغتاله الأبناء الفارسيون
وعلى رأسهم (فيروز) بالمؤامرة مع امرأة الأسود ، ولم يمض وقت طويل
بمقتل الأسود ، وبعد موت محمد ثبتت قبائل اليمن على الإسلام إلا ما كان من
أمر كندة والأشعث بن قيس فقد أعلنوا العصيان على العامل زياد بن ليبيد

الأنصاري ، لأسباب منها تنازعهم مع المصدق - (الجابي) الذي حاول أن يأخذ كسرايم الإبل زكاة رغم اصرارهم على إعطائهم غيرها ، فكانت الحرب التي استغاث فيها زياد بالمهاجر بن أمية فهزمت كندة وأسر الأشعث مع جماعة حملوا إلى أبي بكر فعفى عنهم وتزوج الأشعث بأم فروة أخت أبي بكر الخليفة .

اليمن في عهد الخلفاء الراشدين

لم يستقر أبو بكر في الخلافة إلا ووجه دعوة الجهاد إلى اليمن قلبت القبائل دعوته ونفروا إليه من كل صوب ، ولقد وصل منهم في يوم واحد إلى المدينة واحد وعشرون ألفاً حتى ضاقت بهم آكام المدينة وضواحيها ، وراح أبو بكر يرسلهم إلى الأمصار واستمر حالهم على ذلك في عهد عمر وعثمان وعلي وكذا في عهد الدولة الأموية . ولقد كان جيش عمرو بن العاص إلى مصر معظمه يمنيون واستقر الكثيرون من أولئك المجاهدين في البلاد التي تم فتحها ، وقد كان لهم في هذه الفترة النصيب الأكبر في نشر الاسلام ، وأن أكثر العرب الذين استقروا في الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا وغيرها كانوا من أصل يمني ، وفي أملنا أن نستقصي تلك البطون ونفرد لها مؤلفاً إن شاء الله .

وعندما اشتد الخلاف بين علي كرم الله وجهه ومعاوية امتدت تياراته إلى اليمن .

تمهيد

الصراع السياسي في اليمن بعد الاسلام

لقد التقى اليمنيون بالهاشميين من قبل الإسلام لقاء مصاهرة وأحلاف وجاء الإسلام مقوياً لهذا اللقاء والتلاحم ، ولما مات محمد نبي هذه الصلة وقواها ذلك الحرمان الذي اشترك فيه الهاشميون واليمنيون يوم السقيفة ، ولما اقضت الخلافة إلى علي كان جل اعتماده على اليمنيين سيما قبيلة همدان ومدحج ، ولم يكن معاوية بالذي يجهل هذه الناحية فقد قوى صلته باليمنيين منذ أيام عمر (الذي سيسأل عنه يوم الدين) وقد تمكن معاوية من اجتذاب الكثير من اليمنيين إليه سيما الحميريين ويفسر اهتمامه قوله :

إذ الشام أعطت طساعة يمنية تناقلها أبناءها في المجالس
فإن يصدقوا اصدم علياً بجبهه يغث لسديها كل رطب ورياس

ومن الطبيعي أنها كانت له دعاة داخل اليمن وبين قبائلها ، وقد اتخذ معاوية من مصرع عثمان وسيلةً أثار بها الأفكار وأقام بها الحزب العثماني إلى جانب الحزب الشيعي والحزب الخارجي باليمن وبذلك انقسمت اليمن على نفسها إنقساماً عقائدياً تسيره أفكار سياسية مأكرة ، جعلت اليمنيين يقتل بعضهم بعضاً في داخل اليمن وخارجها لا لمصلحة اليمن ولا العرب ولا الإسلام بل في سبيل الشيطان وحزبه أبناء الطلقاء القرشيين ومن حذا حذوهم

في مرض الجنون بالمال والسلطة من أبناء المهاجرين .

ونجم عن ذلك وبمساعدة عوامل أخرى أن اشتد ساعد الدعوة الشيعية التي ما زالت تغذيها أعمال عمال بني أمية ثم العباسية التي استغلها دعاة الشيعة بمعناها الشامل الاسماعيلية والزيدية وغيرها وما زالت تلك الدعوة في نشاطها تعبى أفكار العامة إلى أن حولت الأفكار حقلاً تغطيه مظلة من القداسات الشيعية . ومملاً تربته نباتات الدعوة الاسماعيلية والزيدية ، إنها ثمار مغرية استهوت أعلام الشيعة ، فإذا باليمن (المخدوع) يستقبل المنصور الحسن بن حوشب وعلي بن الفضل الخنفرى الحميري الداعيتين الاسماعيليتين اللذين قدما إلى اليمن من العراق موفدين من عبيد الله ، وقدم على أثرهما الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من الرمس بالحجاز قدم إلى صعدة عام ٣٨٠ هجرى الموافق ٨٩٣ م ، ومن هذا التاريخ ظهر الصراع في اليمن بين الحزبين السياسيين الشيعيين الخطيرين الزيدي والاسماعيلي ، كما ابتدأ الصراع بين الحزب الزيدي وبين الدول اليمنية بدأ ذلك الصراع على السلطة الزمنية وكان المذهب الزيدي هو شعار الأئمة الرسيين الناسبين لأصول المذهب إلى الامام زيد بن علي رضي الله عنه ، والمذهب الزيدي هذا لا يتميز عن المذاهب الكبرى والنظريات الاسلامية المشهورة ، إلا بثلاث قواعد : أن الانسان مخير في أداء أعماله ، من خير وشر لا مجبور عليها أجبره الله أو علمه .

٢ - وجوب الثورة على الظلمة ، المعبر عنها في كتب الزيدية بوجوب الخروج على الظلمة .

٣ - حصر الخلافة والإمامة الإسلامية في أبناء الحسين ، هذه القواعد الثلاث هي التي يكون بها الإنسان عند الأئمة الرسيين ونبتهم زيدا أي متبعاً للإمام زيد بن علي ولو خالفه فيما عداها ، وأهم القواعد الثلاث فيما نستلهمه من الواقع هي قاعدة حصر الخلافة في أبناء الحسين ، أما القاعدتان الأخريان فقد التقى الزيدية بالمعتزلة في قاعدة ، أن العبد مخير لا مسير ، والتقى الزيدية هؤلاء في قاعدة ، وجوب الخروج على الظلمة ، بالخوارج الذين منهم إباضية

عمان وحضر موت ، وملتقى بالزيدية في هاتين القاعدتين نحن وكل مسلم يفهم من الإسلام جوهره ، أما القاعدة الثالثة (حصر الخلافة في أبناء الحسين) فهي أخطر الثلاث ، وهي الكل في الكل في نظر الأئمة ولترسيخها سارت من الرسميين وسلفهم قوافل القتل ، فمن تمسك بها فهو في نظر الأئمة الرسميين زيدي وإلا فليس زيدياً ، ولا يكون له حرمة ، بهذا يشهد الواقع في اليمن أكثر من ألف عام ، ولقد قتل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة من المطرفية أكثر من مائة ألف كما دمر قراهم ومدنهم في عموم اليمن مع أن المطرفية أحد فرق الزيدية ولكنهم لا يقولون بأن الإمامة منحصرة في أبناء الحسين ، وإذا تعمقنا في البحث وجدنا أن المطرفية هم الذين يمثلون الإمام زيد بن علي في هذه القاعدة فالإمام زيد هو الإمام العظيم الثائر على الظلم ، العالم بأنه غير في أداء الأعمال لا مجبور على أدائها ولكنه أبى أن يحكم بأن الإمامة بعد محمد محصورة في علي والحسين ثم في أبناء الحسين وسمي القائلين به الرافضة ، فقاعدة احتكار الإمامة في أبناء الحسين لم يقل بها الإمام زيد ، وهذه القاعدة هي كقاعدة حصر الأئمة في قریش إلا أنها في مدار أضيق ، وقد عرضت هذه القاعدة اليمن لسلسلة من الفتن والحروب استهلكت بموت محمد صلوات الله عليه ثم اتصلت حلقاتها المفرغة طيلة أحد عشر قرناً لم تنعم خلالها اليمن بحلاوة الاستقرار ولا بروح الطمأنينة ، إن النزاع على السلطة جعل الطامعين يقحمون الدين والمذهب في النزاع السياسي الذي مزق الأمة شتراً ملز وجعل اليمن يتلقى الدعاة الطامعين واحداً بعد آخر فكما قلد المنصور الحسن بن حوشب والإمام الهادي في أواخر القرن الثالث هجرياً فقد قدم في أوائل القرن الرابع عام ٣١٨ هـ إلى حضر موت المهاجر أحمد بن عيسى العلوي بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من البصرة وقاومه الإباضية وطلعوا في نسبه وقدم غيره كما ستمر بك نتائج هؤلاء القادمين ولنعد إلى مبدأ هذا النزاع من أيام معاوية حتى يومنا هذا .

النزاع السياسي المذهبي اليمني

منذ زالت دولة الحميريين لم تعد لليمن والجزيرة العربية وحدتها إلا فترات

متقطعة بعد الإسلام إذ نشأت فيها دول وظهرت قبل الإسلام نظريات إلى جانب اليهودية والمسيحية والوثنية ، زادت شقة الخلاف والانقسام سعة ، وتتابعث الثورات بصفة لا تكاد تنقطع ، وإذا كان الإسلام قد محى اليهودية والمسيحية والوثنية باليمن إلا أنها استقبلت نظريات جديدة ، وقيد انتهى بنا المطاف عند عهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، هذا العهد الذي عاكست فيه التيارات كل محاولة بذلها الإمام علي للإصلاح وللرجوع بالبشرية إلى روح الإخاء والمحبة والعدالة الاجتماعية التي دعا إليها سيد الوجود محمد صلوات الله عليه ، لقد ذهبت جهود الإمام علي بروحه المقدسة دون أن تتغلب على الإثارة وطغيانها فإذا بعهد الخلفاء الراشدين ينتهي وإذا بالجزور يطفى ، عمزقاً بصارمه الوحدة الإسلامية إلى أحزاب وشيع . فمن عثمانين وشيعيين وحروريين إلى قحطانيين وعدنانيين إلى عصبيات زبيرية وهاشمية وأموية وشعبوية إلى ما هناك من تفرق عقائدي وعرقي ومذهبي يضمم تنوره الفارسيون واليهود والشعوبيون ويستغله المجنونون بالسلطة والزعامة الشخصية ، حالة خطيرة شهدتها العالم الإسلامي ، واكتوى بجميع مياسمها اليمن واليمنيون إلى اليوم كما ترى صورة مصغرة لهذه المأساة وتسلسلها إلى جانب الصراع عبر التاريخ .

أول صراع عقائدي باليمن بعد الاسلام

بسر وجارية والمأساة اليمنية

لم تتم بيعة الإمام علي إلا وكانت تلك المعارك بالجمال وصفين والنهروان ذهب بين شقي رحاما صفوة العرب وفرسانها وذوو السابقة في الإسلام مع القراء ومعظمهم يمنيون ، وختم عهد الإمام بالمأساة اليمنية بأن بعث معاوية جيشاً كثيفاً بقيادة بسر بن أرطأة إلى اليمن غايته الإرهاب بالتخريب والقتل والسلب ، وقد بلغ بسر إلى صنعاء يشايحه ويناصره العثمانيون اليمنيون ، ولم يخرج من صنعاء إلا وقد ذبح ثلاثين ألفاً في غزوته من شيعة علي اليمنيين فيهم الأطفال والنساء والشيوخ ، ولطاردة بسر ودرته أرسل علي أربعة آلاف فارس بقيادة جارية بن قدامة السعدي فلم يقف بسر لمواجهته بل فر تاركاً آثامه

وجرائمه وشيعة عثمان الذين لا يقلون ، فيما نرى عن مائة ألف أكلتهم سيوف جارية وشيعة علي ، فقد أفاد ابن أبي الحديد أنهم استأصلوا شيعة عثمان وتبعوهم في القمم والأودية ، وما هي إلا فترة حتى يستشهد الإمام علي كرم الله وجهه غيلة بيد ابن ملجم المرادي الخارجي ، وقد كان لابن ملجم خلف عقيدة في اليمن وغيرها يدعون إلى فكرته إلى جانب الدعوات العثمانية والشيعة وغيرهما من الدعوات التي هي جميعاً - ما عدا العثمانية ضد الحكم الأموي - وقد استطاع حكام الأمويين الدهاء كمعارية وعبد الملك أن يكسبوا الكثير من اليمينيين وقاداتهم ، بهم أقاموا الإمبراطورية الأموية الواسعة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخماد دعوة الشيعة والخوارج فقد استمرت تلك الدعوة في نشاطها ضد الحكم الأموي سيما في اليمن ، وفي الوقت نفسه لقد كان من قادات اليمن من يتزع إلى فصل اليمن عن دمشق ويبدو هذا النزوع ثم النزاع في ثورة القبل عباد الرعيبي .

القبل عباد الرعيبي سنة ١١٠ هـ

في سنة عشر ومائة هجرية أيام الخليفة هشام قام القبل عباد الرعيبي من ذرية القبل ذورعين بثورة امتدت إلى عدة نواح من اليمن وجرت بين عباد وبين والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي عدة معارك انتهت بهزيمة عباد ولا نعلم كيف كان مصير عباد إلا أن اليمن استمرت في غليان مذهبي وسياسي تجمع إلى أن انفجر بثورة طالب الحق .

طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الاباضي

وأبو حمزة المختار الأزدي سنة ١٢٩ هـ

بلغ النشاط الفارسي والشعوبي نهايته ضد العرب والإسلام أيام مروان ابن محمد الأموي ، وقد كانت الدعاية القوية للدولة الأموية هم العشائر اليمنية ولذلك توجه الفارسيون والهاشميون معاً بدعائهم إلى فصل تلك العشائر اليمنية عن الأمويين ومساعدتهم ضعف الخلفاء بعد هشام ، ويأتي مروان بن محمد

بكماله وقد اتسع الخرق على الراقع فإذا بالوضع يتزلزل ، وبالعقد ينحل ،
فينفجر بثورة طالب الحق أيام مروان بن محمد، اندلعت تلك الثورة عام ١٢٩ هـ
من حضر موت فالتهمت اليمن والحجاز وتناولت الحرمين مكة والمدينة وأصبحت
الجزيرة العربية مشمولة بنفوذ طالب الحق مما اهتز لها عرش بني مروان بدمشق
هزة ثمل لها الفارسيون ، ورقص الهاشميون ، وذعر لها مروان بن محمد الخليفة
عما حمله إلى المبادرة لإخماد ثورة طالب الحق من غير تفكير في العواقب ، فإذا
بمروان يقذف معظم جيوشه وفيهم اليمانيون بقيادة عبد الملك بن عطية إلى
ساحة المعركة التي كانت من أشد المعارك ضراوة ومراوة ، وقد تمكن عبد
الملك بن عطية من التغلب على طالب الحق وأبي حمزة ومن تتبع الأباضية في
حضر موت الذي أوسعها عسفاً وتخريباً مما أثار عليه فلول الأباضية ، فقد تعقبوه
عند منقلبه من حضر موت إلى مكة فقتلوه مع من كان معه ، وبلغ خبر مصرعه
إلى ابن أخيه عبد الرحمن بن زيد بن عطية وهو بصنعاء فاستصرخ همدان وقبائل
الشمال وأغار بهم بقيادة شعيب البارقي الهمداني على حضر موت فأسرف فيها
قتلاً ونهباً وتخريباً .

وقد كانت هذه الحرب المشؤومة أعظم سبب لإضعاف العرب وانتهاء
الدولة العربية الأموية ، فقد التهمت جيوش مروان المدربة ومعظم قواده كما
طحنت فرسان اليمن ومغاويره ونشرت الخراب في أنحاء الجزيرة ، وقد استمر
الاباضيون في سيطرتهم على حضر موت من بعد طالب الحق عدة قرون يناضلون
الغزاة ، وظلت اليمن في غليان ارتفعت درجة حرارته في العهد العباسي .

اليمن في العهد العباسي

لم يكن العهد العباسي في اليمن أحسن حالا مما كان عليه في العهد الأموي فقد كان مشؤوماً على العروبة والإسلام معاً ، ونكبة عميقة الموضع على اليمن ففي عام ١٤٠ هـ قدم اليمن بعهد المنصور الطاغية «معن بن زائدة» ونصب أحد قرابته نائباً عنه بحضر موت ، وكان هذا النائب جلس فسوق واستهتار وعنوان ظلم سافر ، فجاوز الحد ولم يسمع للحضرميين أي استغاثة فلم يبق إلا أن قتلوه بقيادة زعماء الأباضية وانتفضت البلاد على معن فأقبل معن من شمال اليمن بجيوش ارتكبت من الفظائع ما تشيب من هولاء الولدان فقتل نحو خمسة عشر ألفاً وسد عيون المياه بالرصاص وأجبر الناس على لبس السواد ثم عاد إلى صنعاء خلفاً للمآسي ومستتياً ابنه والياً على حضر موت ولكنه لم يفلت من نقمة الأباضية فقد تعقبه منهم رجالان وهو في طريقه إلى خراسان فقتلاه أخذاً منها بثأر الأبرار حماة العدالة والدار وما هي إلا فترة سنين حتى انتفضت اليمن بثورة ، الهيصم .

ثورة القليل الهيصم بن عبد الرحمن الحميري ١٧٤ - ١٨٨ هـ

إن حكم الذخيل جعل اليمن في ثورة مستمرة ففي عام مائة وأربعة وسبعين؛ أيام هارون الرشيد ثار القليل الهيصم بن عبد الرحمن الحميري في جبل مسور حجة والتفت حوله القبائل وحارب جنود بني العباس في غير موضع وأنزل بهم شر الهزائم وسط تفوقه على معظم الجبال الغربية والشمالية كما حكاها الهمداني وغيره وقد امتدت سلطته إلى تهامة وأطاح ببيت ولاة بني العباس في اليمن حتى ضعفوا عن حفظ الأمن وجباية الضرائب ، وانحصرت سلطة الولاة

العباسيين الواهنة في صنعاء مما جعل الذعر يتناول هارون الرشيد ببغداد فأرسل الولاة تباعاً وبعث الجحافل أثر الجحافل ولا يكون نصيبها إلا الفشل مما دعا هارون إلى إرسال (حماد البربري) أحد قواده الكبار في جيش جرار وقال له كلمته الحاقدة : « أسمعني أصوات أهل اليمن » وقد تمكن حماد ، بعد معارك دامية من إخماد الثورة في كثير من البلاد وأخضع تمامة ووصل إلى صنعاء ولكنه لم يتمكن من التغلب على الهيصم فاستمد من هارون الرشيد المزيد من المدد فاستمر الصراع إلى عام ثمان وثمانين ومائة حيث تغلب حماد على جبل مسور ، وحاول الهيصم أن ينقل المعركة إلى الشمال فانتقل إلى بيثه أحد مراكز تمامه الشمالية ، فأوقعه القدر أو مؤامرة مع يد خائنه في مجتمع الجيوش العباسية فجأة لصارع حتى وقع في الأسير ، وأرسل مع رفاقه إلى بغداد حيث خرج هارون لشاهدتهم فضربت أعناقهم بين يديه ، ولم ينج إلا واحد من أصحاب الهيصم كان يجيد الألحان فتخلص بحفظه بابا غريباً من الأغاني ، كما في الأغاني ويرغم التغلب على الهيصم فقد كانت ثورته فاتحة لقيام الدول اليمنية وفرصة اهتبلها الشيعة لنشاطهم الذي مهدوا به الطريق إلى ظهور دعائهم أيام المأمون وقدم ابراهيم الجزار العلوي إلى اليمن .

ظهور العلويين في الحجاز واليمن سنة ١٩٨ هجرية :

على أثر موت هارون سنة ثمانية وتسعين ومائة ضعفت سلطة العباسيين في الجزيرة العربية وقوي النشاط العلوي والفارسي وظهر بالكوفة الامام محمد بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٩٩ هـ بمناصرة أبي السرايا السري بن منصور بن ربيعة بن ذهل بن شيان فتغلب على الكوفة وسواد العراق ، وأرسل إلى اليمن ابراهيم الجزار بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجرت بينه وبين حمدوية بن عيسى بن ماهان وإلى اليمن من جهة المأمون معارك شديدة ، وكانت الشيعة قد كثروا باليمن ومنهم الأبناء المستوطن معظمهم صنعاء ومناطقها الشرقية المعروفة ببني حشيش وبني بهلول ومنهم من كان ببلاد ذمار وقد كان معظم دعاة الشيعة من هؤلاء الأبناء ، ومنهم العلامة الزيدي عبد الملك بن عبد الرحمن الأبناعي قاضي عهد ابراهيم الجزار بصنعاء فالتف هؤلاء الأبناء مع بقية

الشيعية حول إبراهيم الجزار ، فتغلب بهم وجاس خلال الديار وتركز بمخلاف
صعدة بعد أن خرب صعدة وهدم (سد الخائق) برحبان صعدة ، وأعلن أن
كل معارض للدعوة الزيدية أو خارج على قاعدة الامامة الزيدية ، كما زعم ، هو
خارج عليه لا حرمة لدمه وماله ، ولذا أسرف في قتل كل معارض للدعوة
والامامة وتجاوز حد المنطق والتعقل في نشر الخراب الذي امتد إلى الآثار السببية
والحميرية وما سبقها ، فما لاحت له فرصة إلى أثر أو سد إلا نفسه وإسرافه في
القتل والتخريب سمي الجزار واستمر كغيره من قادات العلويين ودعاتهم في
الجزيرة حتى مات الإمام الزيدي محمد بن إبراهيم عام ١٩٩ هـ وقام بعده بالكوفة
الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ، ولم تطل مدته فقد
تغلب المأمون على الكوفة فقتل أبا السرايا وأسّر محمد بن محمد بن زيد ،
وانحلت دولة العلويين في اليمن والحجاز .

وعلى أثر انحلال دولتهم قدم من فارس بطريق مصر عام ٢١٣ هـ الامام
القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي إلى
(الرس) بالحجاز ويعرف القاسم ، بنجم الأئمة ، ولم يرد له ذكر أيام إمامة أخيه
وتغلبه على الكوفة والسواد ، ولما مات أخوه الإمام محمد عام ١٩٩ هـ وتغلب
المأمون على الإمام محمد بن زيد الذي لم يتجاوز عمره ١٨ سنة وقتل أبا السرايا
عام ٢٠٠ هـ اضطر القاسم أن يختفي بفارس ثم خرج منها مستتراً إلى مصر وفي
مصر بقي أكثر من عشرة أعوام فاشتد طلب المأمون له فقر مستتراً إلى الحجاز
عام ٢٢٣ هـ واختار الرس موطناً له ولشيعته ، وهنا بدأ تكون البيت الرسمي الذي
خرج منه أئمة اليمن ونقل السيد مصطفى سالم بمؤلفه اليمن والامام يحيى ص
٣٠ ، عن عمارة اليمني : أن القاسم بن ابراهيم فر إلى السند ومات هناك عام
٢٤٥ هـ ، وقد اقتنع الرسيون في هذا الدور بالهدوء المؤقت عن مجاذبة السلطة
بمنطق السيف ، وأن يكتفي في هذا الدور بتوسيع الدعاية والنشاط في التعبئة
التي ضاعفت في تدهور السلطة العباسية بالجزيرة سيما باليمن مما أضطر المأمون
إلى أن يرسل إلى تهامة اليمن الأمير محمد بن عبد الله بن زياد ، وبهذا دخلت
اليمن في عهد الإدارة المستقلة وتنازع الدول الجديدة المتعددة المتعاقبة
والمتداخلة ، وإلى جانبها تلك الإمارات الناشئة ويبدأ هذا العهد بدولة بني زياد
وبني يعفر .

الدول والامارات في اليمن من سنة ٢٠٣ - ١٣٨٣ هجرية

استهل القرن الثالث هجرياً واليمن في أمر مريج تتنازعه النظريات والاتجاهات ، وقد نحدد من أول هذا القرن الإتجاه اليمني نحو الاستقلال ، فنشأت فيه عدة دول وإمارات وطنية وغير وطنية ، ومع ذلك كله فلم تتحقق الوحدة اليمنية إلا في فترات سرعان ما تضحل ، وعلى كثرة الدول والإمارات فالدول الرئيسية هي اثنتا عشرة دولة سنجعلها محط الكلام ونعرض لما عداها ضمناً وهذه الدول الرئيسية هي كما يلي :

- ١ - دولة بني زياد من عام ٢٠٣ - ٤٠٩
- ٢ - دولة بني يعفر الحميريين عام ٢٢٥ - ٣٩٧
- ٣ - دولة بني الصليحي المهدانيين عام ٤٢٩ - ٥٣٢
- ٤ - دولة بني مهدي الحميريين عام ٥٥٤ - ٥٦٩
- ٥ - دولة بني أيوب الكرديين عام ٥٦٩ - ٦٢٦
- ٦ - دولة بني رسول الكهلانيين عام ٦٢٦ - ٨٥٨
- ٧ - دولة بني طاهر المذحجين الكهلانيين من عام ٨٥٨ - ٩٢٣
- ٨ - دولة الجحراكسة الماليك من عام ٩٢٤ - ٩٤٥
- ٩ - دولة العثمانية الأتراك الأولى من عام ٩٤٥ - ١٠٤٥
- ١٠ - دولة بيت القاسم الرسيين العلويين من عام ١٠٤٥ - ١٢٨٩
- ١١ - دولة العثمانيين مرة ثانية من عام ١٢٨٩ - ١٣٢٩

١٢ - دولة آل حميد الدين القاسميين العلويين من عام ١٣٢٩ - ١٣٨٢ .

هذه هي الدول الرئيسية في اليمن إلى أن جاءت الثورة عام ١٣٨٢ هجرية وقامت الجمهورية العربية اليمنية التي ستحدث عنها بصفة كاملة في غير هذا المؤلف .

وهذه الدول الإثنتا عشرة قد تعاقبت وبعضها تداخلت ، وكلها لم تذق طعم الهدوء إلا قليلا لكثرة المعارضين والخارجين ، وقد كان للدعوات المذهبية الضيقة أثرها في التجزئة والبلبل ، ولنبدأ الآن ببيان هذه الدول وجانباً من أحوالها مبتدئين بدولة بني زياد .

١ - دولة بني زياد القرشيين من عام ٢٠٣ - ٤٩٩ هـ^(١)

اضطربت اليمن على المأمون وقوي نشاط الأحزاب والطامعين سيما الشيعة ، فأرسل المأمون الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) لولاية اليمن فأخذ الثورات وأقام دولة شملت اليمن وامتدت إلى حضر موت واستقلت في إدارتها عن بغداد ، وأصبح محمد كملك مستقل لا تربطه ببغداد إلا الخطبة والإنتهاء الروحي وحل شيء من الخراج والهدايا ، وامتد نفوذ الزياديين إلى حضر موت وعمان ومكة كما كان لهم إشراف في بادئ أمرهم على صنعاء وقد اختط ٢٠٤ هـ محمد بن زياد مدينة /زبيد واتخذها عاصمة وامتدت أيامه إلى سنة ٢٤٥ هـ ثم انتقل الملك إلى أبنائه وهذا جدول أسماء ملوك آل زياد :

١ - محمد بن عبد الله بن زياد من عام ٢٠٣ - ٢٤٥

٢ - إبراهيم بن محمد من عام ٢٤٥ - ٢٨٩

٣ - زياد بن إبراهيم بن محمد من عام ٢٨٩ - ٣١١

٤ - أبو الجيوش اسحاق بن إبراهيم من عام ٣١١ - ٣٧١

وقد طالبت مدة اسحاق حتى اختلف في تقديرها وقد نقلناها على علامتها .

(١) يقرر القاضي محمد الاكوع أن بني زياد يمنيون قحطانيون ولم يعظم شأنهم إلا من أوائل القرن الرابع هجرية ، فراجع مؤلفات الاكوع .

• - عبد الله بن اسحاق من عام ٣٧١ - ٤٠٩

وكان عبد الله بن اسحاق صغيراً فقام بأمره مولى بني زياد الحسين بن سلامه النوبي المشهور وقد مات الحسين سنة ٤٠٣ هـ وعهد بالأمر إلى مولاه مرجان وكان لمرجان عبدان نقيس ونجاح أفضى الأمر إليهما فتنازعا فتغلب نجاح وأسس إمارة بني نجاح إلى جانب الإمارات التي كانت نشأت بعهد أبي الجيوش واقتطع كل من أولئك المتغلبين جزءاً من رقعة بني زياد وأشهر هذه الإمارات الخمس كما سيأتي :

١ - إمارة بني معن الحميري أسسها علي بن معن تناولت عدن ولحجاً وابين والشحر وحضر موت عاصمتها عدن .

٢ - بنو الكرندي الحميري من أولاد أبيض بن حمال الماري الصحابي أسسها يعفر بن أحمد الكرندي عاصمتها (ذي جبا) من المعافر المتصلة بأصل جبل صبر بما يعرف الآن بالمسراخ ويتصل بها سهل جبل السواسع وقد تناولت دولتهم السندان والدملوه وجبل صبر وخلاف الجند والمعافر الحجرية .

٣ - إمارة بني التبعي الحميري مؤسسها أبو عبد الله الحسين التبعي تناولت بعدان والشحر والسحول والشواقي وحصن انود ، عاصمتهم كانت بالشحر .

٤ - بنو وائل الحميري من ولد ذي الكلاع الحميري عاصمتهم وحاطة من مخلاف إب .

٥ - بنو المناخي الحميري على الجند ومذيخره والعدين ومنهم جعفر بن محمد بن ابراهيم بن محمد ذو المثلة لأنه قطع على حجر في مذيخره ثلاثمائة يد ، وبه سمي مخلاف جعفر لا بجعفر صاحب ابن زياد .

وكانت هذه الإمارات الخمس من أواخر القرن الرابع إلى أن قضى عليها التبع الصليحي .

٢ - دولة بني يعفر الحميريين من عام ٢٢٥ - ٣٩٧ هجرية :

عاصمتهم (شبام) أسفل جبل ذخار المطل عليها قصر كوكبان في الماضي ، أول هذه الأسرة عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي من ذرية ذي الحوال الحميري ، كان نائباً بصنعاء عن جعفر بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد واليمن ولما توفي عبد الرحيم قام ابنه مقامه وهو يعفر بن عبد الرحيم وبعد يعفر رأس الدولة اليعفرية ومؤسسها وواضع حجر استقلالها ، وكان يداري بني زياد وكانت بداية استقلاله عام ٢٤٧ وقد استقر ملك صنعاء في خلفائه إلى سنة ٨٣٧ هـ إلا في فترات قصيرة كما امتد نفوذ الدولة اليعفرية في بعض الأوقات إلى حضر موت كما كانت لهم غزوات إلى تهامة وحدود نجد وتناولوا في فترة الحكم في مكة كما كان عصرهم عصر الغرايب والأحداث الجسام في اليمن وقد اعتبرنا بدايتهم من عبد الرحيم بن ابراهيم وهذه أسماء من ملك منهم على التعاقب .

١ - عبد الرحيم بن ابراهيم من عام ٢٢٥ - ٢٤٧

٢ - يعفر بن عبد الرحيم من عام ٢٤٧ - ٢٥٩

٣ - محمد بن يعفر من عام ٢٥٩ - ٢٧٩

٤ - ابراهيم بن محمد بن يعفر من عام ٢٧٩ - ٢٨٥

٥ - يعفر بن ابراهيم مدة قصيرة

٦ - عبد القادر بن أحمد بن يعفر دون عام

٧ - اسعد بن ابراهيم بن محمد بن يعفر من عام ٢٨٦ - ٢٨٨

فترة التبع علي بن الفضل الخنفري الحميري من عام ٢٨٨ - ٣٠٣

اسعد بن ابراهيم مرة ثانية من عام ٣٠٣ - ٣٣٢

٨ - محمد بن ابراهيم من عام ٣٣٢ - ٣٥٢

٩ - عبد الله بن قحطان من عام ٣٥٢ - ٣٨٧

١٠ - أسعد بن عبد الله بن قحطان من عام ٣٨٧ - ٣٩٣

هؤلاء ملوك بني يعفر ، وفي الوقت الذي كان فيه اليعافرة يحكمون صنعاء وشباماً كان نفوذهم يمتد إلى حضر موت وبقيّة اليمن حيناً ويتقلص

أحياناً ، بينما آخذ نفوذ بني زياد يتقلص ، وانحصر في أيام أبي الجيوش اسحاق والحسين بن سلامة على عهامة ، وكان من صنائع بني يعفر أمراء الإمارات الخمس بنو معن وبنو الكرندي وبنو التبعي وبنو وائل وبنو المناخي وكلهم حميريون مرتبطون باليعفرين كارتباط آل الضحاك سلاطين حاشد وآل الدعام سلاطين أرحب وآل أبي الفتوح سلاطين خولان وكذلك سلاطين جنب . وقد طرأت ظروف تنافر فيها آل الدعام والضحاك مع آل يعفر ، وظروف اشتد النزاع واستمر القتال بين بني يعفر والموالين لهم من جهة وبين الإسماعيلية تارة والمهادية تارة ، سيما في أيام أسعد الذي هزم الهادي أخيراً وأسر ابنه المرتضى محمد في (أثوه) من أرحب . كما تغلب في النهاية على علي بن الفضل ، وقد كان قدوم الهادي يحى بن الحسين إلى اليمن في أيام ابراهيم بن محمد ٢٨٠ هـ ثم عاد إلى الرس ثم استدعاه الشيعة وفي مقدمتهم أبو العتاهية سلطان بني حثيش ، فعاد إلى صعدة عام ٢٨٤ هـ وقد صحبه في هذه الهجرة أعيان آلـه وأصحابه وقد وصل إلى صنعاء ولكنه بعد مقتل أبو العتاهية ومنازلة أسعد اليعفري وأسر ابنه عاد إلى صعدة واتخذها عاصمة واهتم بترسيخ أقدامه في مخلاف صعدة وما جاورها وقد نجح في ذلك .

وهذا الإمام يعد من أعلام الأئمة العلويين وهو الذي أسس الدولة الرسية في اليمن ، ومن نسله معظم الأئمة الفاطميين في اليمن إذ يبلغهم ثلاثة وسبعون منهم ستون من نسل الهادي يحى بن الحسين . وقد ظل هؤلاء الأئمة يعارضون الدول اليمنية سبع مائة عام وأربعة وستين عاماً من عام مائتين وأربعة وثمانين إلى عام ألف وخمسة وأربعين هجرية ، ثم خلصت الدولة في اليمن للأئمة الرسيين العلويين إلى عام ألف وثلاثمائة واثنين وثمانين هجرية ما عدا فترة الاحتلال العثماني التركي الأخير كما سيأتي .

وفي عهد ابراهيم بن محمد بن يعفر قدم إلى اليمن الداعيتان الاسماعيليان علي بن الفضل الحنفرى الحميري وأبو القاسم المنصور حسن بن حوشب من الكوفة ، وقبل أن نتكلم عنهما يجب طرق الإمامة الزيدية والمذهب الزيدي أو المهادوي على الأصح لما لهما من أثر على أحداث اليمن .

اليمن والمذهب الهادي الزيدي والامامة العظمى والأئمة الفاطميون

إن صلة الهاشميين باليمنيين عميقة ، تضرب جذورها إلى ما قبل الإسلام ، وما أطل الإسلام بحياء إلا وعلى اليمنيين اعتمد الإسلام ، وعلى اليمنيين اعتمد نبي الإسلام : سيد الوجود محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلوات الله عليه ، وسمى اليمنيين أنصاراً ، وقال لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لما سلك إلا وادي الأنصار . وإلى مدينتهم هاجر واتخذ منها عاصمة لدعوته وفيها اختار مثواه الأخير .

وفي أفناء هذا الرسول العظيم صلوات الله عليه ، نمت بين الهاشميين واليمنيين تلك الصلات الأخوية .

ويموت محمد وتلحق روحه بالرفيق الأعلى ، وقبل أن يوارى جسمه الشريف في تراب يشرب اجتماع الأنصار وأجمعوا على تعيين سعد بن عبادہ الأنصاري خليفة لرسول الله ، ثم يأتي إلى مجتمعهم - سقيفة بني ساعدة - أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فتدور حول الخلافة تلك المعركة الجدلية بين الأنصار اليمنيين وبين الثلاثة المهاجرين القرشيين ، وكان الحسد لسعد قد دب إلى مثل بشير وعويم الأنصارين ، ولذلك أسفرت المجادلة عن انقسام الأنصار اليمنيين على أنفسهم ، وسقوط سعد بن عبادہ عن الخلافة التي كان الأنصار قد انتخبوه لها ، فتحولت من سعد إلى أبي بكر الصديق ، وقد استمر سعد متمسكاً بنظرية

يخلافته معارضاً لخلافة أبي بكر الصديق وغير معترف بنظامها فلا يحضر جماعة أبي بكر ولا جمعه . وأن إيمانه بحقه في الخلافة هو الذي جعله يفارق المدينة مع أتباعه إلى الشام وهناك يموت شهيداً مغتالاً .

وقد كان هناك بالمدينة علي كرم الله وجهه على رأس بني هاشم ومجموعة من بني عبد مناف والمهاجرين فيهم عمار وسلمان والزبير وفاطمة بنت محمد وعبد الله بن مسعود يرون أن علياً أحق بالخلافة ، وأخيراً وبعد موت فاطمة بايعوا أبا بكر وبذلك وبمقتل سعد بن عباد ، تم الإجماع على خلافة أبي بكر التي كانت بدايتها كما قال عمر : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة . . . إلخ .

ومن الطبيعي أن حرمان الأنصار والهاشميين ترك أثره في نفوس الهاشميين واليمنيين ، كما أن معارضتهما لأبي بكر وعمر ترك أثره في نفوس الخليفتين الصديق والفاروق صرع به سعد واختفى مثل الحباب بن المنذر وذابت شخصية علي والأنصار ، وفتح للطلقاء والمتأخرين إسلاماً والتملقين الطريق إلى الحكم والتقرب إلى الخليفتين الصديق والفاروق ، وبرغم مثالية الصديق والفاروق التي لا تغمز . فقد نجح أولئك الطلقاء والمتأخرون إسلاماً والتملقون نجاحاً محدوداً في الظهور وغمز الأنصار وإضعاف إخوان المهاجرين والأنصار ، وبدأ مركز الأنصار وذوي السبق في التقلص إلا أن أثر هذا التحول كان كامناً تحت المثالية الصادقة المتحلى بها الصديق والفاروق ، التي هونت على الأنصار الهاشميين وذوي السبق وأبنائهم مرارة الحرمان ، والتي أمسكت بتلابيب الطلقاء والمتأخرين إسلاماً وأبنائهم من التعالي المثير ، حتى إذا ضعفت تلك اليد الماسكة أيام الخليفة الثالث عثمان رحمه الله ، فإذا بأمراض ذلك التحول تظهر ، طلقاء وأبناء طلقاء يتحكمون ويستأثرون في تعال و صلف أهب أحاسيس المحرومين وذوي السبق وقد أصبحوا في المؤخرة ، ومنهم الهاشميون واليمنيون ، وكان ما كان من النزاع والتكتل الذي شهده القرن الأول والذي زادت حوادثه من تلاحم اليمنيين والهاشميين حولت اليمن قلعة شفاء للتشيع في آل علي كرم الله وجهه .

وهذا التشيع وإن كانت مظاهره وشعار دعوته موالاة أبناء فاطمة الزهراء
بنقل الحكم إليهم ، فإن الدافع إليه هو محاولة الفاطميين واليمنيين معاً
التخلص من الحرمان الذي اشتركا فيه ، والذي أبعدهما عن السلطان وأقعدهما
عن أداء رسالة القرآن .

وما كان الفاطميون بأشد حرصاً من اليمنيين على التخلص من هذا
الحرمان المشتركين فيه الذي ربط بينهما في طريق النضال أكثر من قرنين ، وكانت
الدعوة الشيعية قد أدت دورها الظاهري ، فقد شهد القرن الثالث ضعف النفوذ
العباسي باليمن وقيام حكومة بني يعفر اليمنية المستقلة ورسوخ التشيع في معظم
اليمن رسوخاً اجتذب إلى اليمن في نهاية القرن الثالث الإمام الهادي يحيى بن
الحسين وأبو القاسم المنصور حسن بن حوشب والتبع علي بن الفضل ، وقد كان
على الهادي أن يضع في حسابه أن اليمن قد تخلص من الحكم العباسي وقد
قامت فيه دول وإمارات مستقلة لها وجودها وقاداتها ومفكروها وأتباعهم كلهم
ذاقوا حلاوة الإستقلال والحكم بعد طول الحرمان من تلك الحلاوة ، وكانوا إلى
قبل قدوم الهادي وابن حوشب وابن الفضل لا يرون في التشيع خطراً فتركوه
يؤدي نشاطه ويجتذب إليه الرعيل إثر الرعيل والقبيل إثر القبيل .

فكان على الهادي في هذه الظروف وقد رسخ التشيع أن يبدأ دوراً جديداً
يشعر فيه اليمنيون والفاطميون بالإحشاء الذي يضمن مصالحهم واستقلالهم
جميعاً ، ويجعل من كل منهم أهلاً للرئاسة العظمى والحكم ، لا أن يأتي بدعوة
يربط بها نفسه وخلفه تجعل من الفاطميين سادة حكاما ومن غيرهم تابعين
محكومين .

ولقد لاحظ قادات الدعوة الإسماعيلية هذه الناحية في دعوتهم فلم يأتوا
في نظامها الإسماعي بما يسلب دائماً أتباع الدعوة حق الوصول إلى قمة الحكم
والسلطة بل اكتفوا بعدد من الأئمة الفاطميين منحوهم بعد موتهم حالات من
التفديس والعصمة مضافة إلى ألغاز ومعميات حولهم وحول الإمام المستور
المنتظر . وحول أصول المذهب الإسماعيلي وهذه الألغاز والمعميات هي كالإمامة

في المذهب الهادي كلاهما كان سبب تعثر الدعوتين وانحصارهما .

ويقدر ما ارتبط ابن حوشب والهادي بالدعوتين ، تسرع ابن الفضل في انطلاقته من قيود الألفاظ الإسماعيلية إلى التحرر والواقعية .

وإن عما يثير الإستغراب عدم إدراك الهادويين لما تحمله دعوة حصر الإمامة في الفاطميين من مشاكل عليهم وعلى الدعوة وعلى المجتمع ، وما كان كل الهادويين بالجامدين والمتحجرين الذين لا يتجاوز نظرهم أهدافهم ، وتفكيرهم أنافهم ، فقد نبغ من هذا البيت الفاطمي الرسمي ، شخصيات لهم ثقلهم العلمي ، ومن حق التاريخ أن يعترف بعبارتهم بما كانوا عليه من كمال واستقامة ورجولة وأثر علمي ، إن منهم من برز في الناحية العسكرية والسياسية وهم مجموعة يمثلهم المطهر بن شرف الدين وسيل الليل المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ومنهم من له القدح المعلى في القيادة والتأسيس والناحية الاجتماعية كالهادي يحيى بن الحسين وعبد الله بن حمزة والقاسم بن محمد وابنه المتوكل إسماعيل ، ومنهم من جلى في البحوث العلمية والفكرية والتشريعية كالمهدي أحمد بن يحيى ، ومحمد بن إبراهيم الوزير والجلال ومحمد الأمير .

ولقد كان الهادي يحيى بن الحسين مثلاً لصفات القائد والقادة الحسنة لاتباعه ، مترفعاً عن الأهواء وسفاسف الأمور وعن المتع ، شجاعاً في المعارك والأحوال وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعو إليه ، معتدلاً حتى مع أعاديه ، لا يمنعه ترفعه بنسبه عن تزويج بناته بالقضاة الطبريين الفارسيين ، وأنه لمؤسس دولة ، ومؤسس مذهب ، ربط بينها بقاعدة الإمامة الضيقة فاختطاً ، وعلى الدولة والمذهب جنى ، إذ قيد الدولة والمذهب من الإنطلاق الذي كانا مهيتين له لو تخلصا من هذا القيد فالدولة ذات عناصر قوية أضعفها عنصرية الرئاسة ، والمذهب ذو أنظمة اجتماعية واقعية جذابة ، نضر منه ربطه بالإمامة المتحجرة الضيقة .

وقد كان الامام زيد بن علي أبعد نظراً من الهادي ، فقد أبى أن يأخذ بنظرية حصر الخلافة على أبناء جدته فاطمة الزهراء ثم يربط بهذه الإمامة مذهبه . ويبني عليه دعوته ودولته .

إن السلوة والمذاهب الهادييين لعلى جانب من المتانة ، إنها دولة لها عناصرها القوية أضعفها تعنصر رياستها ، وإنه للمذهب ذو نظم اجتماعية متحررة محكمة متفتحة نفر منه ربطه بالإمامة المتحجرة .

إن المذهب الهادي ، أو الزيدي كما يشاع أقوى المذاهب الإسلامية فيما أرى ، وأكملها بقوانين المعاملات والعلاقات والحياة وأوضحها تمشياً ولصوقاً بالروح الإسلامية التي أعطت الحياة متطلبات نموها وانسجامها ، فلو سلم المذهب الهادي من قبول الإمامة لكان له منطلق واسع في طول الأرض وعرضها .

إنه مذهب واقع وحقائق لا خيالات وأوهام ، ولا تصورات شاطحة وأحلام ولا مذهب الغماز ومعميات ، ولا مذهب كرامات أولياء ، ومعجزات وعصمة أئمة ، ولا مذهب واسطة بين العبد وربّه إلا عمل العبد وإيمانه . إنه مذهب عبادات إلى جانب معاملات بلغت قوانينها من الدقة الفقهية والتشريعية ما لم تبلغه أدق القوانين المعاصرة شمولاً وقبولاً للتطور وتقبل كل جديد صالح أنه مذهب دين ودنيا ، وإيمان وعمل ، وجد ونشاط وعدل وإشار ، وجهاد واجتهاد ، فيه الإنسان خير ، لا مكلف لما فيه الطاعة لله والمصلحة لعباده ، مذهب يدعو إلى التحرر الفكري وإلى التعمق في العلوم النافعة ويحرم التقليد في العقائد والقواعد العلمية الدينية ، ويوجب الاجتهاد على ضوء القرآن والسنة في العبادات والمعاملات ، ويدعو إلى القوة والتضحية ويفرض الطاعة والنظام والتعاون كما يفرض الخروج على أئمة الجور والثورة على الظلم الاجتماعي والطفان الفردي ، ولا يرضى لأتباعه بالمسئلة والكسل . ولا بالخضوع والاستسلام لغير الله وما شرعه ، مذهب يحترم السلف في حدود أنهم من البشر عرضة للنقد بما فيهم الصحابة وأبناء فاطمة فأفراد الفاطميين كالصحابة فمنهم كغيرهم محسن وظالم لنفسه مبین ، خلا أن نظرة تحجر الإمامة تعكس هنا وهنّها على المذهب الهادي فإذا بالهاديين يستثنون من قاعدة شمول نقد الأفراد والجماعة ، عليا وفاطمة والحسين رضي الله عنهم فيقولون أنهم معصومون كالأنبياء ، وإن إجماع الأربعة بعد موت محمد حجة كما أن إجماع علماء أبنائهم

أيضا حجة لأنهم هم وحدهم (آل محمد) من بين أمة محمد واجماع الال حجة كما أن عليا عليه السلام معصوم وقوله حجة كحجة الكتاب والسنة والاجماع ، وهذا الضيق الفكري غير المعتاد في المذهب الهادي جر إليه القول بحصر الإمامة في الفاطميين أن المذهب الهادي قوي متحرر ما ابتعد عن الإمامة وتدخلها .

وذو أسس راسخة ، مذهب فيه الرياسة العليا (المعبر عنها بالإمامة) ليست ملكا يرثها الأطفال والاجنة والمترف ومن ينشأ في الحلية وهو في الصراع والخصام غير قوي ولا مبين ، ولا يتناولها الابناء من الآباء والأقارب ميراثا هينا لينا ولا بوصاية من سلف لخلف ولا بولاية عهد ؛ وإنما هي رئاسة يتناولها الكفو القوي العادل الشجاع المقدام السخي العالم المجتهد السياسي المفكر أكثر رؤية الإصابة (الفاطمي) يتناولها من الشريعة فور موت إمام فاطمي مثله ، أو خلو زمنه من إمام مثله ، وما على هذا الخلف الجامع الشروط إلا أن يعلن نفسه رئيسا وإماماً ، وما على الأمة بعد إعلانه نفسه إماما إلا وجوب طاعته ومناصرته ما استمر عادلا قديراً على أداء مهمته ولو هناك غيره أفضل منه فإن انحرف قومته الأمة فإن أبى عن الإستقامة وجب على الأمة عزله ومن هنا نعرف أن الإمام لا يتعين بالوراثة ، ولا بولاية عهد ، ولا يتوقف ثبوت الإمامة على انتخاب واختيار ذوي الحل والعقد فإن إعلان الشخص المستجمع الشروط كاف في إثبات إمامته عند خلو زمنه من إمام ، هذا هو المذهب الزيدي وعلى الأصح الهادي فالإمام زيد لا يقول بحصر الإمامة ، وأنه للمذهب ، نحن والمعتزلة والمتحررون المسلمون من قيود المذاهب السياسية نقدر هذا المذهب الهادي لأنه هو الإسلام في جوهره وقوته وروحه الإنسانية الأمية ، إلا في حصر الإمامة العظمى والرئاسة العليا ، فلا نحن ولا مفكر ولا تعاليم الإسلام الصحيحة تقبل هذا الإحتكار الذي بقيوده تعثر المذهب الهادي وتقوقع في مجموعة محصورة ، وفي منطقة ضيقة ، وكم كنا نود لو أن مثل الهادي يحيى بن الحسين والنصور القاسم بن محمد خرجوا من هذه الدائرة الضيقة التي جنت عليهم وعلى أسرهم قبل الجناية على اليمن لقد غرست هذه النظرية الضيقة في نفوس إخواننا

الفاطميين الشعور بأنهم متميزون عن الآخرين غير مؤمنين بالمساواة رغم أنها من جوهر الإسلام وبهذا أصبحت صلتهم بإخوانهم المسلمين هي صلة السيد والمسود ، سيد فاطمي يرى أن سيادته وسيادة أسرته قدر مقدور من لوازم ماهيته بل من مكوناتها ، ويرى أن الإمامة أخت النبوة لا تنال بالكسب والسعي والكفاءة ما لم يكن مع الجد والكفاءة عنصر النبوة .

فكل مؤهلات ينالها أي إنسان في العالم ترفع صاحبها إلى قيادة البشر إلى السعادة وإنقاذها من الجور والجهل والفقر والمرض والفوضى وعبادة الطاغوت لا حق لهذا الإنسان أن يكون رئيساً وإماماً يقتدى به وتلتف الأمة حوله ولو أجمع الثقلان على رياسته وإمامته إلا إذا كان من أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها إنها نظرية لا يهضمها ذوق ولا تنتشر معها دعوة ولا مبدأ ، إلا في مناخ مريض بالفساد والأوهام ، موبوء بالفقر والجهل والإضطهاد ، كالظروف التي كانت تعيش فيه الأمة أيام يزيد بن معاوية ويحكم فيه بالجبروت الطلقاء وأبناء الطلقاء في العهد الأموي ، وخلال الحكم العباسي الإنحراقي ، وأيام تطلع اليمن إلى التحرر من الحرمان الذي كان يشمل اليمنيين والفاطميين .

إن التمسك بهذه النظرية كما جنى على المذهب الهادي فقد صير الأسرة الفاطمية في اليمن شبه معزولة عن الأمة .

وهل من الحكمة أن يستمر إخواننا الفاطميون متمسكين بتلك الفكرة التي يعلنها أحد أعلامها الإمام المنتصور بالله عبد الله بن حمزة في هذه القطعة الشعرية :

ما قولكم في مؤمن قوام	موحد مجتهد صوام
حبر بكل غامض علام	وذكره قد شاع في الأنعام
لم يبق فن من فنون العلم	إلا وقد أضحى له ذا فهم
وهو إلى السدين الخفيف يتسمي	محكم الرأي صحيح الجسم
وماله أصل إلى آل الحسن	ولا إلى آل الحسين المؤمن
بل هو من أرفع بيت في اليمن	قد استوى السرلديه والعلن

ثم انبصرى يسدعو إلى الإمامة
ثمت أجرى بالقضاء أعلامه
وقطع السارق والمحارب
وقاد نحو هذه المقائبا
ما حكمه عند ثقة الفضل
ولم يكن من معشري وأهلي
أما الذي عند جدودي فيه
ويؤمنون جهرة بسنية
يا قوم ليس الدر قدراً كالبحر
كلا ولا الجوهر مثل للمدر
حداً لمن أبدنا بعصمته
وصير الأمر لنا برمته
صرننا بحكم الواحد المنان
ومن عصانا كان في النيران
العلم في آل النبي من صغر
وغيرهم ليس بمغنيه الكبير

لنفسه المؤمنة القوامه
ونفذت أسيافه أحكامه
وسل للعاصين سيفاً قاضياً
وبث في أرض العدا الكتائباً
لما تنأأ أصله من أصلي
أهل الكسا موضع علم الرسل
فينزعون لسنه من فيه
إذ صار حق التفسير يدعيه
ولا النضار الأبرزى كالبحر
فحافظوا في قولكم من سقر
واختصنا بفضله ورحمته
من كل من أظهر من برئته
ملك أعناق ذوي الإيمان
بين يدي فرعون أو هامان
نص عليه جدهم خير البشر
لو شباب شعر رأسه أو انتشر

إنها قطعة تحكم على نفسها والتمسك بها بالعزلة إنها دعوة إن انطلت على
مجموعة من الأتباع وانداحت في دائرة ضيقة من الدهماء ، فقد جنت على القايل
بها وأسرته ودعوته وأبعدت الدعوة عن التطور والتوسع وعن مساندة ذوي
الرؤى والشأن في مجتمعا .

ولم نورد أرجوزة الإمام عبد الله بن حمزة رحمه الله إلا لنبين أن التمسك
بهذه النظرية العتيقة في الإمامة هي التي أضرت بالمذهب الزيدي القوي التشريع
وأضرت بالمؤمنين بها ، وقد عارضها منذ القدم بعض أعلام من العلويين
والزيدية وأخيراً وقف في وجهها أبو الثورة أحمد المطاع والموشكي وغيرهما ولذا ما
كادت تستقر الجمهورية إلا وبدأت تتبخر هذه النظرية العتيقة في الإمامة ولم يعد
علماء الزيدية الأفاضل من الهاشميين وغيرهم يؤمنون بها ولا يصرون عليها ،

ومن هنا فلم نأت بأرجوزة الإمام عبد الله بن حمزة إلا للعلظة التي تعطينا أياها تلك الأرجوزة من الماضي الذي انطوت صفحاته المفرقة لنفتح صفحة جديدة نقية يسجل فيها اليمنيون جميعاً مبادئ حياة الأخوة والمساواة والمحبة الإسلامية الصحيحة ، ومع هذا فإننا نعذر الفاطميين الأولين في إثارة هذه الدعوة الضيقة ، وفرض طاعة الامام لمجرد إعلائه نفسه إماماً لا طريق الانتخاب .

فقد دفعهم إلى هذه الدعوة ذلك الحرمان الذي أبعدهم عن الحكم منذ مات محمد عليه الصلاة ، وساموا الانتظار مع إخوانهم بقية الشيعة لخروج الإمام المستور المنتظر من اختفائه فدفعهم ذلك السأم وخلو زمنهم عن إمام منهم إلى القول بأن مجرد إعلان الفاطمي الجامع شروط الإمامة نفسه إماماً كاف في ثبوت إمامته ووجوب طاعته .

هذه هي الدوافع لتلك الدعوة وذلك الإعلان ، وهي عوامل مؤقتة انتهى أثرها في أواخر القرن الثالث هجرياً فالحكم العباسي قد وهن وأصبح في اليمن والجزيرة في شبه المفقود لا يتجاوز وجوده الدعاء للخليفة العباسي بخطبة الجمعة في بعض اليمن وأصبحت اليمن مستقلة إدارياً تحكم فيها عدة أسر كلها ما عدا بني زياد يمنية حميرية أو كهلانية ، لا يرون في التشيع خطراً حينذاك على سيادتهم واستقلالهم يرون أنها دعوة تجعل من أبناء الزهراء مرشدين وهداة لأحكاماً جباة ، فكان من الحكمة للهادي وأسرته وقد رسخت دعوة التشيع أن يتخلوا عن تحجر الدعوة فإن الهادي لم يصل إلى اليمن إلا والدعوة الشيعية قد رسخت في اليمن تساندها عشائر قوية ترمي من ورائها إلى التخلص من الفوضى المتمثلة في تعدد الحكام والتحرر من بقية التدخل الأجنبي المتمثل في دولة بني زياد ، وكانت اليمن وقد استقلت تتطلع إلى الإسلام ، وكانت تلك العشائر القوية ، ترى في الهادي أخاً وهادياً ومصلحاً ومربياً ، جديراً بالقيادة الكبرى التي تحقق آمال اليمن في الوحدة وتبوء قيادة العالم الإسلامي .

ولقد كان في وسع أمثال الهادي والقاسم وابنه إسماعيل لو عدلوا عن دعوتهم الضيقة - أن ينطلقوا باليمن وبأنفسهم إلى آفاق واسعة تُعاد في جناحها

الإمبراطورية الإسلامية كأعظم ما يكون (وتصبح أقوى مما كانت عليه في العهد الأموي) ولا مبالغة - إذ كل عناصر هذا البناء كانت إذ ذاك متوافرة دعوة إسلامية صحيحة يمثلها المذهب الهادي خير تمثيل إذا جردنا منه مسألة الإمامة (فزعامة علي الكفاءة قائمه ، شعب يمضي يشطلع إلى ما وراء السماك ماضيه الحضاري الذي طالما حنت لإسترجاعه النفوس اليمنية) .

واليمن الذي على يد أبنائه انتصر الإسلام وقامت الإمبراطورية الأموية ثم بيد أبنائه هزت تلك الإمبراطورية وهوت ، وبقوة دعائه وسواعده فتبانه زلزلت الدولة العباسية وقامت الدولة العبيدية الفاطمية ، فكيف تكون اليمن وقد توفرت في داخلها كل العناصر التي على مثلها إذا تجمعت واستغلت ، تستعيد القوة الإسلامية ، مذهب هو كما أراد الإسلام في عدله وقوته وصفائه وواقعيته ، ورياسة لا ترضي إلا القوي العادل الشعور بمسؤوليته ، الحريص على أداء واجبه المقدام غير الهباب ، زعماء لهم قيمتهم القيادية والروحانية ، وظروف كانت تتطلب كالهادي والقاسم وابن حمزة والمظهر وأبيه لو لم يكونوا مصابين بمرض تحجر الرئاسة ، وأنها حق خاص بأبناء فاطمة الزهراء فرضها الله على كل برئية أجرة لمحمد مقابل أداء رسالته .

إنه أمر ينفيه محمد ولا تفره دعوته التي جاءت لتحرر الإنسانية من العبودية لغير الله .

إن هذا التحجر الضيق هو الذي طعن المذهب الهادي أو الزيدي في دماغه فأضعف جهازه العصبي من بث تعاليم المذهب القيمة ، وهذا التحجر هو الذي جعل مفكري اليمن وقد اجتاحتهم دعوة التشيع يعدلون عن المذهب الهادي إلى المذاهب الشيعية الأخرى كالإسماعيلية برغم غموض تعاليمها وانغلاق أصولها ، إلا أنها دعوة لا تحمل في طياتها عقيدة تقضي على استعداد الإنسان للنمو الارتقاء إلى الكمال الذي يجعل من صاحبه رئيساً لأمتة ومنقداً لمجتمعه ، وإماماً ومتبوعاً .

إن هذا التحجر في الزعامة هو الذي جعل من اليعفرين وآل الدعام

الأرحبيين ، وآل الضحاك الحاشديين ، وآل أبي الفتح الخولانيين ، وأمثالهم من أهل الاجتهاد جعل منهم أضداداً للدعوة الزيدية ، كما جعل هذا التحجر كل القوى اليمنية ضد المذهب الزيدي كآل حاتم ، وآل الغشم ، والخطاب وآل زريع ، والصليحيين والياميين والهمدانيين وغيرهم ممن مالوا عن الزيدية إلى الإسماعيلية .

إن هذا التحجر هو الذي وقف حجرة عثرة في طريق انتشار المذهب الهادي وتحقيقه الوحدة اليمنية وامتداد نفوذه في اليمن نفسها وفي خارج اليمن والجزيرة العربية وإلى حيث كان مقدراً له أن يبلغه بقيادة الروح الإسلامية الصافية الناصعة في المذهب الزيدي لو تخلى الهادي وأمثاله من عظماء الرسيين عن فكرة الإمامة الضيقة المنفرة .

إنهم لو تخلوا عن هذا الاحتكار لكان لهم شأن يجعلهم في مصاف عظماء المسلمين ، ولكان العالم الإسلامي والعربي غير عالمه المشاهد المشوه المسوخ المتحلل المنقسم إلى أحزاب وأذئاب لا يعرف حتى كيف يقلد ، انحطاط جر العرب والمسلمين إليه انحراف السطلفاء وأبنائهم الذين مسخروا الروح الإسلامية ، وأقصوا الأكفاء من العلويين واليمنيين وأبناء المهاجرين والأنصار وذوي السبق والعارفين بالإسلام وروحه عما أثار غضب اليمنيين والعلويين على سواء ، وفتح للحاقدين على الإسلام والعرب أن يتحكموا في الإسلام وأمة وينحرفوا بالإسلام عن هديه الصحيح ثم يجرؤا أمة الإسلام إلى مهاوي الأوهام والخرافات والجبن والوهن والتمزق وإلى قيادة علماء وملوك يمثلون الجهل والجمود ، ساق العالم الإسلامي والعربي إلى الخضيض الذي نعيش فيه .

وبعد هذه المواعظ والعبر نرجو من إخواننا القاطمين أن يشاركونا في نظريتنا فنهج جليلاً إلى إذابة التحجر في الإمامة ونقف معاً على مستوى الإخوة العربية الإسلامية ونمد بإيمان سواعدنا المتضافرة لتدعيم الجمهورية العربية اليمنية لتتقدم نحن وهم والجمهورية في ظل المبادئ الإسلامية الصحيحة ، عسى نحقق ما لم يحققه أوائلنا الذين منهم الهادي وعلي محمد الصليحي ، وعن الهادي

تتحول إلى زميليه في تاريخ القيدوم إلى اليمن أبو القاسم المنصور حسن بن حوشب ، وعلي بن الفضل الحميري .

الملك علي بن الفضل الخنفري

وقد تمكن ابن الفضل من التغلب على معظم اليمن فضيق الخناق على الهادي في صعدة وخضع له أسعد اليعفري وكرمته من زييد بن زياد وامتدت غزواته إلى حضر موت ، ثم تحول تفكيره من الإسماعيلية إلى دعوة تهدف إلى وحدة اليمن والقضاء على الدعوات المذهبية عما أثار علي بن الفضل الزيدية والإسماعيلية والمجتهدين اليعفرين والزيديين فأثاروا ضده دعاية راجت بين الدهماء وامتدت إلى اليوم وهي لا وجود لها ولا بقبلها الذوق ويموت ابن الفضل تنفس أولئك الأعداء الصعداء فعاد أسعد إلى ملك صنعاء ومعظم اليمن ، وابن زياد عاد إلى حكم زييد وتهامة ، وسنحت الفرصة للإمام الناصر أحمد بن الهادي في تثبيت سلطة الزيدية في صعدة وما جاورها وشن الغارات على الإسماعيلية وغيرهم ، وقد قيل أنها وصلت غزواته إلى عدن ، أما أبو القاسم المنصور حسن فقد اقتنع بيسط نفوذه على مسور حجه ومخلاف حجه والشرفيين والمحويت وبعض المغارب ، ونشر الدعوة الإسماعيلية إلى أن مات عام اثنين وثلاثمائة فخلفه في الدعوة عبد الله الشاوري الحمداني الذي قتله ابن المنصور فخلفه ابن الطفيل ثم ابن خفتم ثم يوسف بن أسد الشبامي ثم سليمان بن عبد الله الزواحي الحميري الذي استخلف علي بن محمد الصليحي ، وفي أيام أسعد بن إبراهيم قدم من البصرة إلى حضر موت عام (٣١٨) العلوي المهاجر بن أحمد بن عيسى ، وفي أواخر الدولة اليعفرية أيام أسعد بن عبد الله بن قحطان قدم إلى اليمن القاسم العياني عام (٣٨٩) وقد انتهت الدولة اليعفرية بموت أسعد بن عبد الله عام (٣٩٣) ولم يبق لهم إلا إمارة في كحلان عفار حجة ، وبانتهاء دولة بني يعفر أصبحت اليمن ريشة في مهب الريح انطلقت فيها الدعوتان الإسماعيلية والزيدية في قوة اجتذبتا الجماهير فإذا بالدعوة الزيدية تقتحم الفواصل وترحف من مخلاف صعدة إلى مخلاف صنعاء وغيره كسما تسربت

الدعوة الإسماعيلية إلى المغارب تستأسر المجتمعات وتنشئ هنا وهنا ويتكون
نجاح ليرث آل زياد .

إمارة آل نجاح المماليك من سنة ٤٠٣ - سنة ٥٥٥

تكلمنا عن دولة بني زياد وعلم أنها لم تكن حكومة وطنية بل جاءت إلى
اليمن من بغداد ، وقد كان اعتمادها على العبيد الذين اتخذت منهم الجنود
وجباة الأموال ، فلما ضعف رجال آل زياد تغلب أولئك العبيد وكان الحسين بن
سلامه النوبي أحد موالى بني زياد ممن وصل إلى الحكم وكان يحترم الأسرة
الزيادية وعرف بالصلاح والإصلاح وقد استخلف عبيده مرجان لإدارة البلاد
ورعاية الملك الطفل الزيادي ، وكان لمرجان عبدان ، نفيس ، ونجاح ، أسند
إلى نفيس أمور داخلية وكان يميل إليه ، وأسند إلى نجاح أعمال تهامة
وإداراتها ، فاختلف العبدان نفيس ونجاح وجرت بينهما عدة معارك تغلب فيها
نجاح فقتل نفيساً ومولاه مرجان ، ودخل زييد واستتب له الأمر بتهامة وكان
حازماً شافعيّاً ، وقد حكم من سنة (٤٠٣) إلى سنة (٤٥٢) تاريخ موته ،
وقبل إن علي بن محمد الصليحي قتله بالسّم ، وكان أولاده لم يبلغوا الكمال فقام
بالأمر مولاهم كهلان سنة (٤٥٥) تاريخ زحف علي بن محمد الصليحي إلى
تهامة واستيلائه عليها ، ففر آل نجاح إلى جزيرة (دهلك) إلى سنة (٤٥٩)
وفي هذه السنة قتل علي بن محمد الصليحي وعاد سعيد بن نجاح إلى زييد ثم
أخرجه منها الملك المكرم الصليحي سنة (٤٦١) وما زال آل نجاح خارج اليمن
إلى سنة (٤٧٦) ثم عاثوا إليها بقيادة سعيد بن نجاح واستمروا بها إلى سنة
(٤٨١) تاريخ مقتل سعيد واستيلاء الصليحيين على زييد ، ولكن احتلال
الصليحيين لم يطل ، فقد عاد جيش بن نجاح إلى زييد سنة (٤٨٢) وكان
جيش حازماً شاعراً عالماً ، له المقيد في تاريخ زييد ، وهو غير مفيد عمارة ،
وقد استمر في إمارة تهامة إلى سنة (٤٩٨) تاريخ موته ، فخلفه ابنه فاتك بن
جيش إلى سنة (٥٠٣) ، ثم منصور بن فاتك إلى سنة (٥٢٢) وقد ساندت
منصوراً الملكة السيدة أروعي بنت أحمد على الخارجيين عليه من أسرته ، ثم

خلقه ابنه فاتك بن منصور إلى أن مات سنة (٥٣١) فخلفه ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك إلى أن قتل سنة (٥٥٣) وقد انتهت هذه الإمارة على يد التابع علي بن محمد الرعيني الحميري .

امارة الدعام بن ابراهيم بن أرحب سنة ٢٦٥ هـ

كان الدعام الكبير أرحب وسيد همدان في عصره وكانت له مكانة عند الملك محمد بن يعفر وكان يسكن بلاد الجوف فلما قتل ابراهيم بن محمد أباه محمداً وعمه أحمد بن يعفر قدم الدعام على ابراهيم معزياً وعاتبه على قتل أبيه فلطمه ابراهيم ثم إن ابراهيم ندم واعتذر لغير جدوى فقد ثار الدعام على ابراهيم واجتمعت له بكيل كلها وصادف أن غلام أبي يعفر ابراهيم بن محمد قتل محمد بن الضحاك سلطان حاشد فغضبت له حاشد واتحدوا مع الدعام على محاربة أبي يعفر فجرت بينهم معارك قضت على نفوذ ابراهيم واستولى الدعام على جميع بلاد آل يعفر إلى عدن ودخل صنعاء وعظم أمره ولم تطل مدة إمارته فقد أرسل الخليفة العباسي إلى اليمن (جفتم) بن الحسن نصرة لآل يعفر ففر الدعام من صنعاء ثم اتفق مع الهادي وانضم إليه علي بن طريف والإسماعيلية وبقيت صنعاء والشمال بين تجاذب حتى تغلب ابن الفضل ثم استقر الأمر لأسعد بن ابراهيم بن محمد بن يعفر في صنعاء وما حولها ومعظم اليمن وتغلب الناصر أحمد على صعده إلى آخر ما أشرنا إليه بينما تركز بنو الضحاك في حاشد بريدة .

امارة السلاطين آل الضحاك سنة ٢٦٥ هـ

كانت الرئاسة على همدان من أواخر القرن الثالث للسلطان محمد بن الضحاك بن العباس بن سعيد بن قيس بن أبي معيد بن حمزة الهمداني ثم من بعده لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك ثم لأبي حاشد بن العباس بن الضحاك ثم ليحيى بن أبي حاشد ثم لأبي حاشد الذي قتله علي بن محمد الصليحي سنة (٤٥٣) مع ألف من همدان بمركة قرية صوف بيازول من بني

مطر وكانت عاصمة آل الضحاك ريدة ونازعوا الرسيين واليعفرين وقتلوا الإمام المختار بن الناصر الرسي سنة (٣٤٥) بريدة كما نازعهم أبو الفتوح الخولاني الحميري وكان لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني من المعتزين بهم ومن محاسنهم ومفخرة عصرهم شاد بهم وبالدعام .

إمارة آل أبو الفتوح الخولاني القضاعي الحميري

(سنة ٣٤٥)

كان الأسمر يوسف بن أبي الفتوح رئيس خولان العالية أغضبه الوضع بخلاف صنعاء فأعلن ثورة عارمة على بني يعفر وبني الضحاك ، وقد أجمع عليه آل الضحاك وآل يعفر بقيادة مولى بني يعفر وردان وجرت بينهم معارك شديدة في خدار وغيرها هزمهم فيها أبو الفتوح وقتل من همدان كثيرين سنة (٣٥٠) تاريخ موت وردان الذي خلفه أخوه (سابور) فنقل سابور المعركة إلى خولان فلم يظفر فعاد الضحاك إلى صنعاء واتجه سابور إلى ذمار فاعترضه أبو الفتوح وقتله بنقيل بكيل يسلم سنة (٣٥١) وقد اتفق أبو الفتوح مع الملك عبد الله بن قحطان اليعفري واحتلاً صنعاء واستمر الصراع الذي كان أبطاله بنو الضحاك وبنو يعفر وآل أبو الفتوح والرسيون العيانيون والهادويون والشريف قاسم الزبيدي وقد مات أبو الفتوح فخلفه ابنه أسعد بن يوسف الذي دخل صنعاء وأخرج منها بني الضحاك والإمام يوسف بن يحيى الناصر وكان أسعد رئيس القواد والذين قادوا حملة التبع عبد الله بن قحطان اليعفري واحتلوا زبيد سنة (٣٧٧) وخطبوا للعبيديين وما زالت الحال في ارتجاج واضطراب لا يستقر معها حكم إلى أن ظهر علي بن محمد الصليحي .

دولة الصليحيين الهمدانيين ووحدة اليمن من عام

(٤٣٩ - ٥٣٢)

شهدت اليمن في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس تفرقا مريعاً ونزاعاً مريراً وفوضى ضاربة دعت الطامعين في الحكم والسلطان إلى أن يحثوا رواحلهم إلى اليمن فقدم القاسم العياني الرسي عام (٣٨٩) من الحجاز وكذا الشريف قاسم بن حسين الزيدي والشريف أحمد بن أبي البركات الرسي ، كما قدم من فارس الإمام أبو الفتوح الديلمي وغيرهم من العلويين فزادوا الطين بلة والوضع بليلة وبلغت الدعوة الزيدية مبلغاً سهلت للإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني أن يعلن أنه المهدي المنتظر وتجدد دعوته رواجاً في هذا المجتمع المضطرب الذي كان المفكرون يراقبونه ليعالجوه ، ولقد كان من أولئك المفكرين آل الزواحي الحميريون والصليحيون الهمدانيون الذين أحكموا الخطة لتعبئة الأفكار خلال تلك الفترة القلقة المتمخضة عن الزعيم المطلوب لإنهاء تلك الفوضى ، وهو علي بن محمد الصليحي ، ظهر هذا القائد عام (٤٣٩) من حصن مسار بحراز والتف حوله الشيعة الإسماعيليون فتألب عليه الرميون بقيادة الأمير جعفر بن القاسم العياني ويوازره جعفر بن العباس الشافعي الصوفي بصعفان بقبائل المغارب فحاصروا الصليحي بمسار ولكنه بيتهم وأنزل بهم ضربة أطاحت بالأمير جعفر بن العباس قتيلاً بالمعركة التي مزقت المتآمرين فعظم أمر الصليحي وكان الصليحي يحرص في أن يضم همدان إليه ولكن السلطان بن أبي حاشد بن الضحاك عارضه وجمع همدان لمحاربة الصليحي فالتفيا بأرض صوف

يأزل من بلاد بني مطر وهناك جرت معركة حامية قتل فيها السلطان أبو حاشد مع ألف من همدان على أثرها دخل الصليحي صنعاء فتعالى أمره وطار صيته واجتذب إليه معظم قبائل همدان ولم تمض سنوات إلا وقد استولى على جميع اليمن ودخلت في حوزته جميع الإمارات السالفة الذكر من عدن حتى مكة وامتد نفوذه إلى حضر موت واختفى الهاديون والعيانيون الذين وقع أمراؤهم في قبضته ، كالأمير ذي الشرفين ثم عفا عنهم فلحق بعضهم بأطراف الحجاز كما جمع جميع ملوك وأمراء اليمن وكانوا خمسين أميراً وملكاً أنزلهم في رحابه وجعل منهم مجلساً يرجع إليه في تدبير اليمن كما نفى بني نجاح الأحباش وبذلك تحققت في عهده الوحدة اليمنية وعمرت اليمن سيما صنعاء وشهدت اليمن في عصره ازدهاراً وقوة لم تشهدها منذ سقطت الدولة الحميرية ولكن الدهر لم يسمح لهذه الفترة المشرقة أن تطول فقد عظم على الغرباء الأحباش وغيرهم أن تستمر الوحدة اليمنية في طريق ترسيخ دعايمها فتآمروا على علي بن محمد الصليحي حتى اغتيل سنة (٤٥٩ هـ) بتهامة وهو في طريقه إلى الحج فخلقه ابنه المكرم أحمد بن علي الصليحي وقد تمكن المكرم من قمع الإضطراب الذي نجم عقيب اغتيال أبيه وأعاد إلى الدولة هيبتها^(١) إلا أن العيانيين عادوا إلى صعدته والأهـنوم وتمكنوا من التحصن بحصونها كشهارة وغيرها ، وقد أشرك المكرم زوجته السيدة اروي بنت أحمد الصليحي في الأمر وفي عام (٤٧٩) انتقل من صنعاء إلى ذي جبلة بمخلاف أب واستخلف على صنعاء عمران بن أبي الفضل الهمداني جد السلطان حاتم بن أحمد وبقي بها إلى أن توفي عام (٤٨٤) وقد أسند الوصية إلى السلطان أبو حير سباء بن أحمد بن المظفر الصليحي وكان بحصن الشيخ من آنس فقبض المملكة وأدارها بمشاورة السيدة إلى أن مات عام (٤٩٢ هـ) ويموت سباء انفصلت صنعاء عن الدولة الصليحية وتغلب عليها وعلى مخالفتها السلطان حاتم بن الغشم الهمداني وانفردت السيدة بالحكم ونصبت للذب عن المملكة الفضل بن أبي البركات الحميري فضبط الأمور وقام بمشاريع عمرانية منها شقه

(١) نقل المكرم رفاة والده وعنه إلى صنعاء ودفنها جنوب المشهد وبني عليها مشهداً هنيئاً فيما بعد الأئمة ، أنظر الصليحيين صفحة ١٣٤ .

لمجرى لغيل خنوه إلى الجند وتجديد مسجد الجند ، وما زال أمر المملكة بإشراف السيدة قائما إلى أن ماتت عام (٥٣٣) بذي جيلة ، ولم تمت إلا واليمن قد عادت إلى ما كانت عليه قبل قيام علي بن محمد الصليحي ، ومن آثار السيدة جامع جيلة ، وصلبة السيدة بين جبله واب لرغمي المواشي ، والجناح الشرقي بجامع صنعاء ، وموت السيدة انتهت دولة بني الصليحي وانتقل ما كان يد الصليحيين من الحصون في الجنوب إلى منصور بن الفضل الحميري الذي باعها إلى الداعي محمد بن سبأ الزريعي ، كما تغلب على الشمال سلاطين جنب والسلاطين آل حاتم والأئمة والأمراء الرسيون والسليمانيون .

الامارات المنبثقة من وهن السلطة الصليحية

لقد طعن الغرباء والخونة الوحدة اليمنية في قلبها باغتيال الملك علي بن محمد الصليحي ، فقد انتثر عقد الوحدة بمصرعه ولم يرجع نظام العقد إلا التبع المكرم بشكيمته وعبقريته ولكنه لم يحكم العقدة فلم يعط شمال اليمن : صعدة وحاشدا والأهنوم وغيرها ما يجب من الاهتمام ، وبذلك ، وبتحوله من صنعاء إلى جيلة فتح الباب للعلويين وغيرهم إلى تمزيق ذلك العقد فإذا بلالء ذلك العقد مشورة هنا وهناك ، يطرب لمنظرها المبعثر الطامع ويأسف المفكر من اليمنيين من هذا التمزيق الذي صير اليمن إمارات تتناحر لاهية عن عدوها ومصيرها ، وهذه الإمارات هي كما يلي :

امارة بني زريع الهمدانيين بعدن من (٤٦٧ - ٥٦٩)

على إثر موت الحسين بن سلامة تغلب علي بن معن الحميري على عدن وما يتبعها ، ولما دخلها علي بن محمد الصليحي أقرب بني معن وفرض عليهم ضريبة سنوية تدفع للسيدة ثم تغلب بنو معن وقطعوا الضريبة ومات العباس ابن معن عام ٤٦٢ وقام بعده محمد بن معن ولما دخل المكرم الصليحي عدن سنة ٤٦٥ هرب منه محمد بن معن إلى أحور ، وولى المكرم علي عدن العباس ومسعود ابني المكرم الجشمي الهمداني لسابقتها معهما بمعركة زبيد ، وقد جعل

للعباس حصن التعكر بعدن وللمسعود حصن الخضراء ، وقد مات العباس
فخلفه ابنه زريع وقتل مع عمه المسعود بمركة زبيد عام (٤٨٥) ، فقام بعدهما
بعدن أبو السعود بن زريع وأبو السعادات بن المسعود كل منهما في جهة ولما مات
أبو الغارات قام ابنه علي ، وبعد أبي السعود بن زريع ابنه سبا وتوفي سبا عام
(٤٩٤) فخلفه ابنه محمد بن سبا الذي اشتهر بالكرم والفصاحة وتوفي في عام
(٥٥٠) فخلفه ابنه عمران وكان كأبيه توفي سنة (٥٦٠) وخلف أولادا صغاراً
قام بأمرهم أبو الدر جوهر الأعظمي في حصن السملوه حتى خرج إلى اليمن
السلطان توران شاه ، فانتقل بهم جوهر إلى الحبشة وانتهت دولتهم وقد جرت
بين آل زريع وآل مسعود حروب طويلة ومن آثار آل زريع بعدن السور الممتد
من التعكر إلى جبل حقات .

امارة السلاطين بني حاتم الهمدانيين

(من سنة ٤٩٢ - ٦٢٥)

لما مات السلطان سبا بن أحمد الصليحي سنة اثنين وتسعين وأربعمائة
تغلب على صنعاء وبلادها السلطان حاتم بن الغشم الهمداني وناصرته قبائل
همدان ثم ابنه عبد الله بن حاتم ومات مسموماً فخلفه أخوه معن بن حاتم أياماً
فخلعته همدان وولت مكانه كلا من هشام وحامس ابني القبيب الهمداني .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة ألقى همدان أمرها إلى السلطان القيل
حاتم بن أحمد بن عمران الياضي الهمداني وقد كان أكبر أمراء عصره باليمن إمرة
وأدباً وكرماً وفي أيامه خرج الامام أحمد بن سليمان الهادي وأخذ صنعاء ثم
استردها حاتم وتوفي سنة خمسين وخمسمائة وخلفه ابنه السلطان العفيم علي بن
حاتم الذي استنجد به آل زريع من عدن على عبد النبي بن علي بن مهدي
الحميري سنة (٥٦٨) فأتجدهم إذ زحف بهمذان وقاتل جنب إلى أن تغلب
على عبد النبي في تعز وفر منها عبد النبي إلى زبيد فارتفع حصار عبد النبي على
عدن وقد جرت بين عبد النبي وعلي بن حاتم معارك أكثرت فرسان اليمن بما
سهل على توران شاه أن يستولي على معظم اليمن ، ولم يزل علي بن حاتم وعبد

النبي مسيطرين على معظم اليمن ولو اتفقا وهما أبناء النعم كهلان وحير لحقفا
الوحدة اليمنية ، خلا أنه حل بينها الخصام دون الوثام الذي مكن الدخلاء من
الاستمرار ثم انتهى إلى محو دولة آل مهدي وضعف الدولة الحاشمية .

امارة آل شرحبيل الهمدانيين الاسماعيليين

من القرن الخامس إلى ٥٣٣ هجرية تاريخ استشهاد السلطان أبو عمرو
« المعروف بالخطاب » بن السلطان الحسن بن أبي الحفاظ بن شرحبيل بن
عمرو بن الخطاب بن شرحبيل بن عمرو بن يوسف بن الفياض بن عبد الله بن
عثمان بن عبد الله بن سعد بن يزيد بن عبد الله بن رافع بن شيبث بن الحارث
ابن عامر بن قاهب بن عليان بن حارث بن « موله » بن حجور وموله هذا أخو
« أوام » بن حجور جد الصليحيين الهمدانيين .

وقد كان لآل شرحبيل ملك وسلطان بحجور متوارث ، فقد قال المؤرخ
اليهري : إن حامداً ورافعاً ابني عامر بن موله بن حجور بن اسلم هما بطن
ملوكهم عمرو وسليمان أبناء الحسن بن أبي الحفاظ ، ولم يكن لدينا معلومات
كافية عن هذه الأسرة ، وكل ما لدينا الآن على قننه لا يتجاوز السلطان الحسن
ابن أبي الحفاظ وابنيه السلطان سليمان وعمرو الخطاب ، ويظهر من شعر
السلطان سليمان وأخيه السلطان الخطاب أن هذه الأسرة كانت إلى جانب
الرئاسة على جانب كبير من الثقافة والأدب ، وبعد العصر الذي عاشوا فيه من
أزهى العصور اليمنية في نشاطها الأدبي والعلمي برغم الحروب السياسية والفتن
المذهبية ، فقد كان الملوك والسلاطين والأسر النبيلة يشجعون الشعراء والأدباء
والفقهاء والعلماء على اختلاف نزعاتهم ومذاهبهم ، وفي آخر هذا العصر نبغ
شاعر اليمن الشهير ومؤرخها عمارة اليمني ، وظهر عالمها ولغويها الإمام نشوان
الحميري ، وعرف السلطانان الخطاب وأخوه سليمان « بمقنولي قحطان » وشعر
الخطاب يبلغ الذروة من المتانة والروعة غير ملتزم المقدمات الغزلية ويمتاز
بالعفة ، جُلَّة وجلاله في إثارة اليمنيين على تحكم الدخلاء كآل نجاح الأحباش ،
وتدعيم الدعوة الإسماعيلية ومحاربة الأباضية والزيدية ، وكان الخطاب أخاً من

الرضاع للسيدة الملكة أروى بنت أحمد وله فيها غرر القصائد منها :

حرام على النوم غير غرار يللم بجفني بعد طول نفاار
إلى آخر القصيدة الآتي بعضها في الملحق .

إلى غير ذلك من شعره الرنان ، ولتقف مع السلطان الحسن بن أبي
الحفاظ الذي ظهر في نصف القرن الخامس هجرى وكان يميل إلى الصليحيين
وناصبرهم في حروبهم مع الأئمة الزيدية وقد امتدت أيامه إلى أوائل القرن
السادس فخلفه ابنه السلطان سليمان الذي ربى أخاه الخطاب وعاشا في ألفة ثم
اختلفا وجرت بينهما حروب انتهت بتغلب الخطاب وقتله أخاه سليمان وبقي
السلطان الخطاب في الحكم إلى أن قتله أولاد أخيه سليمان غيلة عام ٥٣٣
هجرى ، وكانت عاصمتهم « الجريب » من بلاد حصور ، وبعد الخطاب من
أكبر علماء الإسماعيلية الطيبية وأكثرهم تأليفاً وأصرحهم بحقيقة المذهب كما نراه
في الملحق بقصيدته التي يخاطب بها الإمام الفاطمي بعصره بصفات وأسماء الله
تعالى جرياً على القاعدة الإسماعيلية من أن الله منزّه عن كل صفة وعن كل
اسم ، وأن أسمائه الحسنى المذكورة في القرآن والتنزيل هي أسماء العقل الأول
الفعال في عالم الإبداع وتنطبق على الإمام في عالم الدين .

وقرر الخطاب أن الخليفة المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب هو
سعيد الخير حجة الإمام علي بن الحسين وأخوه ووصيه على ابنه محمد بن علي
وقبل أن يتوفى سعيد الخير سلم الوديعه إلى محمد بن علي الملقب بالقائم أول
الخلفاء الفاطميين العبيدين .

امارة سلاطين جنب

(٤٩٢ - ٥٨٣)

وعلى إثر موت السلطان سيأ الصليحي تغلب على ذمار وبلادها وما يتبعها
مثل رداع والحداء ويريم وخولان إلى سنحان مما كان يعرف ببلاد جنب مشايخها

وهم سلاطين جنب ولم يترك لنا التاريخ عنهم خبراً نجتلي منه سلسلة أسمائهم
وتاريخ تعاقبهم ووفياتهم وكل ما بقي من تاريخهم هي أسماء شخصيات جاءت
ضمن تاريخ عظماء عصرهم ، فقد عرف من تاريخ الإمام أحمد بن سليمان أنه
كان يعتمد على سلاطين جنب في مصادرة السلطان حاتم بن أحمد ونجدهم
يصارعون توران شاه ويجبرونه على عقد صلح معهم ثم نراهم يبرزون في ميادين
النضال مع (طغتكين) عام ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقد عرف من هؤلاء
السلاطين : السلطان عبد الله بن يحيى الجنبى والشيخ زيد بن عمرو اليعبري ،
وقد كانا ممن سار مع السلطان علي بن حاتم إلى تعزيز لمحاربة عبد النبي بن
علي بن مهدي .

تولة آل مهدي الرعيني الحميري (من ٥٥٤ - ٥٦٩)

الملك الإمام علي بن مهدي الحميري الرعيني كان أبوه من أعيان محل العنبرة أسفل وادي زبيد فكان على جانب من الصلاح وفي كتفه نشأ عليّ ودرس العلوم وأجاد الأدب والخطابة والمناظرة وأخذ بالفقه الحنفي ، إلا أنه كان متحرراً يتزع إلى المعتزلة ونظرياتهم ويرى وجوب الثورة على الظلمة وأن الإمامة غير محصورة في قريش ولذا نسب المؤرخ الدّيع إلى الأخذ في الأصول بنظريات الخوارج ، وقد عرف في صباه وريعان شبابه بالفضل ومكارم الأخلاق وقد عظم عليه تحكم الأجانب كالأحباش في جانب من اليمن ، كما عظم عليه تسلط النظرية الزيدية والشافعية في الإمامة ، وأقضى مضجعه ما عليه اليمن من انقسام وتناحر وقد سلبه تحكم الأحباش في بلده وقرابته وأبيه وأسرت كل راحة مما جعله - وهو القوي في العلم والجسم - يتابع الحج على ذلول بازل عليه يحسج ويطوف ليلتي بالمفكرين والعلماء وانتهى به تجماله وتفكيره إلى الاقتناع بتطهير اليمن من حكم الدخلاء الأحباش وغيرهم ، ولهذا الغرض اتصل بالسلطان حاتم بن أحمد والقبيل الداعي سبأ بن أبي السعود وغيرهما ، فقد أفاد عمارة اليمني أنه وجدته بجبله يستمد المساعدة من الداعي والمصاحبة من عمارة . وأخيراً اعتمد على نفسه القوية في تنفيذ خطته الثورية التي بدأ في إعلانها عام (٥٣٨) ثمانية وثلاثين وخمسائة فخاض حروباً مضنية في الكلدي مع قائد آل نجاح اسحاق بن مرزوق انتهت بتغلب إسحاق ، ولكن فشل عليّ الناظر لم يزد إلا

تصميماً وإحكاماً جعلاه أولاً يدرّب أتباعه عسكرياً وعقائدياً فأفرغ في مشاعرهم روحه الثائرة ونظرياته العقائدية ، ثم هاجر إلى حصن الشرف من أصاب لبطن من خولان مع أتباعه الذين سماهم المهاجرين وسمى بطن خولان الأنصار مما يوحى إلينا عمق تفكيره وقوة اقتفائه لسيد الوجود « محمد » .

وبأصحابه المؤمنين بدعوته راح يشن الغارات على بني نجاش مقلصاً نفوذهم الحبشي حتى أطبق على زبيد ، وقد استصرخ الأحباش بالإمام أحمد بن سليمان فأجابهم بنفسه في جيش جرار من قبائل الشمال وعند وصول الإمام إلى زبيد ضيق عليها ابن مهدي الخنق ورأى أنها فرصة لضرب عدوين في آن واحد ، ولكن الإمام تمكن من الفرار تاركاً حلفاء الأحباش لإبن مهدي الذي تمكن أخيراً من احتلال زبيد عام (٥٥٤) هجرية وسط نفوذه على تهامة حتى حرض والمخا والجبال المطلّة على زبيد وما جاورها واستأصل الأحباش بصفة لم يقم لها مدحا باليمن قائمة حتى اليوم ، ولكنه لم يمهل حتى ينفذ خطته ويجمع شمل اليمنيين ويحقق الوحدة اليمنية فقد مات بشهر شوال سنة (٥٥٤) فخلفه ابنه مهدي بن علي بن مهدي يشاركه أخوه عبد النبي في تدبير المملكة بينما تفرغ مهدي للغزو والفتوح فوسع المملكة حتى شملت خلافاً الجند وتعز وخلاف جعفر إلى نقيز حيد (سماره) وقد مات مهدي بذي الحجة سنة (٥٥٨ هـ) فاستقل أخوه عبد النبي فاتجه بموجة الفتوح إلى شمال تهامة وشرقها هادفاً إلى إزالة حكم الرميميين والسليمانيين من اليمن وقد تمكن من الاستيلاء على المخلاف السليماني من حرض إلى عسير والقنفذة وقتل الشريف وهاس بن غانم السليماني واجتاز جبال حراز والسهل إلى جبال الحيمة وهناك وقف بالسهل الذي يحمل اسمه « حجرة ابن مهدي » وتتبع الأشراف ولم ينج إلا من فر ، ومن الثفارين الشريف قاسم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهاس وكان في مقدور عبد النبي بمساعدة السلطان علي بن حاتم أن يتغلبا على جميع الإمارات والعلويين من خلافاً صعدة وجميع الشمال ، ولكن فجأة تحول عبد النبي من الشمال لمنازلة الداعي عمران بن أحمد بن سبأ الزريعي الهمداني فأخذ معظم

بلاده حتى حضر موت وأطبق عليه في عدن بحصار كاد يخنقه مما دفع الداعي أن يستصرخ السلطان علي بن حاتم بصنعاء فينجده بفتيان همدان حاشد وبكيل وفتيان جنب وبني شهاب وسنحان وخولان رجالاً وفرساناً ويقود تلك الجيوش الجرارة علي ابن حاتم نفسه وفي مخلاف جبلة واب وسهول سحوها السندسية ووديان جبالها وقسم أطواها الخضراء يلتقي عام (٥٦٩ هـ) وبا للأسف الجيشان جيش علي بن حاتم الكهلاني وجيش عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري يلتقيان للفناء لا للبقاء ، للموت لا للحياة ، وعلى هذه السهول والجبال ابتدأت المعارك التي أفنت الأبطال والفرسان ونحمت بمعركة تعز التي أكلت الأخضر واليابس وانتهت بتغلب السلطان علي بن حاتم وفك الحصار عن عدن وعود الداعي عمران بن أحمد إلى عدن وفرار ابن مهدي من تعز إلى زبيد ، وكأن علي بن حاتم أراد أن يتبعه ثم بدت له العودة إلى صنعاء بجميع من بقي من جيوشه فعاد ابن مهدي إلى تعز ، وقد جنت هذه المعارك على اليمن والعروبة جناية بعيدة الأثر فإن كلا الغالب والمغلوب لم يخرج منها إلا منهوكاً ، ومنشرح في التاريخ العام العوامل التي حولت ابن مهدي من الشمال إلى الجنوب والتي أثارت هذه الحروب الخاسرة التي فرشت الطريق ومهدتها لاستعادة الرسيين مكانتهم ، وعود السليمانيين الأشراف إلى مخلافهم ، ونفوذ توران شاه لابتلاع اليمن ، وعلى هذه الطريقة غير الشرعية مضى ابن مهدي إلى الشهادة تحت ظلال السيوف ومضت مملكته إلى الموت تحت سنايك توران شاه بشوال عام (٥٦٩ هـ) .

دولة بني أيوب الكردية

(٥٦٩ - ٦٢٨)

كانت اليمن على التفرق الذي عرفته من الفصول السالفة وكان السلطان صلاح الدين بن أيوب قد طهر الشام ومصر من الصليبيين وقضى على الدولة الفاطمية بمصر وكان بجانبه أخوته توران شاه وغيره يتطلعون إلى ممالك مستقلة ، وما أن ترامى إلى السلطان صلاح ما عليه اليمن من الاضطراب إلا وفكر في الاستيلاء عليه ليخلصه ويتخلص هو من إخوته وطموحهم وبقي يرقب الحوادث على إثر وصول الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني سفير الأشراف السليمانيين والرسيين وما أن ورد إليه خبر المعارك التي دارت بين ابن مهدي والسلطان علي بن حاتم إلا ووجد الفرصة مواتية ، وقد قوى من عزمه استتجاد الشريف قاسم ووعدته بالناصرية من العلويين فأرسل أخاه توران شاه إلى اليمن في ثلاثة آلاف مقاتل الذين توجهوا أولا عن طريق البحر الأحمر إلى المخلاف السليماني فتزلوا بصيبا من بلاد تهامة وانضم إليهم الأشراف السليمانيون والرسيون ثم اتجه إلى زبيد حيث دارت بينه وبين ابن مهدي المعارك التي انتهت بسقوط الملك عبد النبي بن علي بن مهدي قتيلا واستولى على زبيد بشوال سنة (٥٦٩) وقبض على بقية أسرة آل مهدي وأخذ كل ما في خزائهم من ذخائر وأموال لا تقدر بثمن ، ويقول الديبع ، إن خزائن آل مهدي كانت تحتوي على ذخائر خمس وعشرين دولة استولى عليها بنو مهدي . وبذلك انتهت الدول الفتية دولة آل مهدي الحميري ، ثم سار توران إلى عدن واستولى عليها وقضى

على دولة بني زريع الحمدانيين ، ثم اتجه إلى الشمال ولم يلق مقاومة حتى وصل
 نقيل صيد (أي سمارة) وتلقاه بذروان سلطان جنب الشيخ عبد الله بن يحيى
 الجنبي ودارت بين الفريقين حرب ضارية أجبر معها توران إلى عقد صلح مع
 سلطان جنب ، ثم تقدم إلى ذمار وهناك قابلته قبائل جنب معهم في حرب
 شديدة كادت تهزمه مع جيشه ، ولكنه صبر فبعد خسارة كبيرة أصابت الطرفين
 دخل ذمار ، ثم واصل زحفه إلى صنعاء فخرج منها السلطان علي بن حاتم مع
 أسرته تحصنوا بالحصون المحيطة بصنعاء ، كبراش ، وذئ مرمر ، وغيرهما ،
 وسرعان ما انقلب توران إلى تهامة عن طريق أنس فهبت مؤخرته قبائل أنس
 ويرع وعاد علي بن حاتم إلى صنعاء ، واستقر توران بزبيد حتى فارق اليمن عام
 (٥٧١) وقد أناب عنه كامل بن منقذ على زبيد والتهائم وعثمان الزنجيلي على
 عدن ، وياقوت التعزي على تعز والتعكر ، و (قايماز) على ذي جبلة ، وقد
 اضطربت اليمن واستعاد الرسيون والسليمانيون مركزهم في الشمال فخرج
 (طغتكين بن أيوب) إلى اليمن عام (٥٠٩) .

السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب

عندما ترك توران شاه اليمن عائداً إلى مصر اضطربت اليمن وتنازع
 نوابه ، فخرج أخوه طغتكين بن أيوب وكان يلقب بالعزيز وهو أول من تسمى
 بسيف الإسلام ، وقدم اليمن سنة (٥٧٩) وقامت بينه وبين آل حاتم السلطان
 علي بن حاتم حروب عظيمة ، وكذا بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة ، وقد
 تمكن طغتكين من بسط نفوذه على معظم اليمن وبني سحر صنعاء ، وسار
 بجيوشه إلى حضرموت واستولى عليها وبني مدينة المنصورة بالحجرية وبها توفي
 سنة (٥٩٠) فخلفه ابنه الملك العزيز اسماعيل .

الملك العزيز اسماعيل بن طغتكين

استمر في الحكم إلى سنة (٥٩٨) حيث قتل خارج زبيد ، وكان غريب
 الأحوال كثير التقلبات ، فقامت بالأمر أمه حتى قدم سليمان بن سعد الدين بن

تقي الدين بن عمر بن شاه شاه بن أيوب فأسلمت الأمر إليه وتزوجته وكان ظالماً
شاذاً استمر في الحكم إلى سنة (٦١٢) حيث قدم الملك المسعود يوسف بن
الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب فقبض على سليمان
وأرسله إلى مصر وتولى أمر اليمن الملك المسعود .

الملك المسعود

تولى الحكم في اليمن الملك المسعود بعد سليمان وفي سنة (٦١٦) فارق
اليمن واستخلف عليها نور الدين عمر بن علي بن رسول ، ثم عاد إليها سنة
(٦٢٤) ، ثم ذهب إلى مكة سنة (٦٢٦) واستخلف على اليمن نور الدين
عمر بن رسول بعد أن قبض على أخوة نور الدين وساقهم معه إلى مكة ثم
ساقهم إلى مصر حيث اعتقلوا هناك ، وتوفي هو بمكة ، وبعد وفاته تخوف نور
الدين من بني أيوب وعزم على أن يستقل ، وقبل إعلانه الاستقلال مهد له بأن
أرسل إلى المناطق اليمنية الهامة نواباً يعتمدهم حتى إذا اطمأن من تمكن قبضته
أعلن نفسه ملكاً مستقلاً باليمن ، وقد ترك بنو أيوب أمراء باليمن لحباية الأموال
وقيادة الجيوش منهم الأمير (وردسان) والأتابك (سنقر) و (الشهاب الجزري)
والأمير (حكوا) والأمير (شمس الخواص) وقد دارت بين هؤلاء الأمراء وبين
آل حاتم والرسيين معارك شديدة انتهت بظهور نور الدين عمرو بن علي بن
رسول وتغلبه ، وقد تمكن بإدارته الحكيمة من اجتذاب السلاطين آل حاتم إلى
جانبه ومناصرته من قبل أن يعلن نفسه ملكاً على اليمن .

دولة بني رسول الغسانيين الأزديين (الكهلانيين)

(من عام ٦٢٨ - ٨٥٨ هجرية)

كان علي بن رسول من رجالات بني أيوب المشار إليهم وكان له أولاد نجباء وفدوا إلى اليمن في حملة بني أيوب ، وبتتحي نسب بني رسول إلى جبلة بن الأيهم من آل جفنة الغسانيين الأزديين أحد بطون كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب .

ولقد كان نور الدين محلي ثقة بني أيوب وعندما استخلفه الملك المسعود الأيوبي على اليمن وقبض على إخوته تخوف نور الدين من بني أيوب ، وسعى في الاستقلال بملك اليمن سنة (٦٢٨ هـ) وأسس الدولة الرسولية واتخذ من مدينة تمز عاصمة لمملكته وتلقب بالمنصور ، وقد كانت الدولة الرسولية أعظم دولة وطنية يمنية عرفها التاريخ منذ سقوط الدولة الحميرية ، قامت بإنهاض البلاد وتعميرها ونشر العلوم ، ونبغ من أفرادها علماء عباقرة حتى في الطب والرياضيات والتاريخ وغيرها وساهموا في إنهاض اليمن برغم معارضة الأئمة الفاطميين الرسميين الذين تمكنوا في خلال الدولة الأيوبية من تنمية دعوتهم وتوسيع رقعتهم ونفوذهم وقد بقي الملك المنصور عمر بن علي بن رسول حتى اغتيل بالجنند على يد المماليك عام (٦٤٧) هجرية .

الملك المظفر يوسف بن عمر

قام على إثر والده ، وبعد المظفر أكبر شخصية في الدولة الرسولية امتدت أيامه إلى سنة (٦٩٤ هـ) وكان يقال له التبع الأصغر وفي أيامه اتسعت المملكة الرسولية حتى شملت حضر موت وصعدة ومعظم الجزيرة ومنها الحرمان ، ولما

قتل هولاء آخر الخلفاء العباسيين (المستعصم) عام (١٢٥٨) ب . م نادى المظفر بنفسه خليفة للمسلمين كما ورد في موسوعة الإسلام الإنجليزية بصيغة (٥٥٣) وقد خلفه ابنه .

الملك الأشرف عمر بن يوسف ، فخلفه أخوه إلى عام ٦٩٦ هـ

الملك المؤيد داود بن يوسف ، فخلفه ابنه إلى عام ٧٢٠ هـ

٧٦٤ هـ { « المجاهد علي بن المؤيد ، وفي أيامه استضعف أمر العلويين بقيادة الإمام محمد بن المطهر ، وإلى المجاهد يتسبب آل مجاهد باليمن الذين بحجة وثلا وصنعاء وبني بهلول وخولان والحداء وذمار ووادي الحار وصنعه واب وتعز والمسراخ وقد خلفه ابنه

الملك الأفضل العباس بن علي وخلفه ابنه ٧٧٨ هـ

٨٠٣ هـ { « الأشرف اسماعيل بن العباس وهو أحد ملوك بني رسول فوي الصولة وفي أيامه ازدهرت اليمن ومن رجاله الفيروزيادي مؤلف القاموس ثم خلفه ابنه

الملك الناصر أحمد بن الأشرف وخلفه ابنه ٨٢٩ هـ

الملك المنصور عبد الله بن أحمد الناصر وخلفه ابنه ٨٣٠ هـ

الملك الأشرف اسماعيل بن عبد الله الذي خلعه الأمراء وأقاموا مكانه عمه ٨٣١ هـ

الملك الطاهر يحيى بن الناصر أحمد بن اسماعيل وخلفه ابنه ٨٤٢ هـ

الملك الأشرف اسماعيل بن الطاهر يحيى فخلفه ٨٤٥ هـ

الملك المسعود فخلفه

الملك الحسن بن الطاهر من سنة ٨٥٨ هـ وقد عارض الأشرف بن الطاهر مرء آخرون من بني رسول ولم يستتب لأحدهم الأمر مما جعل بني طاهر يقبضون على زمام الأمر في اليمن ويعلنون أنفسهم ملوكا لليمن .

دولة بني طاهر المذحجية الكهلانية

(من عام ٨٥٨ - ٩٢٣ هـ)

بنو طاهر أصلهم من قبائل ناحية جبن ، بلاد رداغ المذحجية الكهلانية وقد عرفوا ببني معوضة نسبة إلى جندهم الشيخ معوضة بن تاج الدين ، وقد كانت السيدة شمس بنت أسد الكردي زوجة الشيخ طاهر بن عامر وأختها السيدة فاطمة بنت أسد زوجة الإمام صلاح الدين أم الإمام علي بن صلاح وقد كان لبني معوضة في آخر الدولة الرسولية مقام الوزارة والقيادة مما جعلهم يتطلعون إلى الملك ، وما أن تضعضعت السلطة الرسولية وشاخت إلا ووثب بنو طاهر فانتزعوا العرش من بني رسول عام (٨٥٨ هـ) ولما رسخت سلطة بني طاهر تقرب إليهم المتملقون والمغرضون ، وبما قدمه هؤلاء إلى بني طاهر هو أن نسبهم يتصل ببني أمية ، ولما كان بنو طاهر يطمعون في الخلافة فقد رحبوا بهذا النسب الجديد ولم يناقشوه لأنهم قد أصبحوا من قريش المحصورة الخلافة فيهم في المذهب الشافعي الذي يأخذ به بنو طاهر ولذلك تلقبوا (بأمير المؤمنين) ورسوموا ذلك على المباني بجامع ابن بالمؤخر وفي العامرية برهاغ ، وقد عثرت عام ١٣٥١ هـ على بعض المصاحف الخطية الموقوفة من عامر عبد الوهاب على جامع المظفر بتعز وفيها لقب عامر بأمير المؤمنين وقد خدع بنو طاهر^(١) بانتسابهم إلى بني أمية من حيث لا يشعرون فإنه جر عليهم مقت اليمنين الذين

(١) وباليمن أسر قحطانية ينسبون إلى قريش غلطا منهم آل المحشي والسموي والمغني وحيد والشجني وآل النعمان بالحجرية وآل الجماعي باليمن .

يحمرون حين ذاك بني أمية وقد وجد الفاطميون باليمن وشيعتهم من هذا الانتساب منفذاً لتنفير اليمنيين عن بني طاهر فأذاعوه إلى جانب الدعاية المضادة لآل طاهر ، وقد شهدت اليمن في أيام بني طاهر نهضة علمية تتمثل في المحدث الكبير والمؤرخ الديبع العامري ومعاصريه في الشمال كالإمام شرف الدين ، كما بلغت العلوم الرياضية والفلكية والبحرية والجغرافية في أيامهم شأواً بزت به اليمن معاصريها من الدول البحرية مثل البرتغال وتركيا ، ويثل هذا التفوق العلمان الجغرافيان البحريان أحمد بن ماجد العدني وسليمان المهري ، فهما اللذان تتلمذ عليهما البحارة والجغرافيون البرتغاليون والأتراك ، وبأحمد بن ماجد استعان البحار البرتغالي (ده جاما) في كشف رأس الرجاء الصالح . واعتبرافاً لابن ماجد نصب له البرتغاليون تذكاراً ببلدة (مالبيندي) بكينيا على الساحل الإفريقي . ولإبن ماجد مؤلفات في الجغرافيا والملاحة وأحوال البحار وطرقها كثيرة يبلغ الموجود منها كما حكاه محمود كامل المحامي في مؤلفه (اليمن شماله وجنوبه) أربعين مؤلفاً ترجمت إلى عدة لغات ، كما له أرجوزة مطولة حوت معلومات ملاحية هامة . وسليمان المهري - العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية . ويقول الرحالة الإنجليزي (ريتشارد بيرتون) المكتشف بحيرة (تنجانيقا) ١٨٥٦ م : إن ملاحي عدن كانوا إلى منتصف القرن التاسع عشر ينسبون اختراع البوصلة إلى ابن ماجد ويقرأون الفاتحة إلى روحه قبل ركوبهم البحر .

ومن المعلوم أن ابن ماجد وسليمان المهري عنوان نهضة علمية يمنية هما من مدرستها أيام بني طاهر .

وقد كان أول ملوك بني طاهر (السلطان عامر بن معوضة) ٨٥٨ - ٨٧٠) تلقب السلطان عامر بالظافر وناصره أخواه علي بن طاهر وداود بن طاهر وفتحوا كثيراً من اليمن واتخذوا (المقرانة) من بلاد رداع عاصمة لهم ، وقد طمع عامر في الاستيلاء على صنعاء فحاصرها بجيش جرار معظمه من يافع فأصيب بهزيمة نكراء لم يطلق أن يتحملها فمات حنقاً عام ٨٧٠ هـ فخلفه أخوه الملك المجاهد بن طاهر .

الملك المجاهد علي بن طاهر من عام ٨٧٠ - ٨٨٣ هـ
وقد دفن بجبن فخلفه ابن أخيه الملك المنصور « عام ٨٨٣ - ٨٩٤ هـ » عبد
الوهاب بن داود بن طاهر فخلفه ابنه .

الملك الظاهر عامر بن عبد الوهاب « ٨٨٣ - ٨٩٤ هـ »
أمير عدن عامر بن داود بن طاهر « عام ٨٢٣ - ٩٤٥ هـ »

وفي أيام عامر بن عبد الوهاب اتسعت المملكة فقد كان عامر على جانب
من الكمال واستولى على صنعاء وأسر أميرها الإمام أحمد بن الناصر مع الإمام
محمد بن علي السراجي عام ٩١٠ هـ ، ثم امتد نفوذه إلى حاشد ويكيل وأخذ
من حصن ظفار داود المشرف على مدينة ذيبين ، كل ما في الحصن وجامعه من
الواح ذهبية وفضية كانت أبواب بقصور ظفار والقباب والمشاهد أخذها الإمام
عبد الله بن حمزة من كوكبان وصنعاء ونقلها إلى ظفار ثم نقلها عامر إلى المقرنة
ثم نقلها الإمام المطهر بن شرف الدين إلى ظفير حجة وثلا وصنعاء وطيبة
وكوكبان .

وفي أيام عامر تمكن البرتغال من اكتشاف رأس الرجاء الصالح فهاجموا
الهند وسواحل الجزيرة واليمن ولطاردتهم أرسل السلطان الأشرف قانصوه
الغوري أحد قواده وهو الأمير (حسين الكردي) بجيش كبير من اللونداي الروم
كبيرهم (سليمان الريسي) فوصلوا إلى الهند ثم عادوا إلى (كمران) الجزيرة
اليمنية بالبحر الأحمر ، فاستنجدهم الإمام شرف الدين على عامر فنزلوا بالزيدية
من تهامة مزودين بالبنادق والمدافع النارية وظهرت لأول مرة باليمن وكان لها
أثرها في هزيمة المعنوية اليمنية شأن كل سلاح جديد ، وبذلك وبمؤازرة الإمام
شرف الدين وأشراف جازان سرعان ما احتل حسين الكردي زبيد وفر عامر وآله
إلى تعز بعد معارك تعد من أروع مواقف البطولات ، ثم استناب حسين
الكردي على زبيد مملوكه (برسيبي) وغادرها إلى عدن فلم يتمكن من أخذها
فعاد إلى جدة يحكم الحجاز عن قانصوه ، ولما احتل السلطان سليم العثماني
مصر سنة ٩٢٣ هـ قتل قانصوه واستأصل الجراكسة وأرسل إليه من جدة حسين

الكردي فقتل إغراقاً في البحر ، وفر الجراكسة من الحجاز إلى اليمن فقوي بهم (برسباي) وزحف بهم على تعز فأخذها وتبع عامر إلى المقرانة فخرج منها عامر إلى بعدان ، ولما هزمت بنو عمار (برسباي) عاد إلى المقرانة وأقام فيها (أسكندر) مملوك حسين الكردي وتوجه لاحتلال صنعاء فتوجه عامر في إثره يحدوه الأمل فوصل يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر سنة ٩٢٣ ضواحي صنعاء وهو مجهد مع جيشه ، فلم يمهله (برسباي) حتى يستجم ، فجرت معركة بضواحي صنعاء قتل بها عامر واحتل برسباي صنعاء وقتل أميرها خال عامر ، وهو على البعداني وانتهبت خزائنه ، وبقي شهرين بصنعاء يصادر أهلها فامتلات يله من اللذائير والمجوهرات والذهب ثم غادر صنعاء بما أخذ منها ومن المقرانة وتعز ويقلد ما اختاره لنفسه بحمل ثمانية آلاف جمل عدا ما يحمل الجند والأمراء . ولما وصل لجبيل سمارة هاجته القبائل هناك وقتلته مع جميع من كان معه من الجراكسة الذين عرفتهم اليمن وقد بقي السلطان عامر بن داود محتفظاً بعدن إلى عام ٩٤٥هـ حيث انخدع لآمان سليمان باشا القائد التركي فقابله في البحر على سفينة تركية فقتله غدراً واحتل عدن كما قتل سليمان باشا غدراً بالمخاء الساخودة أحمد آخر أمراء الجراكسة عام ٩٤٥هـ .

دولة الجراكسة المماليك في اليمن

(من عام ٩٢٣ - ٩٤٥)

بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب بن داود بن طاهر بضواحي صنعاء عام ٩٢٣ لم تقم في اليمن مملكة كهلانية أو حميرية بل ولا إمارة بمعناها الصحيح بل تعاقبت على اليمن دول كما يلي :

الجراكسة : وقد عرفت أنها تمكنت من الدخول إلى اليمن بعدة عوامل :
تفردتها بالأسلحة النارية من بنادق ومدافع ، ومؤازرة الإمام شرف الدين وأشرف جاران وتعد دولة الجراكسة مزيجاً من الجراكسة ومن العثمانيين وفيما يلي أسماء الأمراء الجراكسة باليمن :

١ - الأمير حسين الكردي ، الذي قدم من كمران واستولى على عمارة وأخذ زبيد عام ٩٢٢ هـ واستخلف نائباً عنه بزبيد مملوكه (برسباي) وذهب ليأخذ عدناً فرده عامر بن داود الطاهري فرجع إلى جدة وحكم الحجاز ثم قبض عليه على إثر سقوط مصر بيد السلطان العثماني سليم عام ٩٢٢ وقتل حسين الكردي بمصر إغراقاً وفر الجراكسة من الحجاز إلى (برسباي) بزبيد وكان قائد الجيش الذي صاحب الأمير حسين من مصر (سليمان الرئيسي) وقد لعب هذا دوراً خطيراً كله ختل وغدر . أما (برسباي) فقد زحف حتى قتل عامراً .

٢ - برسبای ، استولى على تعز والمقرانة وقتل عامرا بضواحي صنعاء وأخذ صنعاء ولما عاد من صنعاء قتل بنقيل سماره وكان قد استخلف على المقرانة اسکندر المحضرم ، مملوك الأمير حسين الكردي ، ولما قتل (برسبای) انتقل اسکندر إلى زبيد بأموال عظيمة .

٣ - اسکندر المحضرم ، وكان حازما وكان يخطب للسلطان سليم العثماني ولهذا سمي المحضرم فحسده (سليمان الريسي) فدس عليه عند والي مصر فأمر والي جدة حسين الرومي ، بأخذ اليمن ، فلما وصل الرومي تهامة رفض اسکندر المحضرم التسليم له وصادف موت السلطان سليم العثماني فرجع الرومي إلى جدة واستمر اسکندر حاكماً بزبيد وتهامة إلى سنة ٩٢٧ حيث قدم سليمان الريسي مع كمال بك الرومي أحد رجالات السلطان العثماني وكان كمال فاتكاً قوياً فعظم أمره فاخترى بالأمير اسکندر وقتله واستولى على زبيد بمعاونة سليمان الريسي ، ولم يتمكن من أخذ تعز وكان بها رمضان الجركسي ثم إن اللوند الذين خرجوا مع الأمير حسين الكردي وسليمان الريسي قتلوا كمالاً التركي بزبيد ورمضان الجركسي بتعز وأقاموا أميراً منهم بزبيد وهو اسکندر بك القرماني وتعز ولوا علي بك الطويل .

٤ - كمال التركي بزبيد

٥ - رمضان الجركسي بتعز

٦ - اسکندر القرماني بزبيد

٧ - علي بك الطويل بتعز

أما سليمان الريسي فقد أثار الاضطراب ثم ذهب إلى مصر ولما تمرد أمير مصر الباشا أحمد على السلطان سليمان وأعلن استقلاله فر سليمان الريسي إلى جدة وزين للأمير حسين الرومي والي جدة العودة إلى اليمن .

٨ - حسين الرومي وسليمان الريسي ، وقد تمكنا من أخذ زبيد وطردا اسکندر القرماني وأسرف سليمان الريسي في الظلم فعاذ الناس منه بحسين الرومي فأوقفه ومال الناس إلى الرومي لعدله وحزمه ففارقه الريسي إلى مصر

يغري به ابراهيم باشا والي مصر وقد تمكن الرومي من ضبط البلاد وحماية الأهالي وأخذ تعز من يد الأشراف الجركسي ونعمت البلاد بحكمه وما زال الريسي يغري به حتى أرسل والي مصر ابراهيم باشا الريسي مع خير الدين وحبيش لولاية اليمن وقبل وصولها مات حسين الرومي عام ٩٣٢ هـ وأتاب مقامه .

٩ - مصطفى الرومي .

١٠ - سليمان الريسي وخير الدين وقد جرت بينهما وبين مصطفى الرومي معارك تمكن الريسي من قتل مصطفى ٩٣٣ هـ ثم استأثر بالأمر دون خير الدين فآغاثاله خير الدين بواسطة اللوند عام ٩٣٤ هـ فثار ابن أخت الريسي ، مصطفى بك بن بيرم واستوزر الخواجا حضر فقتل خير الدين وأتباعه عام ٩٣٥ هـ .

١١ - مصطفى بك بيرم ، وقد تمكن من الاستيلاء على تعز وزيد وتهامه وضبط البلاد واستمر إلى عام ٩٣٦ هـ وغادر اليمن مع حضر وزيره ابتعاداً من الاضطراب إلى الهند وأتاب السيد علي الرومي وجعل وزيره أحمد بك مملوك خاله الريسي .

١٢ - علي الرومي لم يستقم له الأمر فقد تغلب عليه اسكندر موز الجركسي .

١٣ - اسكندر موز ، استتب له الأمر وبلغ منطقة الدعكر وحمد الناس أمره واستمر إلى عام ٩٤٣ هـ حيث مات بزييد ودفن بمدرسته التي بناها (المعروفة بالاسكندرية) وكان يخطب للسلطان سليمان وخلفه الناخوذة أحمد الذي استنابه وصياً على ابنه الصغير .

١٤ - الناخوذة أحمد الجركسي ، وقد احتل حلو اسكندر موز وهو الذي وقف في وجه المطهر بن شرف الدين بمعركة زييد المشهورة وتمكن من إرجاع المطهر فاشلاً وجريحاً وقد استمر الناخوذة أحمد إلى عام ١٤٥ حيث قتله غدرًا

بالمخاء الباشا سليمان مملوك السلطان العثماني سليم ، كما قتل في هذا العام غدرأ الأمير عامر بن داود بن طاهر ، وقد أوردنا هذه النبذة عن الجراكسة باليمن لأنها من النواحي التي لم يتعرض لها كما يجب مؤرخو اليمن . وبما تحصناه نعرف أن الجراكسة انحصروا في جانب من تهامة زبيد وما حولها وكانوا ينقلون أحياناً إلى تعز وأن حكمهم من سنة ٩٢٣ - ٩٤٥ هـ كان مزيجاً بالحكم التركي وأنه حكم مضطرب ، أما في الشمال وما عدا زبيد ومخلافها فلم يقم لهم حكم ثابت ولا لمدة سنة واحدة ، فبعد أن قتل عامر عبد الوهاب بصنعاء انقلب الإمام شرف الدين وابنه المطهر ضدهم وأجلوهم عن البلاد وحاصروهم بزبيد .

وبنهاية النسخة أحمد وعامر بن داود بن طاهر عام ٩٤٥ لم يبق في اليمن إلا قوتان في ميدان الصراع ، اليمنيون بقيادة الإمام شرف الدين وابنه المطهر ، والأتراك سلاطين آل عثمان .

الدولة العثمانية في اليمن للمرة الأولى من عام (٩٤٥ - ١٠٤٥)

في القرن العاشر هجرياً بلغت الامبراطورية العثمانية أوجاً لم تصل إليه أي حكومة أو امبراطورية لمعاصريها فقد كان زمام السلطة الكبرى في عصرهم بيد العثمانيين وفي سنة ٩٤٥ أرسل السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد قوة بحرية كبيرة يقودها الباشا سليمان مملوك السلطان سليم فتزلت بعدن وقتلت غدرًا السلطان عامر بن داود بن عامر بن طاهر الذي احتفظ بعدن وما يتبعها من مملكة أسرته الواسعة . ومن عدن زحف الباشا سليمان إلى زبيد وقتل أمير الجراكسة غدرًا الناخوذة احمد وفي عام ٩٥٢ تعين لليمن أوليس باشا مملوك السلطان سليم واستولى على تعز وأقام عليها (ازدمر باشا) وعاد هو إلى زبيد وقتل بها ، وقيل إن القتل تم بتدبير ازدمر ، وبعد ذلك استقل ازدمر بولاية اليمن .

ولقد تعلقت معظم أحداث اليمن في هذا العصر بازدمر مع الباشا سنان . علاوة على أنها سلبا من اليمن ذخائره ومعظم نفائسه الأثرية ، وكان النزاع بينهما وبين الإمام شرف الدين وابنه الإمام المطهر شديداً وقد تمكن (ازدمر) من أخذ صنعاء كما أخذ معظم اليمن وانحصر المطهر في ثلا وفي سنة ٩٦٢ عزل ازدمر بمصطفى نشار ثم تعاقب الولاة العثمانيون إلى سنة ٩٧٦ وفيها خرج الوزير سنان باشا إلى اليمن ودخلت اليمن في صراع لا هوادة فيه مع الأتراك استمر مائة عام بقيادة الأئمة الزيدية الذين من أبطالهم في هذا الصراع المطهر بن شرف الدين ، لقد ضرب في صراعه وصموده وقيادته الحربية المثل الأعلى أرغم أعظم قائد عثماني سنان على الإستسلام للحقيقة وعقد صلح

المهيض مع القوى وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار اليمنيين إنتصاراً حاسماً سنة ١٠٤٤ آخر عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد وآخر الدور الثاني للعلويين في اليمن وأول الدور الثالث للعلويين دور الملك الهادي بعهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم .

الضمود الفاطمي وتأثره بالغزو الخارجي

خاض الفاطميون سبباً الهاديون منهم معركة طويلة عبر مئات السنين في تصميم متوارث وضمود فريد في سبيل إقامة دولة فاطمية لا تقف عند حدود اليمن بل تغطي العالم الإسلامي ، لم تثنهم عن هدفهم النكبات المتعاقبة فقد استمروا في تصميمهم الذي لا أغرب منه إلا إصرارهم على أنهم الصفوة المختارة للرئاسة والإمامة إصراراً تناول حتى قاداتهم المستنيرين الذين يعد انطلاء هذه الفكرة عليهم من أغرب الغرائب ، فهذه الفكرة هي التي أوقفت المذهب الزيدي المتين القواعد من الإنطلاق ومن التشريق والتغريب كما بيناه سلفاً .

وقد استمر الفاطميون باليمن في السير إلى أهدافهم وكلما وهن سيرهم في ظل حكومات يمنية . وحتى في ظل الفوضى فإن سير هؤلاء الفاطميين لا ينشط من عقاله إلا عندما يطرق الغزو الخارجي اليمن وينفذ إلى أخشابه ففي القرنين الأول والثاني استقبل اليمن الدعوة الشيعية نتيجة الحرمان الذي اشترك فيه الهاشميون واليمنيون ومحاولة التخلص من الحكم الأموي ثم العباسي وقد جرت تلك الإضطرابات التي نجم عنها استقلال اليمن في القرن الثالث ، وقامت فيه عدة إمارات ذات شعار قرآني في ظلها المتسامح قوي نشاط الدعوة الشيعية في شمال اليمن وجنوبها من دون أن يكون للتشيع دولة ، وعلى جسر ذلك التشيع قدم إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الداعيتان الإسماعيليان أبو القاسم المنصور الحسن بن حوشب واستوطن مسور حجة وعلي بن الفضل الخنفري الحميري واستوطن يافع والإمام الهادي يحيى بن الحسين واستوطن صعدة ، ولم يقف ثلاثتهم عند حدود الدعوة ونشرها ، بل حاول كل منهم أن يقيم دولة يطبعها ويسيرها بمذهبه وبذلك بدأت الصعوبات تقوم في وجه الدعوة الشيعية

فانقلب تسامح الحكومات والإمارات إلى تخوف ومقاومة انحسر معه التشيع عن الجنوب وانحصر في مناطق متفرقة بالشمال ، وفي الشمال إنقسم التشيع على نفسه إلى حزبين زيدي وإسماعيلي يكفر أحدهما بالآخر ، استمر في صراع دموي وفكري أضعفهما معاً ويمكن حكومتي آل يعفر وآل زياد والإمارات الأخرى من الاستمرار ، إلا أن نشاط الحزبين الزيدي والإسماعيلي استمر وكان النشاط الزيدي يبدو في الشمال أقوى من النشاط الإسماعيلي سيما بعد أن ضعفت الدولة اليعفرية وانتشار الفوضى ، وقد أثار ذلك النشاط الزيدي ذعر مفكري الشمال سيما الهمدانيين منهم الذين أصبحوا يرون في الإمامة الزيدية خطراً على رياستهم فجنحوا في أحكامهم إلى الدعوة الإسماعيلية ومساندتها مما جعل الدعوة الإسماعيلية تتغلب أخيراً بقيادة الملك علي بن محمد الصليحي الهمداني الذي حقق الوحدة اليمنية ، واختفى الأئمة الزيدية وكان الصليحيون متساعجين مع الدعوة الزيدية والفاطميين ، ولما ضعفت الدولة الصليحية قامت عدة حكومات منها همدانية إسماعيلية كانت أكثر تسامحاً مع الزيدية التي انتفضت بقيادة الإمام أحمد بن سليمان أيام السلطان حاتم فإذا بالإمام يحتل صنعاء ويبلغ زيادا وذمار ، ولكن سرعان ما انطفأت تلك الشعلة فيسقط الإمام أحمد بن سليمان بيد أبناء عمومته العيانيين فيسجنونه عام ٥٦٠ بحصن أتاقت من بلاد وادعة فينجده السلطان علي بن حاتم ويخرجه من الاعتقال ويرجعه مكرماً إلى بلاد صعدة بعد أن ضرب العيانيين وخرّب معاقلهم ، وحينذاك كادت اليمن أن تخضع تحت حكم أو نفوذ آل مهدي الرعيني الحميري الاجتهاديين وآل حاتم الهمدانيين الكهلانيين الإسماعيليين .

فالإمارات المتناثرة هنا وهناك كان بقاؤها مرتبطاً بإحدى الدولتين يفسر ذلك نجدة السلطان علي بن حاتم للإمام أحمد بن سليمان ، وتلك الحرب المشؤومة بين أبناء العمومة آل مهدي المثير لها محاولة آل مهدي إبتلاع إمارة آل زريع الهمداني بعدن المرتبطين بآل حاتم . فهذه الحرب هي التي هيأت الفرصة لصالح الدين الأيوبي من غزو اليمن مستعيناً بأشراف المخلاف السليماني وصعدة ، وقد قاوم اليمنيون الأيوبيين سيما في الشمال ، وبين هذه المقاومة

زادت الدعوة الزيدية من نشاطها وبين هذه السحب لمح الامام عبد الله بن حمزة وكان من اعلام الأئمة الفاطميين الرسيين وأقواهم وأشجعهم وأفصحهم ، شاعراً يفخر ويعتز بنفسه وينسب الفاطمي إلى حد الغلو والمرض للذين ضلوا من شخصيته ونفرا منه ، وساقاه إلى منازعة الفرقة الزيدية المطرفية ، وقتل منهم ما يزيد على مائة ألف لأنهم لا يرون حصر الخلافة في الفاطميين ، وساقاه أيضاً إلى التقلب ، فتارة هو مع الحاتمين وتارة عليهم وحيناً يحارب الغزاة الايوبيين ببني حاتم وحيناً العكس ، ومهما يكن فقد كان الغزو الايوبي مبعثاً من جديد لظهور أئمة فاطميين في الشمال لهم أثرهم الفكري والفقهى والسياسي والعسكري في الدعوة الزيدية ، فقد جاء على أثر ابن حمزة المهدي احمد بن الحسين والمطهر بن يحيى وابنه محمد بن المطهر ويحيى وغيرهم وما منهم إلا من هو إمام جهاد أو اجتهد أو جامع بينهما ، وظهر إلى جانب هؤلاء الأئمة اعلام في الفكر والفقه الزيدي بلغت بهم الأصول والفروع الزيدية ذروة لا يدانيها أي مذهب في إنتاجه العلمي خصوصاً فيما يتعلق بالقضاء والمعاملات ، فقد كان لهم في ذلك القدر المعلا ، نلمس ذلك فيما افه يحيى بن حمزة ومحمد بن المطهر والمهدي احمد بن يحيى وابن مظفر في بيانه وكان معظم أئمة هذا الدور يمثلون الامامة الزيدية في قوتها وبساطتها وقربها من الجماهير وبقيادتهم احتفظ المذهب الزيدي بقوته في الشمال .

ومن شن حروب على الاسماعيلية لا تسامح فيها كان لها أثرها في تقهقر الاسماعيلية باليمن ، كما شن الأئمة الزيديون على الرسوليين حرباً عواناً كان لها فاعليتها في تعويق آل رسول من تنفيذ جميع مشاريعهم العمرانية والعلمية واستمر الأئمة الزيديون في معارضتهم لبني رسول ثم لبني طاهر إلى أن مات الامام صلاح الدين فان ابنه الامام علي بن صلاح وإن كان فارساً مغوراً وقائداً عسكرياً إلا أن توليه للامامة وهو جاهل ، فتش الطريق للضعفاء الجاهلين المتشرفين من الفاطميين إلى الامامة كالسيدة مريم بنت علي بن صلاح وابنها الشاب الغر المعتمد على تكهن اليهود وتنظيمهم المنصور بن محمد المعروف بالناصر .

وكامللكة الإمامة فاطمة بنت الحسن بن صلاح . فإذا بالإمامة تفقد عناصرها القوية المثالية التي كانت مع متانة الفقه الزيدي يخطيان عيون أتباعها من عنصرية الإمامة وتحجرها ويجعلان من الأئمة الملتزمين شروط الإمامة المطبقين لها حجة بيد دعاة المذهب الزيدي ، والإمامة الزيدية ينازعون بها منافسيهم من ملوك وفقهاء مذاهب ، فقه « زيدي » متطور يتقبل كل جديد يستمد مواده ومبادئه من أصول متحررة من الجمود والتقليد مستمدة من جوهر الكتاب والسنة الصحيحة ، وائمة أقرب تمثيلاً للخلفاء الراشدين في قوتهم وعلمهم وبساطتهم ، لا الملوك الجبابرة . وإنها لحجة قوية حين كان الناس يرون مثل الهادي ومحمد بن المطهر ويحيى بن حمزة والمهدي علي بن محمد . فلما جاءت الإمامة مريم والإمامة فاطمة والأئمة الأغراب المنجمون المترفون ذهب ذلك القناع المثالي عن وجه الإمامة الهادوية ولم تبق إلا عنصريتها المنفرة إلى جانب فساد الأئمة الجاهلين وترفعهم مع أتباعهم من الفاطميين بنسبهم ونسبهم ، ولم يستطع الفقه الزيدي أن يدير المعركة لأنه أصبح كصارم في كف منهزم مما يمكن ملوك بني طاهر من سحق الأئمة الزيدية واحتلال مواطنهم في الشمال وخنق المذهب الزيدي مما جعل أشرف المخلاف السليماني والصمدي مطاطئين رؤوسهم للخليفة عامر عبد الوهاب الطاهري وجعل الإمام شرف الدين على كماله وعلمه وعبقريته يتجحر في قمة جبل ظفير حجة لا يكاد يحس به القراء ويصبح اليمن شماله وجنوبه وجباله وسهوله في قبضة عامر بن عبد الوهاب ، ولم يكن بنو طاهر كالصليحيين والحاتميين والرسوليين متسامحين ، فقد كانوا إعصاراً يحتاج كلما هو زيدي ولو ترك الزمن بني طاهر من مفاجاته لأتوا على آخر أنفاس المذهب الزيدي في اليمن . ولما كان له اليوم من أثر ، ولكن اليمن فوجئت بالغزو المصري الذي رحب به الإمام شرف الدين وأشراف صعدة والمخلاف السليماني ، وساندوه ، حتى إذا فرغوا من عدوهم الحقيقي آل طاهر وبدأ اليمن يتدمر من الغزاة الغز والأتراك رأى الإمام شرف الدين - وهو العالم المجتهد السياسي - أن هذا الجو المشحون بالتدمير اليمني هو خير مناخ لإحياء الشعلة الزيدية والإمامة الزيدية .

فانقلب على الغزاة الغز والأتراك ، لهم ناقداً ومفسقاً ، ولمساوئهم

كاشفاً ، وأعلن الحرب عليهم فالتفت القبائل الشمالية حوله التفاف حب وائتمام لما كان له من شخصية قوية وقيادة حكيمة إلى معرفة جعلته في صف المجتهدين المؤلفين ، ثم إنه وهب من أهله بقائد عسكري وإداري لم ينجب الفاطميون باليمن مثيله ، هو ابنه المطهر بن شرف الدين ، الذي استأصل بقية بني طاهر وأخضع الخارجين من القبائل وألحق بالأتراك شر الهزائم وأجلاهم عن اليمن حتى عن عدن وكاد يجلوهم عن آخر معقل لهم باليمن وهي زبيد .

وكان الأتراك حينذاك في أوج سلطانهم وأعظم قوة في عصرهم فدفعتهم كبرياءهم إلى إعادة الكرة فقفوا إلى اليمن بأكثر قوة لهم بقيادة أعظم قوادهم ، فصمد الشمال بقيادة المطهر أمام الجحافل التركية صموداً أرغم الكبرياء التركي على أن يطلب من المطهر المصالحة التي بموجبها اعترف الخليفة العثماني بالمطهر حاكماً للشمال ، وكان لهذا الانتصار العسكري أثره في رسوخ المذهب الزيدي في الشمال ، وفيه أقوى العشائر اليمنية وأعتاها ، وقد تمكن المطهر بهم وبقيادته العسكرية الصارمة ، ونزعته السفاحة من تتبع المناوئين له وللمذهب الزيدي والمتطلعين إلى الملك من الأسر اليمنية غير الفاطمية ، ويموت المطهر وتفقد اليمن قائداً للحرب ولم يكن في أسرته من يصلح لتلك القيادة المتطلع إليها اليمن سيما الشمال المستعد لمواصلة الحرب ، وتتجدد الحرب في الشمال وتطول إلى مائة عام من بدايتها وقد كان لها وقودها ونتائجها .

فمن وقودها اختفاء الطموح إلى الملك والإمامة في نفوس الأسر اليمنية غير الفاطمية ، ذلك الطموح الذي طعنه الغزو التركي ونحره الإمام شرف الدين وقطع أوصاله المطهر وسحقته إطالة الحرب التي فرضتها كبرياء الأتراك وصمود قبائل الشمال الزيدية .

ومن نتائجها التقاء اليمنيين على اختلاف مذاهبهم في الدفاع عن استقلال اليمن فقد استمر الشمال الزيدي في نضاله واستمر الجنوب الشافعي بمد الشمال ويقدر له موقفه النضالي ، ومن نتائجها رجحان كفة المذهب الزيدي نحو الحكم لليمن وهو ما كان يرمي إليه الفاطميون من قبل الهادي وفي سبيله استمروا في دعايتهم ونضالهم ، ولما انطلق ذلك النضال بعهد الظاهريين أيقظه الغزو المصري

والتركي ، وأضرمت جحيمة الإمام شرف الدين والمطهر ، وفي أتونه احترقت الأسر اليمنية البارزة حين ذاك ، وعلى أثر موت المطهر امتدت السن لطلب ذلك الأتون إلى الحمزات وأسرة المطهر نفسه فأذابتهم بحرارتها ، وأصبح الشمال الزيدي إلى القائد الذي تفرضه المرحلة يتطلع في لطف فإذا بذلك القائد يأتي لا من أسرة كهلانية أو حميرية فذلك ما تجمعت العوامل على سحقه ، ولا من أسرة فاطمية لها ظهورها وسابقتها ومقامها المرموق في الشمال ، لقد جاء ذلك القائد من أسرة فاطمية هادوية مغمورة ما كان مستواها في المجتمع الشمالي يتجاوز مستوى الأسر الجماهيرية الفلاحية ، هذا القائد المنتظر هو الإمام القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد الذي يتصل نسبه بالإمام الهادي يحيى بن الحسين ، ولقد تسلم القيادة بمهارة وقوة وعزيمة ومثالية عرف بها كيف يقود اليمن إلى النصر وكيف يستغل جهود المطهر ومن سلفه إلى إقامة حكم فاطمي يستلم زمامه أبناءه فيصبحون هم الحاكمون لليمن الذين عنهم تمخضت الحروب والأهوال وذلك الصراع المرير الطويل ، وافتخار عبد الله بن حمزة بنسبه ونفسه في مقالاته وشعره ، وكلما أنتجه يحيى بن حمزة ومحمد بن المطهر والمهدي أحمد بن يحيى وحفيده شرف الدين من مؤلفات ، وكلما أزهقه وأراقه المطهر بن شرف الدين من نفوس ودماء وكلما اجتاحت الحرب من عمران لقد قام هذا الهرم الجبار من ذرات ملايين القتلى ، وها هو يتربع على قمته أبناء القاسم بن محمد لا آل المطهر ولا غيرهم ممن أقاموا ذلك الهرم ، ومهدوا الطريق إليه مضحين بكل شيء ، ومستبشرين كل شيء ، فتبارك الذي بيده الملك ، فإلى الإمام القاسم وبنيه فليتحول القلم .

(الدولة القاسمية العلوية الرسمية من سنة)
(١٠٤٥ - ١٢٦٥)

سُمت اليمن حكم الأتراك وكانت الدعوة الزيدية قد بلغت في اليمن الذروة التي قام على رأسها مؤسس الدولة القاسمية الرسمية الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادي ، ظهر هذا الإمام واليمن قدر يغلي ، وكان الأتراك قد مهدوا للقاسم الطريق بقضائهم على الأمراء أولاد المطهر وغيرهم ، وكان الإمام القاسم على جانب من العبقرية والقوة استغل هذه الفرصة وتمكن من اكتساب القبائل الزيدية والتفافها حوله كما تمكن من اكتساب القبائل غير الزيدية فآثار الحرب وهو واثق من النصر على أبناء عمومته آل شرف الدين إلى أن أنكر كل منهم الآخر من اتصال نسبه بالعرب فضلا عن اتصاله بعلي وفاطمة وجرت بين البيتين في هذا الموضوع مشادة تحكيها سيرهم المدونة ، وقد تمكن الإمام القاسم من منازلة الأتراك إلى أن توفي سنة ١٠٢٩ بمعقل شهارة الشهير في خلال الهدنة بينه وبين الأتراك وقد خلفه ابنه المؤيد .

(المؤيد بالله محمد بن القاسم)

تلقب بالمؤيد بالله وتبع خطة أبيه في منازلة الأتراك وآل شرف الدين ، وقد تمكن سنة ١٠٥٤ من إجلاء الأتراك عن اليمن ، وفي العام نفسه مات فخلفه أخوه المتوكل على الله اسماعيل .

الدور الثالث للعلويين في اليمن دور الجمع بين السلطتين الزمنية والروحية

(دولة آل القاسم من سنة ١٠٥٤ - ١٢٦٥)

مات المؤيد بالله سنة ١٠٥٤ وقد تمكن من تطهير اليمن من الاستعمار والغزو التركي ، وكان المؤيد يمثل الإمامة الزيدية الصحيحة البعيدة عن أبهة الملك وفي هذا العام مات المؤيد ودفن بشهارة بجانب أبيه تاركا اليمن مستقلة لتستقبل عهداً جيداً هو حكم الإمامة والملك الفاطمي معاً ويتلدى هذا الدور بالإمام اسماعيل .

(الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم من سنة)
(١٠٥٤ - ١٠٨٥)

يعد هذا الإمام أول إمام جمع بين لقبى الملك والإمامة ، وفي أيامه بلغ تمكن العلويين الرسيين من إقامة دولتهم باليمن التي طامحوا إليها وضربوا من أجلها منذ فجر الإسلام فقد تحققت أحلامهم في عام ١٠٥٠ وعلى أثر إجلاء الأتراك من اليمن اتسعت فتوحات الإمام المتوكل اسماعيل بمؤازرة قبائل همدان بقيادة أبطال الأسرة القاسمية كمحمد بن الحسن بن القاسم وأحمد بن الحسن بن القاسم فدخلت جميع أجزاء اليمن تحت نفوذ الدولة القاسمية الرسية من حدود عمان حتى حدود نجد وحتى طوقت الحرمين الشريفين ، وقد كان عصر المتوكل

أزهى العصور العلوية الرسية في اليمن وفيه تحققت الوحدة اليمنية وما زال ذووه يحكمون جميع أجزاء اليمن يسودهم الوئام حتى توفي المتوكل سنة ١٠٨٧ وقد عارضه في آخر أيامه بصعدة ، الإمام المنصور علي بن أحمد بن القاسم ، أعلن نفسه إماماً ولكنه لم يتم له الأمر فقد مات الإمام اسماعيل بهذا العام وخلفه ابن أخيه .

(الإمام المهدي أحمد بن الحسن المعروف بسيل الليل)

ويعد أحمد بن الحسن أكبر قائد أنجبتة الأسرة القاسمية واستمر في ملكه إلى سنة ١٠٩٢ حيث دفن بحصن ذي مرمر بغراس السر وبموتته بدأ الإنقسام يدب بين الأسرة القاسمية فقد خلفه الإمام المؤيد محمد .

(الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل اسماعيل المتوفي)

(سنة ١٠٩٧)

وهذا الإمام آخر إمام تجمعت فيه الشروط المعتبرة في المذهب الزيدي لصحة الإمامة فقد خلفه أئمة لا تقر إمامتهم القواعد الزيدية وهم إلى الملوك أقرب بل هم ملوك لا أئمة ولكن سنطلق عليهم لفظ الإمام جرياً مع المؤرخين والمسموع المعروف ، وأول هؤلاء الملوك الأئمة هو محمد بن أحمد .

(الإمام المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن)

(ابن القاسم من سنة ١٠٩٧ - ١١٣٠)

اشتهر هذا الإمام بسرعة الحركات الحربية والمغامرة والإقدام والفتك وكان مسعر حرب تألب عليه آل القاسم حتى بنوه وقد عارضه عدد من الأئمة من أسرته آل القاسم ومن آل شرف الدين ولم تغنهم كثرتهم فقد كان نصيبهم الموت بسيفه أو في سجنه ومنهم من فر إلى مكة .

وفي أيامه ثارت اليمن على الحكم القاسمي بقيادة السيد إبراهيم بن علي

المدومي العياني المعروف بالمحطوري نسبة إلى قرية المحطور من بلاد الشرف وقد اندلعت هذه الثورة كنار الهشيم حتى بلغت نبالا وكادت تلتهم صنعاء وصعدة حتى نسب المؤرخون المحطوري إلى السحر وقد انتهت ثورة المحطوري بالفشل وقتل المحطوري ، ومن عارض المهدي صاحب المواهب الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد بن القاسم عام ١١٢٧ إلى ١١٣١ هـ .

الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد بن القاسم

(عام ١١٢٧ - ١١٣١ هـ)

قام بشهارة وتبعه بعض القبائل وآزره أمير كوكبان محمد بن الحسين بن عبد القادر وصاحب المخلاف السليماني أبي عريش الأمير عز الدين القطبي وأمير بلاد صعدة الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم فتغلب صاحب المواهب على الجميع وقتل القطبي إلا أن المنصور الحسين بن القاسم عاد أقوى أمره مما دفع المهدي إلى أن يخرج ابن أخيه القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم من السجن ويرسله لمقاتلة المنصور ، ويدل أن يقاتل المنصور فقد انضم إليه القاسم بن حسين وبايعه وانقلب الجميع لمحاربة صاحب المواهب حتى وهنت قوته وعظم أمر القاسم بن الحسين فقلب ظهر المجن للمنصور وصاحب المواهب وأعلن نفسه إماما .

التوكل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم

(عام ١١٢٨ - ١١٣٩ هـ)

وقد جرت بين التوكل وعمه صاحب المواهب حروب عظيمة انتهت بمحاصرة التوكل لعمه المهدي بحصنه المواهب حتى مات محصوراً عام ثلاثين ومائة وألف واستتب الأمر للتوكل القاسم . وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف مات المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد . وقد عارض التوكل قاسم بن حسين السيد محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم وتلقب بالناصر .

الإمام الناصر محمد بن إسحاق

(عام ١١٣٥ - توفي سنة ١١٦٧ هـ)

أعلن نفسه إماماً في أرحب ثم رجع عن بيعته وقد اختل الأمن وتآلبت حاشد وبكيل حتى هددت صنعاء وفي هذا الجو توفي المتوكل سنة تسع وثلاثين ومائة وألف فخلفه ابنه .

الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن حسين بن أحمد

(١١٣٩ - ١١٦١ هـ)

قام على أثر والده وقد عارضه محمد بن إسحاق فأعلن نفسه إماماً من ظفار ذيبين وانضم إليه آل إسحاق والأمير أحمد بن القاسم بن حسين أخو المنصور وكان والياً على لواء تعز ، وفي سنة أربعين ومائة وألف أطبقت القبائل على صنعاء ولكن المنصور حسين تغلب على الموقف بعد أن قتل قائدهم الشيخ علي بن قاسم الأحمر ففرقت القبائل وأودع المنصور آل إسحاق السجن ، وفي عهد المنصور عام أربعة وأربعين ومائة وألف استقل الفضل بن علي العبدي بولاية عدن ولحج بعد أن قتل عامل الإمام ، وفي سنة ثلاث وخمسين وألف عاد إلى الهدو محمد بن إسحاق ودخل صنعاء بأمان من المنصور وما زال المنصور بصنعاء إلى أن توفي سنة إحدى وستين ومائة وألف فخلفه ابنه .

الإمام المهدي العباس

(عام ١١٦١ - ١١٨٩ هـ)

وقد أعاد إلى الدولة القاسمية شيئاً من المهابة ، وفي أيامه ثارت قبائل الشمال سنة ١١٦٤ هـ بقيادة أبي علامة أحمد بن حسن المعروف بأبي علامة من الشرف واتسعت هذه الثورة ودخل فيها رجال قحطان عسير انتهت بالفشل ، فقد قتل رجال عسير أبا علامة وأرسلوا برأسه إلى الإمام ، وقد نسب أبو علامة إلى السحر وقد استمر المهدي عباس إلى سنة تسع وثمانين ومائة وألف فخلفه ابنه الإمام المنصور علي بن عباس عام ١١٨٩ هـ .

الإمام المنصور علي بن عباس

(عام ١١٨٩ - ١٢٢٤ هـ)

وقد نصب القاضي يحيى السحولى لمنصب قاضي القضاة بعد أن عزله عنه أبوه المهدي ، ولما مات السحولى عام ١٢٠٩ | نصب الإمام مكانه شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني وفي أيامه عام ١٢١٣ - احتل نابليون بونابرت ، مصر فاتصلت بريطانيا بالإمام بطلب بعض السواحل اليمنية فلم يسعدها فاحتلت بريطانيا جزيرة ميون المسماة بتريم في خليج المندب ، وفي أيامه ظهرت الوهابية واعتنقها السيد أحمد الغلقي من أهالي حميا واتصل بالملك عبد العزيز محمد بن سعود فأمدّه بجيش بقيادة أبو نقطة عبد الوهاب الرفيدي فاستولى أبو نقطة علي المخلاف السليماني إلى أبي عريش عام ١٢١٧ سلخه من الدولة القاسمية وانضم إليهم الشريف حمود بن محمد وزحف على تهامة فاستولى عليها ثم اختلف مع الوهابيين وتغلب عليهم وقتل أبو نقطة ١٢٢٤ واستقل بتهامة وهزم جيوش المنصور علي وكان المنصور في خلاف مع ابنه أحمد بن المنصور فاختلف الأمن حتى احتلت قبائل برط وادي ظهر صنعاء وفي سنة أربع وعشرين ومائتين وألف مات المنصور علي فخلفه ابنه أحمد بن علي بن عباس عام ١٢٢٤ .

الإمام المتوكل أحمد بن علي بن عباس

(عام ١٢٢٤ - ١٢٣١ هـ)

وقد حاول استرجاع تهامة بعة وسائل واتصل بالسلطان العثماني محمود وبالباشا محمد علي وبادلها الرسائل والهدايا ولكنه مات ولم تتحقق آماله إلا أيام ابنه المهدي الذي خلفه عام واحد وثلاثين ومائتين وألف .

الإمام المهدي عبد الله

(عام ١٢٣١ هـ)

كان شجاعاً فاتكاً اسند القضاء إلى الشوكاني ونعمت في أيامه اليمن ومات .

الشريف حمود بن محمد المتغلب على تهامة عام ١٢٣٣ وقام ابنه أحمد وفي عام ١٢٣٦ قبض عليه خليل باشا المرسل من محمد علي وأرسله إلى مصر وسلم تهامة إلى المهدي عبد الله فعاد إلى جسم الدولة روح هونت من مرارة استباحة قبائل بكيل بير العزب عام ثلاثة وثلاثين ثاترين على المهدي لقتله رئيسهم علي بن عبد الله الشايف بصنعاء وقد عارضه الهادي أحمد بن علي السراجي عام ١٢٤٧ .

الإمام الهادي أحمد بن علي السراجي

(عام ١٢٤٧ هـ)

ولكنه فشل وليس من آل القاسم ولا هادويًا بل من ذرية زيد بن الحسن بن الحسن بن علي وقد استمر المهدي عبد الله إلى عام واحد وخمسين ومائتين وألف تاريخ موته فخلفه ابنه .

الإمام المنصور علي بن المهدي

(عام ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ)

وكان ضعيفاً وعند أبيه انتهت صولة الدولة الفاطمية ولم يبق بعده أي قيمة للأئمة ، ولقد عرف ابنه بعلي مقل ولم يبق إلا عاماً حتى خلعه الأعيان وأقاموا ابن عمه .

الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد بن المهدي عباس

(عام ١٢٥٢ - ١٢٥٦ هـ)

وكانت الدعوة السلفية الوهابية السنية قد انتشرت في صنعاء وغيرها منذ أيام السيد محمد الأمير وزادها انتشاراً الوهابيون وغزوهم لتهامة فأراد الناصر إيقاف الدعوة السلفية فتشدد في إحياء التشيع فقتله همدان بوادي ضهر عام ١٢٥٦ ، وفي أيامه عام خمسة وخمسين احتل الإنكليز عدن ، وقد خلفه عمه الهادي محمد بن المتوكل أحمد .

الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد (عام ١٢٦٦)

وفي أيامه ثار اليمن الأسفل على الحكم ، وقاد الثورة الإمام الفقيه سعيد ابن صالح ايس المذحجي العنسي صاحب قرية الدنوة وعظم أمره حتى ضرب السكة بإسمه من الفضة الخالصة ، وتكفى بالمهدي إمام الشرع وكان يعتمد على جنود يافع ، وتمكن من إخراج المتغلبين من ذو محمد باليمن الأسفل وتقدم إلى يريم ، وكان يهدف إلى إنهاء الإمامة القاسمية ، ولكنه هزم وضربت عنقه عند مدينة اب سنة سبع وخمسين ومائتين وألف وقد نسب إلى السحر . وفي عام تسع وخمسين ومائتين وألف مات الهادي محمد فخلفه علي مقل ، وكان محمد بن يحيى بن المنصور علي بمصر يستمد من محمد علي النصر فلم ينجح ، وكان الشريف حسين بن علي بن حيدر قد احتل تعز ، فاتصل به محمد بن يحيى فأمدته بقوة احتل بها ريمة ، ثم تقدم إلى صوران وهناك أعلن نفسه إماماً .

الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي

(عام ١٢٦٣ - ١٢٦٥ هـ)

جرت بينه وبين علي مقل معركة بنقيل بسلح تغلب المتوكل على علي مقل فتنازل له ودخل صنعاء ، ثم اختلف مع الشريف حسين وجرت بينهما معركة بتهامة بالقطيع تغلب فيها المتوكل وأسر الشريف ، إلا أن ياماً خلصت الشريف وهزموا المتوكل واحتلوا زبيداً عام ١٢٦٤ فعاد إلى صنعاء عن طريق ذمار ، وفيها قتل رئيس بكيل أحمد بن صالح ثوابه وفي هذا العام ادعى الويسي .

الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي الهادي

(عام ١٢٦٤)

أصبحت اليمن والإمامة العوية ومهزلة يطمع فيها من يراها مما دفع الأتراك العثمانيين إلى أن يجربوا حظهم في استعمار اليمن مرة ثانية فنزل بالحديدة توفيق باشا وأمير مكة الشريف محمد عون بقوة عظيمة عام خمسة وستين ومائتين وألف أيام عبد المجيد بن محمود فطلب المتوكل إمداده بطائفة من الجنود

ثم اتصل بهما واتفقا على أن يطلع توفيق مع ثلة من الجند الأتراك إلى صنعاء
فتقدم المتوكل وأفرغ لهم القصر فوصلوا إليه فثارت صنعاء وقتلوا الأتراك في
الأزقة وحاصروهم بالقصر وقبضوا على المتوكل واعتقلوه ونصبوا علي مقل
إماماً ، فقتل المتوكل عام ١٢٦٥ هـ وكان المتوكل من فحول آل القاسم إلا أنه
آى والدولة قد أدبرت وقعدت من الهرم وبه انتهت الدولة القاسمية وبدأ
الاستعمار التركي .

الدولة العثمانية في اليمن مرة ثانية من عام (١٢٦٥ إلى ١٣٣٦)

في هذا العام انتهت الدولة القاسمية العلوية الرسية في اليمن وابتدأ تدخل العثمانيين الذي أصبح يلتهم اليمن جزءاً جزءاً فبعد نزول الأتراك بالحديدة بسطوا نفوذهم على جميع تهامة وتعمز تاركيين صنعاء والمنطقة الجبلية الشمالية للزمن الذي ستغزوه القوضى فقد تركنا علي مقلي إماماً يقتل رجل آل القاسم المتوكل محمداً وتركنا الإمام الويسي ليلتقي عام ١٢٦٥ مع علي مقلي بعمران في معركة انتهت بهزيمة علي مقلي ورغم كثرة جيوشه ولم يستقر إلا بصنعاء فنصب أهل صنعاء لهم إماماً .

الإمام المؤيد العباس بن عبد الرحمن

(عام ١٢٦٦ - ١٢٦٩ هـ)

حيث تنازل على أثر هزيمة علي مقلي زحف الإمام الويسي على صنعاء فنصب أهالي صنعاء لهم إماماً عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن القاسم بن أحمد بن المتوكل اسماعيل القاسمي ليرد زحف الإمام الويسي ولكن الويسي احتل صنعاء وتنازل الإمام عباس فخرج علي مقلي إلى همدان وحاصر صنعاء حتى فر منها الإمام الويسي إلى دار أعلا بأرحب يصحبه القاضي أحمد بن اسماعيل العلفي ، بينما ذهب السيد غالب بن المتوكل محمد بن يحيى إلى برط وأعلن نفسه إماماً .

الإمام الهادي غالب بن محمد

(عام ١٢٦٧ هـ)

ومن برط زحف الإمام غالب واحتل وادي زهر وحاصر على مقلي ليأخذ منه الثأر ثم عفا عنه وكان من أنصار غالب السيد أحمد أبو طالب الملقب بشوع الليل ، وكان الناس يتطلعون إلى إمام قسوي فنادوا بالسيد محمد بن عبد الله الوزير سنة تسع وستين ومائتين وألف لعلمه .

(الإمام المنصور محمد بن عبد الله الوزير الهادي)

(عام ١٢٦٩ هـ)

وقد دخل صنعاء ثم ذهب إلى الخيمة لإخراج أرحب منها فلم يتم له ذلك فعاد إلى محله السريزمه الناس للمحاكمة إلى أن مات سنة ١٣٠٧ وسرعان ما تحولت الآمال إلى السيد محسن بن أحمد من ذرية المطهر المظلل بالغمام الهادي عام واحد وسبعين ومائتين وألف .

الإمام المتوكل محسن بن أحمد الهادي

(عام ١٢٧١ هـ)

مال إليه الناس عن المنصور الوزير لهمة وكياسته بالإدارتين العسكرية والمدنية وقد عارضه .

الإمام المنصور حسين بن محمد الهادي

(عام ١٢٧٥ هـ)

وكان مشعوذاً ، وفي أيام المحسن تولى صنعاء عام (١٢٧٥) الشيخ أحمد ابن محمد الحيمي السويدي واستتب الأمر والنظام حتى عام ١٢٧٦ فثار عليه صنعاء بالمؤامرة مع حسين الهادي ففر إلى تهامة ليستنجد الأتراك فقبض عليه وأرسل إلى حسين الهادي إلى صنعاء فسجنه وتولى صنعاء بعده الشيخ محسن

معين وبقي بها إلى أن وصلها الأتراك ، أما في غير صنعاء فقد كان الإمام
عحسن هوى أقوى الأئمة وكان من أنصاره السيد محمد بن يحيى حميد الدين جد
الإمام يحيى والحقيقة أنها لم تكن في شمال اليمن وجباله أية قوة حاكمة بل
فوضى ما عدا عسيرا والمخلاف السليماني فقد كان يحكمها محمد بن عايض
مرتبطا بالعثمانيين ، وقد طمع في بقية اليمن وغزا الحديدة سنة ١٣٨٧ فرمته
الأتراك بجيش جرار يقوده رديف باشا فاستولى على عسير وقتل الشيخ محمد بن
عايض فعزل رديف بأحمد مختار باشا فنظم أمور عسير وعاد إلى الحديدة عام ثمانية
وثمانين ومائتين وألف فاستدعته أهالي صنعاء تخلصاً من الفوضى الخائفة
فزحف الأتراك من تهامة وقضوا على إمارة الإسماعيلية المكارمة بحراز عام
١٣٨٥ ثم دخلوا صنعاء عام تسعة وثمانين وخضعت لهم القبائل المجاورة
لصنعاء إلا الشيخ علي بن حسين الدفعي الهمداني .

الشيخ علي الدفعي وصنعاء عام ١٣٨٩

على إثر احتلال الأتراك لصنعاء عام تسعة وثمانين ومائتين وألف هابتهم
كل القبائل التي لا تجمعها دعوة ولا تلمها غشاية ، فقد كانت هذه القبائل
الهمدانية الكهلانية والحميرية متفرقة كأنما (فسفى) بينهم الضربان فإذا بعثهم
وفروسياتهم وفتوتهم العسكرية تآكل بعضهم البعض وتلاشي معنويتهم ، وقد
كان الأتراك وهم بتهامة يقرون هذه الفرقة ، لأنهم يعرفون أن أي قوة مهما
عظمت عاجزة عن إخضاع القبائل الهمدانية متفرقة ، وقد عرف الأتراك ذلك من
معركة صنعاء عام خمسة وستين ومائتين وألف التي أثارت في الأتراك ذكرى مرارة
الهزائم التي منوا بها في إحتلالهم اليمن في القرن العاشر وهذا ما جعلهم يهابون
الزحف من تهامة إلى الجبال أربعة وعشرين عاماً ولما عرفوا أنهم قد مزقوا القبائل
الهمدانية وغيرها زحفوا على صنعاء باستدعاء أهلها وسعي العملاء الخونة من
اليمنيين وكان لاحتلالهم صنعاء بجيوشهم البجراة رنة ارتجفت منها بادئ الأمر
اليمن وأذعنت القبائل العاتية الهمدانية ولم يترفع عن هذا الخضوع ويستحلي
الموت على أن يرى راکعاً تحت الحكم التركي الأجنبي إلا الشيخ علي الدفعي

شيخ شعوب صنعاء، فقد وقف على بعد ميلين من صنعاء وقف أقوى من جبل
نقم يتحدى الجبروت التركي في عتفوان مبدئيته وعتوتياره ، وقف هذا القليل
الثائر الأبي وقفة أباة الضيم ، وقفة أعادت إلى القبائل بعض التماسك والتفهم
للأتراك ، وقد اقض الدفعي مضجع الأتراك وحضرهم بصنعاء حتى تعذر
عليهم مواصلة الزحف شمالا وشرقا فإن الدفعي أمسك يديه الحمدانيتين عنت
الجبروت التركي ، مما دفع الأتراك إلى أن يجمعوا قواهم حتى تغلبوا عليه
وقتلوه ، ويقتله اندفعوا على قبائل أرحب وحاشد وخولان والحذاء وغيرها من
القبائل وانزلوا بكل القبائل المذلة حتى قبائل ذي غيلان نتيجة تخاذل القبائل عن
مناصرة الثائر الدفعي الذي أزعج الأتراك فحاربوه بالسلاح وبالدهاية إذ سخروا
أقلام المأجورين من الكتبة الخونة للطعن في الدفعي بأنه ليس إلا قاطع طريق
حتى راجت حوله هذه الدهاية ، وإلا فقد كان أمة وحده في الدفاع حتى سقط
شهيد الأباء رحمه الله .

وعلى إثر مصرعه تابع الأتراك غزوهم للشعب اليمني وحكمه ولم يطل
الهدوء فقد عجل موقف الدفعي إشعال الثورة إذ سرعان ما هاجت القبائل
اليمنية وإذ باليمن مع الأتراك في حرب ضروس حتى العام (١٣٢٩ هـ) وقد
خربت اليمن كما خسرت أبطالا من قادتها وما لا يقل عن نصف مليون شهيد
من أبنائها ، ولم تكن خسارة الأتراك بأقل من تضحيات اليمنيين ، وقد قاد
النضال الشعبي ضد الأتراك زعماء كثيرون منهم الأئمة الرسيون الذين كسبوا إلى
جانب القيادة تقوية الدعوة الشيعية الزيدية ومن هؤلاء الأئمة الإمام المتوكل
محسن بن أحمد الهادي من سنة (١٢٧١) إلى أن توفي سنة (١٢٩٥) والإمام
الذي خلفه هو الإمام المهادي شرف الدين بن محمد الحسيني من سنة ١٢٩٦ -
١٣٠٧ ثم (الإمام المنصور محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين القاسمي من
سنة ١٣٠٧ - ١٣٢٢ ثم ابنه الإمام المتوكل يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين
من سنة ١٣٢٢ - ١٣٦٧ وهؤلاء الأئمة الأربعة المتوكل محسن ، والمهدي
والمنصور ، والمتوكل يحيى ، هم أشد من قاوم الأتراك وقد كان أدهى هؤلاء
الأربعة ، المنصور محمد وابنه يحيى فقد استغلا الوعي الجماهيري المنتشع

بالتشيع فساقوا بهذه الدعوة القبائل إلى المعارك كأنها ذاهبة إلى نزهة فقد أصبح اليماني يتطلع إلى الموت في كبرياء واشتياق ، وقد انتهت هذه الحروب الطويلة التي دمرت اليمن باستعادة القاسميين الحكم بقيام دولة آل حميد الدين وقبل التكلم عن دولة آل حميد الدين نعود إلى السوراء إلى القرون الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر التي انطقت فيها جذوة الطموح إلى الرياسة في نفوس اليمانيين ما عدا الفاطميين .

المفكرون والقلاون الثلاثة ؛ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر

في القرن الحادي عشر هجرياً نحقق للعلويين أملهم الذي طالما إليه سعوا وله ناضلوا ، وهو حكمهم اليمن الذي تسلم زمامه من يد الأحداث الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادي الفاطمي وعلى عرشه تربع ابنه الإمام المتوكل اسماعيل وقد كان القاسم والرعييل الأول من نسله من اعلام القادة الذين اضطلعوا بالإمامة الزيدية وتحلوا بمقوماتها فاكسبوا الدعوة الزيدية مكانة إلى مكانتها اهالت التراب على معارضيها وانطفأ طموح كل العناصر غير الفاطمية إلى الحكم تحت قوة المذهب الزيدي وقيادته وعمضي الرعييل الأول من آل القاسم وعمضي معهم مظهر الإمامة الزيدية ، ويأتي رعييل ملوك آل القاسم مبتدئاً بالمهدي محمد بن أحمد بن الحسن القاسم صاحب المواهب وآخر القرن الحادي عشر وينتهي بالمهدي عبد الله بن المتوكل أحمد عام ١٢٥١ هـ .

ويشهد النصف الآخر من القرن الثالث عشر انحطاط حكم الأسرة القاسمية فيتعدد الأئمة الجاهلون الضعفاء منهم ، ويظهر من غيرهم أئمة يدعون لأنفسهم وتنفصل المقاطعات ويكثر المتغلبون ويسلب الأمن وتسود الفوضى ، وفي هذه الظروف لم تنجم شخصية غير فاطمية تحاول إقامة ملك إذا ما استثنينا (الإمام سعيد العنسي) .

ولم تخل القرون الثلاثة من مفكرين لم يستول عليهم اليأس في إثارة الطموح اليماني وتصحيح عقيدة الإمامة وتمشياً مع الظروف وروحها ، فقد رأى هؤلاء المفكرون أن من خير الطرق إحياء الكتاب والسنة والدعوة إليها ومن رجال هذه

الدعوة الإمام المقبلي والإمام محمد الأمير وشيخ الاسلام الشركاني ، وكان لهذه الدعوة أثرها المحدود فبدأت تظهر في صنعاء وذمار وحوث وشهارة وصعدة وكوكبان ، ويأتي القرن الثالث عشر ويحتل الإمام الشوكاني رئاسة القضاء ، ومن هذا المركز وشخصيته ، تمكن من تقوية الدعوة إلى السنة إلا أنها كانت بالشمال تدور في أسر مخصوصة لم تتجاوزها إلى الجماهير بصفة مؤثرة على عقيدتهم في الإمامة الزيدية والشافعية .

كما أنها بدأت على الأفق لمحات تلفت الأفكار إلى أجماد اليمن الشاهد بها التاريخ ولمحات تبعث على التساؤل عن الإمامة وانحصارها في الفاطميين والقرشيين وكان الموقف في النصف الآخر من القرن الثالث عشر يتطلب شخصية يمنية قوية حكيمة تستغل تلك الظروف وتلك الظواهر ، ولكن تلك الشخصية لم تكن قد وجدت فالأمة لم تكن قد تخلصت من عقيدة الإمامة الزيدية والقرشية بل كانت في طريقها إلى التخلص .

الإمام المهدي الفقيه سعيد العنسي

وفي أثناء هذه الطريق يطلع الفقيه سعيد بن صالح من يسين العنسي الكهلاني الصوفي من قرية الدنوه من بلاد أب يقود ثورة دينية وأعلن نفسه إماماً ، وتكنى (بامام الشرع المطهر المهدي) وضرب السكة بإسمه من الفضة الخالصة وأجلى من لواء آب وتعز أتباع الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد القاسمي وأقام دولة امتدت من زبيد إلى يافع وشملت لواءي تعز واب إلى يريم وأقام الولاية والقضاة ، وخطب باسمه على المنابر وقوي أمره من عام ١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ وساد الأمن والعدل المناطق التي يحكمها وتنفست جماهير الفلاحين تنفساً تفسره هذه القطعة من الشعر الشعبي .

يا بابه سعيد يابه يا ساكن الدنوه

أسلمتنا المحنة والعسكر الزوبه

فأبقى لنا يابه

وقد هزت هذه الثورة عرش الإمام القاسمي بصنعاء وأثارت القبائل التي

أجلاها الإمام سعيد فقاد الإمام القاسمي تلك القبائل بنفسه إلى يريم وفي يريم جرت معركة حامية استبسل فيها القبائل انتهت بهزيمة الإمام سعيد وفراره إلى اب وهناك قتل وأخذت ثورته ، لأنها سبقت أوانها ولم يمهدها ولا لإعلانه نفسه إماماً مما أثار عليه إنكار فقهاء الجنوب الشافعي المتمسك بنظرية الإمامة في قریش .

وبالطبع الشمال الذي ما يزال متمسكاً بالإمامة الزيدية ، وهذه الثورة وما حملته من شعارات الملك والإمامة لغير الفاطمي والقرشي كان لها صداها فقد تركت وراءها المزيد من التساؤلات عن الإمامة وحصرها لا في الفاطميين بل وفي القرشيين ، كما أنها أفزعت الإمام القاسمي وأسرته ودعاتهم ورأوا أنها فاتحة للعود باليمن إلى العهد الرسولي والطاهري ، وتلمس هذا في الدعاية التي نشرت ضد الإمام سعيد فقد رموه بالسحر وأنه من أمهر السحرة ، وتلمسه فيما قيل بعد قتله من شعر ترى صورته في قصيدة لأحمد بن لطف الزبيري الصنعائي يهني بها الإمام الهادي محمد بن المتوكل أحمد ، مستهلهما :

هذا هو الشرف الرفيع الأعظم والفخر والحسب العميم الأنخم
ومنها :

قد شادها الهادي الإمام الأعظم	فلبهن أركان الخلافة إنها
غضبا وقد كادت تشيب وتهرم	وأعادها بكرة وعاد جمالها
ونقضت ما عقد البغاة وأبرموا	وهدمت ما عمر الشقي بسحره
والسيف برء للفساد ومرهم	أصلحتها بالسيف بعد فسادها

ومن هذه القطعة نرى إلى أي مدى كان لهذه الثورة الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أعوام من أثر دفع دعاة الإمامة الزيدية إلى أن يشيعوا أنها جاءت من قبيل السحر وأن الإمام سعيداً كان من مهرة السحرة ، عرف أسرار الأوفاق ومعميات الطلاسم ، كل ذلك ليسدوا الطريق الذي بدأ الوعي يسير فيه ، وهذه الدعاية وإن أثرت إلا أنها لم تسد الطريق فقد بدأت القافلة تسير ، وما الإمام سعيد إلا أحد أعلام القافلة الذين سقطوا في أثناء الطريق تاركين

آثارهم مصابيح يبتدي بها السارون بعدهم ، حتى إن تلك الدعوة لمحو عقيدة الإمامة الزيدية استمرت في الشمال تؤدي عملها بعد عام ١٢٦٥ تاريخ إحتلال الأتراك لتهامة وبعض الجنوب وسحق طلائعهم في التاريخ نفسه تلك السطلائع التي استقدمهم الإمام المتوكل محمد بن يحيى إلى صنعاء مما جعل الأتراك يهابون الشمال ويحمدون بتهامة وبعض الجنوب خمسة وعشرين عاماً ، فقد استمرت الدعوة لمحو الإمامة الزيدية تواصل سيرها في الشمال بصفة تمكنت معها من إجهاض وملاشاة الإمام الويسي والإمام محمد الوزير وكان هذان الإمامان سيما الوزير مثلاً قوياً للإمامة الزيدية .

وجعلت الإمام محسناً يدور في حلقة مفرغة من عام ١٢٧١ - ١٢٩٠ هـ أي قرابة عشرين عاماً وهو من أعلام الأئمة الزيدية ولو لم يأت الغزو التركي للشمال لاستمر الإمام المحسن يدور حول نفسه حتى يتلاشى كما تلاشى الإمامان الويسي والوزير ، ولا مدت مسرحية الأئمة الأطفال العقول تدفع دعوة التخلص من عقيدة الإمامة الزيدية ، فإن الشخصية اليمنية غير الفاطمية بدأت تظهر عناصرها وبراعمها على المسرح الشمالي فيحكم صنعاء ومنطقة واسعة من الشمال الفقيه الأنسي ثم الفقيه الحيمي ثم الشيخ محسن معيض حكماً يعد في تلك الظروف الفوضوية من أروع مظاهر الحكم ، ويرينا أن الأنسي والحيمي ومعيبا كانوا على جانب من الموهبة والحكمة ، فلم يتسرع أحدهم إلى أن يعلن نفسه إماماً أو ملكاً كما تسرع الإمام سعيد ، وإنما حكم كل منهم كحكم الملوك والأئمة تاركاً للإمامة الزيدية أن تجري في تحطيم نفسها وعقيدة الإمامة الزيدية فتظهر كالحلة مشوهة في أعمال الأئمة الأطفال المسلوبي التفكير والحوول والقوة ، فهم بأعمالهم مثار السخرية والتندر وتبلغ السخرية نهايتها يوم الجمعة فإن الفقيه الزيدي يشترط في صحة صلاة الجمعة وجود إمام فعلى الحاكم بصنعاء إقامة إمام للجمعة يكون هناك بصنعاء فلا يأتي يوم الجمعة إلا وهو جاهز ، في بيته الذي يصبح عليه الحاكم النعمة ، يوم الجمعة وإذا اقترب وقت صلاة الجمعة ذهبت مجموعة من جند الحاكم الأنسي أو الحيمي أو معيب معهما فرس الامامة وسيفها ومظلتها وكسوتها وطبولها فيخرج الإمام فيلبسه

رئيس الجند حلة الإمامة ثم يركب الفرس ويذهب في موكب الإمامة إلى جامع صنعاء فيخطب بإسمه ثم يعاد إلى بيته يعود هو إلى حياة الشارع مع سقاسف الناس ، وهكذا كل جمعة منظر مظهره حرص الحاكم على المذهب الزيدي ، وباطنه السخرية بالإمامة الزيدية وتقوية للدعوة المضادة لها وكانت الدعوة المضادة قد اقتربت من إعداد الوعي في الشمال لتقبل ملك أو إمام يمضي غير فاطمي ، وكانت قد اقتربت من إبراز الشخصية اليمنية غير الفاطمية لتحمل أعباء الملك والإمامة في اليمن كما تحملها الصليحيون والحائثيون والرسوليون والطاهريون ، وما الحيمي والأنسي ومعيز إلا من مقدمات تلك الشخصية التي أصبح مفكرو الفاطميين يتخوفون إقتراب مولدها وتلمس ذلك التخوف فيما كُتِب حينذاك بل وفي شعرهم الحكمي والشعبي ، فهذا السيد محسن إسحق القاسمي يقول :

عظم الله يا حبيبي لك الأجرولي في الخلافة القاسمية
إلى آخرها ، وهذا السيد أحمد القاره من ذرية الإمام المطهر بن شرف الدين يؤله انحطاط الإمامة الزيدية ، ويغضبه ظهور مثل معيز فله في ذلك عدة قصائد حكمية وحمينية منها حول معيز مستكرا حكمه ومتخوفا منه .

وأمر المؤمنين معيز شاربه قالوا طويل عريض
قد جعل فيها سنن وفريض بعمل^(١) ، لا إله إلا الله

وبينما كان الدرب قد اقترب وأصبح مولد الشخصية اليمنية المتحررة من عقيدة الإمامة الزيدية - قاب قوسين أو أدنى - إذ بالغزرو التركي للشمال اليمني عام ١٢٨٩ هـ يسقط صخرة عاتية على قلب الطريق .

فسلدها ثم تحولت تلك الصخرة تحت ضغط الحرب التركية اليمنية وحرارتها إلى لغم انفجر في قلب الطريق فينسفها وتحت أنقاضها اختفى الدرب وأخذجت الشخصية ومات جنيها في بطن أمه اليمن ، وخرج الإمام المتوكل

(١) أي : جاهل غبي في قسوة .

عحسن بن أحمد الهادي غير القاسمي خرج من كهف خوله الذي عاشه عشرين عاما ، مقتنعا بأنه قد تخلص من قبضة الخمول وبأنه القائد الذي يلتف حوله الشمال ويعيد إلى الإمامة الزيدية فتوتها وذلك ما كان فالحسن هو أول الأئمة الأربعة الذين قادوا المعركة الذي شهد ضراوتها ونهايتها القرن الرابع عشر .

الأئمة الأربعة والقرن الرابع عشر وآل حميد الدين

اقرب القرن الثالث عشر هجرية من نهايته واليمن قد ضاق ذرعا من عار الاحتلال التركي ودبت في الشمال اليمني غضبة عارمة أنست الشمال كل شيء إلا عو عار الحكم التركي ؛ غضبة اختفى معها برحم النسيان جنين الشخصية اليمنية ، وجعلت كل زيدي يضع ألمته على زناد بندقيته أو كفه على قائم سيفه ينتظر في تحرق كلمة القائد إلى معركة الشرف وتطهير اليمن من الغازي ، وكلمة القائد إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وأبن هذا القائد إلى الجهاد والجنة ، والنظروف تتطلب هذا القائد ووجوده في سرعة ، لا تتحمل استمرار مسرحية أطفال الأئمة ، ولا انتظار مولد الشخصية اليمنية المتحررة من عقيدة الإمامة الزيدية .

إن ناقوس الخطر يدق في شدة ، وصدر الشمال لم يبق فيه ذرة من صبر على تحمل الكابوس التركي ، فلا بد من معركة ولا بد لها من قائد ينظم حركة السير إلى المعركة وإلى الجنة ، ولم يكن هناك في نظر والدنا اليمني الأبى المغوار الجاهل إلا الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد ، وسرعان ما تألبت ضد الأتراك القبائل الشمالية الزيدية يقودها المحسن الهادي ثم الهادي الحسيني ثم المنصور محمد حميد الدين القاسمي ثم ابنه المتوكل يحيى فأعاد هؤلاء الأئمة الأربعة إلى الإمامة الزيدية مقوماتها ، وكان المحسن أصلب الأربعة مغامرة لا مفر له ولا قصر ولا حصن ولا عاصمة إلا سرج حصانه يغادي الأتراك ويرأوهم ، له من قلب كل زيدي عاصمة لا يحرق سورها ، ولا يسوح سرها ، فأقض مضاجع الأتراك في كل مكان مما مهد لخلفه الإمام الهادي .

الحسيني أن يقتطع لواء صعلة ويقيم فيها حكومة مستقرة ترتبط بها روحيا كل القبائل الشمالية الزيدية ، وينازع الأتراك ، بجنوب لواء صعلة وكان الهادي مثلاً صادقاً للورع والشجاعة والإمامة الزيدية .

ولم يستهل القرن الرابع عشر إلا والصراع اليميني التركي قد أخذ يشتد ويتطور من حرب عصابات يمنية إلى حرب عصابات وجيوش يمنية تنازل الأتراك في لواء حجة وغيره ، وتوسع الرقعة التي يحكمها الهادي فتشمل الأهنوم والشرفين وحجور الشام وتمتد إلى ذيبين والجوف ويرط ومعظم لواء حجة ، ويهاجر إلى صعلة والأهنوم بدافع عقائدي الكثير من أعلام يريم وذمار وإريان وآنس ورداع وصنعاء ومناطقها كما كانت تساق إليه الزكاة والواجبات والتبرعات من المناطق الزيدية جميعها ومن كثير من المناطق الشافعية بالجنوب وتهامة ، وهو بدوره لم يقتصر على الجهاد والخطط العسكرية فقد اهتم بالناحية العلمية وإحياء العلوم الزيدية وأقام لذلك عدداً كبيراً من الهجر (أي المدارس في الجوامع) ببلاد صعلة والأهنوم وحوث ، ويموت الهادي في العام السابع من القرن الرابع عشر هـ بصعلة ويدفن بالأهنوم تاركاً منطقة واسعة وبيت مال لا بأس به من أسلحة ونقد وحبوب وحصونا يشرب عليها ابنه سيف الإسلام محمد بن الهادي المعروف بابو نيب لا لأنه خلف له في الحكم والإمامة فقد كانت مؤهلات الإمامة الزيدية موجودة فيه إلا أنه لم يبلغ درجة الإجتهد الذي هو من شروط الإمامة ، وقد أشرف أبو نيب على هذه المهمة بأمانة ينتظر الإمام المستجمع شروط الإمامة .

وبعد أن استعرض أعيان الزيدية عدة أشخاص من أعلام الفاطميين استدعوا السيد محمد بن يحيى حميد الدين القاسمي إلى صعلة من صنعاء لاختباره من ناحية الإجتهد أما فيما عدا الإجتهد فلا كلام في اضطلاعه بها فقد كان من ألمع أعلام الفاطميين ويصل محمد حميد الدين إلى حصن السنارة المشرف على مدينة صعلة مقر حكومة الهادي بالأمس فيستقبله أبو نيب ويكرم وفادته يوماً ثم يأمره بالنزول إلى صعلة مجتمع أعيان الزيدية وعلمائها للمناظرة معهم لتقرير اجتهداه من عدمه ، وبعد مناظرة عميقة قرر العلماء اجتهداه

فبايعوه وبايعه الأعيان في آخر سنة سبع من القرن الرابع عشر وتلقب بالمنصور بالله ويصعد من صعدة إلى السنارة ويتسلم من أبو نيب السنارة وما تحتويه من أموال ومعدات ، ويبقى المنصور بصعدة عدة أشهر ثم استتاب على لواء صعدة أبو نيبه وانتقل إلى حاشد والأهنوم واتخذ القفلة - من عذر حاشد مقراً له ، ووسع خطة الهجر والتعليم ، وبالمنصور محمد بن يحيى حميد الدين عادت الإمامة إلى بيت القاسم وابتدأ حكم آل حميد الدين وكان إلى جانب معلوماته الزيدية واسع الإطلاع بأحوال زمنه وسياسة عصره قوي البيان في رسائله شديد التمسك بالمبادئ الزيدية الهادوية نشيط الحركة^(١) مهاباً كريماً ويعد هو وابنه الإمام يحيى أقوى الأئمة الأربعة سياسة ودهاء وقيادتها استمرت الحرب التركية اليمنية في مد وجزر وبلغت قمة ضراوتها وتضحياتها في عهد الإمام يحيى ، وبعده انتهى الصراع الذي امتد في الشمال من عام ١٢٨٩ - ١٣٢٩ هـ بتغلب اليمن وعقد معاهدة عام ١٣٢٩ هـ التي حولت الإمام يحيى الحكم والسلطة وجعلته يفكر - وكأن كله فكراً - في مستقبل حكمه ومستقبل اليمن .

(١) كان متصلاً بالاعلام في الخارج مثل عبد الرحمن الكواكبي .

اليمن والإمام يحيى بعد اتفاقية

عام ١٣٢٩ هجرية

إن للإمام يحيى جانبته المشرق وجانبته المظلم ، وعلى الجانبين نمشي مع هذه الشخصية ، لقد تمكن الإمام يحيى أن يتخلص من شخصيات يمنية قوية في خلال الحرب التركية اليمنية من تلك الشخصيات من سقط في المعارك ومنهم من قتله الأتراك أو نفوه أو أذابوه ، ومنهم من أذابه أو قتله الإمام يحيى لخطورته وطموحه وهم كثيرون كالشيخ أحمد الرماح ، أو لتبيطه ومعارضته إمامة الإمام يحيى . كشيخه عالم الزيدية القاضي محمد جعمان . والسيد علي حميد الدين فقتل جعمان مع رفاقه صبراً ، وأذاب علي حميد الدين عام ١٣٢٢ هـ تاريخ قيامه ودخوله صنعاء المرة الأولى بعد حصار طويل أجبر الأتراك على الاستسلام وهلك من أهل صنعاء ما يقرب من أربعين ألفاً ، فدخلها الإمام مع قواد جيشه القبلي ونقل منها إلى شهارة كل الذخائر الحربية ، كما اغتال في صنعاء الرماح وشهر بعلي حميد الدين فأذابه وكلاهما من أبرز قواد الجيوش القبلية الزيدية التي حاصرت صنعاء ، ويعيد الأتراك الكرة فينسحب الإمام يحيى ويتبعه الأتراك بجيوش ضاق بها السهل والجبل لقيت مصارعها بمعركة شهرة التي تعد أعظم معركة في الحرب اليمنية التركية هبطت بها للعنوة التركية إلى قرب الصفر وارتفعت بها الآمال اليمنية في النصر ومعنوية الإمام يحيى .

وها هو اليمن اليوم عام ١٣٢٩ يتخلص هو والإمام يحيى من الحرب

وحكم الأتراك وأصبح الإمام هو الحاكم لليمن محاطاً بهالة من حب الجماهير وتقديسها إلى مهابة واحترام يملآن القلوب ، ولكن الإمام يحيى ليس من أولئك الذين تخدعهم المظاهر ، إنه يعرف أن حكمه معرض للخطر ويعرف أن وحدة اليمن عرضة للتمزق الكامنة عناصره في داخل اليمن فشخصيات طامحة ، وبريطانيا تحتل الجنوب ، وعميلها وعميل إيطاليا الإدريسي يلعب في همالة والمخلاف السليماني ، وتركيا التي ما زال لها وجود باليمن بموجب اتفاقية دعان تضع يدها بيد ألمانيا الإمبراطورية العسكرية وتندلع الحرب العالمية الأولى وتنضم الدول والبلدان العربية إلى بريطانيا ويضربون الأتراك من الخلف وفي القلب ، ولكن الإمام يحيى في هذه الظروف كان أعمق القادة العرب فكراً وأشرفهم موقفاً ، فسوقف موقف الحياد ولم يطعن الأتراك لا من الإمام ولا من الخلف ، إلزاماً منه باتفاقية دعان وبأنهم مسلمون يحاربون مستعمراً كافراً (هم الإنكليز) وحلفائهم ولم يقف به هذا الاعتقاد عند حد المتاركة للترك بل أمددهم بالمال ، ولم يعارض من أحب التطوع من اليمنيين للقتال معهم ضد الإنكليز ، وتنتهي الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وألمانيا فسلم القادة العرب كل من بيدهم من الأتراك إلى بريطانيا وحلفائها المنتصرين كأسارى ولكن اليمنيين والإمام يحيى لم يصنعوا هذا الصنيع برغم ما جره الأتراك من ويلات إلى اليمن بل احتفظوا بمن بين أظهرهم من الأتراك وفتحوا المنطقة المتحررة من الأتراك والحماية البريطانية لكل تركي أحب اللجوء إليها وتركوا لهم حق الاختيار في البقاء باليمن أو الرجوع إلى بلادهم ، لقد كان اليمن شريقاً في انتصاره وأيام سلمه .

ومما يؤخذ على الإمام يحيى أنه لم يستجب لنداء القائد العسكري التركي بلهيج (سعيد باشا) لاستلام الجنوب اليمني من سعيد ، ذلك النداء المتضمن له خطاب سعيد المؤرخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٨م أنه أيدين الإمام بإضاعة الجنوب اليمني .

وعلى أثر الحرب العالمية يدخل الإمام يحيى صنعاء ومعه تفكيره حول ترسيخ حكمه المطلق والوحدة اليمنية ودون تحقيقها تلك الصعاب وليس

التخلص منها بالأمر السهل فإن اليمن إن تكن الحرب قد دمرته وكنت من طريق الإمام شخصيات فإنها قد أوجدت في اليمن مجموعة من القادة وأبطالاً عسكريين وشخصيات لها مكانتها في القبائل والشعب كما أوجدت قبائل حنكتها الحروب ودججتها بالأسلحة وعبأتها الدعوة الزيدية بروحها الثورية التي أشعلتها ورفعت من حرارتها دعاية الإمام يحيى وسلفه لضرب الأتراك ومعارضى التشيع والمذهب الزيدي ، إنها مشاكل معقدة يعرف نتائجها الإمام يحيى الذي هو أعرف الساسة باليمن ونفسيته . ويعرف أكثر من غيره الدعوة الزيدية وروحها الثورية ، وما هي الحرب قد وضعت أوزارها وتركت مخلفاتها ، فهل يترك المخلفات على علاتها وشخصياتها ومطامعهم مكتفياً بشعبيته وقداسته التي يعلم أنها عرضة للهزات إذا امتدت بحكمه السنون ، إنه لن يدع فرصة مقامه الشعبي تمر قبل أن يضرب بحديها كلها يظن أنه يعترض تحقيق الوحدة اليمنية تحت حكمه الفردي المطلق المستبد ، وما كان للإمام يحيى من أولئك الذين يستجيبون لصوت المروءة والعاطفة إذا اعترضتا تنفيذ أفكاره ولا يستخف الإطراء والمديح والإستعطاف فيخرجه عن تفكيره الذي جعله لا يعطي المناصب والمال إلا من ترتضيه طبيعة الحاكم المطلق القوي الكنود ، أما الرحمة فقد كانت لا تعرف لها مسلكاً إلى قلبه القاسي الحقود ، قلب لا يرق لمسترحم ولا تهلمه الأهوال ولا تبطره النعمى ، كله ذكاء ومعرفة تحركه عقلية القائد المستبد المجرب المحنك ، وهذا القلب وهذه العقلية هما اللذان جعلاً من هذا الرجل لغزاً فأنت إذا عرفته وعشت في عهده لا تقتدر أن تحكم عليه بأنه مستبد عادل أو بأنه مستبد جائر ، فمن أعماله ما هو من أعمال المستبد العادل ، فقد وطد الأمن وحكم الشريعة الإسلامية في حل الخصومات والمعاملات بين المواطنين وأخضع لقانونها (الفقه الزيدي) نفسه وفؤيه ، وحصن المواطن اليمني من أي تسلط غير حكومي ولم يول الحكم والقضاء وتبجاية الأموال لقرابة أو محسوبية بل يتخير الأكفاء الذين يأمن من طموحهم ، ويعرف أنهم لا يتجاوزون حكم الظل التابع له وكان ملتزماً للمظاهر الدينية واليمنية ، فلا يرى عابثاً ولا لاهياً ولا مسرفاً في المال والشهوات قريباً من المواطنين مهتماً بمشاكلهم وحلها دائماً الاتصال بهم مسيطراً على بطانته وجهاز حكومته يرهبونه ولا يجدون منفذاً إلى الدالة عليه

وكان موهوباً في معرفة الرجال واختيار من ينضج لنظريته ويطبق خطته ، وإلى جانب هذا ، تأتي ناحية المظلمة فقد كان حقوداً لا ينسى أية زلة ، بخيلاً حتى على نفسه وذويه حريصاً على جمع المال وادخاره مستبداً لا يسمح للخيال أن ينازعه السلطة كنوداً لا يطمع في هباته مستجداً ولا مباح عالماً متفوقاً واسع الاطلاع لا تقف معرفته عند العلوم الزيدية والإسلامية والأدبية ، وإنما اجتازها إلى علوم الطبيعة والفلسفة وجانب من علوم عصره ، ومع ذلك فهو من أعداء انتشار العلوم غير الفقهية والحديثية وما يتعلق بهما ، سد الطريق أمام كل جديد من المعارف نافعاً كان أو ضاراً فقد كان يرى في ذلك خطراً على اليمن وحكمه المطلق الوراثي ، وهذا ما جعله يجمد المشاريع العمرانية كاستخراج المعادن وإدخال الوسائل الحديثة في تطوير الزراعة والصناعة . وجعله يتخوف من تحرر الأفكار من الخرافات والأوهام ويتخوف من كل جديد حتى من فهم الناس للإسلام بمعناه الصحيح ومن روح الثورة في المذهب الزيدي التي لا تقر ولاية العهد ووراثته الإمامة في الأبناء والأخوة .

هذا هو الإمام يحيى ببعض ملامحه المظلمة والمشرقة والتي يمزاجها شرع في تنفيذ نظريته حول الوحدة وحكمه ، فعمد وهو بالسودة في تلويب الشخصيات بكل الوسائل الحكيمة ، فمن بث دعاية ضد كل بما يتناسب مع أحواله إلى إقامة منافسين لهم من ذويهم وعشائريهم وغيرهم ، وقد نفذ خطته في مهارة مكنته من إقصاء أولئك الأقوياء عن جهاز الحكم وسلبهم مع المشايخ مكائدهم في قبائلهم ، ومكنته دراسته نفسية كل قبيلة ومعرفته بأفرادها وأحوالهم العامة والخاصة أن يتصل بالجماهير ويربطهم به مباشرة ليس بنيه وبين الجماهير صعوبة حجاب . تاركاً المشايخ والأعيان بعيدين عن الوساطة بينه وبين الجماهير المرتبطين به ارتباط عقيدة مرفقة بالمهابة والاحترام . المالكين نفوس الجماهير الذي في وسع كل واحد أن يرى الإمام ظهر كل يوم يؤدي الصلاة في أحد المساجد مع المواطنين الذين لا يحجبهم عن الإمام في صباح كل يوم أي حجاب . ييشون إليه شكواهم ويسرفعون مظالمهم ، ويقدمون مطالبهم ونذوراتهم ! ويستمدون منه البركات والدعوات والتمائم ، ولذلك اجتذب

الجماهير وأصبح يربطهم بوجوه جديدة ، هم صنع يده ، وطوع إشارته ، وسلعة قيمتها بيده إن شاء رفع ثمنها وإن شاء قذفها في قارعة الطريق ، لا قيمة لأكثرها إلا أنها نفاية في قارعة الطريق .

فذهبت الشخصيات البارزة والطامحة في هدوء وأناة وبلا عنف ، فإذا بالاختفاء يطوي تباعاً سيوف الإسلام : أبو نيب محمد بن الهادي ، وأحمد بن قاسم حميد الدين ، ومحمد بن الإمام المحسن ، ويحيى بن حسن الكحلاني ، وأحمد بن يحيى عامر الدين كانوا كمنافسين له في الترشيح للإمامة . ويطوي شيخ الإسلام كعلي بن عبد الله الأرياني ، وعبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماسي ، وعلي المغربي ، وأحمد بن عبد الله الجنداري وغيرهم عن يدهم الحل والعقد في القبائل الزيدية ، ويبد جملهم ارتفع يحيى إلى الإمامة ، ويطوي قادة الجيوش القبلية كالشيخ ناصر مبخوت الأحمر ، وعبد الله أبو منصر ، والشيخ علي المقداد ، وأحمد مساعد ، ومحمد بن يوسف ، وعلي مطلق ، ومحمد بن علي الشامي ، وعلي بن محمد الشامي ، والنقيب عبد الله الصوفي وغيرهم ، وبلاشي نفوذ المشايخ في قبائلهم ، وتطلع تلك الوجوه الجديدة التي اختارها يحيى فيحل الأمير عبد الله الوزير ، والأمير علي الوزير ، والأمير يحيى بن محمد المتوكل الشهاري ، والأمير عبد الملك بن عبد الرحمن المتوكل الشهاري محل سيوف الإسلام القدامى .

ويقوم القاضي عبد الله العمري وآل مطهر ، وآل الجصافي ، وآل إسحاق ومن على شاكلتهم على رأس الجهاز الحاكم ، وتربع القاضي حسين بن علي العمري على صدر مشيخة الإسلام والقضاء ، وفوق قمة هذا الهرم يجلس الإمام يحيى حاكماً مطلقاً ، ومن الاعتراف بالحقيقة أنه بعمله هذا استطاع أن يوحد الجزء المهم من اليمن تحت سلطته المطلقة ، وأنه لعمل جبار فقد كانت اليمن على أثر الحرب التركية عرضة للتمزق بقيام ما لا يقل عن مائة إمارة ومشيخة وسلطنة ، وما بقي معه من مشكلة حيرته إلا الدعوة الزيدية وما تحمله من روح ثورية .

الإمام يحيى والروح الثورية في الدعوة الزيدية

لقد نجح الإمام يحيى فأقام مملكة راسخة القواعد تشمل الجزء المهم من اليمن المكون من الشمال الزيدي ومن القسم الشافعي المكون من نهامه والجبال الجنوبية المطلّة عليها والألوية الثلاثة تعز وآب والبيضاء فها هو الحاكم المطلق الذي لا يسأل ، وأقام جيشاً نظامياً من القبائل الشافعية والزيدية وجيشاً عشائرياً من حاشد وبكيل وخولان والحدا ومخلاف صعدة عرف بالجيش البراني وربط الجيشين به ، ولم يبق من يجاذبه سلطة ، ولا من يخيف الأمن المستتب والاستقرار الملتقى فيه الشافعي والزيدي ، ولكن الإمام يحيى كغيره من مؤسسي الممالك لم يشد هذه المملكة لمحض الشعب ، وإنما ليحكم هو وأبنائه من بعده الشعب ، وهذا ما تعارضه الدعوة الزيدية وروحها الثورية ، وشروط امامتها ، فيقف الإمام يحيى حائراً ، إنه لم ير متردداً في أية معضلة كترده في هذه القضية ، إن في القضاء على الدعوة الزيدية نفساً لقاعدة عليها قام الحكم الفاطمي في اليمن . وفي الإبقاء عليها يكمن الخطر الذي إن لم يهدد يحيى ويقضي عليه فإنه سيقضي على أبنائه ، إنها أخطار ذات حلول متناقضة ما زال بينها مضطرب التفكير الذي أدى به إلى حل وسط ، فقرر تخفيف حدة وحرارة الدعوة الزيدية لا القضاء عليها ففتح الباب للجنة وانتشارها في الشمال ، وأقبل على علمائها واستخدم منهم الكثير لضعف مركزهم الشعبي واستخدم إلى جانبهم من علماء الزيدية وأعيانها من عرف بالخضوع والضعف ، وبأنه خوار رعديد وقد استراح إلى قراره هذا وسادت بهذا القرار روح من التسامح المذهبي الزيدي والشافعي ، حتى إذا كانت الحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٢ هـ جعلته الأحداث وصمود القبائل الزيدية إلى جانبه وفي المعارك التي جعلت ابنه ولي العهد أحمد يتغلب على ولي العهد السعودي فإذا به يغير فكره ويرجع إلى إحياء التشيع والدعوة الزيدية ويحدد من نشاط السنة ، إن الحرب السعودية اليمنية كما حولت تفكير يحيى فقد تولد من هذه الحرب اتجاهان متضادان مستكلم عنهما بعد أن نقف مع بعض الشخصيات التي نجح الامام من التخلص منها .

حوادث وشخصيات تعترض الإمام يحيى

تكلّمنا عن بعض الشخصيات اللامعة التي زاملت الإمام يحيى في الكفاح وبيدها ارتفع إلى الإمامة ، وكيف قلب لها ظهر المجن وأذابها ، وقد يبدو مما كتبناه أن لم يلق أية صعوبة ولا مقاومة (كلا) فلقد لاقى في طريقه نصيباً ، فإن الكثير من تلك الشخصيات من شعر بما يبيته لهم يحيى وهو ما يزال في السودة ومن قبل عام ١٣٣٠ هـ فمن تلك الشخصيات من رجح الابتعاد عن يحيى دون الخروج عليه وهؤلاء هم القادة الدينيون الذين لا يرون في مجرد الأعراض عنهم ما يوجب المنازلة والخروج (الثورة) ومن هؤلاء . والدنا عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي فقد فارق الإمام يحيى غاضباً عام ١٣٣١ هـ إلى ظفير حجه فحول ظفير حجه إلى هجرة (مدرسة) أمها طلاب العلم من كل صوب واستمرت هذه المدرسة إلى أن قوضها سيف الإسلام أحمد بن يحيى عام ١٣٤٠ هـ وهكذا فعل سيف الإسلام أبو نيب محمد بن الهادي فقد فارق الإمام يحيى إلى الأهنوم وتفرغ للدراسة والتدريس ، وهذا ما عمله القاضي علي بن عبد الله الأرياني ، وهو أول من ابتعد بل عارض في تعيين الإمام يحيى للإمامة بما جعله يحقد عليه من أول يوم لدعوته وأمثالهم كثير أما غيرهم من الشخصيات ذات القيادة العشائرية أو الأمراء ، فمنهم من استسلم حتى طواه الموت فأراحه كمحمد بن يوسف والشيخ علي المقداد ، ومنهم من امتشق الحسام وأعلنها حرباً ومن هؤلاء أمير حجه السيد يحيى بن ناصر شيبان من نسل المطهر بن شرف الدين ، وشيخ حاشد الشيخ . ناصر بن مبخوت الأحمر .

شيبان والأحر

فقد اتفق السيد يحيى شيبان مع الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر على إشعار ثورة من حجة تمتد فتغطي الشمال الغربي ثم تطبق على صنعاء فتجبر الإمام يحيى على الاعتزال إن لم يعتدل بتطهير جهاز حكمه من تلك الفئة غير المرغوب فيها ، ويعيد إلى الجهاز أولي الإخلاص والسبق .

ولنجاح العملية اتصل الأحمر وشييان بمن يثقان به كابو منصر بشلا والسيد عبد الوهاب الحوري من مشايخ مسور حجة ومجموعة من أعيان حاشد كالشيخ محمد القديمي ، وكان الإمام اكتشف المخطط وكان شييان بصنعاء فقبض عليه واعتقله بسجن غمدان ففجر الثورة أخوه محسن شييان بحجة عام ١٣٣٧ هـ . ولم يكن محسن كأخيه في قوته ومواهبه فلم يبق أمام الشيخ ناصر الأحمر إلا أن يرسل قوة من قبيلة حاشد بقيادة ابنه الشيخ حسين الأحمر ملد المحسن شييان ويصل حسين الأحمر حجة ومنها صعد مع طائفة من جنوده ، إلى القاهرة حجة حيث يقيم محسن شييان ويذهب محمد القديمي وطائفة من حاشد فيحتلون قرية صمصعة المسيطرة على الطريق إلى الأسان الذي تحتله حينذاك القوات الادريسية ، وتكون الحرب بين شييان والأحمر ومن انضم إليهما من عشائر المنطقة وبين أتباع الإمام ومن انضم إليهم من عشائر المنطقة ، وأرسل الإمام يحيى من صنعاء طائفة من الأعيان مع جيش وأمرهم بالتوسط وحل القضية بالمصالحة ومن أولئك الأعيان سيف الإسلام محمد بن المحسن والشيخ حزام الصعر ، وأنهم ليدورون في غبار المصالحة إذ يطلع من شمال حجة سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى في عسكر جرار معظمه من الأهنوم ومن عذر والعصيمات ، فقد كان أوعز إليه أبوه الإمام يحيى سرّاً بالزحف على حجة وتظاهر بالمصالحة ليخدر شييان والأحمر حتى يفرق من حولهما العشائر المنظمة إليهما وحتى يتمكن ابنه أحمد من حشد قوة يزحف بها إلى حجة ، وقد تم له ذلك ويصل أحمد وهو إذ ذاك شعلة من نار لم يتجاوز الرابعة والعشرين عاماً ، وسرعان ما احتل المواقع الهامة المحيطة بحجة ثم احتل حصن كوكبان حجة المطل على حجة ، وهنا كانت الحرب العوان وقد ثبت فيها محسن شييان وحسين الأحمر برغم قلتهم واحتلال أحمد كليهما يحيط بحجة حتى فصلها عما حولها ودخوله إلى جوفها فاحتل حصن نعمان ولم يبق بيد الأحمر وشييان إلا القاهرة حجة وقد أبدى مقاومة أقنعت أحمد بأنه لا يأخذها عنوة فقبل شروطها بأن يخرجوا مع جميع أصحابها ويكلموا بقاهرة حجة من أموال وسلاح ما عدا المدافع إلى حاشد وقبل أحمد هذا الشرط وانتقل الأحمر وشييان من حجة إلى خارف حاشد ، واتخذ أحمد حجة مركزاً لإمارته وكان لسوء حجة إذ ذاك تتحكم فيه طائفتان : المشايخ

المحليون أو أسر ومشايخ من حاشد ويكيل كآل الأحمر وآل جزيلان وآل هراش وآل المعمرى وآل الدميني والزرقة وأبوراس وشمسان وآل الشايف وغيرهم .

وقد جعل أحمد نصب عينيه التغلب على هاتين الطائفتين فدخل معهم في صراع غير يسير انتهى بتغلب أحمد على الطائفتين ، وفي خلال صراعه مات الشيخ ناصر مبخوت الأحمر وقام بعده ابنه الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر وما لبث أن اشتد الخلاف بينه وبين الإمام يحيى بسبب تصرفات ابنه سيف الاسلام أحمد بلواء حجة ضد الأسر الحاشدية والبيكيلية فقد كان الإمام معجبا بتصرفات ابنه أحمد ويتظاهر لحاشد ويكيل أن ذلك عن غير رضاه ولم يقتنع الشيخ ناصر بن ناصر الأحمر بهذه الأعذار وكانت حاشد ويكيل إلى ذلك التاريخ غير خاضعتين لحكم الإمام عسكريا وإنما خضوعا روحياً فاستشارهم ناصر بن ناصر الأحمر لأخذ حجة وإخراج أحمد منها ، فالتفت حوله عدة آلاف وزحف بهم عن طريق حبور حتى وصل حصن (نيسا) القريب من حجة فذعر الإمام بصنعاء ، أما ابنه أحمد فاستولت عليه بحجة المخاوف حتى أنه بدأ في نقل بعض أمتعته ومعداته لئلا تسقط في يد الجيش الزاحف الذي يقوده ناصر بن ناصر الأحمر وكان ذلك هو المنتظر إلا أن هذا الجيش توقف (بنيسا) فقد تعرض له عامل الإمام بنيسا القاضي حمود حميد ومرعان ما قتل القاضي حمود حميد واحتل ناصر الأحمر قلعة نيسا ، وهنا أظهر بعض أعيان الجيش الزاحف استنكاره لمقتل القاضي حمود حميد واتسع الخلاف بين الجيش وقد يكون ذلك عن مؤامرة دبرها أحمد ، ولم يتمكن ناصر بن ناصر من التغلب على هذا الانشقاق فإذا بشطر جيشه ينسحب عائدا إلى بلاده مما اضطر معه ناصر بن ناصر الأحمر إلى التوقف بقلعة نيسا مع من بقي معه من الجيش واستمر بنيسا قرابة عام يتحين الفرص ليثب منها على حجة ولكن الفرصة لم تأت وثقلت نفقات الحرب على ناصر بن ناصر الأحمر فترك نيسا وعاد إلى حاشد واستقر بها إلى أن دخلت حاشد في حرب مع الإمام يحيى وكان الإمام قد أعد لها من الجيوش النظامية وغيرها كما دس بين حاشد نفسها ما فرق صفها ثم رماها بقائد له مكانته في اليمن هو السيد عبد الله الوزير الذي له في حاشد نفسها صنائع من عدة أسر وأعيان مما

مهد له أن يحتل حاشدا عسكرياً فلم يبق للشيخ ناصر بن ناصر الأحمر إلا أن يلجأ إلى الملك عبد العزيز آل سعود ، كما أنها قامت عدة ثورات منها ثورة السيد محمد علي الوزير بالسربيني حشيش عام ١٣٤١ هـ وثورة النعمي والشيخ احمد الزبيحي بالشرفين وثورة الشيخ علي مطلق بهمدان صنعاء وثورة قبائل الزرانيق بتهامة وقد استمرت ثورة الزرانيق أكثر من عام إلى غير ذلك من الثورات وكلها كلفت الإمام يحيى خسائر ولم يتغلب عليها الا بجهود زاداته اصرارا على فكرته حول الدعوة الزيدية وخطرها على استمرار الملك في عقبه حتى إذا كانت الحرب السعودية المتوكلية عام ١٣٥٣ فغيرت تفكيره وتولد منها اتجاهان متضادان كما اشرنا اليه ، وعن هذين الاتجاهين نتحدث .

(الاتجاهان المتضادان على إثر الحرب السعودية اليمنية)

انتهى الحكم الإدريسي من عسير والمخلاف السليماني وتهامة والجزر بالبحر الأحمر فاستولى الإمام يحيى على القسم الجنوبي من تهامة واستولى الملك عبد العزيز على البقية مما أثار الخلاف بين الإمام والملك عبد العزيز وكان ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى شديد المعارضة لهذا التقسيم فأصر على استرجاع ما أخذه الملك عبد العزيز بالقوة إن لم تبق إلا القوة فاعد جيشاً قويا من القبائل ومن الجيش النظامي رابط به في بلاد صعلة واعتمد على الأمير عبد الله الوزير واخيه سيف الإسلام عبد الله في تهامة وتوتر الموقف واراد سيف الإسلام عبد الله أن يتخلص من عبد الله الوزير فاقنع أباه الإمام يحيى بإرسال عبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز للمفاوضة ، ولكن الحرب انفجرت وكان أحمد قد احتل بخران ومنها ومن حدود عسير تقدم بينا ركز الأمير فيصل بن عبد العزيز حملته على حرص تهامة ، وسرعان ما ثارت قبائل تهامة على الإمام يحيى وانحازت إلى الأمير فيصل ولمساعدتها سهل على الأمير فيصل الاستيلاء على تهامة إلى أن وصل الحديدية على سيارات ومصفحات كثيرة لم تلق بعد حرص أية مقاومة ، وفر سيف الإسلام عبد الله من الحديدية فرار الأمة الوكعاء ، ومن لا رجولة له . فأراد أن يبرر فراره لدن أبيه فهول الموقف فاذا بالإمام يحيى الجبار غيره اليوم أنه اليوم كنعامة فتخاء تنفر من صغير الصافر ، بينا كان ولي العهد

أحمد بن الإمام في معركة حامية اشرفت على النهاية بل انتهت بانتصار الجيش اليمني واقتحامه الحدود السعودية وفرار ولي العهد السعودي تاركاً الأمير السعودي غيمه نهياً للجيش اليمني المنتصر والذي بدأ ولي العهد أحمد يوجهه لمتابعة الجيش السعودي المتقهقر وإلى احتلال جيزان ليقطع عن الأمير فيصل والجيش السعودي خط الرجعة البري وكان مقدراً لأحمد أن ينفذ مخططه ويواصل انتصاراته لو تركه أبوه الإمام يحيى يدير المعركة .

ولسنا في سبيل شرح الحرب السعودية اليمنية وكلما يتعلق بها ولم نأت بهذه الجملة عن تلك الحرب الا نعرف : ان الإمام يحيى بدأ غريباً اليوم عن الإمام يحيى القوي بالأسس ، لقد بدأ اليوم مشلولاً لا خوفاً وفي صورة طفل استسلم حيث لا داعي للاستسلام ، واحنى عنقه لخيال جره اليه ابنه سيف الإسلام عبد الله ، فاذا بالإمام يحيى يقبل صلح الطاييف ويستسلم ويأمر ابنه أحمد بأن يوقف الحرب ويتراجع بل وينسحب عن نجران ويسلم الأدارسه ، وإن لم يفعل فقد حلت به نقمة الله وكان أحمد مطواعاً لأبيه فراجع أباه فلم يجده فاستجاب لأبيه وحشجة الغضب والألم تكاد تخنق أنفاسه ، وأصيب بحمى كادت تميته وقد أثار الإمام يحيى بموقفه هذا . استغراب واستنكار جميع الفئات اليمنية وغضب القبائل الزيدية .

وهنا انطلقت الألسنة من عقاها لنقد الوضع والجهاز المعتمد عليه الإمام وحكمه وتتمخض هذه البلبلة وهذا النقد عن اتجاهين ، اتجاه نحو حياة متطورة متحررة من قيود الإمامة الزيدية والحكم المطلق ومن كل ما يقف في طريق التقدم باليمن إلى مستوى الحضارة المعاصرة على أن يكون ذلك التقدم في إطار الروح الإسلامية الصحيحة ، وهذا ما كان يستهدف إليه المستنيرون من الشباب بقيادة أبو الثورة السيد أحمد بن أحمد المطاع العلوي ، واتجاه آخر شبه معاكس للاتجاه الأول فهو يطالب بالإصلاح إلا أنه يربطه بإحياء الدعوة الزيدية وإمامتها وبذلك فهو يرى أن يطالب الإمام يحيى بإصلاح جهاز حكومته والإدارة المتبعة بأن يدخل في جهاز الحكم والإدارة عناصر قوية من ذوي الكفاءة والنزاهة القادرين على التقدم باليمن وحماية الدعوة الزيدية من التعثر أو الاستئثار وقد أبدى الإمام

يجبى تجاهبه مع هذه الخطة نتيجة الحرب السعودية اليمنية .
وقد رأى المطاع وزملاؤه مقاومة هذا الاتجاه ولذلك وتحقيقاً لما يهدفون إليه
قرروا إنشاء هيئة أطلقوا عليها هيئة النضال .



الشهيد أحمد المطاع

هيئة النضال وأبو الثورة أحمد المطاع

السيد أحمد بن أحمد المطاع العباسي العلوي يتصل نسبه بالعباس بن
علي بن أبي طالب ، كان أحمد المطاع ذا شخصية قوية ماضي الإرادة مرهف
الإحساس عنوداً متواضعاً مع اخوانه والجماهير ، وفيأ بوعده وعهده ولأصحابه
واضحاً لجرح المناظرة والعداوة إذا آمن بشيء التزم به عملاً ودعوة ، عالم كونت
معظم معلوماته المطالعة متأثراً بالمنقلاطي والكواكبي والشيخ محمد رشيد وشيخه
محمد عبده ، أديباً درس شعر المتنبي وشوقي وحافظ والرصافي وكتاب عصره

وأسلوب الصحافة والنظم وقرأ الكثير من مؤلفات زمنه حول الاقتصاد والاجتماع والفلسفة والثورات والتطورات معجبا بصراحة قاسم أمين وأمثاله من دعاة التطور ، إعجاب تقدير لا اتباع وتقليد ، بل فحص وغربة ، ويظهر هذا التفاعل في كتابته وشعره^(١) وكان في الكتابة قوي الأسلوب قوي البیان ، وكان إذا آمن بنظرية طبق عليها جل أعماله ودعا إليها في حكمة واصرار ، وكان مخلصا لليمن وقف الشطر الأكبر من جهاده وجهوده وشعوره في مسيل ما كان يظنه أصبح الوسائل وأنجمها لتقدم اليمن وارتفاعه إلى مواكبة الأمم المعاصرة المتحضرة ، معتقد أن هذا الطريق والوسائل ستظل مسدودة ما بقي على الحكم الإمام يحيى وأسرته وما بقيت الإمامة الزيدية ، وكان بطبيعته المنطلقة اللجوجة حانقا على الإمام يحيى وجهاز حكمه .

وبهذه الروح أصبح مقتنعا : (أن انتعاش اليمن وارتقاءه إلى المستوى السلائق به وماضيه الحضاري بين الأمم متوقف على تخليصه من حكم الإمام والإمامة وأنه إذا تخلص من هذين المرضين امكن تخليصه من عبث العابثين والمستغلين والمتعاليين بالأنساب) ولكم كان يخاطب أبناء عمومته الفاطميين بقول شاعرهم القاسمي :

بني عمنا صيرتم الظلم عادة على غير تدبير عدمناكم معا
أسود على نهب المساكين جراءة نعالب إن لاقيتم السمر شرعا
جبلتم على نهب الرعايا تجاريا على الله مع تيه لديكم وإدعا

وكانت الأوضاع السائلة التي يعيش بها اليمن ، مبعث آلامه وتأملاته منذ كان ضابطاً عسكرياً في الجيش المتوكلي ، وله في هذا الدور مواقف نقدية على النظم العسكرية الإدارية منها والتربوية لما كان يراه مفسداً روح الجندية وطبعها بالملق والخور ، ودفعها إلى السلب والنهب ، حتى ضاق به رئيس الوزراء القاضي عبد الله العمري وأمير الجيش السيد علي بن أحمد بن إبراهيم ، وللتخلص منه نقله العمري إلى مشاركة القاضي عبد الكريم مطهر في تحرير

(١) في الايمان والحكمة نماذج لذلك .

جريدة الإيمان فلم يخضع قلمه لكل ما يريده الإمام يحيى من المواضيع برغم الإغراء والتهديد .

ولما كانت الحرب السعودية اليمنية ، وما ترتب عليها بدأ المطاع يفكر في إقامة نضال مركز له مفاهيمه وأهدافه ، وهو مجهود صعب يتطلب حكمة وتعاوناً صادقاً وزمناً طويلاً وأجهزة ومالا .

ومن أين ، والمطاع فقير في شعب لا يعرف النظام التعاوني فيما يصلحه وقد أخذ الإمام بأنفاسه (ولكن المطاع قرر الشروع) . وقد مكنته مقالاته التي كانت تنشر في جريدة الإيمان من التعرف بكثير من الشباب والشخصيات ولع اسمه في اليمن ، فليبدأ النضال من هنا بإقامة منظمة إصلاحيّة سرية تحمل عنوان (هيئة النضال) ، يكون مركزها في صنعاء ، ولها في عموم اليمن فروع وأعضاء ، وإخراج هذه المنظمة من حيز الفكر إلى حيز العمل ، والواقع قرر القيام بجولة في اليمن ، ولثلا يلفت أنظار الإمام ووزاراته المراقبة له ، توصل بواسطة اخوانه إلى أن كلفه وزير المعارف حينذاك سيف الإسلام عبد الله بالكشف على المدارس في اليمن فبدأ جولته آخر سنة ١٣٥٣ .

(جولة المطاع وبعض الشخصيات التي اتصل بها)

تجشم المطاع الرحلة وراح يتنقل على بغلة قوية فارهة أعطتها الحكومة له ، عليها راح يتجول من صنعاء إلى حجة وزيد وتعز والمخا والحجرية ، ثم على بغلته إلى اب وذمار وغيرها . وتمكن بشخصيته وحسن بيانه وأسلوبه الحكيم من كسب تقدير كثير من البارزين في الجهاز الحكومي والتأثير عليهم من دون إطلاعهم بخطته وأهدافه .

ومن هؤلاء أمير لوا تعز الأمير علي بن عبد الله الوزير ومحمد بن أحمد باشا عامل تعز حينذاك وحسين الحلالي عامل الحجرية وغيرهم مما سهل له الاتصال بكل شخصية يرى فيها الاستعداد للنضال فقي تعز التقى بالشيخ محمود عبد الحميد وفي مقبته بالقاضي عبد العزيز حمزه وفي تعز بالاستاذ قاسم غالب

والقاضي عبد الله عبد الإله الأغبري والقاضي عبد الرحمن الحداد حاكم المخاء الآن وفي أب بالشيخ حسن الدعيس والقاضي المؤرخ محمد بن علي بن حسين الأكرع والقاضي محمد أحمد صبرة وفي ذمار بالقاضي عبد الرحمن بن محمد الحداد الأب والسيد عبد الله بن يحيى الديلمي والسيد علي الديلمي الصنعائي ومن دى السبغال بالشيخ أحمد بن منصور ومن حجة بالسيد حسين الخوثي والسيد حمد بن هاشم والقاضي أحمد نصار ومن صعدة بأميرها السيد العالم محمد بن حسين الوادعي والشيخ عبد الله مناع ومن بكيل بالشيخين محمد بن حسن أبو راس وعبد الله بن حسن أبو راس والشيخ مطيع دماج ومن حاشد بالشيخ حسين بن ناصر الأحمر وغير هؤلاء كثيراً سيما من الشباب .

وقد درس مع هؤلاء الوضع وما يهدده من الداخل والخارج وتبادل مع كل بما يتناسب معه من الرأي في الإصلاح وطريق الإتصال وعاد إلى صنعاء وقد هياً مجموعة ممن اتصل بهم لقيام كل بما يسند إليه من عمل ، وكانت صلاته أخيراً قوية بالقاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني والخادم غالب السجيه ، وفي سنة ١٣٥٤ هـ شرع بتشكيل المركز الرئيسي لهيئة النضال بصنعاء ومن أعضائه عبد السلام صبره ومحمد المحلوي والعزي صالح السنيدار وعلي محمد السنيدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحي وعلي الشماحي ومحمد بن أحمد المطاع ويحيى الدين العنسي وأحمد قاسم العنسي ومحمد عكارس ومحمد بن حسين عبد القادر وبعد اجتماعات بين المجموعة أو بعضهم وضعوا للحركة مخططاً واسعاً ذا مراحل ملخص أهمه ما يلي :

ملخص أهم نظام الهيئة

- ١ - صنعاء المركز الرئيسي للهيئة .
- ٢ - إقامة فروع للهيئة في أنحاء اليمن من رجال يعتمد عليهم .
- ٣ - تكوين مالية للهيئة تودع عند الخادم غالب والعزي صالح السنيدار .
- ٤ - في سبيل جمع المال يجوز للرئيس المطاع وأعضاء الهيئة وفروعها

الاتصال بأرباب المال من أمراء وتجار وغيرهم لإستغلال ثرائهم باسم الإصلاح من دون أن يكشف لهم حقيقة الهيئة .

٥ - محاولة تسرب أعضاء المنظمة إلى جهاز الحكم وإلى قمته إن أمكن لضربه من داخله وإثارة بعضهم على بعض وكشف الأسرار ودرء الأخطار عن المنظمة وتنفيذ ما أمكن من قراراتها .

٦ - إحباط مخطط الاتجاه الماكس الداعي إلى إصلاح الجهاز الحاكم وإحياء الدعوة الزيدية والإمامة الذي أبدى الإمام تجاوبه مع هذا المخطط .

٧ - الاتصال بالصحافة الخارجية والشخصيات العربية لنقد سياسة الإمام يحيى والأوضاع باليمن .

٨ - توعية الجماهير القبلية سيما في الشمال وهذه المهمة هي عقدة العقد إذ عليها في اليمن يتوقف النجاح والفشل .

هذه هي أهم النقاط التي اتخذتها الهيئة لنظامها ، وقد نجحت إلى حد ما في إقامة فروع ، وفي إثارة بعض الصحف الخارجية لنقد الإمام ومطالبته بالإصلاح وكان الفضل في إثارة الصحافة وبعض الشخصيات العربية لجهود الخادم غالب ، ونجحت الهيئة إلى حد كبير في وصول بعض أعضائها إلى الجهاز الحكومي وإرباك الإمام يحيى حول إحياء الدعوة الزيدية وإثارة الخلاف بين الإمام وأولاده وبين معظم رجالات الحكومة ، ومن إثارة المنافسة بين أولاد الإمام أنفسهم وبين رئيس الوزراء العمري والأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير ، وبدأ الصراع الذي ظهرت معالمه تقلص ثقة الإمام في العمري وعبد الله الوزير وعلي الوزير وفي تخوف أولاد الإمام على مستقبلهم من أخيهيم الأكبر ولي العهد أحمد تخوفاً طاماً طرحوه على أبيهم في كل مناسبة وبكل واسطة ، وكان الإمام يعرف ذلك ، إلا أنه كان مقتنعاً أن ليس في أولاده من يسد مسده غير أحد ، ولقد قال لأولاده وهم يبسون مخاوفهم من أحمد قال : إن أحمد هو حجر المفجر (وهي مثل جملة يمنية يعبر ويكنى بها عن الرجل القوي) ، والأصل أن مياه الآبار والأنهر في اليمن تجمع في سد بركة أو حوض كبير في أسفلته ثقب يخرج منه مياه الحوض لري الأراضي ، ولهذا الثقب حجر

محكمة معدة لسد الثقب حتى يمتلئ الحوض . فإذا أريد إفراغ الماء من الحوض
للري نزع تلك الحجر .

ومع هذا فقد تأثر الإمام لمخاوف أولاده إلى جانب ضعف ثقته بالعمري
وآل الوزير فإذا به يقلص صلاحية العمري ويحيل الأمير عبد الله الوزير عن
إمارة لواء الحديدة ويحل محله سيف الإسلام عبد الله ويصبح سيف الإسلام عبد
الله أمير لواء الحديدة ووزير المعارف والدفاع ويتولى ما كان يديره رئيس الوزراء
العمري ، ويولي الإمام ابنه سيف الإسلام الحسن لواء إب ويرسل ابنه ولي
العهد إلى تعز فينزح ولايتها من يد أميرها علي الوزير ولكن الإمام يضم بعض
لواء تعز إلى ابنه الحسن إلى آخر التغييرات المزعزعة جهاز الحكم فمن وحشة
دبت بين أفراد الجهاز وأفراد أولاد الإمام إلى إغضاب ولي العهد وحق الأمير بن
علي الوزير وعبد الله الوزير ، إلى تلمس أولاد الإمام تقوية مركزهم لمقاومة
أخيهم ولي العهد أحمد ، إلى ما هناك من مكاسب حققتها هيئة النضال في هذه
الناحية . وقد كان لهذا النجاح أثره في الشعب اليمني ، إلا أنها لم تكن قد
هيأت اليمن لقبول ثورة صالحة ، بل ولا كان اليمن قد اقترب إلى الثورة النابعة
من إحساس اليمن وواقعه كما كان يتبادر لبعض الشباب مع أن الهيئة لم تصل
إلى هذا النجاح إلا بعد تخطي صعاب ما كان لغير ذوي العزم والحكمة أن
يتخطوها من أهونها ذلك الارهاب الموجه إليهم وإعتقال مجموعة من أعضاء
الهيئة مع رئيسها المطاع عام ١٣٥٥ .

(إعتقال أبو الثورة المطاع وبعض رفاقه من الهيئة)

كانت أعمال هيئة النضال تسير في غمطها وسرية ، وكان من أعضائها
من اتصل بولي العهد ، ومنهم من اتصل ببعض إخوته كالحسين وعبد الله
والحسن ومطهر وعلي ، ومنهم من تقرب في حذر إلى الإمام ، ومنهم من اتصل
بالقاضي عبد الله العمري والأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير وبهذا الاتصال
أصبحوا يدفعون الأحداث إلى تحقيق أهدافهم ، وما أن بدأت الأحداث تهز
الجهاز من داخله إلا وكان أول من أحس بالهزة هو رئيس الوزراء القاضي عبد
الله العمري بطبيعة مركزه وذكائه فقد كان حينذاك في القمة التي ليس فوقها إلا

الإمام بينا غيره وهم سيوف الإسلام ما عدا ولي العهد يتسلقون إلى تلك القمة ، فلم تخيفهم الهزة بل رحبوا بها لأنها تعينهم على التسلق سبباً عبد الله بن الإمام الطامع في احتلال القمة القاعد عليها العمري وكان القاضي علي المجاهد الشماحي ممن اتصل بسيفي الإسلام الحسين وعبد الله وكان ذا موهبة بيانية ومهارة في كتابة الكلمات النارية الساخرة اللاذعة وجراءة قل أن يتدبر معها العاقبة قوامها صلته بالحسين وعبد الله ابني الإمام ، فشن حملة سافرة كتابية على القاضي عبد الله العمري ووزاراته يدفعه الاعتقاد بأن زعزعة ثقة الإمام بوزارة العمري هي الخطوة الأساسية إلى الثورة ، وقد استطاع بقوة أسلوبه وحجته ومساندة سيفي الإسلام الحسين وعبد الله أن يؤثر على الإمام يحى إلى درجة أن أمر الإمام رئيس وزرائه العمري بالثول مع علي الشماحي لدن سيف الإسلام الحسين لمعرفة ما تحتويه عرايض علي الشماحي من الاتهامات للجهاز وزارة العمري ، وكان العمري يعلم تخوف الإمام من المطاع والعزب ويعرف صلة علي الشماحي بالمطاع والعزب ، فلم يبق للعمري من مخرج من المأزق إلا أن يقنع الإمام بأن علي الشماحي ما هو إلا واسطة وترجمان للمطاع والعزب الذي يعتقد الإمام انها يعملان ضده ، فدبر القاضي عبد الله العمري خطة محكمة جهز لها أعضاء جهازه الحياكم الذي منهم القاضي لطف الزبيري ومحسن إسحاق ، وقد انتهت الخطة وفصولها الطويلة باقتناع الإمام بأن هناك مؤامرة متصلة بمطامع الإيطاليين الذين كانوا يومذاك قد استولوا على الحبشة ويطمعون في اليمن والجزيرة العربية ، وأن هذه المؤامرة يدبرها المطاع والعزب ومجموعة من الشباب ومنهم علي الشماحي ، فأمر الإمام باعتقال المطاع والعزب والعزي صالح السيلراود ومحمد المحلوي وعلي الشماحي وغيرهم فقبض عليهم ، وسبقوا إلى سجن غمدان بصنعاء . عام خمسة وخمسين وثلاثمائة وألف هجرياً ، واتسعت موجة الإرهاب والاعتقال المرفقة ، بالدعاية المشوهة لهيئة النضال بأنها تحارب الدين وتريد إدخال النصارى اليمن ومما روج ضدها أنها تحاول إختصار القرآن إلى ستة أجزاء .

ومن الغريب أن هذه الدعاية انطلقت على العامة في تبرير الاعتقال والارهاب للذين لم يوقفهما مؤقتاً إلا القاضي محمد راغب التركي وزير الخارجية ، وكان هذا التركي شريفاً وللأحرار ظهيراً .

ثم أن عبد الله العمري كان بعيد النظر ولا يحب أن يتصارع مع أحد وقد ضرب عليا الشماحي واسكت صوته وذلك ما كان يريد به إلى تنفيذه اضطروا إلى أن يجر إلى السجن المطاع ورفاقه ليتخلص من علي الشماحي ، ولقد تخلص من علي الشماحي وكتابته اللاذعة ومن الحضور معه للمحاكمة لادن الحسين ، ولكن القاضي عبد الله العمري لم يتخلص من آثار كتابة علي الشماحي وشعره فقد بدأ نجمه في الأفول وبدأ ينحدر من قمة الجهاز الوزاري ، واستمرت الهزة التي أوجدها المطاع ورفاقه في الجهاز الإمامي تؤدي ثمارها التي سبق الإشارة إليها برغم اعتقال المطاع ورفاقه وخف نشاط هيئة النضال ، وكان اعتقال المطاع ورفاقه مثاراً للتساؤل كيف تأثر الإمام وخاف على نفسه وعرشه من مثل هؤلاء وكلامهم ، وليس لهم إلا أقلامهم ، إنها ظاهرة غريبة دفعت الكثير من الناقمين والشباب : أن يجرب حظ قلمه في إيلاام الإمام واتباعه فإذا بالنشرات المجهولة المختلفة المواضيع تتناثر هنا وهنا في صنعاء في تعز في أب وغيرها .

وفي هذه الظروف وبين هذه البلبلة بدأت على مسرح الأحداث اليمنية حياة القاضي محمد محمود الزبييري والسيد زيد الموشكي والسيد أحمد محمد الشامي فقد ابتدأ كل منهم خطوته الأولى في طريقه الخاصة به الذي انتهت بثلاثتهم إلى درب النضال الذي التقوا حوله مع غيرهم من الشخصيات التي غدا لها أثرها الكبير في تطور القضية اليمنية كالقاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني والأستاذ أحمد نعمان ولتقف قليلاً مع الزبييري .

(القاضي محمد محمود الزبييري)

يهتما من حياة هذا الزعيم بداية حياته الاجتماعية لغرابتها بدأت حياة الزبييري الاجتماعية كهزار يترنم بالشعر فيدفعه طموحه الكامن في أعماقه إلى خارج اليمن فيتصل بالملك عبد العزيز آل سعود فإذا بالأريحية العربية التي

يتحلى بها الملك السعودي تحرك القوة الكامنة في أعماق الشاب الزبيري فإذا به يغرر مدائحہ الشعرية بطرب ويهز مشاعر الملك عبد العزيز ، ونظير تلك القصائد الزبيرية إلى اليمن فتغضب الإمام يحيى ، وتلمس اليمن من ثسايا تلك القصائد روحاً حساسة تكمن الثورة في أعماقها ، وإن أول احتكاك بين هذه الروح وبين الواقع اليمني سيحول هذه الروح إلى نور ونار منها تستمد الثورة الطاقة ، ولم يمتد الزمن بالزبيري بالحجاز فقد فارقها إلى مصر للدراسة وهناك التقى بالمسمري والرافعي الصحفي وغيرهما وبدأ نشاطه السياسي ولم يطل به المقام حتى عاد إلى اليمن . فبتلقاه الإمام يحيى غاضباً عليه لمدحه الملك عبد العزيز غضباً لا تطفؤه إلا غرر المدائح يخلعها الزبيري على الإمام وبنيه ، وتغير الظروف الزبيري أن يستجيب إلى المديح ، وسرعان ما احتك الزبيري بالواقع اليمني فلا يمتزج وروحه الشابة المثوبة فإذا بالواقع اليمني يهز شعوره ويكيف شعره وكتابته بروح الثورة التي جعلته يتصل بالمطاع ويعض رفاقه ويطرب لخطب السيد محمد بن قاسم أبو طالب ، ويتأثر بها فتشده إلى أبو طالب .

(الزبيري وأبو طالب)

السيد محمد أبو طالب بطبيعته خطيب يحب السجع غير المتكلف وقد تأثر بأسلوب السيد علي بن يحيى عقبات الخطابي وكان أبو طالب ذا موهبة في كتابة الخطب المنتزعة من حوادث زمنه كما كان ذا موهبة خارقة في حفظ ما يكتب ، إنه ليكتب الخطب والمحاضرات المطولة التي يستغرق إلقاؤها الساعة فأكثر ، وما أن يلقي عليها نظرتين إلا وقد كتبها في حافظته ونقشها حرفياً في فكره وكان حسن الإلقاء ، وقد كرس خطاباتہ لتقد الجهاز الحاكم والوضع المنهار في اليمن يلقيها في الحفلات وكل مناسبة ويسمعها الإمام يحيى عقيب كل صلاة جمعة حتى ضاق به الإمام ذرعاً وأصبحت مواضيع خطب أبو طالب حديث الأوساط المعجبة به ويجراته .

وإن أبو طالب لمنطلق في جهاده الذي يجب أن نعترف به ، والذي جعل الزبيري يرتبط به مغتفراً نزعته الشيعية المغالية ، إذ بالزبيري يبدأ طريقه إلى

الثورة ويرسم أول معالمها ، فيجتمع بالمطاع ورفاقه . ويضعون للإصلاح الإداري والاجتماعي نظاما كتبه الزبيري وقدمه إلى الإمام ملتصقا منه مطالبته وتنفيذه ، ويستمر في ملازمة أبو طالب ويحضران معاً كل جمعة يخطب عقيب صلاتها أبو طالب بمسمع وقرب من الإمام يحى مما جعل الإمام يأمر الأعيان والعلماء بالاجتماع ومطالبة نظام الإصلاح الذي قدمه إليه الزبيري لاتخاذ قرار حول بعض فقره الذي يفيد الإمام أنها تعارض الشريعة وتدعو إلى الفوضى والاخلال بالاستقرار وفتح الباب للاستعمار .

ويجتمع العلماء والأعيان وكادوا يوافقون على ما أبداه الإمام من نظريات على بعض المواد ويصدرون قراراً يدين الزبيري ومعه أبو طالب ، ولكن القرار لم يصدر فقد وقف ضده علمان من علماء اليمن هما السيد العلامة زيد بن علي الديلمي الذي يرأس الاجتماع والقاضي يحيى بن محمد الارياني الذي تغيب عن الاجتماع لغرض إضعافه ، وبطريقة حكيمة تمكن السيد زيد الديلمي وسائده الأمير السيد عبد الله الوزير من إقناع المجتمعين بأن أدلة الادانة لم تتوفر وأن المواد طرحت لا ليفرض تنفيذها على الإمام وإنما ليدرسها ويؤدي نظرة حولها ، فهي لا تخرج عن أسئلة واستفتاء مما جعل الاجتماع ينفض بلا نتيجة وعلى أن يعاد الاجتماع ، ولكنه لم يتجدد وتغاضى الإمام ، ويعود أبو طالب والزبيري إلى الخطابة يوم الجمعة وأخيراً لم تقف الخطابة على أبو طالب فلم يفرغ من كلمته حتى قام الزبيري مؤيده في حماس وبأسلوب بدائي للخطابة لاذع ضاعف من غضب الإمام ولم يمض يوم السبت إلا وأمر بالقبض على الزبيري وأبو طالب ونفاهما من صنعاء عام ستين فثلاثمائة وألف هجرية إلى الأهنوم حيث اعتقلا ويقيمهما عاماً ثم أطلقا وعادا إلى صنعاء وكان المطاع ورفاقه قد أطلقوا ولحق اسم السيد أحمد بن محمد الشامي والسيد زيد الموشكي في بحيرة الأدب والشعر وتآلق نجم السيد أحمد السوريت بدمار ، وخرج الأستاذ أحمد محمد نعمان من كهف الصوفية وروحيتها ، إلى واقع الحياة والسياسة وبدأت شخصية القاضي عبد الرحمن الارياني الحكيمة الوقورة تبدو بملاحمها القيادية ويرز من ضمير المعارف المستتر السيد حسين الكبسي بوقاره وعلمه وإيمانه ، وفي العراق

بعثة من شباب اليمن يدرسون وكان العراق إذ ذاك مرجلاً يغلب بالقومية العربية وهناك في مصر وغيرها شباب يماني هاجروا للدراسة وفي اليمن شباب عاطل يتوئب في المدن وفي ذمار تتجمع البراعم لتكون فيما بعد شاعر وأديب اليمن البردوني ، إلى ما هناك من شخصيات تبرز ويذور تتكون ، ونظريات تظهر ، نفارقتها إلى أن نلتقي بها والثورة على قاب قوسين من الانفجار ، ونعود إلى المطاع ورفاقه والزبيري ونعمان والشامي والموشكي والوريث والارياني والكبسي .

(ما بعد الخروج من السجن)

على أثر خروج المطاع ورفاقه من السجن أمر الإمام بأن يكون عبد الله العزب قاضياً لوصاب السافل وعلي الشماحي قاضياً لحيس وذهب كلاهما إلى محل عمله وكانا جناحي المطاع ولم يزالا متصلين به وبالنضال حتى ماتا قبل الثورة رحمهما الله .

أما المطاع فقد استعاد نشاطه في حذر فيتجدد اللقاء بينه وبين القاضي عبد الرحمن الارياني ويتفقان على محاربة الأوضاع الفاسدة كل في محيطه ومتناول قدرته ، ويذهب القاضي عبد الرحمن إلى النادرة محل عمله القضائي وهناك يبدأ الصراع بين القاضي عبد الرحمن وبين الأوضاع الموهلة في الفساد والمشرف عليه سيف الاسلام الحسن ، وهو ما ستتكلم عنه عند وقفنا مع القاضي عبد الرحمن الذي نودعه الآن لنقف مع السيد أحمد الوريث الذي انتقل من ذمار إلى صنعاء ونسير قليلاً مع الزبيري والشامي والموشكي .

(الوريث)

ارتفع اسم السيد أحمد الوريث فلم يتركه الإمام يحيى بلحار فاستقدمه إلى صنعاء ليشرّف على المعارف بالتعاون مع وزير المعارف سيف الاسلام عبد الله ، وكان المطاع مستشاراً للمعارف والصحافة ، وبالتقاء الوريث والمطاع في جهاز

وزارة المعارف تمكنا من الاجتماع وتبادل الأفكار فيما يتطلبه الموقف من إصلاح ، وانتهاء إلى أن خير طريق هو التوعية الهادئة ، فاتفقا على إصدار مجلة علمية أدبية تاريخية . وبعد مساع وافق سيف الإسلام عبد الله وتعين الوريث رئيساً لتحرير المجلة وبذل هو ومجموعة من الشباب جهوداً من التتوير والتوعية أكسب المجلة مقاماً كان له أثره في المجتمع اليمني سيما بين الشباب . وبدأ الوريث كقائد فكري منطلقاً ، وكان ذلك اللسان ، جنز العبارة . سلسيلي الحديث ، قوي البيان ، سريع العارضة في شمم واعتزاز بالنفس ، لا يعرف المجاملة حتى مع الإمام يحيى ، فهو لا ينحني له ، ولا يسمح لشفتيه أن تقبلا يد الإمام أو يخاطبه ويطارحه الحديث إلا في صورة الند للند ، مما جعل ظله ثقبلاً على نفس الإمام ، ولكنه كان يتحملة ويجماله ظاهرياً ، ويسعى للتخلص منه . وكان مرتب الوريث الشهري من أعلى المرتبات في عهد الإمام يحيى ، إلا أنه لا يسد مطالب الوريث الكثير النفقات فأثقلت الديون ، وكان الإمام يطعمه بأنه سينظر في شأنها فيستزيد من الديون حتى بلغت حد الألفين وهو عصر اذن قدر مجهض ، واشتد طلب أربابها للوريث فيلح الوريث على الإمام بقضائها ، فيطلب منه تقديم بيانها فينصرف والأمل يراوده ، ثم يعود ببطاقة فيها بيان الديون فيطالعها الإمام ويضعها بين يديه ثم ينصرف عنها إلى أعماله ، وبعد ساعة منح الوريث ثمانية ريالات فأثلا له استعن بهذا حتى ننظر في الأمر ، فيرفض الوريث الثمانية ويخرج غاضباً متلماً فيصاب بحمى حادة لم تمهله إلا ثلاثة أيام حتى سلبته الحياة ولحق بربه وهو في التاسعة والعشرين من عمره تاركاً المجلة وموجة من الأسى (١) .

وقد خلفه في إدارة المجلة المطاع وبقية رفاقه الذين احتفظوا للمجلة بالبقاء مدة ، وواصلوا مع غيرهم السير والنضال بين تقدم وتعثر . فقد استدعى ولي العهد أحمد كلا من محمد الزبيري وأحمد الشامي وزيد الموشكي إلى مقره بتعز .

(١) وقد رثي بعدة قصائد منها قصيدة للمؤلف مطلعها :

قبل الثلاثين بدرا لشعب قد أفلا يا للمنية ما أبنت لنا أملا

(الزبيرى والشامى والموشكى والنعمان)

(وتعرز والأمل والحوار الأدبى)

كان ولي العهد أحمد جواداً سخياً أريجياً سريع الانفعال مغواراً فتاكاً سفاكاً تعجبه النكتة . وتضحكه الفكاهة ، ويضطربه الثناء ، ويهزه الشعر عكس أبيه وهو مع ذلك عالم وشاعر وخطيب ، ومسر حررب ، وقائد عسكري قريب ويعيد ، فإذا اقترب اختلط بالجماهير ، وتعرف مشاكلها ، وأدار أمورهما ، وصال وجال ، وأقام مع خاصته أندية الفرح والأدب ، وإن ابتعد احتجب وعلى نفسه انطوى يستعرض مهام دولته حيناً ، وأحياناً يمرح في بساطة ودعابة مع من يحب من ذويه وخدمه ، ومثل هذه الشخصية تلتقي حولها المتناقضات ، وينبت في ظلها الشوك والورد . ويتحاك بالنسكب دعاة الشر وأحلاس الشهوات والميسوعة ، ورواد الموائد ، وذوو المطامح والجند والسياسة وهذا ما كان بتعرز وقتئذ ، فإنك لا تكاد ترى أحمد عباس وكاملاً ومحموداً وعلي العلوي وأضرابهم إلا وأنت ترى حسين الأحمر ومحمد عثمان وعبد الرحمن الأرياني ، ومحمد الزبيرى ، وأحمد الشامى ، وزيد الموشكى ، ومطيع دماج ، وأمين أبوراس ، وحسين الويسى ، وعبد الله العزب وأضرابهم .

وقد استلحق ولي العهد إلى مقره هذا الزبيرى والشامى والموشكى فاستجابوا لدعوته فاستقبلهم ولي العهد بالحفاوة وسبغ عليهم النعم وأدناهم منه وفتح أذنيه لنظرياتهم ونصائحهم ومقترحاتهم وشجعهم على إقامة ندوات العلم والأدب . التي كان يشترك في حوارها وينشرح إليها انشراح الأديب العاطفي والعالم الشاعر ، فإذا بالأمل يداعب الزبيرى والموشكى والشامى ، ويجتذب إلى ولي العهد الكثير من المتطلعين إلى المستقبل ، فالأستاذ أحمد محمد نعمان ينيخ ركابه بتعرز ولا يقل حظه عند ولي العهد عن الزبيرى وغيرهم ، إن لم يكن أقربهم زلفاً ، فالأستاذ يتميز بأسلوبه الخطابي الهادي الأخاذ ، ونعومة أحاديثه الجذابة ، وهذا الأسلوب مما زاد ولي العهد تفتحاً لهذه المجموعة وحركتها الأدبية والعلمية ، فاستمرت في غموها ، تمنح ولي العهد نصائحها وعصارة أفكارها ، وحلل الثناء من شعرها وخطبها ، وهو يمنحها المواهب والتقدير ، وفي ظل هذا

التبادل الرارف تنمو الآمال ومن على شرفات قصرها البلوري يقف كل بمجهز مزاجه ينظر إلى المستقبل الذي يحلو أن يراه ، فإن المجموعة هذه لم تكن قد انفقت فيما بينها ولا مع أحد ولا بمن يتصل بها على هدف ولا على قاعدة موحدة للانطلاق ، حتى يكون هذا الأمل وقصره المحفوف بالمكاره بمنجاة من الأوهام والدسايس فقد كان هذا القصر على رمل ، ما كان له أن يقاوم معاول الهدم المنصبة عليه من خارجه ، ولا انتشار السوس الذي تنخره من داخله ومن قواعده ، فما لبث ذلك القصر أن نسفته الأوهام فحل محل الأمل التخوف الذي حدد من الاتصالات بين ولي العهد والمجموعة ثم تحول إلى توتر جعل المجموعة تتظر أن تكون فريسة مأمولها بالأمس ، وقد كان الأحرار حول ولي العهد يرجون منه خيراً فإذا بذلك الرجاء ينقلب إلى ذعر وخوف بلغا نهايتها حين قال أحمد : إني أسأل الله ألا أموت إلا وقد خضبت سيفي هذا بدماء العصريين مما أدى إلى استيحاء الأحرار فسادر الأستاذان الزبيري ونعمان تعز إلى عدن في جمادي الآخرة عام ١٣٦٣ وهناك أسسا منظمة عرفت (بحزب الأحرار) .

منظمة حزب الأحرار والأستاذان الزبيري والنعمان بعدن

كانت منظمة (هيئة النضال) المؤسس لها المطاع عام ١٣٥٤ هـ . هي أول منظمة ذات نظام وأهداف ، وكانت هي المنظمة الوحيدة التي استمرت تمثل المقاومة المنظمة ضد حكم الإمام يحيى إلى سنة ١٣٦٣ هـ وقد كان لها ثمارها التي أشرنا إلى بعضها ، والتي تولدت معها عدة منظمات فردية وجماعية في اليمن وخارجه تنقد حكم الإمام إلا أنها حركات غير ذات نظم وأهداف مما جعل هيئة النضال ، هي المنظمة الوحيدة للمقاومة من تاريخ ١٣٥٤ - ١٣٦٣ هـ أما من عام ١٣٦٣ هـ فقد قامت إلى جانبها خارج اليمن المتوكلية منظمة ثانية (حزب الأحرار) بعدن ، فإن يكن المطاع وبقية هيئة النضال قد صمموا أن يواصلوا نضالهم في جحيم المعركة داخل اليمن المتوكلية فقد رأى الأستاذان نعمان والزبيري أن يتخلصا أولاً من الجحيم ويقفا على مقربة منه فخرجوا من تعز إلى عدن بجمادي الآخرة عام ١٣٦٣ هـ وفي عدن أسسا منظمتهما التي عرفت

(بحزب الأحرار) وسرعان ما ظهر كيائها وشخص إليها اليمنيون في الخارج والداخل بآمالهم وساندوها بأموالهم مما مكن منظمة حزب الأحرار من إقامة فروعها في الخارج بين المهاجرين اليمنيين وفروع سرية في داخل اليمن ومكثها من رفع صوتها في الصحافة والإذاعة وفي كتيبات ونشرات ، ومن إقامة مقر لحزب الأحرار ، وأخيراً من إقامة مطبعة وإصدار (صحيفة صوت اليمن) وقد كان لهذا المظهر أثره فقد أقض مضاجع الإمام يحيى وولي العهد وأتباعهما وزاد في حماس المتطلعين من الشباب والمتألمين والناقدين الذين لم يكتفوا بسيل النشرات المتدفق من عدن حتى أضافوا إليها جداول من النشرات الخطية فغصت بالصحف والمنشورات المدن ودور الحكومات وارتفع الحماس بين الفئات المتطلعة والخيالية حتى دفع سيف الإسلام إبراهيم ابن الإمام يحيى إلى أن ينضم إلى حزب الأحرار بعدن وقد كان ذلك نجاحاً للمنظمة كبيراً يضم إلى نجاحاتها التي أصبحت تشرق وتغرب والتي يعرف معظم فصولها الكثيرون معرفة تغنيا عن الأفاضة من الحديث حول تلك الفصول وترك لنا المجال للكلام عن نتائجها التي ستتكلم عنها عند أن نقف مع الفصل الأخير لخطوات حزب الأحرار وتركنا لمرجع الآن إلى اليمن عام ١٣٦٣ هـ الذي فيه ظهرت منظمة (حزب الأحرار) خارج اليمن المتوكلية بعدن والذي ظهرت فيه داخل اليمن المتوكلية منظمة ثالثة ، (جمعية الإصلاح) وجرت فيه أحداث ذات أهمية ، وفيه خرج الشامي والموشكي إلى عدن .

جمعية الإصلاح والارياني والاكوع

بينما كان الأستاذان النعمان والزييري ومجموعتهما بتعز كان النقيب مطيع دماج قد سبقهما إلى عدن إثر تفكير مجموعة بإب لم تجتذبها الآمال التي اجتذبت الأستاذين نعمان والزييري إلى تعز فلواء إب كان تحت حكم خائق لا منفذ في صخرته لنسيم أدب ، ولا لأريحية تلطف على روح الأديب والشاعر من وطأة كابوس الحكم ، ولم يكن لتلك المجموعة تفكير إلا أن يتخلص اليمن من حكم الإمام يحيى وابنتائه وبعد تفكير طويل قرروا إقامة منظمة أطلقوا عليها (جمعية

الإصلاح) يكون مقرها إب وتتكون من رئيس هو القاضي محمد بن علي ابن حسين الأكوخ وأعضاء منهم القاضي عبد الرحمن الأرياني والقاضي عبد الكريم بن أحمد العنسي وعبد الرحمن بن محمد باسلامه ومحمد أحمد صبره والشيخ حسين الدعيس والشيخ حسين بن محمد البعداني والنقيب عبد اللطيف ابن قايد ومحمد منصور الصنعاني وقد وضعت لها نظاماً أرسلت مسودته إلى القاضي محمد الزبيري بعدن فتولى مطالعته وتوسيعه وسماه (برنامج الإصلاح) وطبعه وأرسل منه كميات كثيرة إلى القاضي محمد الأكوخ رئيس المنظمة ، ومن أهدافها هو إزالة حكم الإمام يحيى وأبنائه ، وهذا الهدف هو الذي تلتقي حوله المنظمات الثلاث .

١ - هيئة النضال المكونة عام ١٣٥٤ برئاسة المطاع بصنعاء .

٢ - حزب الأحرار بعدن المكونة عام ١٣٦٣ هـ بقيادة الزبيري ونعمان .

٣ - جمعية الإصلاح المكونة عام ١٣٦٣ هـ بإب برئاسة القاضي محمد بن علي بن حسين الأكوخ ، وتسير أعمال جمعية الإصلاح في طريقها المحكم الذي اختطه ويشرف عليه القاضي عبد الرحمن الأرياني ، وقدر لتلك الأعمال بأن تجعل موقف سيف الإسلام الحسن يتخرج ويبلغ إلى أن يستقدم الإمام يحيى ابنه الحسن ويحمله بصنعاء عن أي عمل يزاوله بلواء إب ، فالحملة ضد الحسن وأعماله كانت مركزة حادة مما حول نظرية الإمام في ابنه الحسن وكاد يدعغه بالهوج والبلادة ويريح لواء إب منه ، وكان الحسن يقتل من ألم أبيه منه بأن هذه الحركة والحملة مصدرها عبد الرحمن الأرياني إلى غير ذلك مما جعل الإمام يتردد ، ويمضي الأكوخ والأرياني ورفاقهما في أعمالهم من توعية المواطنين بلواء إب وإثارتهم بنشر أعداد كبيرة من برنامج الإصلاح ومن غيره (كتعميم الأئمة الأولي) للأستاذ أحمد نعمان ومما أعيد نشره قصيدتان للقاضي عبد الرحمن الأرياني مستهل أحدهما .

انما الظلم في المعاد ظلام وهو للملك معمول هدام

ومنها يخاطب الإمام يحيى :

أنصف الناس من بنيك والا أنصفتهم من بعدك الأيام
وكان « موسوليني » قد فرغ من ابتلاع الحبشة وبات يستعد ليزرد الجزيرة
العربية مبتدئاً باليمن ، والإمام والعرب في نومة المترفين فقال الأرياني قصيدة
يخاطب بها الشعب ويستثيره على الإمام يحيى وبنيه مستهلها .

هذا العدو غداً على الأبواب يرنو بعين الفساح الغلاب
والمستبد له إلى أموالكم تسوقان مهجور إلى الأحباب
وينسوه فيكم هامهمو قد مثلوا زمر الفساد وحفنة الأوشاب
فتيقظوا يا قوم واحموا شعبكم فسالى متى حزب الطفلة نحاي

وتنضي أعمال (جمعية الإصلاح) بخطوات موفقة فوق ما كان يشتر
وهي في قلب الجحيم تمشي بمضاء وسرية هذا جبلي (الشماحي وبعدان) ،
المطلين على مدينة إب هزة تقدير لأعمال أبناء اللواء الأخضر لواء إب المتمثل في
مئاة خطوات (جمعية الإصلاح) وتمتد أعمال الجمعية إلى خارج لواء إب
فيذهب مندوب الجمعية وهو القاضي اسماعيل بن علي الأكوع إلى ذمار فصنعاء
يحمل أفكار الجمعية ويحمل منشوراتها وبرنامجها ومخططات جديدة ، فيوزع
اسماعيل المنشورات ونسخا من البرنامج ومعبّر وغيرهما ثم بصنعاء ، وفي
صنعاء يجتمع بالمطاع ومحمد بن حسين عبد القادر وعبد السلام صبره وغيرهم
ويطرح عليهم الأفكار التي حملها من رئيس الجمعية القاضي محمد الأكوع وعضو
الجمعية القاضي عبد الرحمن الأرياني ، ويعود اسماعيل الأكوع مزوداً بالأفكار
والرسائل والفرحة ترقصه على حمار وسيارة - لا أعرف مركوبه - وما بلغ معبراً إلا
والشرطة في انتظاره للقبض عليه ، ولكنه كان ليبيّاً فقد تمكن من إخفاء أو من
إحراق الرسائل وكلما يحمله من محررات ومخططات ، قبل أن يقبض عليه ،
ويأحرق الأوراق انتهت الرقصة .

وكان الحسن بن الإمام وناييه القاضي أحمد السباغي قد ضاقا ذرعاً من
الحملة التي لا يعرفان منبعها المصبوبة خراطيمها إلى أعمال الحسن ، مما دفع

الإمام إلى إمساك ابنه الحسن بصنعاء أشهراً وتقريعه بأنه (خلع) أي أخرق في معاملته وإدارته ، وحمل الحسن أن ينسب الحملة إلى القاضي عبد الرحمن الأرياني ليخفف من حنق وألم والده منه ، ولكنه وإن خفف من ألم أبيه إلا أنه لم يقنعه ، وما هو اليوم يظفر الحسن بالحجة ، فسر الجمعية الإصلاحية اكتشاف وحلة منظمة حزب الأحرار انطلقت تجوس خلال الديار فتهاز في المدن الشباب والأحرار وتضاعف من ذعر الإمام وولي العهد وأبنائه الذين لم يبق أمامهم إلا أن يضاعفوا من إرهابهم للشعب وكانوا يترددون من أين يبدأون في هذه اللحظة خطوتهم الإرهابية ، فلما اكتشف سر جمعية الإصلاح وظهر ارتباطها بحزب الأحرار بعدن وصلتها ببعض أعضاء هيئة النضال بصنعاء وجهوا الضربة ففتحوا السجون وإليها ساقوا الجماعات تلو الجماعات .

السجون تستقبل الأرياني ومجموعة إ ب ، والأستاذ قاسم غالب
ومحمد نعمان ومجموعة تعز ، ومحمد السياغي ومجموعة صنعاء

توسعت أعمال (جمعية الإصلاح) وانضم إليها كثيرون منهم المدعو علي الغزالي فنقل إلى بعض أسرارها فطار بها إلى تعز حيث أطلع عليها ولي العهد أحمد فعرف بها أخاه الحسن الذي هش لها ويش ، إذ وجد فيها الحجة المقنعة لأبيه الإمام يحیی بخطرورة الأرياني فقام أعوان الحسن بإب بمهاجمة دار القاضي محمد علي الأكوع وغيره مباغته وفيها عثروا على الوثائق المطلوبة ثم ألقى القبض على القاضي محمد الأكوع وعلى القاضي عبد الكريم بن أحمد العنسي والقاضي محمد بن أحمد صبره والشيخ حسن الدعيسي والشيخ حسن بن محمد البعداني والنقيب عبد اللطيف بن قايد وعبد الرحمن بن محمد بإسلامة ومحمد منصور الصنعاني والسيد محسن باعلوي وكان القاضي عبد الرحمن الأرياني في طريقه إلى صنعاء فقبض عليه بمعبر وارجع هو والقاضي أحمد المعلمي إلى إ ب وسيقا مع مجموعة القاضي محمد الأكوع إلى سجن تعز .

كما أنه كان القبض على القاضي اسماعيل الأكوع بمعبر ثم أرجع من ذمار إلى حبس روضة صنعاء ثم كان في صنعاء اعتقال القاضي عبد السلام صبره

والقاضي محمدي أحمد السياغي وأخويه يحيى وحمود والشيخ جازم الخروي وغيرهم وأرسلوا مع اسماعيل الأكوع إلى حبس تعز ، في الأغلال .

وفي تعز كان اعتقال الشيخ محمد أحمد نعمان والشيخ أمين عبد السواس نعمان والشيخ علي محمد نعمان وابنه عبد الرقيب نعمان والشيخ ناشر عبد الرحمن العريقي والشيخ محمود عبد الحميد والشيخ محمد بن حسن بن قاسم أبو راس والقاضي أحمد بن محمد الجنيد وعبد الوهاب الجنيد والشيخ محمد حسان والأستاذ قاسم غالب أحمد والسيد عباس بن أحمد باشا والسيد محمد بن علي المطاع الشاعر ، وغيرهم ، وبعد أن التقت المجموعات الثلاث بسجن تعز أرسلوا جميعاً إلى سجن حجة في شوال عام ١٣٦٣ هـ .

ونخيم على صنعاء وإب وتعز ، وغيرها من الإرهاب جو خائق فأعيد إلى سجن غمدان بصنعاء أكثر أعضاء البعثة اليمنية التي كانت قد عادت من العراق ومنهم السيد أحمد المروني وعبد الله السلال وأحمد البراق وأحمد الخورش وعبي الدين العنسي فقد كانوا عادوا من العراق متأثرين بالقومية العربية التي كانت قد بلغت حرارتها إذ ذاك بالعراق درجة كبيرة وما كاد إخواننا العائدون من العراق يعطون بأقدامهم تربة صنعاء وترحب بهم إلا وبدأت القومية العربية تحركهم في حماس سري إلى طائفة من الجيش وشباب المدارس ذعر منه الإمام وسينوف الإسلام وعرض إخواننا العائدين من العراق إلى أن يزوروا السجن في كل موجة من أمواج الإرهاب والاعتقال ونفي حسن العمري إلى مأرب وبقي بها عاماً فقد كان حبسهم غير مرة وفي هذه المرة عام ١٣٦٣ هـ لم يحرموا من ثواب الاعتقال الذي أصبحوا عرضة له فما يطلقون من السجن إلا وهم ينتظرون العودة إليه مما اضطر الأستاذ عبي الدين بن قاسم العنسي إلى مغادرة اليمن .

الموشكي والشامي

وقد كان السيد زيد بن علي الموشكي والسيد أحمد بن محمد الشامي فارقا تعز إلى عدن على إثر الزبيري والنعمان واجتمعا معها ثم مع النقيب مطيع دماج

أول مهاجر إلى عدن إلا أن الظروف عاكستهما هما والنجيب مطيع فقرر ثلاثتهما العودة إلى جحيم المعركة فعاد الموشكي والشامي بعد أن مهد الطريق الشيخ محمد بن علي عثمان ثم تلاهما مطيع دماج وقد استقبلهم ولي العهد أحمد بالترحاب واستمر ثلاثتهم ملتزمين لبدأ النضال الحادف إلى إنهاء حكم الإمام يحيى وأبنائه ، فعمل كل في حدود ظروفه وكثيراً ما كان الموشكي يتمرد على ظروفه فيقف مع ولي العهد مواقف نقد وتحذير لا يمرؤ عليها سواء فيتحملها له ، وقد يشكوه إلى محمد عثمان أو الشامي فيلطفان الجوى يسري التلطف إلى استعطاف ولي العهد على المسجونين بحجة فيطلق القاضي عبد الرحمن الأرياني ثم يضمه إليه بتعز ، وتخف موجة الإرهاب والاعتقالات نسبياً ويسطلق ببطء بعض المعتقلين بفترات متقطعة تناول الإطلاق بها القاضي محمد الأكوع والقاضي أحمد المعلمي والقاضي محمد السياغي وأخويه القاضي يحيى والقاضي هود والقاضي عبد السلام صبره والنجيب عبد اللطيف قائد والشيخ أمين نعمان والشيخ محمد أبو راس والقاضي محمد صبره وآخر المطلقين الشيخ حسن الدعيسي والقاضي عبد الكريم العنسي قبل ثورة ١٣٦٧ هـ الذي مات قبلها بالسجن الشيخ حسن بن محمد البعداني والشيخ محمد حسان بحجة واستمر بقية المعتقلين إلى ما بعد الثورة بسجن حجة ، منهم الأستاذ قاسم غالب أحمد والشيخ صالح المقالح والشاعر محمد علي المطاع .

إشتداد الصراع من عام ١٣٦٣ - ١٣٦٧

كانت سنة ثلاث وستين وثلاث مائة وألف فاتحة اشتداد الصراع بين حكم الإمام يحيى وبين المقاومة لذلك الحكم ، كانت تمثل المقاومة قوتان أحدهما أفراد وجماعات لا منظمة لها ولا نظام وكان لهذه القوة أثرها .

القوة الثانية لها منظمة ، لها نظامها وخططها وأهدافها وتأتي سنة ١٣٦٣ هـ وللمقاومة ثلاث منظمات :

١ - منظمة النضال أو منظمة المطاع .

٢ - منظمة هيئة الإصلاح بقيادة الأكوغ والأرياني .

٣ - منظمة حزب الأحرار بقيادة النعمان والزبيري ، وهذه المنظمات الثلاث وإن اختلفت في بعض الخطط ومواد النظام فإنها وبقية قوى المقاومة يتفقون جميعاً في هدف واحد هو نسف حكم الإمام يحيى وأسرته ، حول هذا الهدف كان لقاء كل الفئات بعقيدة لا تقبل جدلاً ولا مناظرة ، إنها أصبحت عند الجميع كالشهادتين محور الإيمان من قالها واعتنقها فهو حر ثأير ، ومن تردد فيها ، فهو جامد إن كان من ذوي الفضل والنقد للإمام كزيد الديلمى وعبد الوهاب الشماحي ويحيى الأرياني وقاسم العزي ، أما إذا لم يكن من أضراب هؤلاء الأعلام فهو عميل خائن ولم تكن كلمة (الرجعية) قد انتشرت وإلا لرمينا بها الجامد أو العميل ، أصرت المنظمات الثلاث ومن تمشى في تيار المقاومة على نظريتها إيماناً أن هذا الحكم هو الصخرة العاتية في طريق الإصلاح ، ويقدر إصرار المقاومة كان إصرار الإمام يحيى وجهازه ، المتمثل أخيراً في أبنائه ، على خصلتهم وإغلاق المنافذ في وجه أي تجديد وجديد ، بصفة ظهروا معها أنهم أعداء الإصلاح ، وإذا أتوا بمصلحة فما هي في نظرنا إلا وسيلة لفساد يدبرونه ، لا يقرون عليه ولا على وسيلته الخادعة .

وهذا ما جرى مع سيف الإسلام عبد الله فقد حاول استخراج الثروات المعدنية وأقنع أباء وجاء ببعثة أمريكية فأثروا ضده أخطاء ولي العهد حتى تجمدت العملية وإلى اليوم ، قاومنا فكرة عبد الله لأننا نرى فيها تدعيماً لحكم آل حميد الدين الذي يجب أن ينتهي .

وبهذه الروح تحركت أعصاب وخيوط المنظمات الثلاث ومن يدور في فلكهم يدفعون مركبة الأحداث إلى ثورة تنهي حكم الإمام وأبنائه ولقد اندفعت المركبة من سنة ١٣٦٥ هـ بسرعة يساعدها إهتزاز الجهاز الحاكم .

سنة ١٣٦٥ وأهم التطورات إلى الثورة

كانت وزارة القاضي عبد الله بن حسين العمري هي الفقار لجهاز حكم

الإمام يحيى المطلق ، فقد كان العمري من أولئك الأفاضل الذين يعرفون كيف يخدمون الملوك ، وباعتماد الإمام يحيى على هذا العمري الباقعة الإداري أقام جهازاً لحكمه متماسكاً موحداً ، كان مقدراً له أن يمتد طويلاً يتوارث لبياته الأبناء فيحل القاضي محمد بن عبد الله العمري محل أبيه ، ويحل ولي العهد أحمد محل والده ، وهكذا دواليك .

ومن هنا فقد كانت ضربة أحمد المطاع ورفاقه لهذا الجهاز بالخلاف والتفكك هي الصاروخ - لا عابراً لقارات - بل عابر السنين بالثورة إلى يومنا هذا .

لقد كانت وحدة الجهاز الحاكم هي الصخرة العاتية في طريق المقاومة لحكم الإمام يحيى ، وقد استطاع المطاع ورفاقه أن يحولوا تلك الصخرة إلى جانب من الطريق ، ثم ما زالوا هم ومن تلامهم يفتنون تلك الصخرة حتى انقلبت إلى حصباء حادة مؤذية على الطريق لا يمشی عليها إلا من احتذى الصبر والإيمان بدعوته .

لقد تفتت الصخرة بانقيار وزارة العمري وتسلق سيوف الإسلام إلى جهاز الحكم ، واحتلالهم ولايتي الأمير عبد الله الوزير والأمير علي الوزير ، ثم تنافس هؤلاء السيوف فيما بينهم وتخوفهم من أخيهما الأكبر القوي ولي العهد أحمد تخوفاً دفع سيف الإسلام الحسين بن الإمام يحيى إلى أن يعقد معاهدة مع الأمير عبد الله الوزير ، والأمير علي الوزير ، والأمير علي بن حمود شرف الدين ضد أخيه ولي العهد وارتقائه عرش الإمامة بعد أبيه ، وقد اتفق المتعاهدون الأربعة على ترشيح عبد الله الوزير للإمامة بعد الإمام يحيى .

وكان هذا الحسين عالماً خطيباً ، كاتباً مترسلاً ، متشققاً شجاعاً ، أسير النوم والتفكير العميق العقيم ، لا يقول بحصر الإمامة في الفاطميين ، يحله لعلمه ومظهره الديني أخوته وأبوه الذي كان ينظر إليه نظرة عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر ، وبذلك تمكن من إقناع أخيه لأبويه الحسن بمعاهدته الرباعية ضد ولي العهد أحمد ، بما جعل ولي العهد أحمد يتغاضى أخيراً عن دعاة الإصلاح

ويحفّضهم ويشجعهم على محاربة أخوته وفي مقدمتهم الحسين والحسن وعبد الله ، لأن الشباب المتحرر غير راض بتزمت الحسن وجهوده ، ولا بتردد الحسين وسلبيه أفكاره العميقة العقيمة ولا بعبد الله بن الإمام يحيى وميولاته الأمريكية . فقويت المقاومة في صور متعددة لا تخرج عن حدود الكلام وعن أسوار المدن وشباب المدارس والضباط ، ومع ذلك لقد كانت قافلة الأحداث تسير إلى الثورة بسرعة مبشرة ومنذرة ، مبشرة بأن السير متواصل ، ومنذرة باقتراب انفجار الثورة قبل أوانها ، والغاية هي تفجير ثورة يكتب لها البقاء وتتحقق مصلحة الشعب ، بنقله إلى مجتمع أفضل وأعدل . وهذا البقاء وهذا الانتقال لم يكن قد هيأت لها الأرض الصالحة ، فالتوعية الصحيحة لم تكن قد تناولت الجماهير ، وعليها سيما قبائل الشمال يعتمد النجاح والفشل ، لا على مجموعات مثقفة وجماعات من الشباب المتحمس في المدارس والمدن وبعض القرى ، وقد كنا مع إخواننا بتعز وعدن وغيرهما نشعر بهذه الناحية ، ولكن النجاح الظاهري الذي حققته المقاومة ، سيما ما أحرزته منظمة حزب الأحرار بعدن حجبت إخواننا الذين بعدن عن ذلك الشعور فراحوا وهم في مأمن وفرحة النجاح على عيونهم يدفعون الحركة بقوة تسابق الظروف الصالحة ، أثار شعورنا بالخاوف من النتائج ولم يبق متسع للتوعية الجماهيرية ، لم يبق هناك إلا الطرق المختصرة لاكتساب الجماهير والقبائل الشمالية ودرء الأخطار المحتملة ، وبعد مشاورات تقرر الاتصال بالملك عبد العزيز المعروف بعداوته لولي العهد أحمد حينذاك .

وقد هيئة النضال إلى الملك عبد العزيز آل سعود

عام ١٣٦٥

قررت هيئة النضال الاتصال بالملك عبد العزيز آل سعود أملاً بأن تكون المقاومة والثورة منه في مأمن ثم محاولة كسب مساعدته فقد كان الملك عبد العزيز راضياً عن الإمام متذ معاهدة الطائف التي عن طريقها ، تم اللقاء بين الأمير عبد الله الوزير والملك عبد العزيز وارتبطا بعصبة قوية تناولت من بعد الأمير علي الوزير برباطها الودي المقرون بإجماع الثلاثة على كره ولي العهد سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى .

ولم يكن لهيئة النضال تعرف ولا صلة بالملك عبد العزيز ، فرأت الهيئة الاستعانة بعبد الله الوزير في الوصول إلى التعرف بعبد العزيز والاتفاق معه من دون أن يعرف للوزير حقيقة المنظمة وأهدافها .

اتصل المطاع وبعض رفاقه الذين منهم عبد السلام صبرة بعبد الله الوزير وبعد مواقف متعددة التقوا مع الوزير في التخوف من الإمام وولي عهده وراحوا يبحثون عن منجاة ، وبعد أخذ ورد قرروا وجوب التعاون لمقاومة هذا التخوف وأن يستعان بالملك عبد العزيز ، واتفق الجميع على إرسال وفد سري إلى عبد العزيز ، ويتمين القاضي عبد الله الشماحي للقيام بهذه المهمة بموسم الحج يحمل رسالة من الأمير عبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز ويوكل إلى الشماحي تشخيص الموقف باليمن وعقد اتفاق مع الملك .

ويذهب الشماحي بشهر القعدة عام ١٣٦٥ يحمل رسالة عبد الله الوزير وكتيباً خطياً من هيئة النضال ورسالة من الأمير علي الوزير . وفي جدة يتصل الشماحي بواسطة عبد الله بن سليمان بالملك عبد العزيز فإذا بالشماحي مع شخصية واضحة تمثل الزعامة العربية في صراحتها وأريحياتها أيام العهد الأموي وبعد تجاذب أطراف الحديث وتصوير الشماحي الموقف باليمن وتغلب أبناء الإمام يحيى على أبيهم وما يخططه ولي العهد أحمد قدم الشماحي رسالة الأمير بن عبد الله الوزير وعلي الوزير مع كتيب هيئة النضال إلى الملك عبد العزيز ، وترك للملك الفرصة لمطالعة تلك المحررات فاستأذنته بالانصراف فأذن على أنه سيستقدمني في الوقت الذي يراه .

وفي اليوم الثاني استدعاني وأظهر استحسنانه لإرتباط النضال بإحياء تعاليم الكتاب والسنة وبوجود عبد الله الوزير إلى جانب هيئة النضال ، ووعد أنه سيساند الدعوة في حدود إحياء السنة وإماتة البدعة بحيث لا تخرج الدعوة كما كان يقول : إلى صراع مع الإمام يحيى فهو معه على اتفاق ومعااهدة لا يمكن أن يخيس بها ، وأن من الأفضل للوزير ورفاقه إرجاء أية حركة يكون معها صراع إلى بعد موت الإمام يحيى المنتظر أنه لا يعيش طويلاً ، فجارته على فكرته وقلت

له : ولكن من يكفل سلامة الدعوة من سطوة ولي العهد أحمد في حياة أبيه وبعد موته فأحمد قد تغلب على أبيه وفي طريق تغلبه على الموقف وتنفيذ مخططة الذي لا يقف عند حدود اليمن ، فقال : أنا أعرف أحمد وخطورته ولكن لا يمكن أن أدخل بعهدي مع الإمام يحيى وكل ما يمكن أن أنظر فيه هو مساندة الدعوة والوزير مادياً شريطة عدم الصراع مع الإمام ، وارجى الأمر إلى بعد مناسك الحج .

(صوت اليمن والفشل)

ذهب الشماحي والقاضي فضل بن علي الأكوع السلي انضم إلى الشماحي لإكمال المهمة ، ذهباً من جدة إلى مناسك الحج وهما مسروران بمبادئ المحادثة التي دارت بين الملك والشماحي ، وقد كانت صحيفة صوت اليمن صدرت بعدن وأرسلت منها كميات إلى السعودية وإلى الملك عبد العزيز ووزعت منها أعداد في مكة وعرفات وفيها حملة على الاستبداد والملوك إلى جانب التشهير بالوضع في اليمن والإمام يحيى والدعوة إلى إنتفاضة تحطم الجمود وتبدل الأوضاع لما تتطلبه الحضارة المعاصرة ، وما أن وقف عليها الملك عبد العزيز إلا واثارت غضبه وأمر بمصادرتها ومعاقبة من وجدت لديه ومن يظن أنه وردها ، وسرى الشك إلى الشماحي ، وكان الملك يبنى في اجتماع مع سيوف الإسلام مطهر وعباس وعحسن ورفيقهم السيد حسين الكبسي الذين حجوا في ذلك العام وما أن خرجوا من لديه حتى استدعى الشماحي وبعد أن تحدث معه قليلاً عن الحج وتناول الشماحي القهوة العربية عرض على الشماحي عدداً من صوت اليمن على بعض مقالاتها خطوط وقال : أنظر أن هذا الصوت صوت شر يحمل معوك الهدم للدين والعروية ويظهر أن حركتكم متصلة بهذا الصوت الهدام ، وانكم قد خدعتم الوزير فأراد الشماحي أن يلطف الجواباً ما ترمي إليه صوت اليمن لا يتعدى الوضع اليمني ، وعن سؤاله أحببت أن لا أكذبه - فأجبت بأن منظمنا بصنعاء متصلة بحزب الأحرار بعدن في نقطة التخلص من حكم الإمام يحيى وولي عهده أحمد ، وإني لا أعلم بأعداد صوت اليمن إلا بعد أن وقفت عليها لديه ، وكأنه اقتنع بجوابي ولكنه لم يتراجع عن فهمه لمقالات صوت اليمن

وقال : أنت صادق ، وأنا رجل أحب الصراحة : وإني أرى أن حركتكم هدامة ولا يعني أن أساندها ، وحرر رسالة مختصرة إلى عبد الله الوزير إشعاراً له بأن رسالته وصلت وأن حاملها سيخبره بالحقيقة ، وحلني أن أبلغ الوزير والهيئة بحياته وما يراه ، وأنه يتحتم على الوزير ألا يحدث أية حركة في حياة الإمام يحيى وإذا كان متخوفاً على حياته وكرامته فهو يرحب بهجرته إليه ، ولقد كان شريفاً فكانه لمس تخوفي من إطلاع سيوف الإسلام على موقعي فعندما فارقته قال إن موقفنا : سيكون من الأسرار التي لا ينفذ إليها الأخ يحيى ولا السيوف ، وإتقوا الله في مصير بلادكم والإسلام .

ولم يكتف الملك بتمسكه بفكرته التي انتزعها من صوت اليمن ، فقد دخلت عليه مع وفود المسلمين والزائرين بمقره بمنى فألقى خطاباً رحب بالحجيج وتكلم عن الإسلام والتوحيد وعن الجهاد في سبيل الله واستقلال العرب والمسلمين وأثنى على الإمام يحيى وقال : إن كان هناك من يفخر به في تحقيق استقلال بلاده إعتماذاً على نفسه وسعيه فإنه الأخ يحيى وأنا ، وكان ممن حضر هذا الموقف وتكلم الشماحي والإمام حسن البنا رحمه الله .

(التعرف بالإمام حسن البنا)

كان البنا ممن حج في هذا العام وجمعه بالشماحي مقر الملك عبد العزيز وألقى كل منهما كلمة شكر عبد العزيز . على جهوده في إراحة ضيوف الله وبما يقوم به من أعمال في مهبط الوحي وعلى دعوته إلى التوحيد والوحدة الإسلامية ثم تكلمما عما يرمي إليه الحج من العدالة والمساواة وكيف قضى على هذه الروح الطغيان ومحاربة العلماء فأعجب البنا بهذه الفقرة وأيدها ، ومن هنا قويت صلات الشماحي بالإمام البنا وتلازما بمنى ومكة والمدينة ودرستا الوضع العام في العالم الإسلامي وشخص الشماحي للبنا الوضع باليمن وإتفقا على التعاون بين الإخوان المسلمين والمنظمات اليمنية وقد أوفى بوعده فساند النضال اليمني بما كانت تنشره صحافة الإخوان ثم أوفد الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاوي وغيره إلى اليمن عن طريق عدن وغيرها كما سيأتي .

(العودة من الحج والحقيقة المرة)

قبل أن يغادر القاضي فضل الأكسوع والشماحي (منى) اجتماعاً بالعزى عكارس فأخبرهما أنه يحمل رسائل من المطاع ومن الأميرين علي الوزير وعبد الله الوزير إلى الملك عبد العزيز مع توصية للشماحي بإيصال الرسائل إلى عبد العزيز فأخبرناه بالحقيقة ومع ذلك أوصلنا الرسائل إلى الملك ولم نتظر منه جواباً ، وقد اتفق الثلاثة أن لا يعرف الحقيقة الأميران علي الوزير وعبد الله الوزير إلا إذا قرر ذلك المطاع وعبد السلام وعدنا نطرح الحقيقة للمطاع وبقيّة الرفاق وأجمعنا على كتمها عن الأميرين عبد الله الوزير وعلي الوزير وسلمنا الرسالة إلى عبد الله الوزير الذي انقبض لاختصارها وجفافها فأزحنا انقباضه بأن شرحنا له ما لسناء في أول اجتماعنا من كراهية عبد العزيز لولي العهد أحد ومن تفاعله مع عبد الله الوزير إلا أنه متقيد بالمعاهدة مع الإمام يحيى وأنه يرحب بالوزير إذا شاء الوصول إليه ، فإذا بالوزير يميل إلى الاناة وإنتظار موت الإمام يحيى . فتفرقنا لدرس الوضع على ضوء الحقيقة المرة وسير الحوادث وما نجد .

(سنة ست وستين وشيخ الثورة)

استهل عام ستة وستين وثلاث مائة وألف على أحداث حولت سير النضال من التفكير إلى المغامرة ، فحزب الأحرار بعدن قوي مركزه الدعائي بإبراهيم بن الإمام ومحاولة إسماعيل بن الإمام أن يلتحق بأخيه وحزب الأحرار فيقبض عليه مع الشيخ صالح المقالح وغيره قبل اجتيازه الحدود .

ويأتي الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاقي موفداً من الإمام حسن البنا وروح الثورة مستولية عليه فيمر بعدن ويضعف حماس قادة حزب الأحرار وأعضاء الحزب ذلك الحماس الزاحف مع الفضيل إلى كل مكان حل به ، فهو معه يتعز بهز الملك المظفر ، ويبإب يحرك الملك المكرم والوالدة السيدة أروى ، ويصنعاء يلهب شبابها وطلاب مدارسها وضباطها بسعير ثوري ، حول الجو بصنعاء وعدن إلى أتون ، من وقوده التفكير الموجه الصحيح ، وصرنا وكأن اليمن قد ألغم بصواعق ستقفض على الإمام يحيى وحكومته ، خيال نعمنا به

زمناً أوقفنا في الغرور ومغباته فلم نسمع لصوت الحقيقة المنبعث من مواطن القبائل اليمنية التي لم تصل إليها الدعوة النضالية فضلاً عن الحماس لها ولروحها المستعرة التي كانت لا تتجاوز بعض المجموعات من الشباب والطلاب والضباط في صنعاء وذمار وإب وتعز وهنا ، وهنا حماس زاد في إشعاله الفضيل ، وقد تمكن من ذلك لاحتضان ولي العهد أحمد له فقد وصل تعز فاستقبله أحمد وأعجب به وبدعوته الإصلاحية الإسلامية وأسلوبه في الخطابة والمحاضرة والمحادثة ، وفي تعز اتصل الفضيل بالقاضي عبد الرحمن الإرياني والسيد زيد الموشكي والسيد أحمد الشامي وأمثالهم وتبادلوا النظريات وبه ارتبط السيد أحمد الشامي ولازمه في تجولاته وتأثر كل منهما بالآخر وفي صنعاء قام الفضل بنشاطه الثوري يرافقه المؤرخ المصري أحمد فخري ويساعده الشامي فيجذبان إليهما السيد العالم حسين بن محمد الكبسي ، ويتصل الثلاثة بالمطاع وغيره ويندفع الفضيل في إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات في المدارس والمساجد والحفلات فتسري روحه إلى الشباب والضباط وطلاب المدارس ، وبلغ الحماس بصنعاء ذروته أوائل العام السابع والستين حول الجو بصنعاء إلى درجة من التوتر أصبح الإمام يحيى وأتباعه وهم يحسون بأن حولهم ثورة مستفجرة ، فراحوا يتحسسون ليضعوا أيديهم على مواطنها ، وبدأوا باعتقال بعض الشباب والضباط وطلاب المدارس ، وكلما حاولوا إيقاف الفضيل وإخراجه من اليمن ومد أيديهم إلى الملتزمين حوله أرجعهم القدر ، وتدخل ولي العهد وتوصياته بالفضيل ، ودفاع السيد حسين الكبسي عن الفضيل ، فقد كان الكبسي محل ثقة الإمام ونجليه الحسن والحسين ، وكانت الثورة تبدو وكأنها تطرق الأبواب ، وهنا أصغى أمثال الكبسي إلى الطرق الذي جعلهم يفكرون في الثورة ومصيرها فيدرسون الوضع الحقيقي لليمن فيقررون إفتقار الثورة ومصيرها إلى أن تدعمها القبائل وإلا فنجاحتها غير مضمون ، ولا سبيل إلى كسب القبائل عن طريق التوعية والمنظمات فالوقت أضيق من السير في هذا الطريق الطويل ومن هنا يأتي الأمير عبد الله الوزير إلى الإمامة . ويتكون معظم رجالات الدستور المنصوص عليهم في الميثاق المقدس .

(الإمام عبد الله بن أحمد الوزير)

(كيف أختير عبد الله الوزير للإمامة)

كانت أفكار رؤساء المنظمات بما فيها الجماعات العسكرية ، تهدف إلى إقامة حكومة شعبية شورية (أي ديمقراطية) ليس عليها ملك ولا إمام متحكم بل حكومة لها مجلس أعلى (أورئيس جمهورية) .

وكانت الطريق إلى إقامة هذه الحكومة في هذا النظام هي تهئية الشمال بالتوعية لقبول هذا النظام غير المألوف ، ولكن حدث ما أشرنا إليه من التوتر وإحساس الإمام بالخطر ، وارتفعت درجة حرارة الثورة في شبابنا بصنعاء فراحوا يوزعون النشرات المطبوعة يتهددون كل من يقف بفكره أو بكلامه فضلا عن عمله في طريق الثورة وإنهاء أسرة حميد الدين ، بلغ الحماس بهم وبنا إلى هذه الذروة ، ولم يقف من هم دوننا شبابا معنا على هذه الذروة بل تجاوزها إلى تفجير القنابل والألغام والطلقات النارية هنا وهنا ويمثل هذه المجموعة من الشباب المتطرف حسن العمري وعبد القادر بن محمد وحسين المقبل والسيد محمد بن أحمد عبد الرحمن الشامي والسيد عبد الوهاب بن محمد بن محمد الشامي وعلي عتمي وعلي البوني وعبد الملك الطيب ويحيى المطاع ، ومن أغرب حركتهم وحمى ثورتهم أنهم أصبحوا يوزعون المنشورات التهديدية في ظروف تجمع بين المنشور ودسته من العيارات ومعايير الجرمل والمسدس ، هذا الوضع أجبر المفكرين العالمين بالحقيقة وبأن هذا الحماس لا يتجاوزهم ، وصاعاً من شباب المدن ، أجبرهم هذا الوضع أن يتخذوا خطة عليها تمكنهم من أن يتغلدوا بالإمام يحيى وولي العهد أحمد قبل أن يتعشيا بهم .

وبعد دراسة سريعة متعمقة قرروا أنه لم يبق متسع لكسب قبائل الشمال بالتوعية فإن الإمام سيسبق الوقت بضربة رجال المنظمات فهو في طريق اكتشاف شخصياتهم المستترة داخل اليمن المتوكلية فلم يبق خيار للمفكرين إلا أحد أمرين الفرار إلى عدن والخارج قبل أن يطيروا إلى الرفيق الأعلى ، ولكن الفرار من الجحيم الذي أضرموه وإن كلل لهم السلامة خطة جبن وخيانة لشعب

وقضيته متبقى عار الدهر ، فلنبق في أتون الجحيم لعننا نحوله لليمن برداً
وسلاماً ، وإلى جلادي الشعب إعصاراً من نار ما تذر من طاغ وطفيان إلا
جعلته كالرميم ، ولكن على أي جنب نضطجع على هذا التوتّر الملتهب ،
والقبائل اليمنية المسلحة ليست بأيدينا ، وكل ما حولنا حكومات ملكية بالطبع
تعادينا ، وكل ما بأيدينا هي مجموعات من مفكري الشباب ومثقي الشباب ،
ومتطرفي الشباب المعدودين في المدن ، وفي قلة من الطلاب يقودهم حسين
المقبلي ، وإلا مجموعة من المحرومين الذين لا يظهرون ، إذا جدد الجد ، وإلا
الصباح في المنشورات والصحافة الخارجية ، إذا فلم يبق من مندوحة إلا
اجتذاب القبائل عن طريق حكم إمامي ، يكون مؤقتاً ، يمثل دور انتقال من
حكم الإمامة الزيدية ، إلى الحكم الشعبي ، ويشند النقاش حول الأخذ بهذا
الدور الانتقالي ، انتهى على مضض بالأخذ بهذا الدور الانتقالي .

وهناك شخصيات من غير بيت حميد الدين لها مقامها بين القبائل ، وهذه
الشخصيات الأمير عبد الله الوزير والأمير علي الوزير والأمير علي بن حمود
شرف الدين وأقوى الثلاثة وأجمعهم لشروط الإمامة الزيدية التي من شروطها
سلامة الخواص الظاهرة والباطنة هو عبد الله الوزير فليختر إماماً ، وتتخذ
الحيطة من تغلبه وتحويله الحكم إلى الاستبداد والطفيان الفردي .

وهكذا جاء الأمير عبد الله الوزير إلى قمة الحكم ، وجاءت الإمامة بدل
الحكم الشعبي الذي كان هدف النضال ، وجاء معظم رجال الحكومة المنصوص
عليهم في الميثاق المقدس ، ومع هذا فلم يكن إقناع عبد الله الوزير ، بقيادة
الثورة وتفجيرها بالأمر السهل إنه لا يقنعه الترغيب في القيام بهذا الواجب ما
دام يشعر أنه في مأمن من الإمام يحيى ، وما هي الثورة تحت خطاها نحو خلق
رجالها قبل مولدها ، أو نحو يوم اندلاعها قبل أن تهبط لها الظروف ، فما بقي
إلا أن يدفع عبد الله الوزير الذي قبل ترشيحه للإمامة إلى قيادة الثورة وتعجيلها
يدفع إلى ذلك بعامل تخوفه من الإمام يحيى وأبنائه وتخوف الإمام وأبنائه من عبد
الله الوزير .

المخاوف تقنع الوزير

تمكن الفضيل والكبيسي والمطاع ورفاقهم من اشارة التخوف إلى درجة دفعت كلا من الإمام يحيى وبنيه وعبد الله الوزير إلى أن يعد العدة ليتخلص من الآخر وكان للشهيد السيد محمد بن حسين عبد القادر والحاج عزيز يعني المطري نصيب الأسد في تسليط المخاوف على عبد الله الوزير ، كما كان للكبيسي والشامي والشماحي الأثر الكبير في إثارة مخاوف الإمام يحيى وبعض بنيه فاقنع الوزير بتولية قيادة الثورة والاستعداد لتفجيرها بقوة علاقته بالفضيل ومن يتصل به وفتح لهم دارة لعقد الاجتماعات ووضع المخططات واتصل بمن يثق به من أعيان القبائل الموالية ليكونوا على استعداد للساعة المطلوبة . وتمكن من استمالة القاضي عبد الله العمري والسيد حسين عبد القادر إلى وجوب التخلص من أولاد الإمام وولي العهد أحمد وخطرهم الذي سحق معنوية العمري والوزير وحسين عبد القادر ومن يتعلق بهم والذي سيسحق شخصياتهم في المستقبل العاجل ، إلى ما هناك مما جعل العمري يعمل في كتمان لصالح الوزير .

وراح الإمام يحيى وبنوه يفكرون في توجيه ضربة يهوي معولها أولا على عبد الله الوزير واعتقاله مع الأمير علي الوزير وبعض شخصيات ثم تنتقل الضربة إلى هنا وهنا .

ولهذا راح الإمام يحيى يجمع الوثائق لإدانة عبد الله الوزير وأخذته واعتقاله مع علي الوزير ، وقد وجدت هذه الوثائق في صندوق اليد الفولاذي الذي لا يفارقه الإمام يحيى المودعة فيه مفاتيح كنوز الإمام وخواتمه التي تحمل اسمه ويمهر بها القرارات والاتفاقيات والرسائل والأوامر ، مع مذكرته المالية ، الدقيقة المبين بها كلما تحتويه خزائنه من ذهب وفضة وحبوب وأسلحة ومجوهرات ومقدار واردات كل لواء وقضاء وصاداته وبيان ما هو خاص به وما هو لبيت المال ، إن وضع الوثائق لإدانة الوزير في هذا الصندوق الهام يدل على أنه كان في طريق تعجيل الضربة للوزير وأنه كان يحسب لاعتقال الوزير حسابه سيما من جهة الملك عبد العزيز وخوف تدخله إلى جانب الوزير ولو بالضغط على الإمام

لإطلاق الوزير من الاعتقال ، ولم يكن يعلم الإمام بما وقفنا عليه من تحول الملك السعودي إلى جانب الإمام ، إلى هذه الدرجة بلغت الحالة بين الإمام والوزير أوجبت أن تتخذ المنظمات معها خطوة يتطلبها الموقف فكان الإتصال بين قادات المنظمات والبناء لتوحيد العمل .

الاتصالات والميثاق المقدس

عند أن بلغ الموقف هذه الدرجة راح الفضيل والمطاع والوزير والكبسي ورفاقهم يضعون الخطط ويتصلون في صنعاء بالرئيس العسكري العراقي جمال جميل وغيره ، وذهبت رسلهم تحمل المعلومات إلى من يتميز وإلى الزبيري ونعمان بعدن وإلى البنا بالقاهرة وانتهت الاتصالات بالموافقة على أن يكون الوزير اماماً دستورياً ، على رأس حكومة دستورية وفعلاً شكلت الحكومة ونص على أعضائها ووضع لها دستور سمي الميثاق الوطني المقدس ، اشترك في وضعه الفضيل والكبسي وغيرهما وكتبه السيد أحمد بن محمد الشامي وأرسلت منه نسخة بخط الشامي إلى الزبيري والنعمان ليطلع منه عدد كبير تحفظ هناك في سرية إلى الوقت المناسب لإعلان الثورة ، وطبع الميثاق واحتفظ بكل الأعداد ولكن السرية لم يحتفظ بها . وهذا نص الميثاق وأسماء مجلس الوزراء والادارات المختلفة ، والسبب الدافع إلى تعيين معظم الأشخاص في هذا الميثاق هو الظروف .

(نص الميثاق الوطني المقدس لثورة اليمن)

عام ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

لما صارت أحوال اليمن منحلة إلى حد بعيد في أمور الدنيا والدين ، بسبب الاستبداد والأنانية اللذين اشتهر بهما الإمام يحيى بن حميد الدين ، حتى صار الغرض المطلوب من الإمامة معدوماً في كل ناحية ، ولم يبق غير مظاهر خيادعة كاذبة ، لا تتفق مع موجبات الشرع الشريف ولا تضمن شيئاً من الإصلاح الذي يوجب الدين في الحال ، ولا تصون اليمن من أسوأ العواقب في المستقبل .

وقياماً بالواجب ، لله تعالى ، وللمسلمين ، وطلباً للسلامة في الدين

والدنيا من العفوية من الله سبحانه وتعالى ولحفظ شرف الدين والاستقلال اجتمع ممثلو الشعب اليمني على اختلاف طبقاتهم ، في هيئة مؤتمر للنظر في وضع نظام شرعي صالح ، وإقامة من ينقله ويحفظ الأمن ويضبط مصالح الأمة ، ويقوم بكل واجب ديني ودنيوي لليمن وأهله - عند وفاة الإمام الخالي فقرروا الآن بالاجماع ما يأتي :

المادة ١ - مبايعة سيادة السيد () لما اشتهر به من علم وفضل ، ومتزلة عالية في نفوس الناس الآن . مبايعة دينية ناجزة ، إماماً ، شرعياً ، سوريا ، دستوريا ، على نحو ما تسير به أرقى الأمم اليوم في العالم المتحضر ، فيما لا يخالف أدنى مخالفة التعاليم الإسلامية السمحة الصحيحة .

المادة ٢ - كانت البيعة من ممثلي الشعب اليمني لحضرة صاحب السيادة المشار إليه ، على الشروط المقدسة الآتية :

(أ) العمل في كل قول وفعل بما تضمنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتسليم ، وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(ب) يكون حضرته هو الإمام الشرعي ورئيس الدولة اليمنية ، ويكون له الحق الكامل الذي يتمتع به الإمام الحق الملتزم تنفيذ هذا الميثاق ، والشخصية التي لسائر الملوك ورؤساء الدول الحرة المستقلة في العالم .

(ج) لا تصدر جميع مراسيم الدولة ، وجميع الأحكام في المحاكم الشرعية إلا باسمه .

(د) لا تتم أية معاهدة مع الحكومات الأخرى إلا بموافقة وتحت إمضائه .

(هـ) إليه وحده تقدم أوراق الاعتماد من الممثلين الدبلوماسيين الأجانب لدى الدولة اليمنية .

(و) له الحق في الإشراف على مجلس الشورى وعلى مجلس الوزراء ، والاقتراح للنظر في كل ما يريد من المشروعات على اختلاف أنواعها .

(ز) وله الحق في الاشراف على جميع أموال الدولة ومناقشة أعمال أي شخص ذي علاقة بها .

(ح) له السمع والطاعة في المنشط والمكروه من كل فرد داخل نظام هذه البيعة الجارية على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما كان عليه السلف الصالح وعلى العمل بكل تحسين يقبله الشرع الشريف . . . له في ذلك ما دام متمشياً على هذه البيعة ملتزماً لهذا المشاق ساعية إلى الغاية المقصودة من ذلك بكل سرعة ممكنة .

المادة ٣ - يكون نظام الحكم شورياً دستورياً بما لا يخالف الشريعة السمحة الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله .

المادة ٤ - يقوم على وضع الدستور اليمني لجنة خاصة يعينها مجلس للشورى من أهل الكفاءة والصلاح علماً وعملاً ، ويجب أن نستعين في ذلك بالجامعة العربية وحكوماتها والعقريين من رجالها ، ثم يعرض على الإمام ما يقررونه ليحيله حالاً إلى الجمعية التأسيسية .

المادة ٥ - بعدما تضع اللجنة هيكل الدستور بمواده المفصلة يجب أن يرفع إلى الإمام ليحيله على الجمعية التأسيسية لتنظر فيه وتناقشه مادة مادة . ويكون التصديق على كل مادة منه بعد المناقشة بالأكثرية . وفي هذه الحالة يعرض مرة أخرى على الإمام ليطلع على ما فيه ويقرر ما اتضح له صلاحيته ، وله الحق أن يأمر بإعادة النظر فيها عدى ذلك مبيناً أوجه النقص فيه ، وعلى الجمعية أن توالي اهتمامها بدرس ذلك على ضوء التعاليم الإسلامية وبعد ذلك ترفعه إليه أخيراً مصححاً بمستندات ما قرره الأكثرية ويصبح حينئذ واجب التنفيذ والتوقيع .

المادة ٦ - يكون ضمن أعضاء الجمعية التأسيسية الأساسيين أعضاء مجلس الشورى الذي سينص عليه فيما بعد .

المادة ٧ - مجلس الشورى المشار إليه هو الذي يضع قانوناً لانتخابهم إذا قرروا طريقة الانتخاب أو يعينهم بالاشتراك مع حضرة الإمام إن رأى طريقة

التعيين . . على أن يكون مفهوماً من الآن في حالة الانتخاب ما يأتي :

(أ) أن يكون لكل يمني ذكر بالغ من العمر ٣٠ سنة غير محكوم عليه شرعاً لإجرام حق الانتخاب .

(ب) أن لا يقل عدد ممثلي المدن عن الثلاثين .

(ج) أن تكون القبائل والقضوات ممثلة .

(د) أن يكون للمهاجرين اليمنيين في أي بلد يوجدون فيها حق إرسال ممثلهم في المجلس إذا كان فيهم ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب وإذا كثروا يكون لهم على كل ثلاثة آلاف فأكثر تتوفر فيهم شروط الانتخاب ممثل وواحد على الكسور مهما قلت ممثل واحد .

المادة ٨ - بما أن دعوة جمعية تأسيسية تتعذر الآن . وأن وضع الدستور وتحديد المسؤوليات الدائمة إنما هو من اختصاصها . . فإلى أن يتيسر ذلك يجب أن يكون تعيين مجلس مؤقت يسمى « مجلس الشورى » .

المادة ٩ - تكون صلاحية المجلس المشار إليه المؤقتة ما يلي :

(أ) القيام بالمهام المشار إليه في المواد السابقة .

(ب) القيام بوضع القوانين المؤقتة وضماً لا يخالف النظم الشرعية ، على أن يعمل بها حتى تصدق على الدستور وحينئذ تقرر أو تلغى .

(ج) يضع ميزانية الدولة للفترة المؤقتة .

(د) يصادق على المعاهدات ويرفضها ، وعلى الإمام أن لا يبرم أية معاهدة إلا إذا صادق عليها أكثرية هذا المجلس ، وعليه أن لا يعزل وزيراً أو مديراً ، أو أمير لواء ، أو موظفاً هو عضو في مجلس الشورى في المدة المؤقتة قبل وضع الدستور إلا بموجب عزله بحكم الشرع بعد تقرير وجوب ذلك من العلماء أهل الصلاح في مجلس الشورى أو لسبب آخر يتفق عليه أكثر هذا المجلس .

المادة ١٠ - يتألف مجلس الشورى من سبعين عضواً منهم الذين سيذكرون

إما بأوصافهم أو بأشخاصهم والباقي يتفق عليه تعيينهم مجلس الوزراء ، وحضرة الإمام ، والأعضاء المعينون من الآن هم :

(أ) أعضاء مجلس الوزراء .

(ب) مديرو الوزارات .

(ج) المستشارون العموميون .

(د) القائمة (٢) التي تصطلح على تسميتها (قائمة الموظفين الشوريين) المرفقة بهذا والتي ستلى مع بقية القوائم ، كل هؤلاء يكونون أعضاء في مجلس الشورى المؤقت بحكم وظائفهم .

المادة ١١ - يتألف مجلس الوزراء على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (١) .

المادة ١٢ - تتألف هيئة مديري الوزارات على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٢) .

المادة ١٣ - تتألف هيئة الموظفين الشوريين على النحو الآتي في القائمة المرفقة رقم (٣) .

المادة ١٤ - تنتهي مهمة مجلس الشورى المؤقت بمجرد إنتهائه من وضع الدستور ودعوة الجمعية التأسيسية للانقضاء وفي هذه الحالة يتحول اعضاؤه من غير أي إجراء جديد إلى أعضاء الجمعية التأسيسية ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

المادة ١٥ - بمجرد الانتهاء من إقرار الدستور يجب على الحكومة القائمة أن تقدم استقالتها لحضرة جلالة الإمام ، وعليه هو أن يدعو من يشاء لتأليف حكومة جديدة حسب توصيات الدستور المشار اليه آنفاً .

المادة ١٦ - عند تأليف الحكومة الجديدة ، يجب أن تجتمع الجمعية التأسيسية فوراً للغرض الآتي :

بما أن اليمن لم تنهياً بعد طباغها للمعارك الإنتخابية وليس من مصلحتها ذلك في أول عهدا بالدستور فلا أعضاء الجمعية التأسيسية أن يتحولوا من غير إجراء جديد إلى أعضاء في الهيئة الشرعية الجديدة التي سوف تسمى (مجلس النواب) أو غير ذلك من الأسماء وذلك لدورة واحدة فقط لعدد السنوات التي سيحددها الدستور وليكن ذلك بشرطين اثنين :

(أ) أن لا يرى أكثرية الأعضاء والإمام خلاف ذلك .

(ب) أن لا يكون من الشعب اعتراض ظاهر معتبر .

المادة ١٧ - بما أن اختصاصات المسؤولين للفترة المؤقتة لم تفصل في هذا الميثاق تفصيلاً كاملاً فيجب فيما عدا ما نص عليه فعلاً أن تكون اختصاصات الجميع كما هو الحال في مصر ، والعراق ، بين الملك ، والحكومة ، والمجلس النيابي ، على أنه يجب في الوقت نفسه المبادرة إلى وضع الدستور اليمني ، في مدة لا تزيد عن سنة واحدة لتستقر الأمور نهائياً .

المادة ١٨ - يشرع في تأسيس حرس وطني في الحال من الشباب المثقف وغيرهم للاستعانة بهم على حفظ الأمن وتنوير الأفكار ويكون رئيسهم هو مدير وزارة الدفاع ووكيله مدير وزارة الداخلية ويتبعان معاً رئاسة مجلس الوزراء وتقدر لهم معاشات محترمة على أن يقطع بمجرد ما يسرحون عندما يتم الاستقرار .

المادة ١٩ - تبليغ الجامعة العربية ودولها حالاً بالعهد الجديد ويطلب إلى تلك الدول الشقيقة أن تبعث للحكومة اليمنية الجديدة كل منها (أولاً) عدداً من الطائرات للاستعانة بها على حفظ الأمن وعلى سبيل الاستعارة أو الإيجار لمدة قصيرة و (ثانياً) يطلب منها حالاً وبالإلحاح إنداب خبراء للاستعانة بهم على تنظيم جميع أنواع الإدارات الحكومية .

المادة ٢٠ - تؤلف حالاً لجنة تسمى اللجنة المالية لضبط مالية الدولة وحصرها ويكون من أعضائها رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية . ومدير

المالية ، وزير العدل ، وزير الداخلية ورئيس مجلس الشورى ووكيله ومستشار الدولة العام ، وأعضاء آخرين يجوز أن يكونوا من الوزراء وغيرهم تعينهم الحكومة وتكون اللجنة تحت إشراف حضرة الإمام ويكون الجميع مسؤولين بالتضامن عن مالية الدولة حتى تنظم الأحوال ويعين ديوان محاسبة على النحو الموجود بمصر وغيرها ويتخل طرف أعضاء اللجنة وتحل نهائياً .

المادة ٢١ - إذا ثبت على شخص مهما علت منزلته اختلاس شيء من أموال الدولة أو محاولته ذلك سواء كان بالانفراد ، أو بالاشتراك مع آخرين فإنه يحاكم أمام مجلس الشورى ويجب أن تحدد عقوبته بمدد قاسية وعقوبات حاسمة مما يميزه الشرع الشريف على درجة خيانتته بأتم صورة رادعة زاجرة .

المادة ٢٢ - جميع وظائف الدولة الرئيسية وتعيين الموظفين فيها يكون باقتراح الوزير المختص ويقدمه إلى الإمام للنظر فيه والموافقة عليه أو الأمر بإعادة النظر فيه .

المادة ٢٣ - حضرة الإمام .

يلقب بـ « صاحب الجلالة الإمام » و « الملك » باعتبار الأوضاع .

المادة ٢٤ - ويلقب رئيس الوزراء بـ « حضرة صاحب الدولة » والوزراء ومستشارو الدولة بـ « حضرة صاحب المعالي » .

المادة ٢٥ - يكون (للدولة) مستشارون عموميون وخصوصيون أما الأولون فيكون لهم درجة (وزير ممتاز) ويكون لهم حضور جلسات (مجلس الوزراء) ويكونون أعضاء في (مجلس الشورى) ولا يزيد عددهم على خمسة وأما الآخرون فيكونون بمنين ويكون عددهم حسب حاجة « الدولة » وتحدد الحكومة درجاتهم وحقوقهم وواجباتهم ويلقب المستشار العام بـ « حضرة صاحب المعالي ، المستشار العام للدولة اليمنية » ويعين أول مستشار عام للدولة حضرة صاحب المعالي « والباقيون تعينهم الحكومة بموافقة الإمام فيها بعد وكلما دعت الحاجة إلى ذلك .

المادة ٢٦ - يجب الاسراع إلى تحسين حالة الجيش الذي هو رمز الأمة وفخارها بأن تزداد مرتبات كل فرد منهم وضابط وأمر إلى الدرجة التي تضمن للجندي اليمني من الاعتبارات ما يعطى لسائر الجيوش الحديثة من الملابس والتجهيزات وغيرها .

المادة ٢٧ - يجب الاسراع إلى إزالة الظلم والطغيان عن الرعايا في طريقه أخذ الواجبات وإسقاط البواقي الكاذبة .

المادة ٢٨ - يجب القضاء على روح الرشوة والمحسوبية في الدولة وعندها من الخيانات الكبرى مع إقامة نظام حديث كامل في جميع دوائر الحكومة يطارد الفوضى ويمنع التلاعب بمصالح الأمة ويكفل راحة الموظفين .

المادة ٢٩ - تصان أموال الناس جميعاً وأعراضهم وأرواحهم إلا في أمر شرعي ويصير أفراد الشعب اليمني في أدرجة واحدة من حيث المساواة المطلقة إلا ما كان للمواهب والأعمال ويكون الكل تحت حكم الشريعة السمحة الصحيحة وتجري أحكامها على الصغير والكبير بدون فارق .

المادة ٣٠ - تكفل حرية الرأي والكلام والكتابة والاجتماع في حدود الأمن والقوانين .

المادة ٣١ - يجب تأسيس مجالس للألوية والبلديات على نحو ما هو موجود في البلدان العربية .

المادة ٣٢ - يجب العمل على بخرية الجهل والفقر والمرض في غير هوادة ويكلماً تسمح به ومساائل الدولة والعمل بأسرع ما يمكن على تيسير أسباب المواصلات وإنعاش الزراعة التي هي أساس اقتصاديات اليمن .

المادة ٣٣ - يجب الاتصال بالعالم المتحدن بواسطة السلك الدبلوماسي والقنصلي لفائدة اليمن وخاصة وللتعاون على إسعاد الجنس البشري عامة عملاً اليم ديننا وتقاليدها العربية .

المادة ٣٤ - يكون تعيين الممثلين للدولة في الخارج باقتراح وزير الخارجية

وتقديمه إلى الإمام للنظر فيه والموافقة عليه .

المادة ٣٥ - يجب المبادرة إلى تعيين ممثلين سياسيين بأسرع ما يمكن في البلاد العربية الشقيقة وينبغي البرهان على التعاون ومع الجامعة العربية إلى أقصى حد ممكن .

المادة ٣٦ - يجب الضرب على يد كل من تحدثه نفسه بالتعرض لإرادة الأمة بإحداث أدنى سبب يخل بالأمن العام أو يسبب أدنى ضرر للدولة في الداخل والخارج .

المادة ٣٧ - تجب العناية التامة بالمهاجرين اليمنيين خارج البلاد والعمل على إعادة من يمكن أن تنتفع به البلاد في الداخل .

المادة ٣٨ - بما أن التركة التي خلفتها حكومة العهد الماضي ثقيلة ومعقدة تقتضي وقتاً ، وبجهوداً جباراً فالحكومة تهيب بالشعب اليمني أن يلتزم الهدوء والسكينة وأن يتنزع بالصبر والتضحية في سبيل المجد وإقامة عهد جديد وسعيد .

المادة ٣٩ - يسمى هذا النظام (الميثاق الوطني المقدس) ويوافق الجميع على أن من خان أو حاول أن يخون معنى من معانيه بنية سيئة يكون خائناً لله والمسلمين وتجري عليه الأحكام الثلاثة به .

ملحق الميثاق المقدس

المادة ١ - يكون الطلب بإلحاح من فضيلة الأستاذ السيد الفضيل الورتلاقي المعروف عندنا جميعاً بقضائل يقدرها له الإمام والمأموم أن يضيف إلى سلسلة أعماله المشكورة قبوله لأن يكون مستشاراً عاماً للدولة من المستشارين العموميين المنصوص عليهم في المادة (٢٥) من هذا الميثاق .

المادة ٢ - من تبين عنه من أفراد أسرة الإمام يحیی قبول رغبة الأمة الممثلة في هذا الميثاق والتزم في كل ما جاء فيه فله ما لأمثاله من أبناء الأمة وعليه ما على مثله أيضاً :

المادة ٣ - يكون تعيين القاضي عبد الله بن حسين العمري وزير دولة .

المادة ٤ - ستعفى حكومة العهد الوطني الجديد بمكافأة الاحرار والوطنيين الذين ضحوا بأموالهم وجهودهم في سبيل خدمة الشعب اليمني الذي، يقدر لهم هذه التضحيات الكريمة وبهذا يتم الملحق وهو أربع مواد والله ولي الأمر كله ويبله التوفيق .

القائمة (١) مجلس الوزراء للحكومة اليمنية

السيد علي بن عبد الله الوزير	رئيس مجلس الوزراء
السيد حسين بن محمد الكبسي	نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية
الشيخ محمد نعمان	وزير الداخلية
السيد حسين بن علي عبد القادر	وزير الدفاع
السيد عبد الرحمن حسين الشامي	وزير الشؤون الاجتماعية
القاضي محمد راجب بك	مستشار عام
الشيخ عبد الوهاب نعمان	وزير الصحة
السيد علي بن حمود	وزير العدل
القاضي أحمد بن أحمد الجرافي	وزير الاقتصاد والمناجم
الحاج الخادم بن أحمد غالب	وزير المالية
السيد عبد القادر بن عبد الله	وزير الأوقاف
القاضي محمد محمود الزبيري	وزير المعارف
السيد أحمد بن أحمد المطاع	وزير التجارة والصناعة
الأستاذ أحمد محمد نعمان	وزير الزراعة
السيد حسين بن علي الويسي	وزير المواصلات
السيد علي بن إبراهيم	وزير الأشغال
الأمير علي بن يحيى	وزير دولة
القاضي عبد الله عبد الإله الأغبري	وزير دولة
الشيخ علي بن محسن	وزير دولة

القائمة (٢) مديرو الوزارات

السيد محمد بن حسين عبد القادر	مدير وزارة العدل
-------------------------------	------------------

السيد زيد بن علي الموشكي	مدير وزارة الداخلية
الأستاذ عبي الدين العنسي	مدير وزارة الخارجية
السيد أحمد بن محمد باشا	مدير وزارة الزراعة
الأستاذ أحمد بن حسن الخورش	مدير وزارة المعارف
الشيخ محمد صالح المسمري	مدير وزارة الشؤون الاجتماعية
الشيخ أحمد بن قاسم العنسي	مدير وزارة المالية
الشيخ ناشر عبد الرحمن	مدير وزارة الصحة
السيد يحيى أحمد زيارة	مدير وزارة المواصلات
الحاج عبد الله حسن السنيدار	مدير وزارة الأشغال
الشيخ عبد العزيز بن منصور نصر	مدير وزارة الأوقاف
الشيخ محمد مكّي بن يحيى زكريا	مدير وزارة الاقتصاد والمناجم
الرئيس جمال جميل	مدير وزارة الدفاع

القائمة (٣) الموظفون الشوريون

الأمير إبراهيم	رئيس مجلس الشورى
الشيخ حسن الدعيس	وكيل أول
القاضي عبد الرحمن الإرياني	سكرتير أول لمجلس الشورى
القاضي محمد أحمد الجرافي	سكرتير ثاني لمجلس الشورى
الأستاذ أحمد البراق	مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء
السيد العلامة أحمد الكحلاني	رئيس هيئة كبار العلماء
السيد محمد بن محمد زيارة	وكيل
السيد العلامة قاسم الوجيه	الحاكم الأول
السيد محمد يحيى الداري	الحاكم الثاني
السيد يحيى محمد عباس	رئيس الاستئناف
القاضي محمد بن أحمد الحجري	رئيس ديوان المحاسبة
الشيخ عبد الله عثمان	مدير الأمن العام
عبد الله عبد الوهاب نعمان	سكرتير الأمن العام
القاضي أحمد بن علي العنسي	مدير دار الكتب
السيد عبد الله بن علي الوزير	مدير الدعاية والنشر
السيد محمد أحمد المطاع	وكيل الدعاية والنشر
السيد أحمد محمد الشامي	سكرتير مجلس الوزراء
السيد محمد بن محمد بن إسماعيل	سكرتير الشؤون الاجتماعية

السيد أحمد بن عبد الرحمن الشامي
القاضي حسين بن أحمد السباغي
الصفي أحمد محبوب

مدير أملاك الحكومة
وكيل أملاك الحكومة
رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر

القاضي عبد الله الشماحي
الحاج علي محمد السندار
الشيخ جازم الشيخ
عبد السلام صبره
الاستاذ زيد عنان
القاضي يحيى السباغي
السيد حسين الحبشي
الحاج عزيز يعني

وكيل
مدير الجمارك
مدير جمارك تعز
مدير بلدية صنعاء
مدير إدارة المهاجرين
مفتش وزارة العدل
مفتش التجارة والصناعة
رئيس الحرس الملكي

القائمة (٤) كبار الموظفين غير الشوريين

القاضي عبد الله حسين العمري
السيد العلامة زيد عقيبات
السيد محمد بن أحمد الوزير
السيد محمد بن حسين الوداعي
السيد حسين الحوثي
القاضي حسين بن علي الحلالي
السيد محمد بن أحمد بلشا
الشيخ علي محمد نعمان
القاضي محمد عبد الله الشامي

وزير دولة
محافظ صنعاء وأمير لوائها
أمير لواء عمران
أمير لواء الشام
أمير لواء حجة
أمير لواء الحديدة
أمير لواء تعز
أمير لواء رداع والبيضاء
أمير لواء إب

اكتشاف السر ، وولي العهد وغموض موقفه

كان لولي العهد أحمد عيون داخل حزب الأحرار بعدن يلتقطون كل
شاردة وواردة ، فوقفوا على طبع الميثاق المقدس ، إجمالا ونقلوا الخبر إلى أحمد
وأن موعد نشره عند قيام الثورة وموت الإمام يحيى فرأى أحمد أنها فرصة لكشف
المؤامرة ورجاها فأشاع بتعز أنها قامت ثورة بصنعاء وقتل فيها الإمام يحيى وأقيم
عبد الله الوزير إماماً .

ونقلت الاشاعة بسرعة إلى عدن وكان قد أوعز إلى الحلالي بالحديدة بأن

يكلف الوكيل التجاري لحكومة عدن بالحديدة يرسل برقية من الحديدة إلى حكومة عدن بأن الإمام يحيى مات ميتة مشبوهة ، فأرسل البرقية ، فأرسلت حكومة عدن مندوباً إلى إبراهيم بن الإمام يحيى والذي كان بعدن تفهمه بصفة موت أبيه وتعزیه ، وبذلك أصبح الخبر بعدن كحقيقة ثابتة ، مما دفع حزب الأحرار بعدن إلى المسارعة بإذاعة الحادث ونشر الميثاق المقدس المتضمن شكل الحكومة الدستورية ونظامها ورجاها ، وطار الخبر إلى الخارج وحمل إلى الإمام حسن البناء ، مما جعل كثيرين من رؤساء الحكومات وغيرهم يهتفون إلى الأمير عبد الله الوزير يباركون له بارتقاء عرش اليمن ويعترفون به وبحكومته ، وبالطبع أن تلك البرقيات لم تصل إلى الوزير بل إلى الإمام يحيى كما وصلت إليه وإلى غيره نسخ من الميثاق المقدس .

فيسر الإمام يحيى لهذا الاكتشاف فقد عرفه بالأمرة ورجاها ومنحه وثيقة بها يعتقل الوزير والمتآمرين وبها يقنع الملك عبد العزيز وغيره بتصويب اعتقاله الوزير ورفاقه إن هم راجعوه .

ويدخل عبد الله الوزير بعد الظهر على الإمام ويأخذ مكانه في مجلس الإمام حسب العادة فينظر في الأعمال المناطة به ، ولم يكن لديه حقيقة عما جرى بعدن ، وعما وصل إلى الإمام من برقيات وحقاتق ، وأن الوزير لغارق في استعراض ما بين يديه من أعمال ، إذ بالإمام يحيى يستلفته وهو يتسم . ثم يناوله رزمة من الأوراق قائلا : تأمل يا فخري هذه الأوراق ، وهي كيت وكيت ورقة ، فيستغرب الوزير لتحديد الإمام لهذه الأوراق ، وما أن وقع نظره على أولى برقية يبارك له بالملك إلا وانتابته رعشة وذعر دفعاه إلى المسارعة إلى التنصل . فقال له الإمام : تأمل الكل ثم لنا كلام ، فراح يطالعها مع الميثاق ويستجمع أنفاسه ، حتى إذا فرغ من تأملها أعلم الإمام بذلك . واستأذن في الكلام . فأفاد أن هذه مكيدة ضده وضد أمير المؤمنين (يعني الإمام يحيى) ، يراد بها سلب ثقة الإمام به والإيقاع به وبأشخاص ضم أسماءهم ما يسمونه الميثاق ، يعلم الإمام إخلاصهم له إلى غير ذلك من الدفاع الذي ختمه عبد الله الوزير باليمين أنه لا صلة له بمن في عدن ومن يتصل بهم ولا بالميثاق . وأنه لا يعلم

من ذلك قليلا ولا كثيراً ، ثم حرر كلمة أعلن فيها تكليبه لما نشر وأذيع بالمشاق وغيره ، وطلب من الإمام أن يأمر بنشر كلمته بجريدة الإيمان ، وفعلا نشر ذلك التكذيب بجريدة الإيمان ، وقد تظاهر الإمام بحجى باقتناعه بصحة ما دافع به الوزير ، ثم قال للوزير كلمته العميقة وهي : يا ولد عبد الله ما نكره أن تكون إماما ، ولكن الإمامة باليمن ليست سهلة وأنت لا تقدر أن تقوم بها .

وبرغم هذا كله واليمن وإعلان التكذيب ، فإن الإمام يحجى بدأ في اتخاذ الخطوة لاعتقال الوزير وغيره ، ولم يبق لتنفيذ الضربة إلا قدوم ولي العهد أحمد من تعز إلى صنعاء الذي كان الإمام يستحشبه ، وهو من جهته يثير القضية ويضرمها ، ويتشاقل عن القدوم إلى صنعاء . متظراً انفجار الثورة بصنعاء ومصرع أبيه ليستغل مصرع أبيه ، بالتخلص من أبيه ومزاحمة أخويه المتزايدة المقوي لها وجود أبيه ، ويتخلص من الوزير والمنافسين له بحجة أنهم قتلوا الإمام .

وقد كان يشيع كل يوم أنه سيخرج من تعز إلى صنعاء ، ويزداد الموقف بصنعاء كل يوم تجهماً مما ضاعف مخاوف الوزير وجعله ورفاقه يلحون في الثورة ، بينما كان جمال جميل . الفضيل يحاولون انتظار وصول أحمد ليصرع بجانب أبيه بصنعاء ، ولقد كلف الفضيل السيد أحمد الشامي بأن يكتب إلى ولي العهد يخوفه من الموقف بصنعاء ويشرح له الخطورة وما يهدده ويهدد اليمن ، ويطلبه بسرعة الوصول إلى صنعاء لتدارك الموقف ، وقد كان الشامي دائم الاتصال بولي العهد وعليه يعتمد في صنعاء ، فحرر الشامي رسالة بأسلوبه الأخاد ، فأجابه : لبث قليلا الخ . دعهم يعملون ، وإني لوائق بكمسب الموقف ، وفعلا دنا عقرب الثورة وأحمد لم يصل صنعاء .

عقرب الثورة يطفر

فقد عقرب الثورة سيره الزمني ، فالقرائن تنذر بأن الإمام يحجى سيضرب ضربة بصنعاء وإن لم يصل ابنه أحمد ، فتقرر تفجير الثورة بصنعاء على أن تتناول بخنجرها أحمد بتعز في يوم انفجارها بصنعاء ، فكان القرار باغتيال الإمام

يحمى بصنعاء وأحمد بتعز في يوم واحد ، على أن يكون اغتيال أحمد إثر والده .

وتعين يوم الأربعاء غرة ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ . لتنفيذ العملية ، على أن يقوم بها في صنعاء الشيخ علي بن ناصر القروي المرادي الملحجي ومحمد ابن قايد الحسيني الخشيشي البكيل ورفاقهما ، وفي تعز العقيد حمود الجايفي الهمداني ، والشيخ حسين بن صالح الشايف ، والشيخ محمد بن حسن أبو راس والمقدم محمد حسن غالب المطري ورفاقهم . ووضعت الخطط والإشارات وجاء يوم الأربعاء فاذا بالقردي يتخرج من قتل الإمام يحيى قبل أن يعطى وثيقة تبرر القتل يلقي بها ربه ، فشرح له الوزير مبررات القتل وأعطاه الوثيقة ، فأجلت العملية إلى يوم الثلاثاء وفيه دقت ساعة التاريخ والتحول .

(يوم الثورة)

(٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ ، ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨)

طلع صباح الثلاثاء سابع ربيع الآخر عام سبعة وستين وثلاث مائة وألف هجرى ثامن عشر من فبراير سنة ثمانية وأربعين وتسع مائة وألف ميلاديا . طلع ذلك الصبح وقد اتخذت الاستعدادات ، وأعطيت الإشارة إلى تعز للاستعداد ، وفي صنعاء وزعت المسؤولية بين رجال الثورة لتفجيرها وحمايتها من كل ما قد ينجم في يومها الرهيب التاريخي ، واستعد كل لواجبه من عبد الله الوزير ، والأمير السيد حسين بن علي عبد القادر إلى الرئيس جمال جميل العراقي وغيرهم .

وقد كان حول جمال جميل كتلة قوية من الضباط وشباب الكلية العسكرية ومجموعة من أقوى المثقفين والعسكريين في مقدمتهم عبد الله السلال وحسن العمري ، وقاسم الثور ، وحسين غنية ، وغالب الشرعي ، وأحمد المروني ، والحاج حزام المسوري ، وصالح الرحبي ، ومحمد السعيد ، وقائد المدفعية أحمد الشعساني وغيرهم .

وذهب السيد حسين عبد القادر قبل يوم الثلاثاء بأيام إلى حمام علي ببلاد

أنس تجنباً من مصرعه مع الإمام يحيى لأنه كان يركب مع الإمام حال جولة الإمام على السيارة أو العربة في ضواحي صنعاء ، ولقتل ولي العهد إذا أفلت من تعز بعد الثورة وحاول طلوعه صنعاء عن طريق السيارات بآنس ، وخرج الإمام يحيى صباح الثلاثاء إلى ساحة قصره دار السعادة ليتصل بالجمهور كما هي عادته اليومية واستمر مع الجماهير أربع ساعات فقدم عليه القاضي عبد الله العمري على غير المعتاد فركبا السيارة للقيام بجولته التفقدية اليومية إلى ضواحي صنعاء ، ولمعرفة وجهته أرصد أحمد الشامي وحسن العمري فلما تحركت تبعاه على دراجتين إلى أن عرفا وجهته وعادا يخبران أنه في الطريق الجنوبية وهي النافذة إلى سواد حزيز جنوب صنعاء على بعد عشرة أميال تقديراً .

وكادت العملية أن تؤجل لركوب عبد الله العمري مع الإمام وكان من مقرر الثورة وجوب الاستعانة بالعمري ومقدراته وتجاربه ، ولكنه لم يبق وقت للتأجيل فأمر الوزير إلى القردي بتنفيذ العملية فاقتفى القردي ورفاقه على سيارة حمل مطربة (الإمام) ووضعوا في طريق سيارته بالسواد العراقي وكانت الطريق في مضيق وقف القردي ورفاقه بجانبه مستترين في سيارتهم ، حتى عاد الإمام ، وما أن أوقفت سيارته الحواجز إلا وأمطره القردي ورفاقه بوابل من نيران بنادقهم ورشاشاتهم فصرعوه مع العمري وكل من في السيارة .

ولم يكن مع الإمام حرس فقد كان حرسه من الفرسان والمشاة لأنه منع أن يكونوا على مصفحات وسيارات لأن في ذلك إسراف لا يجيزه فإذا ركب سيارة ترك حرسه قريباً من صنعاء ويذهب ومرافقوه على سيارته المنفردة لتجنباً للإسراف ولثقتهم بقداسته الشعبية ، وبعد أن تأكد القردي من موت الإمام يحيى عاد ورفاقه فرحين في دهشة فلم ينقلوا الخبر إلى الوزير ولا غيره بسرعة ، بل استغنوا بإعلام السيد عبد الله بن علي الوزير فنام معه على فراشه الوثير وبذلك تسرب نبأ مقتل الإمام يحيى إلى سيف الاسلام الحسين وامثاله قبل أن يصل إلى جبال جميل وعبد الله الوزير فأسرع الحسين إلى دائرة البرق وأرسل برقية بالشفرة إلى ولي العهد أحمد ، يعلمه بمقتل الإمام وهو الذي كان يرتقبه أحمد ومن أجله كان يحتضن الأحرار ويدافع عن الفضيل ، وقد بلغه النبأ العظيم قبل غيره ، وهذا

ما فوت المبادرة على حمود الجافقي والشايف وأبوراس ومحمد حسن غالب .

فأحمد أصبح فوق متناول أية قوة ، فقد أخذ أحمد الحيلة فأغلق البرق
لثلاث تسرب الأخبار ، وأعد العدة لاستغلال الموقف ومقتل أبيه وهنا بدأ الموقف
يتخذ شكلاً جديداً هز التخطيط الذي وضعه رجال الثورة فقد قتل الإمام العجوز
المتحرج المريض ، وأفلت الكهل القوي الرهيب المجرب الفتاك أحمد ، أفلت
من الفخ الذي له نصب ، ونتج ما سيمر بك لحكمة إلهية ما زال يظهر سرها
مع مرور الأيام وفصول ثوراتنا الخمس .

الموقف بصنعاء بعد مقتل الإمام يحيى

تركنا أحمد بتعز وقد نجا من الوقوع في الفخ ، أما في صنعاء فقد مضت
ثلاث ساعات من مقتل الإمام والمعلومات عن قتله نائمة بجانب السيد عبد الله
ابن علي الوزير ، لم تصل إلى عبد الله الوزير ولا إلى جمال بل سبقت إلى
الحسين الذي نقل الحقيقة إلى أحمد ، وجعل الحسين يستعد ونحن في غمرة
ولكن الحسين الفيلسوف لم يكن رجل حرب ، فقد ترك قصر غمدان والثكنات
العسكرية ، وأسرع بجمع إخوته ويغلق أبواب صنعاء وأسرع إلى النساء
والأطفال وحيث الكنوز ، إلى قصري الإمام يحيى دار السعادة ودار الشكر ،
وقبض عليهما وطمأن النساء والأطفال ، يمسح الدموع من خلود الباكيات
النائحات ، وحصن قصري السعادة والشكر وبث فروعه لإثارة الرأي وتجميع
القوة العسكرية وغيرها ، وكان يريد الانجاء إلى قصر غمدان ، ولو أنه قبضه
لأخذت الثورة من يومها ، إلا أن اشتغاله بتحسين الدارين وتهذبة روع النساء
أخره حتى وصل نبأ مقتل الإمام يحيى إلى عبد الله الوزير وجمال جميل فأسرع
الوزير يصحبه ابن عمه السيد محمد بن علي الوزير وحارسه الخاص الحاج البطل
الشهيد عزيز يعني المطري رحمه الله ، أسرع الثلاثة إلى قصر غمدان واستولوا
عليه بطريقة بطولية خارقة طالما عرف بها عبد الله الوزير .

فقد كان القصر محصناً وعليه قوة كبيرة من خيرة الجند وأخلصهم للإمام

يحيى وفيه من القوة المدفعية وغيرها ما لم يكن في كل اليمن . ولكن الوزير في هذه الساعة أظهر من البطولة ما كان يعرف بها من قبل ، فقد حاول حرس القصر إرجاع الوزير إلا أن شخصيته كان لها الأثر في التغلب على الحرس الذي صرخ في وجوههم مهدداً ، واجتذب رئيسهم جذبة استسلم معها وسلم مفاتيح القصر الذي أسرع الوزير إلى إغلاق أبوابه ثم التجول فيه حتى نمت له ولرفيقه السيطرة على جميع أجزاء القصر وشعبه ومراكزه العسكرية ، وعلى الحرس الذي سرعان ما انقادوا للوزير متأثرين بشخصيته وكلامه .

ونهب محاولة أعوان الحسين في الاستيلاء على القصر بالفشل ، فقد أعيدوا من أبوابه التي فتحت بعد ساعتين لأصحاب الوزير ، ولو أن الوزير التزم هذه البطولة الحازمة في المراحل التالية لما بعد أن الثورة كسبت الموقف ، أو على الأقل أن يطيل من عمر المعركة أو أن تتدخل الدول العربية والجامعة العربية لحل القضية لما فيه صالح اليمن ، إلا أن بطولة الوزير انتهت بهذه الوقفة المشكورة وأخذت مع حزمه عند هذه الخطوة ، فقد احتبس هو وخطوته البطولية الأخيرة في قصر غمدان .

الرئيس جمال جميل العراقي

باحتلال قصر غمدان تفرغ الرئيس جمال جميل لمنازلة الحسين وإخوته وأعوانهم بصنعاء وحفظ الأمن الذي بدأ حبله يضطرب في مخافس الجيش والعرضيين^(١) فقد أسرع جمال إلى العرضي العسكري إلى سريتين من شباب الجيش كانتا تحت الاستعداد لأمر هام غير معلوم إلا لأفراد منها فوضع سرية في المناطق العسكرية الحساسة ، واحتل حسن العمري الإذاعة ، وزحف جمال بسرية يصاحبه السلال وعنبه والسعيد وغيرهم إلى قصري الإمام داري السعادة والشكر وضرب عليهما وعلى الحسين نطاقاً محكما وكان في إمكان الحسين أن يضرب الحاضرين من أسوار القصرين بالبنادق والمدافع ويوقع فيهم مجزرة لأنهم كانوا خارج القصرين وأكثرهم غير مستورين ولو فعل الحسين ذلك لدخل

(١) أي للمسكرين .

معهم ومع الوزير في حرب بصنعاء قد تكون له أو عليه .

ولكن الحسين ليس برجل حرب فقد خرج إلى باب دار السعادة محاولاً أن يكيد جمال جميل بالمنطق ليوقعه في الأسر فطلب من جمال أن يتقدم إليه لدراسة الموقف كأنه في جامعة أثينا مع سقراط ، لا في أتون ثورة لا تعرف إلا فلسفة المدفع والبنلق ، والمبادرة وقد أجابه جمال - وهو القائد العسكري وفوت خدعة الحسين - أنه لم يبق هناك للدراسة مجال فالشعب قد ثار وعرف طريقه واختار عبد الله الوزير إماماً فعلى الحسين أن يذهب بأمان إلى مجلس الشعب المعقود بقصر غمدان برئاسة الوزير وهناك المجال للدراسة ، فغضب الحسين ولم يتوار ويغلق الباب بل أمر في سداجة بإطلاق الرصاص على جمال فسبقه جمال بإشارة خاطفة أطلقت الرصاص من عدة جوانب فإذا بالحسين وأخوه المحسن صريعان ، وكان بجانبهما أخوهما يحيى لم يصب إلا أنه تظاهر أنه من الصرعاء واضطجع بجانب أخويه المقتولين وتمكن يحيى من الاستلال في غمرة الهرج يريد قصر غمدان فقبض عليه ، وقد أخذ حرس دار السعادة الحسين والمحسن وأدخلوهما إلى وراء باب السور الذي أغلقه الخرس وتحصنوا بالقصر ، وبصرع الحسين انتهت أية مقاومة وخطر بصنعاء .

فقد ترك جمال القصرين محاصرين ، وانصرف لتنظيم الإدارة بصنعاء وتنفيذ الخطط الثورية بينما راح الوزير يستقبل الشخصيات ويتبادل معهم النظريات ولم تغب شمس يوم الثلاثاء إلا وقد عادت الأمور إلى حالتها الاعتيادية وأعلن الوزير إماماً .

مبايعة الوزير بالإمامة وتكنيه بالداعي ثم بالهادي

بعد أن عادت الأمور بصنعاء إلى مجاريها اجتمع رجال الثورة مع أعيان وعلماء صنعاء وقادات الجميع ، وبعد محاولات أجمعوا على نصب الأمير عبد الله بن أحمد الوزير إماماً شرعياً ، وخليفة دستورياً ، وعلى ذلك بايعوه ، وتكنى بأمير المؤمنين الداعي ثم بالهادي ، ولم تغب شمس الثلاثاء إلا والأمور بصنعاء مستقرة وقد تمت البيعة ، وفي ليلة الأربعاء انطلقت الإذاعة وأرسلت البرقيات

تعلن موت الإمام يحيى وقيام الإمام عبد الله الوزير ومبايعة الأعيان له وبدأت البرقيات من جميع أنحاء اليمن تنهال إلى الإمام الدستوري أمير المؤمنين عبد الله الوزير تحمل التأييد والمبايعة له ، ومن سارع بالتأييد والمبايعة والمخاطبة للإمام عبد الله الوزير بأمر المؤمنين هو سيف الإسلام الحسن بن الإمام يحيى الذي كان حينذاك بالقفلة ، وتراءى الجويوم الأربعاء وكان كل شيء قد أحق للشورة عنقه ، وإلى الإمام الدستوري عبد الله الوزير ألقى قياده ، ولم يكن في ذلك الجو ما يكدره إلا برقيتان أحدهما من تعز تخبر أن سيف الإسلام أحمد قد غادر تعز في قوة رمزية متوجهاً نحو الحديدة ، وبرقية ثانية من أمير يمه حينذاك الأمير يحيى بن محمد بن عباس المتوكل الشهاري يهاجم فيها الإمام الوزير ولا يعترف بإمامته ويسأل عن الإمام يحيى وكيف كان موته ، وقد أثارت البرقيتان التفكير وعقد اجتماع يوم الأربعاء قرر فيه المجتمعون القرار الآتي :

(القرار الحازم الذي لم يتم)

في صباح يوم الأربعاء ثاني أيام الثورة جاء النبأ اليقين بمضادة سيف الإسلام أحمد تعز نحو الحديدة على سيارات ومصفحات عليها مجموعة من الجنود والمعدات ، وهنا ظهر الإمام عبد الله الوزير في حزمه وبطولته الذي عرف بهما من قبل وصاحبه في احتلال قصر غمدان ، فقرر أن ينهض بنفسه مع قوة من الجيش والضباط المعول عليهم إلى الحديدة لمطاردة سيف الإسلام أحمد فتوكل قراره هذا بالترحيب وأعدت القوة لهذه الخطوة الحازمة التي كان المرجح نجاحها بقطع الطريق على أحمد إلى حجة ومطاردته بتهامة حتى يقبض عليه أو يقتل أو يفر إلى السعودية ، فلم تكن معه قوة يعول عليها والجيش التي ترابط بتهامة معظمها تميل إلى الإمام الوزير وكذا قبائل تهامة تكره أحمد وموثورة منه سيما قبائل الزرانيق وصيل ، وكانت مع ذلك مأخوذة بروعة الثورة والأمل في قائلتها الإمام الوزير ومركزه الروحي إلى جانب مركزه بين القبائل التهامية إلى ما هناك من عوامل ترجح كفة الإمام الوزير وتغلبه على أحمد ، ولكنه القدر إذا جاء عمي البصر .

ومن الحق أنه من يوم الخميس ثالث يوم الثورة عميت البصائر بما استهلكت به من رخاء وهدوء ، فقد شاهد يوم الأربعاء سيلا من برقيات التأييد والتهاني للإمام الوزير والاعتراف بحكومته من الداخل والخارج ، وشهد يوم الأربعاء ويوم الخميس ابتداء طوابير الوافدين من الخارج والداخل فيهم الأحرار والمناضلون كالزبيري والمسمري وبحيى الوادعي وفيهم المتناضلون أدعياء النضال والثورة وما أكثرهم وأخطرهم على الثورات والدعوات والمبادئ .

مجموعات من الثوار والأحرار والمتصلين بهم ، وطوابير من أدعياء التحرر والثورية ، وأمر من برقيات ورسائل التهاني والتأييد والاعتراف بالإمام الوزير ، وجداول من المطالبة بالوظائف والمناصب ، ومطالب عمرانية وإدارية وعسكرية يتقدم بها الأحرار وقادة الثورة يطالبون الشروع في إتخاذها ، بعبارات ولهجات تتأرجح بين اللين والحكمة وبين غطرسة الدالة ، وقسوة الإمتنان ، بين هذه السحب الممطرة برداً وسلاماً وبهجة وجبورا المرعدة بخطر سيف الإسلام أحمد ، والمبرقة بمطالب الأحرار والإصلاح ، والملمعة بعبوات المستغلين وأدعياء التحرر والثورات الذين كثيراً ما خدعوا المصلحين ، واتخذوا الثورات .

هكذا يجد الإمام الوزير نفسه يوم الخميس ثالث يوم من عمر المولود الثورة ، فيسلم نفسه إلى حسن الظن بالأيام ، فيرى أن الأيام قد مسألته ، وأنه لم يبق من يقلقه إلا أحمد حميد الدين ، وإلا مجموعة متطرفة من الشباب والأحرار وهم في نظره خطر متركز بصنعاء فإذا فارقها لمطاردة أحد فقد لا يعود إليها حيثئذ ، ويضطرب الموقف بصنعاء وعلى هذه النظرية وبساطها نامت حكومة إسماعيل الهادي لدين الله الوزير رحمه الله ، وزمل حزمه ، وتراخت عزيمته وبطولته ، وتبخرت تجاربه وقيادته العسكرية ، فإذا هو يتراجع ويشئني عن تنفيذ فكرة المطاردة لأحمد ويقول : إن أحمد أحقر من أن أذهب لمطاردته ، ويقتنع بفكرته الكثير من قادة الثورة . هكذا رقصت الأحلام والمخاوف بأشباحها أمام أمير المؤمنين الإمام عبد الله الوزير وحكومته ، فترك الطريق لأحمد مفتوحاً وعدل إلى تدعيم الموقف بصنعاء ، وكل ما فعله أنه أبرق إلى حسين الحلالي أمير لواء الحديدة بأن يقبض على أحمد إذا أراد الاتجاه إلى حجة وإذا هو استسلم

وأراد الوصول إلى صنعاء فله أن يصل آمناً .

كان أحد الرهيب قد تحول في يومين تيساً سيقوده الحلالي العجوز بحبل
وجرة قلم .

(رجال الثورة بصنعاء وموجات الادعاء)

كان تراجع الإمام الوزير عن قرار مطاردته أحمد أول وهن أربك القادة
لثورة فمنهم من نقد في هدوء ومنهم من غضب إلى درجة المطالبة بالتخلص من
إمامة الوزير ويمثل هؤلاء ، الشباب المتطرف بقيادة (حسين المقبل) ومنهم من
وافق الوزير على تراجعه لأهمية الموقف بصنعاء واعتماداً على مركزه الروحي بين
القبائل الشمالية .

وفي ظل هذا الارتباك جاءت سيول ادعاء الثورات والمستغلين والكائدين
ينفذون إلى الصفوف الثورية والمناصب وتصريف الأمور فابتعدت الثورة وقادتها
عن الاستعداد العسكري والاعلامي الذي كان يجب أن يواجه به الموقف
والواقع ، وتركوا لأحمد وأعداء الثورة ليشروعوا في قتل حبال المؤامرة ضد الثورة
ورجالها ، ثم ليسرعوا إلى الإجهاز على الثورة بتقطيعها من أطرافها ثم خنقها
بصنعاء كما سترى وقد فارقنا أحمد وهو يحجز أمتعته بتعز ويعد عدته ، فإليه نعود
لنرى كيف خرج من تعز .

(سيف الإسلام أحمد)

فارقنا أحمد وقد عرف مقتل أبيه الإمام يحيى إجمالاً ، قبل أن يعرفه
المرصدون لاغتياله بتعز ، فاستعد في غفلتهم فكتم الأمر وحزم شأنه ، وحال
بين الخبر وانتشاره ، ولم يمض يوم الثلاثاء إلا وقد تم استعداده لحماية تعز مؤقتاً
ولتحركه في منجاء ، وأعلن وهو يفادر تعز أنه سيتجه إلى صنعاء ، وقد فارق
تعز آخر نهار الثلاثاء في نظام محكم وقوة محدودة على علة سيارات عن طريق
حيس فزبيد فبيت الفقيه فالحديدة وكان يتوقف في كل مركز ريثما يكسب به

الموقف ، ويطبع على البلدة وعلى ذويها والمسؤولين شخصيته العاتية الرهبة ، لافتاً العواطف إلى أنه كل شيء ، ويضع في البلدة خبر مقتل أبيه عند من يثق به ليقوم بدوره الدعائي ، وما أن بلغ الحديدية يوم الاربعاء إلا وقد سبقته رهبة تعبد له الطريق وإذا بالخلالي بين يديه كالأحجية اليمينية ، تيسر نخصي ربع من كل حرف أوله ، فدرسنا الموقف ، وكان أحمد قد أبرق إلى الوزير يحشه على حفظ الأمن بصنعاء إلى أن يصل ، ولما فرغ من دراسة الموقف مع الخلالي واتخاذ ما يجب فارق الحديدية يريد صنعاء ، فلما وصل باجل تلقى جواب الإمام الوزير بهذه الصيغة : من أمير المؤمنين الهادي عبد الله الوزير إلى الأخ سيف الاسلام أحمد حفظكم الله تعزيزكم وأنفسنا بوفاة والدكم الإمام يحيى رحمه الله وعلى أثر وفاته أجمع ذوو الحل والعقد على إختيارنا للإمامة وكلفونا بالقيام بها فلم يسعنا نظراً إلى الخوف إلا الاجابة مكلفين غير مختارين ، فليكن منكم الدخول فيما دخل فيه الناس ولكم لدينا المكانة والاحترام والسلام ، فكان جواب أحمد أن أعلن نفسه إماماً في باجل ويثها من هناك بريقاً ورسائل وتكفي بالمؤيد بالله الناصر ، وأجاب على الإمام الهادي عبد الله الوزير بهذه الصيغة : من أمير المؤمنين المؤيد بالله الناصر أحمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن أمير المؤمنين المنصور بالله محمد بن يحيى بن رسول الله إلى التاكث الدليل الحقيق عبد الله وزير لقد ركبت مركباً صعباً عن طريق الغدر والخيانة وإنك ستسقط إلى الهاوية في القريب ذليلاً حقيراً وإني زاحف إليك بأنصار الله الذين سترى نفسك تحت ضرباتهم معفراً فريداً ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله والعاقبة للمتقين والله المستعان .

ثم أرسل رساله ورسائله ويسرقياته إلى العشائر والأعيان يعلن إمامته ويستصرخ الدين والغيرة للأخذ بثأر الإمام يحيى مهولاً الحادثة وإنها فاقرة في الإسلام ، وبعد أن فرغ من ذلك ، توجه هو نحو حجة التي وصلها آخر نهار الجمعة ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ .

وقد كان أحمد وهو بالحديدة أرسل بواسطة الخلالي إلى الملك عبد العزيز رسالة يعلمه بالحادث وإن خطورة الحادث لا تقف عند اليمن لأن الثورة ومقتل

أبيه الإمام يحيى وليدا حركة من يسمون أنفسهم بالأحرار والإخوان المسلمين ، وكلاهما خطر على العروش والأسر والملوك وعلى الدين كما زعم ، طالباً من عبد العزيز أن يتناسى ما كان بينهما من خلاف فاليوم غير أمس ، وأن أحمد سيكون له إبناً إذا رضي أن يكون له أباً مستمداً منه النجدة والمؤازرة ، وأرسلت رسالة أحمد من الحديدية على سيارة إلى جيزان مرفقة بكتاب من الحلالي إلى أمير جيزان ، وأخرى إلى عبد العزيز ، وقد سحبت رسالة أحمد وكتاب الحلالي باللاسلكي من جيزان إلى الرياض ، فقام الملك عبد العزيز وقعد وأمر أمير جيزان بأن ينجد أحمد بكل ما يطلب ، فلم يصل أحمد حجة ويستقر بها إلا وأرسل إليه أمير جيزان بأوائل النجدة ذخيرة ومالا وجهاز اللاسلكي مصحوبة من الملك عبد العزيز برسالة معلماً له بالمؤازرة حاثاً له على خوض المعركة في استبسال موعداً له بالمساعدة إلى آخر نفس وريال .

أحمد في حجة ، وعبد الملك

وعلي بن حمود ، وعلي بن عبد الله الوزير

كان أمير لواء حجة السيد عبد الملك المتوكل من أبرز القادة وأكمل الإداريين المدنيين والشرعيين ينظر إلى الغد بعين البصير المجرب ، وقد تلقى دعوة الإمام عبد الله الوزير في هدوء وتحفظ منتظراً ما تسفر عنه الأيام .

وكان أمير لواء الطويلة وكوكبان السيد علي بن حمود شرف السدين من أكبر العلماء وذا طموح ومنزلة مرموقة بين الجماهير والعلماء ، قلعة لا يثبت على أمر سرعان ما ينخدع ويُستفز ، وقد سبق أنه تعاهد مع الحسين بن الإمام يحيى والأميرين علي الوزير وعبد الله الوزير ضد ولي العهد أحمد ، وقد علم الإمام يحيى وإبنه ولي العهد أحمد بتلك المعاهدة وكان علي بن حمود أميراً على لواء الطويلة المتناول كوكبان وقضاء المحويت فأشار أحمد على والده الإمام يحيى أن يولي الوزير قضاء المحويت ويربط به الطويلة وكوكبان بحيث يصبح علي بن حمود تابعاً لعلي الوزير ، وكان من الإمام أن نفذ فكرة ابنه أحمد ، فدخل الأميران علي

حمود وعلي الوزير في صراع على السلطة سر له ولي العهد أحمد وراح يغذيه ،
وانزعج له أحمد المطاع ورفاقه وسعوا في إزالة الخلاف بين علي الوزير وعلي بن
حمود فاتصل أحمد المطاع بواسطة أخيه محمد والملازم اشرف المروني والملازم
حسين الدفعي الذين كانوا حينذاك بالمحويت لازالة الخلاف بين الأميرين وقد
تمكن محمد المطاع من تفهيم الأميرين بالموقف وأظهر علي بن حمود قبوله النصيحة
وتظاهر بالمصافاة لعل الوزير إلا أنه تبين أنه لم يكن صادقاً ثابتاً .

فما أن كانت الثورة ووصول ولي العهد حجة تمار الجمعة ١٠ ربيع الآخر
سنة ١٣٦٧ حتى تغير كل شيء ، فمن حجة بدأ أحمد في إثارة القبائل بالرسائل
وإرسال القواد والدعاة لمهاجمة صنعاء ، وإتصل من فوره بالشخصيات القوية
التي يعرف طموحها ومنافستها لعبد الله الوزير ، ومنهم الأمير علي بن حمود
الذي عرف أحمد من أين يقوده فإذا بعلي حمود غير متخرج من الغدر بعلي
الوزير ، فقد استقدمه من المحويت مظهراً التمسك بالعهد الذي يفرض عليهما
التعاون لمؤازرة الإمام عبد الله الوزير ، فأسرع علي الوزير من المحويت إلى
الطويلة حيث قبض عليه علي بن حمود محتجاً بأن اشتراك عبد الله الوزير في
مقتل الإمام يحيى وإبنه الحسين ناقض للمعاهدة بينهم ، ثم خير علي بن عبد
الله الوزير بين أن يرسله إلى حجة أو يتركه يذهب صنعاء مجرداً من أية قوة ،
فاختار صنعاء فذهب إليها مخفراً ، وكان لهذه الضربة أثرها فإن القبائل لا
يعرفون معاهدة علي بن حمود مع الوزير فيقولون أنه غدر به ، وإنما الذي يعرفونه
الأمير الكبير علي الوزير شخصية كانت تملاً اليمن وتعيش في ظلها رؤوس
العشائر في الأمن بلواء تعز ويشغل الحديث عنها المجتمعات القبلية ، وهما هي
هذه الشخصية اليوم طريدة تمر في ضعف وتضاؤل بين القبائل من الطويلة إلى
كوكبان وهمدان وبني مطر لا قيمة لها خائفة تترقب ، إنها ظاهرة عند هذه القبائل
غريبة ، يفسر أسبابها دعاة ولي العهد أحمد (أنه غضب الله) على علي الوزير
الذي اشترك في قتل الإمام يحيى وأنه (سر الله) في أحمد الذي لا يقهر ، قبلت
الجماهير هذا التفسير فجئحت إلى أحمد الرهيب .

وبدأت في الأسبوع الأول للثورة ، الحرب الأهلية تبرق وترعد وأحمد

يزجي سحبيها بتهويل مقتل أبيه وأنه عن مؤامرة نصرانية كفرية يراد بها بيع اليمن من الكفار الذين سيمحون الاسلام ويأخذون النساء إلى آخر ما كان ينشره من دعاية يضرب على الوتر الذي يعرف أنه مشير أحاسيس الجماهير الجاهلة وها هو يستغل شخصيتين لتأييد دعايته ، شخصية علي الوزير الذي يطاردها (كما يزعم) (غضب الله) وشخصية علي بن حمود الغاضبة لله على أعداء الله قتلة الإمام يحيى ، وقد اندفع علي بن حمود في بلاهته يحرض في الأخذ بشار الإمام يحيى بصفة كهربي به الجول للحرب الأهلية التي راح أحمد في جناباتها يصول ويحول ويرغب ويرهب ، وبدأت القبائل تنهال إليه إلى حجة التي كان يقابلها بالصرامة والترغيب ، ولم يد لها ولرؤسائها أي وهن فلن يسمح لأحد أن يشترط عليه أو يتهاون في تنفيذ خططه وأوامره ، ويسير في نشاطه واستعداده ، ويتصل بالملك عبد العزيز ويواسطته يثير الرأي العربي والملك والرؤساء ضد الثورة اليمنية ، فإذا العروش تهتز غاضبة لمقتل الإمام يحيى وإذا الملك فاروق وعبد الاله وعبد الله ملك الأردن يساندون أحمد أدبيا وماديا ، وإذا الدعاية الاحمدية ترج اليمن رجاء ، بينما نحن في صنعاء بالاسبوع الأول مخدوعون بالاستقرار ومظاهر الانتصارات المبكرة ، مظاهر حجبت عنا الحرب وسحبها التي تتجمع ويزججها أحمد ، فإنصرفنا عن الاستعداد القوي لها إلى وضع الأسس القوية لأقامة مجتمع فاضل عادل متطور ، وإلى استقبال وفود الثوار حقيقة العائدين من عدن ومصر وحول كل نائير حقيقي مجموعة من المثقفين والمشاورين نقيم لكل وفد احتفالات تتعالى فيها المناسبات والتصفيقات سيما من أفواه وأكف المشاورين ، فلقد أصمت صرخاتهم وأصداء أكفهم أسعد الكامل بغيضان ، والمظفر ، بأجينات تعز كما أصمت أفكارنا فصبرنا أسارى المظاهر الساخرة بنا كما تسخر اللعب بالاطفال وهناك الحقيقة تسخر بنا وتفارقنا إلى أحمد فيمهرها عزمه وحزمه وتببه حبها .

(ظاهرة مبكرة خادعة ، وطيبة انطلق منها فشل الثورة)

لقد كان الإمام الوزير ، وأكثر قادة ثورة سبعة وستين وثلاثمائة وألف من طرز مثالي للأمانة والايان والسلوك القويم والاخلاص لليمن .

إن الثورة وضعت تحت أيديهم عشرات الملايين من الذهب الإنجليزي والعثماني وغيرهما ، ومئات الملايين من ريال (ماريا تريزا) الفضي وما لا يقدر بثمن من المجوهرات والسبائك والذخائر والحلي والتحف إلى غير ذلك من النفائس الفتانة المبينة في مذكرة الإمام يحيى التي أشرنا إليها .

ومع هذا فما حدث الإمام الوزير ولا أحد من قادة الثورة بصنعاء نفسه أن يأخذ منها لنفسه ريالاً أو ذرة أو ذرة .

لقد أبقوا تلك الاموال الطائلة المغرية في مستودعاتها منتظرين أن تحركها يد أمينة عليمة قديرة وطنية في سبيل إنهاء اليمن والتقدم به .

وبلغت مثالية هؤلاء القادة . أن ظروفنا أحوجتهم إلى ألف جنيه ذهباً نفقات بعثة إلى الخارج لصالح اليمن والثورة ، وكان بدار السعادة مستودع يضم الملايين من الجنيهات الذهبية قد ختمه الإمام يحيى بالحجارة القوية والاسمنت لانه من أملاك بيت المال (أي الدولة) فأشار بعض الحاضرين أن يفتح المستودع هذا أو غيره ويؤخذ منه الالف جنيه وكمية نقد للحاجات الملحة ثم يعاد إغلاق المستودع وختمه كما كان فكان من الكبسي والمطاع معارضة هذه الفكرة لأنها ستكون بادرة سطو واختلاس المستودعات وسرقتها .

فمسلك المجتمعون إلى استقراض الألف جنيه ، وهكذا كان هؤلاء الملايكى الاخلاق ، هكذا كانت الشخصيات اللامعة من قادات ثورة ١٣٦٧ هـ في مثالياتهم واخلاصهم .

إلا أن الطيبة والتسامح جعلاهم يحسنون بالناس والأيام الطن ، وزادتهم في ظنهم الجميل تلك الانتصارات المبكرة ، وذلك التأييد الشامل المبكر في ثاني يوم الثورة وما تلاه إلى يوم سابع الثورة ، فلماذا بهم يعتمدون على ما كان والاهام ، فابتعدوا عن الحزم والاستعداد الحربي ، وركزوا اهتمامهم بصنعاء على إقامة مجتمع أفضل متحضر متطور متقدم ، ولم يعطوا الموقف الحربي إلا اهتماماً ثانوياً غير موحد التخطيط والتفكير ، فللإمام الوزير وللرئيس جمال جميل مثلاً أن يتصرف في المجال العسكري والحربي منفرداً .

وبهذه وقعت الثورة في الغلط بأسبوعها الاول ، مساقاة اليه بخدعة
الإنصارات المبكرة وباعتمادها على مقام الإمام الوزير الروحي والقيادي الذي
كان يتمتع به بين القبائل .

(الاعتماد على الوهم)

ثاني يوم الثورة قدمت القبائل الموالية للإمام الوزير له مبايعة ومعاهدة
فأكرم وفادتهم ، وأعطاهم السلاح استعدادا لما تأتي به الأيام من جهة ومن أحمد
والمطرفين من الأحرار ، وأعطاهم السلاح اعتماداً على أن هذه القبائل موالية له
وأنها تعرفه وكل يحفي بالفضل والعدل والتحرج عن سفك الدماء والتقيد بالمظاهر
الدينية ، عكس ما يعرفونه عن ولي العهد أحمد من بطش وجرأة وإراقة للدماء
وإزهاق للنفوس وإرهاق للرعية ، أسرفنا نحن والإمام الوزير في حسن الظن وفي
الاعتماد على مركز الإمام الوزير الروحي والقيادي فإذا بالثورة تعتمد على الخيال
والوهم ، فان أحمد كان يعرف مركز الوزير ويستعد لخدمه من قبل الثورة
بسنين ، وها هو الوزير قد خلص أحمد من أبيه الإمام يحيى ومن أخيه سيف
الإسلام الحسين بن يحيى .

فما عليه إلا أن يتخذ من مقتل أبيه الإمام يحيى والحسين اللغم الناسف
مركز الإمام الوزير الروحي مستغلا مقتل أبيه ثم أخيه ، ولم يمض أسبوع على
الوزير إلا وقد غير أحمد بدعايته رأي القبائل فجعل من الوزير قاتلا للإمام يحيى
عن أمر النصاري والكفار ، وأن أحمد هو القوي الذي سيأخذ بالشار ويقاوم
النصاري والكفار إلى آخره .

هكذا صنع أحمد ونسف مركز الإمام الوزير الروحي الذي كان جل
اعتمادنا عليه ومن الغريب أننا لم نشعر بهذا النسف .

فظللنا نعتد على مركز الوزير الديني الذي لم يبق له وجود إلا في خيالنا
وأوهامنا ، أوهام زادتنا تعلقا بسراجها تلك الإنصارات والتأييدات الشاملة
المبكرة فتركنا الحبل على الغارب ، نركز اهتمامنا على إقامة المشاريع العمرانية

والحكوميّة الدستوريّة المثاليّة تاركين الموقف الحربي لأحد يخطط للحرب تخطيط
القائد العسكري الذي استطاع في اسبوع أن يقنع القبائل أنه سيد الموقف
والحامي لليمن من النصارى والكفار ، ويحشد الجيوش ويبعث كتبه وكتائبه إلى
هنا وهنا ، ولقد احس قادة الثورة بسعيهم هذا النشاط الأحدي ولكنهم لم
يتخلصوا من قيود الاوهام فعمدوا للموقف العسكري الاعداد الكامل المستوحى
من حقيقة الواقع والحاضر وإنما استصحبوا حسن الظن والاعتماد على قوة مركز
الإمام الوزير فإذا بنا نواجه الحقيقة الماثلة ، باخيال ونرسل إلى الملحمة جيشاً
على النحو التالي في حملتي عمران وشبام .

(حملتا عمران وشبام)

جلبت الأنبياء بتحركات أحمد في حجة ، واتصالاته بالملك عبد العزيز
وموقف علي بن حمود ، ووصل الأمير علي بن عبد الله الوزير طريداً من الطويلة
إلى صنعاء بعد أن تعرض للخطر عبر طريقه ، ونظرته القبائل يمر بها متخوفاً
مخفورا ، فلم تثار له ، كما كان المنتظر ، فله عليها حق المتبوع والمنعم والقائد
والهجرة (أي المقدس) فما الذي أنسى القبائل كل هذه الحقوق فلم تثار له ولم
تغضب لصاحبها ومتبوعها ، بل تعرض للشتمات ومحاولة نهب مركوبه ، لولا بقية
حياء وعادات يمنية ، وخوف من عبد الله الوزير وثورته ، كل هذا وذاك طرق
أسماعنا في أول أيام الثورة طرقاتاً يلين له الحديد البارد ، وتفتح له الاقفال
المعقدة ، والأبواب الموضدة ، فقد كان الموقف بلغ النهاية من التجهّم
والإكفهرار ، وما زال باب الحرب مغلقاً ، وسيفها مغمداً ، على قبضته قد
وضعت الحرب اكفها المخيفة ، وكان الحزم واليقظة يقضيان والخطّة الحربية في
مستهلهما ، وفي اللحظة الأولى من الدخول في معمراتها ، أن يجتمع ذور الرأي
والقادة العسكريون مع الإمام الوزير لدراسة الموقف وعلى ضوء الواقع والحاضر
والأخذ بالاحوط وأسوأ الفروض توضع الخطّة الحربية للحملتين ، إذ أن أدنى
انتكاسة تصاب بها الحملتان أو إحداهما تثير ضراوة القبائل التي ما يزال عندها
بعض تهيب للإمام الوزير ، والتي يتوقف انحيازها إلى أحد المعسكرين على
هاتين الحملتين ، خلا أن كل شيء من الحزم والمشاورة لم تقع ، اعتماداً على ما

ذكرناه من الاوهام فقد اكتفى الإمام الوزير بتعيين رجال الحملتين ، فعين السيد البطل محمد بن علي الوزير لقيادة حملة عمران حجة ، وعين السيد محمد بن محمد الوزير لقيادة حملة شبام حجة ، وكان في أعيان حملة شبام الشيخ عبد الله بن صالح أبو لحوم ، وأسند الإشراف على الحملتين إلى السيد عبد الله بن محمد الشاب الشاعر الأديب المتحمس الذي لم يتجاوز عمره العشرين عاماً ، ولم يكن قد عرف الحروب ، فضاعت الحملتان وضاعت الثورة .

فقد ذهبت الحملتان على السيارات من دون أن يكون لهما طلايع تعبد الطريق وتحمي الحملتين من المباغثات ، ولا لهما مؤخرة تحفظ خط اتصالهما بصنعاء وتكفل تموينهما وإعدادهما ، ولا لهما جناحان يصدان تحطف الحملتين والالتفاف عليهما ، بل ذهبت الحملتان على سيارتهما كأنهما في رحلة إلى نزهة .

(حملة عمران حجة ، ومعركة ضروان ، وبطولة محمد علي الوزير)
اجتازت هذه الحملة أراضي همدان وعيال سريح وما أن وصلت عمران إلا وقد سبقتها طلايع أحمد ودعائه وكتبه ومقدمات كتائبه إلى عمران وعيال سريح وحمدان ، فإذا بالسيد محمد بن علي الوزير يحيد نفسه وحملته بعمران في وجه طلايع العدو وفي خضم من القبائل المتهيشة للانقضاض والاطباق على حملته ، فتبادل مع طلايع جيش أحمد إطلاق الرصاص ولم يكن مركز حملته قوياً ولا حصيناً فقد تركزت قوة أحمد في المواقع العسكرية ، تساعداه الأهالي وبرغم ذلك فقد أربهاها محمد بن علي وأسكتها فقرر أن ينسحب إلى قرب صنعاء بحيث تصل إليه الامدادات إلا أن القبائل كانت قد تجرأت فلم يصل محمد علي الوزير إلى ضروان همدان إلا وقد التفت عليه القبائل المعززة بجيوش أحمد وسيطرت على المرتفعات التي يمر بينها طريق السيارات فحالت بين حملة الوزير ومواصلة انسحابها إلى قرب صنعاء ، ولم يبق بد من الإستسلام أو القتال في استماتة ومهارة ، وكانت المعركة التي أبدى فيها القايد الوزير وحملته مهارة واستبسال الأسد في غابها ، ذعرت منها تلك القبائل والجيوش وأنعبت الوزير وحملته ، وكان مقدراً لحملة الوزير أن تتغلب على المعركة إلا أنها فوجئت بما لم يكن في

الحسبان ، فقد كانت المعركة الضارية استنفدت ما يحمله جنود الحملة من ذخيرة حيث كانوا يطلقون قذائفهم بكثرة اعتماداً على ما معهم من ذخيرة في الصناديق المحمولة على السيارات فلما فتحوا تلك الصناديق وجدوا الذخيرة بها من نوع آخر غير صالحة للأسلحة المزودة بها الحملة ، وهذا نتيجة إشراف الشاب عبد الله بن محمد الوزير فسقط في أيديهم حتى هم معظم الحملة بالإستسلام إلا أن قايدهم نفخ من شجاعته قوة في الحملة وكان الجهد قد نال الفريقين ، وجاء الليل فحجز بين الطرفين فأتاحت للقائد الوزير الفرصة للإسحاب فجمع أصحابه وأخذ الجرحاء وعلى ما بقي من السيارات عاد إلى صنعاء بجهد وشدة وكان لهزيمة وتراجع هذه الحملة صداها في أرجاء اليمن .

حملة شبام حجة

كان نصيب هذه الحملة أسوأ من حملة عمران فلم يكن لقائدها السيد محمد بن محمد الوزير بطولة ابن عمه محمد بن علي ومهارته الحربية ، فقد وصل إلى شبام وعرف أن هناك جيوشاً جارة يقودها الأمير علي بن حمود وغيره ، وكان في وسعه أن ينسحب ، فطريق الانسحاب والتراجع كان آمناً وأضمن من خط انسحاب حملة عمران ، ولكنه دخل مدينة شبام قبل أن يحتل كوكبان والمرتفعات المشرفة على شبام ، فأطبقت جيوش أحمد التي يقودها علي بن حمود عليه ، وسرعان ما استسلم فقبض عليه وعلى أفراد الحملة ، وسبق مع الحملة إلى حجة ، ونهبت مدينة شبام وأخربت دور الأمير السيد علي بن أحمد بن عباس شرف الدين ونهب كلياً بها من مال ونفائس وذخائر لأنه من الشوار ومؤيدي الإمام عبد الله الوزير .

ولم يقاتل من حملة شبام إلا الشيخ عبيد الله أبو لحوم ، فقد انحاز مع أصحابه إلى قصبة (مخفر) خارج شبام تحصنوا بها تحصن الأبطال ، إلا أنه ثبت في موقف لا يجدي به الثبات ولا رده ولا صلة بصنعاء .

وكلياً جاء به الثبات والاستبسال أن أبا لحوم وأصحابه من نهم لم

يستسلموا إلا بشروط مشرفة ، منها العفو والأمان على الحياة والأعراض وعلى احتفاظهم بأسلحتهم ، وأن يذهبوا لا بصفقتهم أسراء ، بل مسلمين على أحمد ومبائعين له بالإمامة والطاعة ، وقد ذهبوا على هذه الشروط إلى حجة ، فاستقبلهم أحمد بالحفاوة وأبقاهم بحجة ، بينما أودع السيد محمد بن محمد الوزير ورفاقه الحبس .

وي فشل هاتين الحملتين قوي مركز أحمد وأصبح الحاكم الحقيقي على قبائل الشمال والشرق والغرب وقوي شك بقية القبائل اليمنية في الثورة والإمام الوزير ، وراح معظم أعيان القبائل الجنوبية يتصلون بأحمد ويتضربون إليه ، ما عدا قبائل رداع ومراد والبيضا ، وأصبحت صنعاء في نهاية الأسبوع الثاني للثورة في موقف تكاد فيه أن تقطع صلتها بالقسم الجنوبي والغربي ، زحف يهددها من الشمال ومن خولان ، ويجهز على من فيها ويسحق رجال الثورة ومن ورد عليهم من عدن والخارج من الثوار والمتحليين لها المتشاورين ولم يمض على الثورة سوى أسبوعين .

عودة الكثيرين من المهاجرين اليمنيين ، وخدعة الانتصارات المبكرة ومركز الوزير

كان بقاء ولي العهد أحمد بعد قتل أبيه هو البركان الكامن فيه القوة المعدة لنسف الثورة ومخوقاداتها ، فكان على الإمام الوزير وقادة الثورة أن يجندوا كل قواهم العسكرية والدعائية لدرء هذا الخطر الهائل ، وأن لا تحجبهم عنه تلك الانتصارات والتأييدات المبكرة ، ولا الثقل الشعبي الذي كان يتمتع به الوزير ، خلا أن تلك الانتصارات المبكرة والتأييد الشامل المبكر حجبت عن قادة الثورة ذلك الخطر إلى درجة الاعتقاد أنه لا قيمة لأحمد بجانب المركز الروحي الذي للوزير ، بل لم تدعنا تلك الانتصارات الأولية نفكر قليلا في مركز الوزير بعد مقتل الإمام بل ربطتنا به أكثر معللين بأن منه انطلقت الانتصارات وذلك التأييد الشامل . ولو أننا تخلصنا من هذا الشد الواهم لعرفنا بلا كلفة : أن مركز الوزير الروحي قد هزه مقتل الإمام يحيى في ثورة يقودها الوزير ، وكان يقدر له

البقاء إذا لم توجه إليه أدنى ضربة من أضال شخصية ، فكيف إذا كان الضارب هو أحد الذي طالما انتظر مقتل أبيه وعمل له ليتخلص من والده ومزاحمة أخوته ومنازعة منافسيه لو مات أبوه موتاً طبيعياً وها هي الفرصة سانحة فيسقط أبوه قتيلاً في ثورة يقودها عبد الله الوزير أعظم منافس لأحمد على الإمامة ، فهل يدع أحمد الداهية القائد العسكري والشعبي الفرصة تطير ، كلا لقد استطاع في الأسبوع الأول للثورة أن ينسف مركز الإمام الوزير الديني ، فيحول الوزير في رأي القبائل إلى غادر تأمر مع النصاري والكفار على قتل الإمام يحيى وبيع اليمن إلى النصاري ، فأصبح ذلك المركز الذي تعتمد عليه الثورة والشوار والإمام الوزير ، لا أساس له ولا وجود إلا في خيالاتنا ، وإلا سراب اندفع وراءه المهاجرون اليمنيون يعودون إلى صنعاء ، ويلهث وراءه بريقه أدعياء الثورات والمستغلون ينقلون إلى المناصب والصفوف ويتملقون ويشوشون الأفكار ، ويزيدون الثوار اعتقاداً بقوة المركز الشعبي للإمام الوزير وأن الثورة لا تحتاج معه إلى المزيد من الاهتمام بالموقف الحربي ، فقد طغت موجة هؤلاء المشاورين في الأسبوع الأول والثاني للثورة يتزاحمون على المناصب والكراسي والوظائف والمكاسب بحجة أنهم ثوار وأحرار تزاحماً اكتسح التفكير والخطط التي كان ينبغي أن تتخذ لحماية الثورة من الأخطار المحدقة إليها ، والمحدقة بها ، فإذا بصنعاء ودار ضيافتها . بابل الثانية تنبلبل فيها ألسن المطامع المستغلة ، والبلاهة الثورية وسماحتها . والمكايد الهندسة وسمومها . إن هؤلاء المستغلين المشاورين والكائدين لا يكاد أن تحس بهم عند النضال والشدائد إلا متربصين من بعيد ، فإذا ذهب الخوف اندفعوا إلى الصفوف والمناصب متعثرين مشاورين بصلف ووقاحة وغلغلي بها يجتذبون الثوار وقاداتهم ، يسلقونهم بألسنة حداد يتخدر بها قادة الثورات الغالبة على أغلبهم السماحة والسماجة ، والشجاعة والبلاهة ، فيلقي أولئك القادة السمحاء القياد إلى هؤلاء الدخلاء الأدعياء وهذا ما أصيبت به الثورة من ثاني يوم من ولادتها ، فلقد قدم قادة الثورة والثوار من كل مكان ، وكان من أول القادمين إلى تعز القاضي محمد الزبيري والأستاذ محيي الدين العنسي والأستاذ أحمد الحورش والأستاذ أحمد البراق والأستاذ أحمد نعمان مع

سيف الحق إبراهيم في موكب كبير من عدن ثم عاد الجميع إلى عدن إلا نعمان ومعهم محمد البدر بن ولي العهد أحمد ومن هناك طاروا إلى صنعاء كما وصل من مصر مجموعة من الثوار منهم الأستاذ محمد المسمري والسيد يحيى الوادعي وغيرهم ، أما المشاورون الادعاء فقد ضمروا تعز والحديدة وإب والطرقات ووصل منهم جحفل إلى العاصمة صنعاء ودار الضيافة ونفذوا كالمكروبين والأمراض المعدية إلى قلوب وأفكار القادة وصفوف الثوار من الشباب والأحرار وإلى المناصب ومصادر التوجيه فحولوا الثورة إلى إجتماعات تعقد ، وجلسات تقام وموائد لهم فيها ما يلذ من الطعام والشراب ، وإلى برقيات ورسائل ترد من الالوية والخارج يطالب ذووها بحفظهم من مكاسب الثورة ، ثم تنقش تلك الاجتماعات وتلك الجلسات والموايد عن أبخرة الطعام تميل بالاعناق إلى النعاس والنام وعن لا شيء إلا (هوى في هواء) وإلا ضياع الوقت وتركه لأحمد حميد الدين ، هكذا كانت الثورة وقاداتها مع الأدعاء في الأسبوعين الأولين من عمر الثورة ، ويختم الأسبوع الثاني بظاهرة جديدة خادعة زادت الأفكار بلاهة والطين بلة ، هي فكرة الإعتماد على الجامعة العربية وقد كان منا ومن الإخوان المسلمين الذين كان يمثلهم الأخ عبد الحكيم عابدين الخطيب العالم الذي كان يخطب ونخطب فتعزّز بالهتاف والتصفيق أرجاء الدنيا (دنيانا نحن) صنعاء ودار الضيافة ، دنيانا هذه التي سبق أن أعلن منها محمد البدر خروجه على والده وكان لإعلانه وتطاهر الكثير من الإنتهازيين والمخادعين ، (لا نحب أن نذكرهم) أثره على ما بقي للثورة من قواء وأحاسيس إنه يوم مشهور زادنا خبالا واسترخاء ختم به الأسبوع الثاني من الثورة ، وقد بقي الأستاذ نعمان بتعز وعدد من أقطاب الأحرار الثائرين وكان الحماس والهتاف بتعز وإب إذ ذاك يتعلق بأجواز الجوزاء ، حجب عن النعمان والموشكي والارياني ومن حولهم الواقع المرثاكن بالشمال المهدد للثورة في قاعدتها الأساسية بصنعاء فلم يكن أمام الشباب وطبقة المنسبين إلى الثقافة والسياسة إلا إرسال سيول من البرقيات وكتلات من الرسائل إلى الإمام الوزير ومجلس الوزراء بصنعاء يطالبون فيها بإقامة المشاريع والمساواة في الوظائف وإصلاح جهاز الحكم إلى ما هناك من مطالب قد فات أوانها ونسف الموقف الحربي بالشمال بنيانها .

ولم يبق لها مناخ إلى غيللات المتحمسين بتعزز وإب ذلك الحماس الذي حبس القاضي عبد الرحمن الإرياني ورفاقه هيئة الجمعية الإصلاحية بإب ودفع الاستاذ أحمد محمد نعمان والسيد زيد الموشكي أن يتحركا إلى صنعاء في موكبين ، نعمان وموكبه عن طريق إب فلمار ، والموشكي وموكبه عن طريق حيس فزبيد فالخديدة .

وكلا الموكبين الموشكي والنعماني حبسهما حابس (القصوى) فلم يصلا إلى صنعاء ، صنعاء التي أصبحت ولم يرض على عمر الثورة إلا أسبوعان في أمر مريج من داخلها ومعرضة لحصار خانق من خارجها ، فلندع صنعاء ووفود الثوار ثابتين في الأسبوع الثالث بصنعاء ، ونرى الادعاء المشاورين وهم يفرون ويختفون أو على الثورة يتآمرون ، لندع ذلك كله وعنهم وعن صنعاء نسير فنواكب الموكبين النعماني والموشكي ثم نتيخ باب مع الإرياني .

(الموكب النعماني)

إن حزب الاحرار بعدن الذي يرأسه الاستاذان الزبيري والنعمان ، كان ينقصه أن زعيميه النعمان والزبيري إبتعدا عن قلب المعركة داخل اليمن المتوكلية وعاشا قبل الثورة في جو دافئ بحرارة الأمن بعدن خارج جحيم المعركة ، فبعدا عن واقع الوضع الرهيب فكانا يسبحان في شعور الطمأنينة والهدوء المستوحين لها من محيط عدن الأمن ، فلم يركزا تخطيطيهما وتقاريرهما بدقة على الحقيقة المرة الماثلة أمام المناضلين بصنعاء وبين القبائل المحيطة بصنعاء ، وقد دفع هذا الإستيحاء والشعور النعمان والزبيري إلى الثقة بالزمان وأن أيامه قد تهيأت لتفجير الثورة ، ولقد انفجرت في هذه الظروف المار بعض قصوها ومفاصلها وملاحها .

وما برح الاستاذ النعمان بعد قيام الثورة وخروجه من عدن إلى تعز وما سمع به عن الموقف بالشمال متلبسا بشعوره الذي دفعه إلى الخروج من تعز في مجموعة من الشباب اليمني وأعيان الاحرار منهم الشيخ ناشر العريفي والشيخ جازم الحروي .

وقد وصل مع المجموعة إلى إب وسمع ما يجري في الشمال من حوادث في غير صالح الثورة .

ولكن الحماس الظاهري الطافي على أجواء تعز وإب جعل النعمان يستمر في ظنه الباسم ، فيفارق تعز مع المجموعة نحو صنعاء ، ويرغم التحذير له واصل رحلته مقتنعاً بأن كلما يجري بالشمال سحابة صيف ، وأنه بمجرد خطبة يلقيها بدمار أو غيرها في القبائل المتحمسة لآحمد يتغلب على عواطفها وقمقعة أسلحتها وزججرة قاداتها .

ولقد وصل النعمان إلى يريم وجاءته الانذارات والنصائح بالرجوع إلى تعز وإلا فسيقع في الخطر فأصر على رأيه واستمر برحلته إلى ذمار فإذا الحقيقة دامية عجوز غير ذات خليل .

شمطاء جزت شعرها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل وهناك نظر الجحيم الجماهيري ولمس الواقع المر ، وحاول أن يخاطب في تلك الجماهير القبلية الصابلة ليردها إلى الحقيقة ، ولكن هيهات هيهات أن توقف الخطابة والحجة سبل العرم .

ما ليس يدفعه المهند مصلتا لا الكتب تسدفعه ولا الاقلام

فقد وقع النعمان في جحيم الوعي الصايل الجماهيري وتبين للنعمان كما تبين لغيره أن الدعوة الثورية تقوِّعت في مجموعة من شباب وسكان المدن ، وابتعدت عن الجماهير القبلية فوقعت في هذا الوضع الذي أيقظ قادة الثورة وقد فات الاوان ، فقد وقع السيد النعمان وجميع رفاقه في الاسر بدمار وفيهم الكاتب الصحافي اللبناني (رشيد سنوه) والقاضي أحمد بن قاسم العنسي والقاضي محمد أحمد صبرة والشيخ جازم الحروي والشيخ ناشر العريقي والقاضي محمد الفسيل وغيرهم وقد قُذف بالجميع إلى سجن ذمار ، الذي سبق إليه من يريم القاضي محمد بن إسماعيل الربيع والقاضي إبراهيم بن أحمد الحضرائي ، وكان لوقوع النعمان ورفاقه في الاسر دويُّ هدم ما بقي للثورة من معنى وإنطلق دعاة ولي العهد أحمد يعدون ذلك من كرامته التي إلى قبضته ساقط

أعداءه من الخارج والداخل وفي ذمار ندع النعمان وموكبه لنذهب إلى الموشكي وموكبه .

الموكب الموشكي

واكبنا الموكب النعماني من تعز إلى أن أغمد ذلك السيف بسجن ذمار ، وكنا قد ودعنا السيد زيد الموشكي بتعز وهو متكهرب بالحماس يعد العدة لرحلة نحو صنعاء عن طريق الحديدية ، وها نحن نعود إليه بتعز فنراه يواصل اجتماعاته برجال الثورة الأحرار - الذين أحسنوا الظن - فتركوا الأمر بأيدي المتربصين بتعز وباب وبالحديدية ، فإذا بعكفة (حرس) ولي العهد أحمد والسياسي يسند إليهم حفظ الأمن بتعز وباب . وبالسيد يحيى عبد القادر أمير إب وبالسيد محمد أحمد باشا أمير تعز ، الذي اتفق الموشكي ورجال الثورة على أن يبقى بها من رجال الثورة العقيد أمير الآلاي محمد السري الشائع والسيد محمد بن يحيى الوريث وغيرهما ، ويفارقها الموشكي إلى صنعاء بعد جولة استطلاعية واستعدادية في تهامة ، وقد فارقتها الموشكي في موكب يضم الشيخ حسن بن صالح الشايف والقاضي عبد الله بن عبد الإله الأغبري والأستاذ علي ناصر العنسي والسيد يحيى بن محمد باشا والشيخ محسن الصعر وعمر الموشكي وموكبه بحيس فزيد ، وينضم إليهم الخادم غالب الوجيه ، فيدخلون الحديدية فيحتفي بهم أمير الحديدية القاضي حسين الحلالي صاحب الخادم غالب ، وكان موقف الحلالي قد بدأ ينكشف للمسؤولين بصنعاء فأمروا بقضله من الحديدية وأن يحل محله السيد زيد بن يحيى عقبات ، فتدخل الخادم حتى استبقى الحلالي وفي هذه الفترة - والموشكي وموكبه بالحديدية - طرأ التغير السريع على موقف الثورة العام بحيث أخذ الحماس والهاثاف بتعز وإب والحديدية تهبط درجته ، وبدأ المتربصون والإنتهازيون الذين اندسوا في الصفوف وشغلوا فيها مناصب هامة بدأوا يتظاهرون بمعادة الثورة ، ويساندون ولي العهد أحمد .

وأول ما فكروا فيه بعد الاتصالات بأحمد أن قبض كل على من في جهته من الأحرار ومن تعاون معهم بإخلاص ، وقد كان السيد محمد بن أحمد باشا أمير تعز شريفاً ، فقد أوحى إلى محمد الوريث ومن لديه بتعز من الشوار بأن

الموقوف قد قلت زمامه من يد الوزير والثوار فعلى الوريث ورفاقه أن ينجوا بأنفسهم إلى خارج اليمن المتوكلية وإلا فهو مضطر أن يلقي عليهم القبض فأصغوا إلى إشارته وفروا إلى عدن .

كما أرسل من يحذر المشوكي ورفاقه بالحديدة وأن ينجوا بأنفسهم فلم يأخذوا بنصيحته فقد كان المشوكي والخادم مخدوعين بأنها سيقنعان الحلالي بالموقوف إلى جانب الثورة واستمرا مع رفاقها يواصلون الاجتماعات بالحديدة وأنهم في إجتماعهم يخططون إذا داهمتهم الجنود وقبضت عليهم وأودعتهم سجن الحديدة ثم نقلوا في الأغلال إلى سجن مناخه بحراز وبعد متاعب السفر في الأغلال وصلوا حراز وفي سجن مناخه قذف بهم ، وهناك أسدل السجن ليله على موكب من مواكب الأحرار يقاسون ما يقاسيه أعلام موكب النعمان بسجن ذمار من المهول الذي فغرفاه ليتلع المجاهد الكبير القاضي عبد الرحمن الارياني والمؤرخ القاضي محمد الأكوع ورفاقهما باب وغير أب .

الارياني ونمسه بنظرية سقراط

مر النعمان باب وهناك اجتمع بالقاضي عبد الرحمن الارياني والقاضي محمد الأكوع والشيخ الفيلسوف حسن الدعيس والنقيب عبد اللطيف بن قايد وغيرهم واستعرضوا الموقف المتجههم سيما في الشمال وحاولوا أن يقنعوا النعمان عن الذهاب إلى صنعاء وأن يستبقوه باب إن لم ير الرجوع إلى تعز أو عدن فأصر النعمان على فكرته ، ويقارق مدينة إب في طريقه إلى صنعاء فيقع في سجن ذمار ويزداد الوضع خطورة تهدد الثورة في كل موضع ، فالموشكي مع رفاقه بسجن مناخه ، وصنعاء يطبق عليها الحصار بفكيه ، وكل القبائل الشمالية ملتفة حول أحمد ، وقبائل الجنوب وأعيانها تخطب رضا أحمد ، كل هذا عرفه الارياني ورفاقه الذين أصبحوا ينظرون باب المتربصين يتظاهرون بالولاء لأحمد ، إلى ما هناك من دوافع على طلب رجال الثورة للنجاة كما فعل الشيخ حسن الدعيس والقاضي عبد الكريم العنسي فقد فرا إلى عدن يوم سقوط صنعاء ، ولكن الارياني تمسك بمثالية سقراط فلم يستجز الفرار في مثل هذه الظروف فرجع مع

رفاقه البقاء بإب طمعاً في التغلب على الموقف ولو في إب وتعز . ولكن الأحداث لم تدع للإرياني ورفاقه وقتاً لمعالجة الموقف فقد جاءهم الخطر من مأمهم فإن الجند الذين اعتمدت عليهم الثورة بإب كانوا يوم سقوط صنعاء أول من انقلب على الثورة فاعتقلوا الزعيم الإرياني والأكوع وبقية رفاقه يوم الأحد رابع جمادي الأولى كما اعتقل إخوان لهم ولنا بتعز ، وهكذا رأينا شجرة الحرية وزهورها تذبل ثم تتناثر إلى السجون . لتساق بعد سقوط صنعاء إلى أنياب السباع ومناسر الطيور ، وإنما لحكمة ستختتم بها هذا الكتاب ولنعد إلى صنعاء .

صنعاء ، والاسبوع الثالث للثورة

لقد ذهبنا بعيداً عن صنعاء محققين حولها مع الحوادث التي كانت تتجمع سحبها لتطبق أعاصيرها على صنعاء وتقتلع الثورة ورجال الثورة في مهدها (صنعاء) ، وترمي برجال الثورة إلى حيث تنتظرهم السجون والقبور والطيور ، وهم أعيان اليمن وحصيلة جيل كامل فيه تكونت شخصياتهم ونجارهم وثقاتهم ، وقد تجمعوا - ويا لهول القدر - من الخارج ومن الداخل ومن كل صوب ، ومنهم من وقع في السجون خارج صنعاء ، ومنهم من ينتظره السجن .

ومن كان منهم في صنعاء ما هو قيد الحصار الذي يكاد قرناه وطرفاه أن يلتقيا ليختق أقطاب الثورة في مهدها صنعاء ، وقد أحس رجال الثورة بصنعاء بأنهم وثورتهم في أسبوعها الثالث يقتربون مع الثورة من المصير الرهيب إن لم يتخذوا خطة قد تنقذ الموقف .

فكرة حكيمية لم تنفذ

أمام هذه الزواجع المنذرة بسقوط الثورة وحكم الإمامة الدستورية اجتمع فؤو الرأي من رجال الثورة . وفي مقدمتهم الأمير علي الوزير والرئيس جمال جميل والأمير حسين عبد القادر والسيدان أحمد المطاع ، وحسين الكبسي والشيخ عبد الوهاب نعمان ، وعيسى الدين العنسي ، ومحمد الزبيري . وبعد تقليب

الموقف ظهرا لبطن ، اقتنعوا أن الثورة تقترب من الفشل إن لم يتخذوا طريقاً
تحويل الثورة عن المنحدر الذي حفره حسن الظن ، والجمود الذي أصيب به
رأي وعزم أمير المؤمنين الإمام الوزير رحمه الله ، وإن أنجح طريق يرجى منها
النجاة يكمن في المواد الآتية .

المواد

- ١ - أن يتخذ من تعز عاصمة ثانية للحكومة الثورية .
 - ٢ - أن تكون رداع قاعدة عسكرية للثورة .
 - ٣ - تعيين الأمير علي الوزير أميراً للواء تعز وإب ويكون الشيخ عبد
الوهاب نائبه بإب .
 - ٤ - أن يقوم الإمام عبد الله الوزير برحلة إلى رداع يضع فيها القاعدة
العسكرية ويتصل بقبائل المشرق رداع ومراد والبيضا وقيفه والسوادية الذين
سيثأرون حتماً بشخصيته فقد كانوا بدأوا يتجمعون لينقذوه
 - ٥ - سحب كمية كبيرة من المال والذخيرة والمعدات الحربية من صنعاء إلى
رداع .
 - ٦ - تعيين الرئيس جمال جميل والسيد عبد الله بن علي الوزير والأمير
حسين عبد القادر نواباً للإمام عبد الله الوزير بصنعاء عند غيابه .
 - ٧ - تحصين الجبال المطلّة على صنعاء كنقم وعصر وتزويدهما بالماء
والمؤن .
 - ٨ - تطهير صنعاء من كل مشتبّه فيه والقبض على أعيان أسر لم يبق
لذكرها الآن موجب .
 - ٩ - فصل القاضي حسين الحلالي من إمارة الحديدة وتعيين زيد عقبات
الخادم غالب محله .
- هذه هي أهم المواضع التي اتفق على اتخاذها وتنفيذها رجاء تلافي الموقف

بأول الأسبوع الثالث للثورة قبل وقوع النعمان بحبس ذمار والموشكي بحبس مناخه ، وقبل إحكام الحصار على صنعاء .

وقد كانت هذه الخطة حازمة وحكيمة ، إلا أن القدر وقف في طريق تنفيذها ، فالإمام الوزير كاد يفقد الرأي فقد شد نفسه بقصر غمدان فلم يوافق على قيامه برحلته إلى رداع ولا بانحاذه بها قاعدة عسكرية ، ولا وافق على ذهاب الأمير علي الوزير والشيخ عبد الوهاب نعمان إلى تعز وأب ولا سحب أموال وذخيرة إلى رداع وتعز ، فقد كان رحمه الله مأخوذاً بحسن الظن بالأيام ثم بالجامعة العربية ، وبأن مركزه الروحي ما يزال قويا بين القبائل وأن الأزمة ستفرج ، وأن تحوله عن صنعاء قد يعرض صنعاء والحكومة الثورية للسقوط وأن الأمير علي الوزير قد يتغلب على لواءي تعز وأب ، يضاف إلى ذلك أن فكرة عودة علي الوزير إلى تعز لم تلق تشجيعاً من نعمان والزييري ، وبما زاد في حسن ظننا وظن الإمام الوزير بالجامعة العربية وأنها ستحل القضية ما كان إمامنا يتلقاه من الاستاذ عبد الحكيم عابدين مندوب الإمام حسن البنا إلى صنعاء من معلومات عن الجامعة العربية وما يقوم به الإخوان المسلمون . من نشاط لتدعيم الثورة اليمنية ، وكان عبد الحكيم صادقاً فيما حكاه من نشاط الإخوان المسلمين وتدعيم الثورة اليمنية إلا أنه كان يجهل الواقع اليمني ، وغير متعمق في السياسة ، حتى يعرف أساليبها برغم أنه كان من فحول الخطباء والعلماء ، وقد التقت براءته وسماحته ببراعة الإمام الوزير وسماحته ، فتولد من هذا اللقاء استعزاز الإمام الوزير في حسن ظنه الذي ضيع الفرص والأخذ بالحزم .

ولم يكن عند قادة الثورة التصميم فيجبروا الإمام الوزير على قبول هذه الخطة ولا في الوقت سعة لتقبل أي تأجيل ، فقد كانت الأخطار تمشي بسرعة العاصفة ، وأصبح أحمد على أثر معركة شبام وضروان يدفع العاصفة بقوة . فقواده وفي مقدمتهم علي بن حمود يسوقون جمافل القبائل من كل صوب ، وتنضم إليهم كتائب الجيش النظامي من كل مركز حتى من صنعاء ، فقد التحق بأحمد معظم الكتائب النظامية التي كانت بصنعاء وحوها بمعداتهم ، واتصل أحمد

في سرية بالهاميات في جبل نقم بما فيهم المشرفون على كهوف نقم المودع بها الأسلحة والذخيرة ، واتصل بحرس قصر غمدان وغيرهما من الثكنات العسكرية الهامة وربط مع معظمهم اتفاقاً على أن يكونوا إلى جانبه في الساعة الحاسمة التي يقتحم فيها صنعاء ، واعداء لهم بالرعاية إن أجابوا ، وإلا فإنه سينتقم من عوائلهم بين قبائلهم الموالية له . وينتقم منهم في القريب العاجل .

كل هذا والإمام الوزير غارق في بحيرة حسن الظن الذي جعله لا يرى أي خطر بل صار متساعفاً مع من بدأ يعارض الثورة بصنعاء ويسخر بها مما أقلق قادة الثورة ، وقرروا أن تسند الإدارة العسكرية إلى الرئيس جمال جميل .

الرئيس جمال جميل ، والقيادة العسكرية

لم يتخذ من القرار السابق ولا بند واحد ، فلم يحصن نقم ولا عصر ولا غيرها ولا ظهرت صنعاء من أعداء الثورة ، ولا فصل الحلالى ولا غيره .

وغاية ما هناك أن الإمام الوزير استجاب إلى دعوة المصالحة مع ولي العهد أحمد التي اقترحها بعض الأعيان .

وقد قبل أحمد هذه الدعوة ، وتعين من صنعاء وفد إلى حجة مكون من السيد قاسم العزي أبو طالب والقاضي أحمد الجرافي وذهب الوفد ولم يصل إلى عمران إلا وقد غير أحمد نظره وأمر الوفد بأن يعود إلى صنعاء .

وما أن عاد الوفد إلا وزادت الحال سوءاً ، ونشطت العناصر المضادة لنشر الأراجيف ، وكثرت البلبلة بصنعاء ، مما حمل مجموعة من قادة الثورة بأن يعقدوا مع الإمام الوزير اجتماعاً أقنعوه بأن تسند القيادة العسكرية والأمن إلى جمال جميل ، وقد قبل هذا العربي الكريم تحمل هذه المسؤولية في هذه المرحلة الدقيقة ، وماذا ترى هذا البطل سيعمل في وضع منهار من كل الجوانب ، إن روحه المؤمنة الثائرة فرضت عليه أن يعمل لحماية صنعاء ومحاوله فك الحصار وتأمين صلتها بالجنوب ، دمار ويريم ورداع وإب وتعز إلى ما هناك .

وبأي قوة يا تراء ، ولا جيش ، ولا قبائل . ولم يكن هناك إلا عدد قليل

هم المخلصون من شباب المدارس والكتليات الحربية وبعض أفراد من القبائل والجيش ، وقد استطاع جمال أن يكون من هذه الفئات قوة استطاع بادئ الأمر أن يرسل منها جانباً فتحت الطريق من نقيط يسلم إلى ذمار ، ثم قسم صنعاء وما حولها إلى أربع مناطق أسند حماية كل منطقة وإدارتها إلى من يثق به من رجال الثورة ، المنطقة الأولى قصر غمدان وجبل نغم استبقاها الإمام الوزير لتكون تحت إشرافه وعهده ، المنطقة الثانية باب الشقاديف والسبحه والمطار والعرضي إلى الرئيس جمال جميل مضافاً إلى إشرافه العام ، المنطقة الثالثة باب شعوب ورأس صنعاء وما حولها إلى السيد أحمد المطاع والعزي صالح ، المنطقة الرابعة الإذاعة بير العزب وعصر والصفية إلى محي الدين وعبد الله الشماحي وأحمد الشامي وحسين المقبل وغالب الشرعي ، وقد قام كل بالعمل في حدود اختصاصه ، وبدأ الموقف يتحسن ففتحت الطريق إلى ذمار وتم الاتصال بقبائل رداع وقيفه والسوادية ومراد وعبيدة ، لتتجد الثورة وإمامها الوزير . وبدأت هذه القبائل في التجمع ، وأعيد اقتراح ذهاب الإمام الوزير إلى رداع فأصر على الرفض .

إن القضاء إذا رمى ذلك القواعد من نبي

وبدا زحف القبائل على صنعاء من جميع جهاتها ، فأطبق علي حمود على عصر فهاجمه محي الدين بمجموعة من شباب المدارس والضباط إلى عصر تساندهم المدفعية فاضطر علي حمود على الانسحاب من عصر إلى المساجد .

بينما زحفت قبائل حولان وسنحان وبني بهلول وبلاد الروس وأنس وبني حشيش على جبل نغم ، الذي كنا نعتقد أنه قد حصن بمن يعتمد عليهم وزود بالمياه والمؤن ، فإذا جميع نقطه ومستودعاته كلها لم يدخل عليها تغيير ، ولم يكن إلا الشيخ علي القردي والسيد محمد بن علي الوزير مع مجموعة صغيرة ترابط بقمته من دون أن يكون عندها التموين الكامل .

فواصلت القبائل زحفها في نغم من دون أن تلقى مقاومة من أية نقطة حتى وصلت قمة نغم وهناك قاموا القردي ومحمد الوزير وأصحابها مقاومة

الأبطال انهزمت لها القبائل من قمة نغم إلا أن المرتبين في أثناء جبل نغم وكهوفه من النظام إنحازوا إلى هذه القبائل الأحمدية ، فانقطعت المواصلات بين صنعاء والقردعي ورفاقه المرابطين بقمة جبل نغم فإذا بالقردعي محصور مع رفاقه بقمة نغم ولم يكن لديهم من الذخيرة ما يمكنهم من الحركة ومهاجمة ورمي من تحتهم بجبل نغم من القبائل الأحمدية ومن انضم إليهم ، فوقفوا بالقمة مرابطين ولم يبق لديهم إلا كمية قليلة من الخبز اليابس وقليل من الماء حتى إذا نفذ كان خروجهم كما سيأتي ، وأصبح جبل نغم وكهوفه ومستودعاته بيد جيوش أحمد فتم لهم السيطرة على صنعاء والمطار والعرضي يقدفونها بالمدافع بل وبطلقات البنادق فقطعت الطريق الجنوبية مما أحبط خطة جمال جميل التي كان قد شرع في تنفيذها ويقترب الأسبوع الثالث للثورة من نهايته .

وقد عاد الحصار على صنعاء أشد مما كان في نهاية الأسبوع الثاني فقد طبقت القبائل على صنعاء إلى قرابة أسوارها ، كأنهم الجراد المنتشر الجائع يسيل لعابهم على ما تحتويه صنعاء من كنوز وذخائر وأموال ، ولم يبق لرجال الثورة إلا أن يستميتوا في الدفاع عن صنعاء ، مع محاولة الخروج من المأزق ، وذلك باجلاء القبائل عن ضواحي صنعاء بطريق الاغراء ، والتخويف بالله من نتائج تعريض صنعاء للنهب وهتك الحرم والمقدسات فكانت المراسلة بين علي الوزير وحسين الكبسي وأحمد المطاع وبين علي حمود والشيخ حسين الأحمر شيخ حاشد والشيخ محمد القفري شيخ بلاد الروس والنجيب محمد الصوفي ريس خولان ، وقد أظهر الأحمر والصوفي رغبة صادقة في الاتفاق على حقن الدماء وحماية صنعاء من الويل ، وداو غ علي حمود ، وفي يوم الأحد ١٩ ربيع الآخر من سنة ١٣٧٠ انتدب أحمد الشامي وعبد الله الشماحي للذهاب إلى قبة عبيد جنوب صنعاء أسفل جبل نغم بالقرب من بيت معياد للاجتماع مع الصوفي والقفري عملاً بالاتفاق على ذلك ، كما قرر رجال الثورة إرسال وفد إلى الجامعة العربية .

أحمد الشامي وعبد الله الشماحي مع الصوفي والقفري
كانت قبة عبيد مورد الماء ، المكان المعين للاجتماع ، وبعد الوصول إليها

من صنعاء ضرباً من المخاطرة ، فهي بيد العدو ، والطريق إليها من صنعاء
بمتناول بندقية العدو من الجانبين ، ولم يكن هناك نظام تنقيد به القبائل المحاصرة
صنعاء عند هذا الاجتماع ، ولكن حرص الشامي والشماسي ورجال الثورة على
تقليل الخطر أخرج المندوبين على سيارة مدنية تخرق بهما الطريق إلى بيت معياد
بين وابل من الرصاص وقد أصيبت السيارة بعدد من الطلقات ، وقد وصلت
السيارة إلى بيت معياد متأخرة عن الوقت المحدد بساعة ، فذهب المندوبان
الشماسي والشامي مشياً إلى قبة عبيد وقد فارقها الصوفي والقفري فيجد
المندوبان نفسيهما هناك في قبضة مجموعة من الجيش النظامي والقبائل الأحمدية
غاضبة على الإمام الوزير ورجال الثورة قتلة الإمام يحيى ، وحاولوا أن يقبضوا
على المندوبين وهم يترحمون على أبيهما شيخ الإسلام عبد الوهاب الشماسي
والسيد محمد بن محمد الشامي ، ويفرعون المندوبين بأنها عكس ما كان عليه
سلفهما ، ولم يتخلص المندوبان إلا بخطبة ألقاها الشماسي شرح فيها الوضع
وأن المطلوب حقن الدماء وإصلاح الشأن بما أمر الله به من الإصلاح بين
المسلمين ، وأن المندوبين كانوا على موعد مع الصوفي والقفري ، وقد هدأت
الخطبة ثورة المجموعة ، وطلب المندوبان منهم رفيقاً يذهب معهم إلى مقر
الصوفي والقفري فعادا مع الرفيق إلى بيت معياد الذي كان أهلها ظاهراً معنا
مخافة من مدفعية صنعاء ، وفي الباطن علينا ، ومن هناك تم الاتصال مع
الصوفي والقفري نجم عنه أن يجتمع الصوفي والقفري مع وفد فيهم علي الوزير
لتوقيع اتفاقية تصون صنعاء من ويلات التهب والخراب ويكفل بالوصول إلى
عقد صلح بين الوزير وأحمد في خلاله يقرر مصير اليمن ، وتعين يوم الأربعاء
موعداً لإعطاء الصوفي والقفري الحقيقة .

وقد استجاب الإمام الوزير إلى هذه الخطة وحرر رسالة للصوفي يذكره
بالله وما له من حقوق على اليمن وعلى قبيلة خولان ويطلب منه سحب قبيلة
خولان من حول صنعاء ، وحرر رسالة للصوفي والقفري يوافق فيها على إرسال
علي الوزير لمقابلتهما ، وفي يوم الأربعاء خرج الشماسي إلى بيت معياد متنكراً
مشياً واجتمع بالصوفي والقفري وسلمهما الرسالتين ودرس معهما الوضع وتجنم

فك الحصار عن صنعاء ، وتعين يوم السبت ثالث جمادى الأولى موعداً لاجتماعها بعلي الوزير ومرافقيه ، ولثلا يتعرض علي الوزير للخطر والرماية تقرر أن يصل الصوفي والقفري إلى جنوب عرضي الدفاع بصافيه صنعاء مع مجموعة من أصحابها ، وكان المطاع قوي الصداقة مع الشيخ حسين بن ناصر الأهر ، وقد كان أجري معه بواسطة الرسل والرسائل مخابرة توصلا فيها إلى ما يقرب من الاتفاق مع الصوفي ، ولم يبق إلا أن يصل الأهر إلى الروضة ثم يأتي إلى خارج باب شعوب يوم الأحد رابع جمادى الأولى ليجتمع بالمطاع وحسين الكبسي لوضع الخطة لانسحاب القبائل من حول صنعاء والدخول في مصالحة مع أحمد يشرف عليها العلماء والمشايخ والأعيان .

وفي هذه الأيام غادر وفد الثورة صنعاء إلى الحجاز ليجتمع بوفد الجامعة العربية .

(وفد الحكومة اليمنية الدستورية إلى الجامعة العربية)

كان الإمام الوزير وحكومته الدستورية قد اتصل بالجامعة العربية التي كان الجميع يبالغون في التعويل عليها وعلى أنها ستحل مشكلة اليمن .

وقد جرت هذه الآمال الويل والنبور على الحكومة اليمنية الدستورية ، تركتها وإمامها الوزير ، كلا على مولاهما (مولى) لا وجود له هو (الجامعة) التي تركت حكومتنا لا تعد أية عدة لا للدفاع ولا المينة الشريفة ، بل تركتنا نستصحب السلامة ، وتركنا الإمام الوزير يفرض أنه إن لم يظفر ويستمر على عرش الخلافة اليمنية ، فإن الجامعة ستقلده وتنقل الثوار من قبضة ولي العهد أحمد . هكذا تركته آماله في الجامعة ، والجامعة لا وجود لها خارجي ، فقد كانت الجامعة إذ ذاك لعبة بيد الملك فاروق وملك الأردن عبد الله ، والملك عبد العزيز آل سعود ، والأمير عبد الله ونوري السعيد .

وكل ما تملكه الجامعة هو مبناها الفخم والإسراف في الحفلات ، وإلا المواعيد للإمام الوزير ولم تف بأي وعد ، فقد كانت أغدقت الوعود على إمامنا

الوزير بواسطة أعيان الإخوان المسلمين ، وما وعدت به أنها سترسل إلى صنعاء أمين الجامعة حيثئذ عزام باشا مع هيئة من الدول العربية لوقف الحرب في اليمن وتقرير مصيره الكفيل باستقلال اليمن ، وحسم الخلاف بين المتصارعين .

وفعلا تعين الوفد باطلاع الملك عبد العزيز لخروجه على طائرة إلى صنعاء ليوقف الجانبين عن الحرب ثم يقوم إلى حجه ويقوم بجولة إلى صعده وتعز وإب والحديدة ورداع ليأخذ صورة ، عليها ينبي الحل والصلح الذي يضمن المصلحة العامة وكرامة وحياة المتحاربين ، هذا ما وعدت به الجامعة واتفقت عليه مع الإمام الوزير وولي العهد أحمد في ثاني أسبوع للثورة ، ولما عرف أحمد قوة موقفه سعى في عرقلة وفد الجامعة واتصل بالملوك الذين لبوا مسعاه ، فإذا بوفد الجامعة يهبط من السماء إلى التراب ثم إلى زبد البحر ، فيتحول من الطائرة إلى الباخرة ، فقد تفضل صاحب المعالي أمين (الجامعة) الطويل العريض عزام باشا بالذهاب لا على قدميه بل على القطار إلى ميناء السويس بصحبه بعض موظفي الجامعة والشيخ يوسف يسين والسيد حسن بن علي إبراهيم ، ومن ميناء السويس أقلعوا على باخرة مصرية قاصدين اليمن على أن يعرجوا على جدة ، وما أن وقفوا بجدة إلا واستقدمهم الملك عبد العزيز إلى الرياض ، فأبرق أحمد إلى الملك عبد العزيز يطلب منه تأخير وفد الجامعة حتى يحتل صنعاء ، لأنه يثق أنه سيحتلها قريباً ، فيوقف على الجامعة التدخل في اليمن ، وقد عمل الملك عبد العزيز باقتراح أحمد فأخروا وفد الجامعة بالرياض .

مما اضطر حكومة الثورة وهي في مأزق حرج آخر أسبوعها الثالث أن ترسل إلى الرياض وفدها المؤلف من القاضي محمد الزبيري والسيد عبد الله بن علي الوزير والفضيل الورتلاني الجزائري على طائرة فوصل الوفد الرياض وعقد اجتماع الجامعة بإشراف الملك عبد العزيز ودار حوار حاد اقتضى تكرار الاجتماعات وبرغم ما لاقاه وفد اليمن من معارضة ونقاش فما زال الزبيري ورفيقاه يواصلون جهودهم المضنية حتى اقتنع أمير الجامعة والمجتمعون بالخروج إلى اليمن ولم يبق إلا ترتيب الخروج .

وإن الوفد ليبذل جهوداً جبارة بالرياض ، ونحن نبذل جهوداً مضنية بصنعاء للدفاع عن صنعاء والثورة وتفتيت تمحيدات القبائل المطبقة على صنعاء ، إذ بعملاء وأنصار أحمد في نفس صنعاء يركزون مؤامرتهم في قصر غمدان وداخله الذي غفلنا عن حراسته اعتماداً على تعهد الإمام الوزير بحمايته ، واعتماداً على أنه مرابط فيه ، فقد تسقط اليمن وصنعاء ، ولن يسقط قصر غمدان ، وإننا لفي تطهير صنعاء والدفاع عنها والسهر على أسوارها وأبوابها وخوض قتال مرير في ضواحيها ، نتنظر صباح السبت الذي سيجتمع فيه علي الوزير بالصوفي والفقري ، وتتم اتصالات الكبسي والمطاع يوم الأحد بالشيخ حسين الأحمر ، إذ بالطعنة القاصمة تغمد نصلها المسموم في قلب الثورة وإمامها وقلعتها في قصر غمدان فيستسلم الإمام عبد الله الوزير إلى أيدي مجموعة لا قيمة لها في الساعة الثالثة بعد غروب الشمس يوم الجمعة لواء السبت ثالث جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ .

كيف نجحت مؤامرة أحمد في قصر غمدان

على أثر مقتل الإمام يحيى ألقي القبض على أولاده الموجودين بصنعاء وهم يحيى وإسماعيل وقاسم وعلي مع بعض المتصلين بهم وأودعوا في مكان مستقل بقصر غمدان بالقرب من مقر الإمام الوزير الذي تسامح معهم ورفع عنهم الرقابة بحيث أصبحوا يتصلون بمن يريدون في شبه حرية ، بينما كان أصحابهم يذهبون إلى صنعاء ويعودون إليهم بلا رقابة ولا حرج مما جعل المطاع وجمال جميل وأمثالها على نقد الإمام الوزير على تسامله ، ولكنه قال : إن عينيه مفتوحتان ، وما هناك ما يثير القلق فإنهم لن يستطيعوا أن يعملوا أي عمل .

من هنا نفذت المؤامرة في كبد قصر غمدان ، وكان سيف الإسلام يحيى ابن الإمام يحيى بطل المؤامرة فاتصل ببعض مرتب القصر وبالمواليين لآل حميد الدين في صنعاء كما اتصل بأخيه ولي العهد أحمد الذي خطط المؤامرة وأمدّها بالأموال وبمن يعتمد عليه من الرجال إلى صنعاء مع رسائله إلى مرتب القصر المهذبة والمرغبة ، فتمهدت لأولاد الإمام يحيى الأربعة الطريق إلى القيام بانقلاب

على الإمام الوزير في داخل القصر ، ولم يأت يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى إلا وكل من في قصر غمدان من نظام وشرطة ورسم مرتبط بهم ما عدا الشيخ محسن هارون وبعض أصحابه من بني الحارث ، وتم لهم الارتباط بمن في صنعاء من الرجال الذين أرسلهم أحمد ومن يعتمدون عليهم من الأسر بصنعاء وهي أسر معروفة ، ولم يبق داع للذكرها ، كما تم الاتفاق مع بعض المرتب بأبواب صنعاء وغيرها ، ولم يبق معهم إلا محسن هارون الذي عجزوا عن استمالته . وما أن غربت شمس الجمعة إلا وقد فرغوا من خطة الانقلاب في القصر وتأكدوا من استعداد قروعههم بصنعاء وضواحيها ونقم للقيام بدورهم في أول لحظة للانقلاب في القصر ، وفي الساعة الثانية من ليلة السبت أغلق باب قصر غمدان وقطع خط التلفون الذي كان يربط قصر غمدان بمقر جمال جميل ، وأطلقت المدفعية من جربة المدافع على دار القصر الذي كان يسكنها الإمام الوزير فلم يبد الوزير أية مقاومة بينما كان الشيخ محسن هارون قد وثب واستولى على جانب من القصر ومنه باب ستران الذي يتفد منه إلى ضواحي صنعاء الجنوبية .

وكان أولاد الإمام يحيى قد أرسلوا بعض أتباعهم إلى باب دار الإمام الوزير يرمون الدار ويهتفون : سَلِّمْ يا وزير فصنعاء قد استسلمت ولم يبق إلا أنت ، سلم وإلا هدمنا الدار عليك ، وفي استسلامك سلامتك ، فارتبك الوزير وأجاب إلى الاستسلام فعارضه الحاج عزيز يعني والقاضي محمد السياغي ومن معها مطالبين بالمقاومة ثم المفامرة بالخروج من الدار والاتصال بالشيخ محسن هارون الذي ما يزال يقاوم ويحاولون معه انتزاع جربة المدافع فإن نجحوا فذاك ، وتمكنوا من القضاء على الانقلاب في القصر ثم من السيطرة على صنعاء ، وإلا فإن الموت أشرف من القاء أيديهم إلى عبد الله السمة ورفاقه ، ولكن الإمام الوزير لم ير في المقاومة ثمرة فطلب الأمان واستسلم ، وذهب مع رفاقه إلى يحيى بن الإمام يحيى الذي أودعهم الحبس وأمر بإشعال النيران على منارة القصر وداره ائذانا بالانتصار على الإمام الوزير في القصر . واعلاما للمتآمرين في صنعاء بنجاح الانقلاب وإشارة لهم ولن في نقم وضواحي صنعاء للقيام بدورهم .

الدور الذي لعبه أتباع أحمد بصنعاء

ليلة السبت ٣ جمادى الأولى عام ١٣٦٧ هـ

كان هؤلاء الأتباع قد اتفقوا مع المتآمرين بقصر غمدان على خطة منسقة الخيوط ، منها اشعال النيران من قصر غمدان من اعلى الدار الذي كان بها الإمام الوزير ومن منارة غمدان إيداناً بأن عملية الانقلاب في قصر غمدان قد تمت وتم التغلب على الوزير ، وما أن ظهرت النيران من غمدان إلا وأولئك الأتباع في انتظارها على سطوح منازلهم المعدة عليها رزم الرماد المعجونة بالبترول ، وقد جمع أولئك الأتباع إلى جانبهم ويوعهم الكثير من الجيش النظامي المرتبطين معهم ومن المتسللين من القبائل ومن أرسلهم أحمد إلى مجموعة من الهتافين والصخابين .

وما أن ظهرت النيران من قصر غمدان حتى أشعلت النيران من على سطوح دور أولئك الأتباع الذين لا نذكرهم الآن ، ومن دور غيرهم المعروفين ، يصاحبها إطلاق نيران البنادق من السطوح والعتافات العالية من السطوح ومن الشوارع : بأن الإمام الناصر أحمد دخل قصر غمدان وقبض على عبد الله الوزير ، وأن الناس آمنون بأمان الله وأمان الإمام أحمد ، وانطلقت هذه الإشاعة تجوب صنعاء ، وما هي إلا بعض ساعات وإذا بصنعاء شعلة من النيران على السطوح المرحبة رغبة ورهبة بالإمام أحمد وانتصاراته ، تصب اللعنات وكلمات التشفي والشماتة على الوزير ورجال الثورة كمثل : لعن (الله قتلة الإمام يحيى ، يا ويل من عنده لجمال العراقي بندق يا يتم عياله يتما) ، وفي غمرة هذه المباغته المذهلة كان رجال الثورة كل بركنزه في صنعاء وبير العزب وعلى أسوار صنعاء ، والاذاعة بأيديهم تلبع الأخبار وزحف السيد حسين الحوثي من تهامة على حجة والسيد أحمد الشامي يحرض من الإذاعة الأحرار على التضحية وعلى الصمود وآداء رسالتهم الوطنية ويختتم كلمته بقول شوقي .

وللدحرية الحمراء بساب بكل يد مضرجة يلق

ثم تجمع الكثير من رجال الثورة إلى الرئيس جمال جميل يركز قيادته بباب السبعة وكان موقفهم في هذه الليلة كما يلي .

رجال الثورة ، وليلة السبت

كان الموقف بصنعاء في الأسبوع الأخير من الثورة قد تجهم وأحس رجال الثورة : أن هناك بصنعاء حركات سريعة ضد الثورة ولم يمر بخلداهم أن مركز المؤامرة هو بقصر غمدان ، فوجهوا اهتمامهم لكشف حقيقة المؤامرة خارج قصر غمدان بصنعاء المحاصرة وفي يومي الخميس والجمعة غرة جهادى الأولى وثانية كانت المعلومات قد وجهت الاهتمام على أسر بارزة معلومة ومن على مستواهم ندع بيانهم ، واتخذ الرئيس جمال جميل قراراً بالقبض على هذه الأسر وعلى تفتيش دورهم ، وتطهير صنعاء من كل مشبوه ، ولم يبق إلا تصديق الإمام الوزير على تنفيذ القرار الذي أرسل إليه عند غروب شمس الجمعة ، وقد كان يعارض مثل هذا الاجراء ، وبعد أخذ ورد معه وافق على تنفيذ القرار ، وبدأ الرئيس جمال بمساعدة محيي الدين وغيره في تطبيق القرار من بعد مغرب الجمعة فقبض على بعض أعيان تلك الأسر وأودعوا لدى الرئيس جمال بباب السبعة .

وإن حركة التطهير لفي بدايتها ليلة السبت إذ بصنعاء بالساعة الرابعة من هذه الليلة شعلة وصراخ وطلقات بنادق ورشاشات تعلن كلها أن أحمد مترجع بقصر غمدان بين يديه عبد الله الوزير مستسلماً منحنياً ، وما على الناس إلا أن يلزموا بيوتهم آمنين بأمان الإمام أحمد (خذعة) ماهرة من خدع الحرب ، أبرمت بحكمة مما جعل رجال الثورة في ارتباك غير مصدقين بأن قصر غمدان قد فلت من يد الوزير فتجمعوا إلى مقر الرئيس جمال فحاول الاتصال بالوزير في قصر غمدان فإذا بالتلفون مقطوع ، فقرر المتجمعون أن يتفرقوا لحماية الأمن وأبواب صنعاء والإذاعة ولكن خطة المتأمرين كانت محكمة الخلفات ، فقد تم لها أن تنشر الذعر في صنعاء بوجود أحمد بغمدان ، وتدفع القبائل المحاصرة صنعاء على مهاجمة أبواب صنعاء في ضراوة فلم تلق بمعظم الأبواب مقاومة قوية فإن الذعر استولى على من بقي من الحاميات الموالية للثورة في الأبواب والأسوار مما جعلهم

يتسابقون في إظهار الموالاة لأحد ، واستولى المتآمرون على الإذاعة ، وضعت كل مقاومة من رجال الثورة عبثاً ، ودخلت القبائل تندفع من الأبواب كالإعصار إلى قلب صنعاء وأحاطت بمقر قيادة الرئيس جمال تصب عليه وإبلا من الرصاص من كل جهة ومن قصري السعادة والشكر اللذين احتلها السيد أحمد عبد الرحمن الشامي لحمايتهما ، وقد قاوم جمال مقاومة الأبطال ، ولم يبق لديه إلا أفراد لا يتجاوزون العشرة منهم محمد السعيد ، وهنا خرج جمال من باب خلقي في مقره نحو قصر غمدان ليتأكد من الموقف بالقصر فوقع في الفخ وقبض عليه ، وهناك بجانب بير العزب الأستاذ محيي الدين وغالب الشرعي ومحمد أحمد عبد الرحمن الشامي وعبد الله الشماحي وبعض شباب المدارس والضباط استمروا في المقاومة عن الجانب الجنوبي الغربي من بير العزب إلى صباح السبت بينما انطلقت في ظلام الليل قطعان القبائل في قلب صنعاء تهاجم البيوت والمحلات التجارية وتقتل وتسلب في غير تمييز ولا رحمة ، ولم يبق لرجال الثورة إلا أن يفكروا في مصيرهم ، وقد حاول الكثير منهم الفرار ولم ينجح منهم إلا القليل ووقع الباقون ومن لم يفر في قبضة القدر التي أسلمتهم إلى حكم أحمد كسا بهتري بعد وصف مأساة صنعاء ليلة السبت وما بعدها .

مأساة صنعاء ليلة السبت وما بعدها

صنعاء سرّة اليمن ، وموحي التاريخ ومستودع التفكير الخلاق البناء قبل الإسلام ومحك الفلسفة الاعتزالية والزيدية والاسماعيلية في القرون الأخيرة ، وملتقى القبائل العسكرية الكهلانية والحيمرية الصعبة المراس ، ومسرح صراع الطغاة والغزاة مع الأحرار وحملة العرين اليمني .

صنعاء الرابضة في قلب سهلها الذي سخت الطبيعة عليه بالهواء الطلق والنسيم العليل والتربة الخصبة ، والمياه الغزيرة المتدفقة من الينابيع الظاهرة والجوفية ، ومن مواسم السحب المنتظمة ، (صنعاء) المنضدة والمنطقة بالرياض الغناء ، والروج الناضرة ، التي جعلت صنعاء عروسة الجزيرة العربية ، كأنها النجوم الزرقاء على ديباجة خضراء ، في كبد سهلها الخلاب غير المنفوق ، لقد احتضنته الطبيعة بتلك الجبال المتناسقة الشاخنة كثيرة الأغوار والمنعرجات العامرة

بالمعادن والمياه ، ومصادر الثرى ، ويقبيلها ذات النفور والمغامرات والشراسة والأباء .

صنعاء مهوى أفئدة أبناء اليمن ، ومطمح أطماع الغزاة والطفنة ومريع مؤسسي الحكومات والأسر ، صنعاء صعبة القيادة فليس بها مقر لحاكم ضعيف ، ولا مطمأن للحكومة بدأ الترف يسوقها إلى الانحلال والميوعة ، صنعاء أم الثورات ومهد الثوار ومثقة الأحرار والأبرار ، ومشار الأراجيف على ساكنيها والحاكمين فيها أراجيف لزمت بمدلولها مواطفي صنعاء لزوم الحرارة للنار .

حين اتخذ الصنعانيون أنفسهم لمدلول الأرجاف لفظ (الوقز) وكان الذي وضع هذه اللفظة كان من حكماء عامة صنعاء الذين جرعتهم الأراجيف بكاسها المسمومة المريرة ، وجرت إلى صنعاء ومواطنيها الكثير من الأخطار والويل ، إن الأراجيف التي ألع بها الصنعانيون هي على أنفسهم وعلى من يستظلون بحكمه لا ضد عدوهم بل لتقوية عدوهم وأيها تضامنهم ، على هذا درجت الأجيال والأراجيف تنخر في تضامنهم عند الشدايد نخر السوس للخشب ، فصدق الذي أطلق على الأرجاف لفظه (الوقز) فالوقزة في عرف اليمنيين هي (السومة) .

استغل أحمد وأتباعه هذه الطبيعة إلى جانب الوهن الطاريء على خطة الإمام الوزير فكان ما سبق من سقوط الوزير ، وسقوط صنعاء بأيدي القبائل ، فيدخلها قرابة ربع مليون من القبائل لا هدف لهم إلا نهب وتدمير العمران ، دخلت هذه القبائل صنعاء بين زغردة أهالي صنعاء وأراجيفهم وإشعال النيران بانتصار الإمام أحمد رغبة ورهبة وبلا شعور ، دخلت مسلحة بالبنادق والفؤوس والمعاول والجمال والحمير ، غير ناظرين إلى زغردة ولا نيران ملتهبة ، ولا صيحات بهم ويأحمد مرجبة ، فكلمًا كانت تنظره تلك القبائل المغيرة هي الأموال والذخائر التي تزخر بها صنعاء ، فقد اندفعت تلك الجيوش تهاجم البيوت والمتاجر والأكواخ والمساجد ملتهمة كل ما فيها ، متناحرة فيما بينها ، واستمرت في همجيتها طيلة السبت وسبعة أيام حسوماً ، ذاقت فيها صنعاء من الهول ما ينطبق عليه تصوير ابن الرومي في هذه القطعة .

كم اغصوا من شارب شراب كم اغصوا من طاعم بطعام
 كم ضنينا بنفسه رام نجوى فتلقوا جبينه بالحسام
 كم أباً رأى أعز بنيه وهو على بصارم مصمصام
 كم أخاً رأى أخاه صريعاً ترب الخدبين صرعى كرام
 كم مفدى بأهله أسلموه حين لم يحمه هنالك حامي
 كم رضيعاً هناك قد فطموه بشبا السيف قبل حين الفطام
 هاجمهم فكابد القوم منهم طول يوم كأنه ألف عام

أسبوع حل بصنعاء يعادل ألف عام ابن الرومي ، تحملت فيه صنعاء من الهول ما تأود له الراسيات بمشهد من الحسن وتشجيع من إسماعيل وعباس وقاسم أبناء الإمام يحيى ومن علي بن حمود وأضرابهم الذين لم يتر لهم أمام هذه الجرائم ضمير ولا عاطفة ، وكل ما اهتم به هؤلاء القادة في هذا الأسبوع هو حراسة قصور الإمام يحيى وكهوفه والدفاع عنها من مهاجمة القبائل لنهب ما فيها من أموال وذخاير وأسلحة وذخيرة ، تركز إهتمام القادة هؤلاء على الدفاع عن هذه الأموال مع الاهتمام بتتبع رجال الثورة وكل مستنير للقبض عليه أو قتله أو سجنه ، ولم يكتف بعض هؤلاء القادة وأذنابهم بتشجيع المغيرين على الفساد بصنعاء ونهبها .

بل انطلقوا في عصابات لأنفسهم ينهبون ويرتكبون أبشع الجرائم اندفاعاً أشبعوا به ثروتهم وخزائنها ويطونهم وجيوشهم ، ولقد كان إسماعيل بن الإمام يحيى يهاجم البيوت فيسلب ويهتك ، ثم يقف على عربيته أو متن فرسه في الشوارع يسخر بأفواج المدهوشين الهائمين من أهالي صنعاء ويضحك من مناظر صفوفهم الطويلة المشتبك فيها الرجال والأطفال والنساء وهم تائهون وشبه عرايا الذي أصبح معظمهم لا يعرف أين أفراد أسرته ، على هذه المناظر يفقه إسماعيل وأمثاله .

ويأتي علي بن حمود فيلدوس بخيله ورجله الاشلاء ويقتل ويتبر ، ويلتقي الجميع حول اطفال الوميض المنطلق مع الثورة من الحياة المتطورة ، ولن يحمده

ذلك الوميض ما بقي رجل من رجال الثورة ، فإلى رجال الثورة ومصيرهم بعد فشل الثورة .

رجال الثورة بعد فشلها

بشيخ أحمد بحجة لهذا الفوز الخادع حقا بظهوره ، وهو فوز فوق ما كان يترقبه ويتنظر فقد تخلص من أبيه ومن مزاحمة إخوته ، وفي يده يسقط أعظم منافسيه في الملك والإمامة (عبد الله الوزير) وكل معارضيه وناقديه وأصبح هو الحاكم المطلق لليمن والإمام المستبد ، ومن حجة أصدر أوامره إلى جميع أنحاء اليمن بجمع كل رجال الثورة وكل مفكر ومتحرر والاحتفاظ بهم في السجون وتقديم إحصاء لهم إليه .

فانطلق كل مأمور في تتبع رجال الثورة يقتنصونهم من بيوتهم ويتبعون من فر قبض في صنعاء ليلة السبت ويسومه على عدد كبير منهم الإمام الوزير ومن كان معه في قصر غمدان منهم الحاج عزيز يعني المطري والقاضي محمد السياغي . والشيخ محسن هارون . وفي صنعاء قبض على الأمير علي الوزير وجمال جميل . وحسين الكبسي . وعبد الله السلال . وحسن العمري . وعمي الدين العنسي . وأحمد الخورش . وأحمد البراق . وأحمد المروني . ومحمد أحمد المطاع . وعبد الله المجاهد الشماحي . والحاج حزام المسوري . ومحمد الحلبي وعلي السمان . وغالب الشرعي . وعلي الشرعي . وأحمد محمد الشامي . ومحمد أحمد عبد الرحمن الشامي . وعبد الوهاب نعمان وحمود الجايقي . وأحمد محبوب . ومحمد الغفاري وعلي السنيدار وغالب السري ، وقد فر بعض الأحرار منهم أبو الثورة أحمد المطاع فقبض عليه في الحيمة والعزى صالح وعبد السلام صبره وعلي عقبات فوقعوا بقبضة المتربصين بالطرقات ونجا حسين المقبل فاجتاز الحدود وكان الشيخ علي بن ناصر القردعي بقلعة نغم قد نفذت عليه اللخيرة والزاد والماء ، وفي مقاومة الأبطال الخالدين اخترق المحاصرين له بنغم حتى بلغ خولان فغدير به وقاتل حتى قُتل ، وكان الشيخ محمد أبو راس قد وصل إلى صنعاء وهي محاصرة فقبض عليه وسجن بصنعاء ، وفي آب قبض يوم الأحد

رابع جمادى الأولى على القاضي عبد الرحمن الأرياني ورفاقه كما سبق ، وقد تركنا الأستاذ أحمد نعمان ورفاقه بسجن ذمار ، وفي سجن حراز المشوكي ورفاقه .

وانطلقت الأيدي في كل أنحاء اليمن تتبّع رجال الثورة والتوير والشباب المثقف في كل مدينة وقرية إلى السجون تقدمهم ، ويمضي الأسبوع المشؤوم الأول على فشل الثورة وقد غصت السجون في اليمن بصفوة الشعب اليمني من علماء وقواد ومشايخ وشباب وضباط ، وأحمد بحجة يستقبل وفود المهثين وبرقياءهم وأسماء المسجونين ، وهو من جهته ومعلوماته الشاملة يتتبع الشخصيات التي تهمة فيأمر بالاحتباس على من قد سجن منهم وبالقبط على من لم يهتد إليه أولئك الأذئاب حتى عرف أنه اقتنص جميع الشخصيات التي طالما يتطلع إلى فرصة اقتراسه لهم ، ولم يفته إلا الزبيري وعبد الله بن علي الوزير والفضيل وأما من عداهم فقد وقعوا من الخارج والداخل في قبضته ، وها هي سجون اليمن تغص بهم فيصدر أمرا إلى جميع الألوية بتصفية المسجونين وسوق معظم الصفوة منهم الذي نص عليهم في الأغلال إلى حجة وإبقاء من عداهم في سجونهم حيث ما هم .

صفوة الشعب تساق إلى حجة

بعد التصفية بدأ إرسال الصفوة إلى حجة في دفعات منظمة يطوف بهم على مدن اليمن وقراها التي يمرون بها وهم محاطون بالجنود والأغلال في أعناقهم أو المغالق في أيديهم كما ترى في هذه الصورة أحمد الشامي وعبد الله الشماحي والشهيد حسين الكبسي ثلاثهم مقرونون والمغالق الخشبية الثقيلة الطويلة في يد كل واحد من الثلاثة ، وكلما مرت الدفعة بقرية أو مدينة أوقفوا عن السير ترشقهم الغوغاء بالحصى والتراب والقاذورات ، وتقدفهم بالبصاق والشتائم ، وإذا فارقوا المجتمع واصلوا السير على الأقدام أو على السيارات ، وهكذا دواليك إلى أن يقدم بهم حجة ، وهناك يمر بهم في أزقة حجة الضيقة المنعرجة بين كتلات من الجماهير المتجمهرة على جوانب الطرقات وعلى الربا والبيوت ، وكلهم كأنه في مسرح رقص ومكرة نصر ونوبة جنونية يسفرون بالقادمين في



الأغلال ويشمتون بهم ويقلدوهم بالتراب واللعنات بين ضرب الطبول وطلقات
البنادق، (والمحجرة) أي زغردة النساء والمغارد والزوامل (أناشيد المجموعة من
الرجال)، والبرع (رقص الرجال على الطبول) وهكذا إلى أن يصل الأسارى
إلى ساحة قصر الإمام أحمد نحو ساعة إلى ثلاث ساعات. يتلقون اللعنات
والخطب، القصائد المشحونة بأنواع التكفير والتضييق، وقد يطل عليهم أحمد من
على ثم يسار بهم إلى السجن (نافع) للمغضوب عليهم والقاهرة لطبقة مغضوب
عليها من طبقة منظور إليها (والمنصورة)، لأن الغضب عليه محدود أو غير وطني
حقيقي، أول دفعة إلى حجة هو السيد محمد بن محمد الوزير والشيخ عبد الله

أبو لحوم ومجموعتهما على أثر معركة شبام في الأسبوع الثاني للثورة قبل سقوط صنعاء ثم الأمير عبد الله بن أحمد الوزير بعد سقوط صنعاء وتنزله عن الإمامة لأحمد مع جماعته . ثم الرئيس جمال جميل والأمير علي بن عبد الله الوزير . وقد سجن من آل الوزير كثيرون بقاهرة حجة منهم محمد بن محمد وعبد الله بن أحمد إمامنا الدستوري وثلاثة من أولاده وأخوه محمد بن أحمد وابناه عبد الله بن محمد وإبراهيم بن محمد ومحمد بن علي وأبناؤه أحمد وعبد الصمد وعباس وعلي بن عبد الله الوزير وأولاده عباس وإبراهيم وزيد وقاسم ، الدفعة الثالثة إلى حجة معظم من سبق ذكرهم المقبوض عليهم ليلة سقوط صنعاء مع غيرهم ويقدرهم بسبعين وقد اجتمعوا بسوق شرس بالاستاذ أحمد نعمان ورفاقه وقدرهم نحو ثمانين وكانوا في الأغلال ونحن في المغالق وفي شرس أعطينا أكلة بحق شهية تمكن ذوو الأغلال من تناولها بأيديهم .

أما نحن ذوو المغالق فدون تناولها بالأيدي أهوال وقد أطعمنا الجنود المحافظون علينا ، وبعد هذه الأكلة بشرس حملتنا السيارات نحن والموكب النعماني إلى حجة بين تلك الجماهير ومظاهرها وفي ساحة سعدان قصر الإمام أحمد أفرغت السيارات إلى الساحة التي وقفنا بها أكثر من ساعة ، وكلما حولنا من أغوار وجبال وبيوت وأشجار قد غطتها الجماهير الصاخبة الشائمة المصفقة المزردة الراقصة المطبلة ، وبعد أن أخذنا النصيب الوافر من ذلك المهرج والمرج أخذ أحمد الجرافي وحسين مطهر ومحمد العلفي وعلي لطفي ومحمد أحمد الشامي إلى حبس المنصورة ، وسبق الموكبان النعماني والصنعاني إلى سجن نافع ثم تابعت الدفعات ، فقد جاء الموشكي وجماعته وعلي عامر ، وعلي الغفري ، والحاج محمد هاشم ، وعلي تلهي وجماعته ومن آخرها القاضي عبد الرحمن الأرياني وجماعته يتلقاهم سجن نافع فيلتهمهم التهام الليل أضواء النهار .

ويستقبلهم في سجن حجة السابقون الأولون من إخوان لهم ، في مقدمتهم الأستاذ قاسم غالب المعافري والشيخ صالح المقالح والشيخ نعمان محمد نعمان ورهين نافع الأخ سالم الزرتوقي والشاعر السيد محمد بن علي المطاع

وغيرهم ممن سبقونا وسبقوا ثورة ١٣٦٧ هـ إلى السجن الرهيب نافع وعاشوا فيه وفي سراديبه ردحا من الزمان قبل أن يتلع رجالات ثورة ١٣٦٧ هـ .

(ما وراء سجن نافع)

فشلت الثورة فمرت اليمن المتوكلية بمحنة قاسية استحكمت حلقاتها في أول عام من فشل الثورة ، فرجالات اليمن من قادة ومستنيرين وأحرار وهم صفوة الشعب وحصيلة أربعين عاماً وقعوا في قبضة الإمام أحمد الذي أحنت له رأسها اليمن والتف حوله إخوته سيوف الإسلام وأشركهم في الحكم وزال ما بينهم من خلاف ، وتأكدت الصلة والصدقة بين الأسرتين المتوكلية والسعودية وتضافرت العوامل والظروف على تدعيم الإمام أحمد الذي التزم خطة أبيه في سياسة العزلة ولم يأخذ بخطة أبيه في تدويب الشخصيات تدريجياً بل اتخذ سياسة التقتيل والسجن ، وها هم قد سقطوا بين يديه من كل صوب من الخارج والداخل وفي سجن نافع وغيره قذفهم ، ثم انتقل من حجة إلى القاعدة بلواء تعز ليثبت موقفه بالجنوب ، ومن القاعدة بتعز إنطلق في التخلص من رجال الثورة والشخصيات التي يرى فيها الخطر، يصدر أوامره إلى حجة وصنعاء بإعدام من يراه ، وابتدأت المجزرة بالسيد زيد الموشكي والإمام عبد الله الوزير اللذين أعدما بقاهرة حجة ضرباً بالسيف ثم تتابع الإعدام بحورة حجة وبصنعاء يخرج من السجون جماعات جماعات بين صيحات الجماهير وتصفيقهم ، وهتافات أدعياء ثورتنا بالأمس وتحريضهم وكان يوم الجمعة هو موسم الإعدام قل أن يعلم في غيره .

وخيمت على اليمن سحابة استسلام قائمة جثم ثقلها على صدور الأحرار بالسجون ، لا لما يقاسونه من مرارة السجن والقتل بلل تخوفاً على الشعب من سوء المصير الذي يقوده إليه أحمد ومهد له أغترار قادة الثورة بمظاهر الانتصارات البدائية فتركوا الحزم والأخذ بالحيلة والحذر وتركوا صفوفهم مفتوحة لأدعياء الثورة حتى حل بالثورة وقاداتها واليمن ما تعيشه اليمن اليوم من مأساة وما يرتقب لها من مصير أسوأ إن لم تتدفع الجمهورية وقاداتها بالحزم والاصلاح .

إن فشل الثورة وما وقع فيه قادتها وشبابها من سجن وقتل لم يسلب قادة الثورة إيمانهم بنظريتهم وعدالة قضيتهم وقد أقلقهم ما وقعت فيه اليمن نتيجة التخطيط الناقص للثورة ثم ترك الحزم بعد الثورة وراح المصير القاتم يرقص بأشباحه المخيفة أمام أفكارهم وفي ضمائرهم .

إن تصور هذا المصير أنساهم فشل الثورة والسجن وهوله وأسرههم المحرومة المشردة ، والسيوف المصلثة على رقابهم فراحوا يفكرون فيما يجنب الشعب هذا المصير .

وإننا نلمس هذا الشعور والخوف والإيمان من هذه القطعة من قصيدة لعبد الله الشماحي وهو بسجن نافع لحجه .

ماذا وراءك أيها الأسوار	قدر يحن وأمة تنهار
الجهل أشقاها وعن أبوابها	صرف الحياة ونورها أعصار
فامتسلت عن طيبة لعداتها	وهنا النصوح بامرها يختار
لا السجن والتقتيل يرهب عزمه	والشعب فيه للمصير خيار
وأراك يا شعبي الخيار سلبته	فعل مصيرك يحكمم الجزار
هذا الذي في السجن أقلق خاطري	وأنا عليك وإن جفوت أغار
فلأعملن مع الرفاق لغاية	هي أن يحمر شعبي الأحرار
من ها هنا من سجن نافع نبتي	فالسجن تهدم سوره الأفكار
ولسوف يعلم أحمد وسيوفه	أن الشعوب بكفها البئار
ولما وإن طال السرى حكم القضا	ولكل شيء غاية وقرار

وينقضي عامان على سقوط الثورة وقد قتل من قادات الثورة وأعلامها صبراً عشرون بحجة هم ، عبد الله الوزير ، وعلي الوزير ، ومحمد بن محمد الوزير ، ومحمد بن علي الوزير ، وعبد الله محمد الوزير ، وعبد الله بن حسن أبوراس ، ومحمد بن حسن أبوراس ، وحسن بن صالح الشايف ، وعسن هارون ، وعزيز يعني ، والحادم غالب الوجيه ، وزيد المشوكي ، ومحمد السمري ، وأحمد المطاع ، وحسين الكبسي ، وعبي الدين العنسي ، وأحمد

الحورش ، وأحمد البراق ، وعبد الوهاب نعمان ، وأحمد ناصر الفردعي .

وقتل بصنماء وتعز علي منسوب ، وعلي محسن هارون ، ومحمد ربحان
ومحمد قايد الحسيني ، وحسين الحسيني وعلي العنمي ، وجمال جميل العراقي
وأخير الآلاي محمد سري الشائع والعنجه . مر هذان العمامان المشؤومان وقد
طارت إلى ربها تسعة وعشرون روحاً من أعلام اليمن والإسلام لا يعوض
الواحد منهم بالآلف رحيم الله ، ولقد مضى العمامان وما من ساعة إلا وكل
المسجونين ينتظر كل واحد أنه سيدعى لتضرب عنقه بساحة الشهداء حوره ،
ومع ذلك فما ترى واحداً ممن استشهد أكثر بالموت وهو يساق إليه ، لقد كانوا
يمضون إلى النطع والسيوف في عزة المؤمنين متبسمين وفيهم استبشار ، عزة وإيمان
يتمثلان في قول^(١) محيي الدين العيني عندما تقدم إلى الإعدام قائلاً .

ومن لم ينله السيف من الأحرار المسجونين فقد استمروا في انتظار الشهادة
ليلحقوا بإخوانهم الشهداء ، ولم يكن يحز في قلوبهم إلا أن يتمكن أحد والجهل
من إخماد روح التحرر والثورة فيتناسوا ما هم فيه وما ينتظرهم وراحوا يفكرون
في اتخاذ خطة تقذح روح الثورة ، وتبعثها من جديد .

وبعد طول تفكير قرر أولو الرأي أن تبدأ الخطة بخطوتين مزدوجتين بهما
يتوقف القتل فيتمكن من بقي من قادة الثورة وشبابها من أداء الرسالة وإحياء
الثورة من جديد على ضوء التجارب والعظة من الثورة الأولى وفشلها وهاتان
الخطوتان المزدوجتان هما : إثارة الخلاف بين أحمد وإخوته ، وثانيهما توعية من
نلمس منه استعداداً من الرسم وجنود السجون وشباب رهائن القبائل الذين
نختلط بهم أحياناً .

ولقد نجحنا في اجتذاب مجموعة من الجنود والرهائن ، وكان هؤلاء البررة
رسل دعاية إلى خارج السجون ، تغيرت بهم نظرية الكثير من السخط والإحتقار
والتفكير إلى العطف والاحترام والتقدير للمسجونين والشهداء والثورة ، وكان

(١) كم تغيرت في سبيل بلادي وتعرضت لفحش مراراً
وأنا اليوم في سبيل بلادي أبذل الروح راضياً غنائراً

لیسلم لیسلم
 اعدوا المهادن
 خجالین وعامالین
 دسیہ الدکور غطیم
 وایحیہ علیہ وایحیہ قمر
 سندہ وقد رست ہمالیہ
 مدحار ہوا اللہ رسا
 وھدا بعد النبا
 حبیبہ والتمانی والبعدر

لأحمد محبوب النصيب الأوفر في التأثير الفكري والتوجيه الروحي في الجنود
 والرسم والرهائن .

وعن طريق هؤلاء الرسل من الجنود والرهائن انطلقت أول رسالة من
 سجن نافع إلى تضامن الإمام أحمد وأخوته سيوف الإسلام وما تلك الرسالة
 إلا إثارة مطامع سيف الإسلام محمد البربرين الإمام الناصر أحمد في ولاية العهد .

هذه الرسالة هي الرد من الإمام أحمد على الرسالة السابقة .

ولاية العهد

بدأت فكرة ولاية العهد من نافع وقاهرة حجة ، وإلى البدر محمد بن الإمام أحمد نقلت في مظهر خلاب بواسطة السيد محمد بن أحمد الشامي الذي كان بحسب المنصورة أشبه بطلين وبواسطة السيد حمود نائب حجة وغيرهما وقد أثرت عليه الفكرة ، واجتذبت به بيريقها الذي جعله يتطلب لها أنصاراً يدعون إليها ، ويؤثرون على أبيه ، فيشار عليه : إن خير من يضطلعون بالدعوة هم في السجون .

ومن هنا ومن أوائل العام الثالث لفشل الثورة أي عام تسعة وستين هجرية بدأت صلة محمد البدر بالقاضي عبد الرحمن الأرياني والأستاذ أحمد نعمان والسيد أحمد بن محمد الشامي وغيرهم من قادة الثورة المسجونين ، وتشبع البدر محمد بفكرة ولاية العهد ، وإن أداة تحقيقها يكمن في السجون ، وسارت بمرحلتها الأولى سرية لم يطلع عليها لا سيف الإسلام حسن ولا إخوته ، واهتم البدر بوقف المجازر في المسجونين ، وراح بطريقته الخاصة المقنعة يثير عواطف أبيه على إخوته وبدأ في نقل بقية المسجونين من نافع إلى القاهرة حجة ووسع لهم في نفقاتهم وفي الدراسة والمطالعة والتأليف فعلق القاضي محمد الأكوع على الجزء الأول والثاني من الأكليل تعليقاً هاماً وشرح القاضي عبد الرحمن الأرياني والقاضي عبد الله عبد الله ديوان الأنسي الحميني ، وألف القاضي عبد الشماحي نبذة تاريخية أهداها إلى البدر محمد وشاد به وبمواهبه ، مما ضاعف طموح البدر إلى ولاية العهد ، وتحولت القاهرة حجة إلى جامعة من أساتذتها الأرياني ومحبوب والمروني والشماحي وحسين الخوئي وأحمد الشامي ومحمد الوزير وأحمد الوزير وإبراهيم الحضرائي وأحمد المعلمي والأستاذان أحمد نعمان وعلي ناصر العنسي ومحمد الأكوع وعبد الله السلال وعلي الغفري وغيرهم تخرج فيها إبراهيم الوزير وزيد الوزير وقاسم الوزير وإبراهيم الوزير ومحمد بن عبد الله الوزير وعلي عبد الله السلال وعبد الله عبد السلام صبره وعبد الله بن عبد الله الشماحي وغيرهم وأحمد جعمان من الرهاين .

وقد كان لوجود الأحرار في حجه وهم خلاصة جيل بأكمله من المفكرين

والأدباء والشعراء وذوي الخبرة أثره على حجة أولاً ثم امتد إلى آفاق بعيدة فتناول قسم الشمالي وقبائلها بما كان يحمله الرهائن وزوار حجه والسغباء من سائر الانحاء لا سيما من الشمال لارتباطها بمركز حجه وهذا التأثير ما زال يعمل عمله في أفكار محصورة من الشباب أمثال محمد المحطوري عبد الوهاب بن حسن الشماحي ويحيى بن حسن نصار وعبد العزيز المقالح ومحمد الشهاري وعبد الوهاب جحاف وعبد الرحمن حميد ومحمد عبد الملك ومحمد الناظري وعبد الله عناش وغيرهم كثير .

وفي هذا الجو راحت فكرة ولاية العهد تنمو ومن حجة وقاهرها تضرع نارها فتتسع فتلاعب عواطف الإمام أحمد وتداعبها فتتسلسها ، ويبدأ الإمام أحمد في تدعيم مركز ابنه البدر في الخارج والداخل ؛ وينشرح إلى ما يسمعه من الثناء على ابنه البدر ، ويبدأ أحمد في الانقباض عن إخوته ومحاولة إزاحتهم عن طريق ابنه البدر ، وكان قد ارتاح بموت أخيه سيف الحق إبراهيم بحجة مسموما في السجن ثم بموت أخيه سيف الإسلام يحيى ابن الإمام يحيى وقد كان هذا يحيى أخطر إخوته وأشرفهم نفساً لم يشارك إخوته إسماعيل وعباس في جرائمهما التي ارتكباها في أسبوع مأساة صنعاء بل ترفع عن ذلك ودافع عن كثير من الأسر ، مع أنه بطل انقلاب قصر غمدان ، وقد قيل أن أحمد تخلص منه بالسهم ومهما يكن فإن أحمد ارتاح بموته ، ثم زج أحمد أخويه إسماعيل وعلياً في سجن حجه بيت المؤيد مع الحسن بن علي .

ويبتدئ الاحتكاك بين الإمام أحمد وأخوته بشأن ولاية العهد ، وراح كل من البدر وأعمامه يدعوا إلى فكرته ، ويكسب أنصاراً ، فاستقدم البدر وهو بالحديدة من حجة السيد أحمد الشامي والقاضي عبد الرحمن الارياني والأستاذ نعمان فيدفعون فكرة ولاية العهد إلى دور العمل ويقف أحمد الشامي يعلن ولاية العهد في قصيدة رائعة يمدح بها أحمد ويشرح بها مواهب البدر ثم يخاطبه بما يتطلب منه الشعب ومستقبله ، ويختتم الخطاب بهذين البيتين .

إذا لم تكن أنت الخليفة بعده وفاءً وشكراً بل جزاءً عثماً

فلا نبضت للشعب روح ولا علت له راية حتى يكب جهنسيا
وقد هزت هذه القصيدة الإمام أحمد بتعز سمح معها لدعوة ولاية العهد
بأن تنطلق إلى إعلانها وطلب البيعة لابنه البدر من عموم أعيان اليمن وعهد إلى
القاضي عبد الرحمن بتحرير صيغة البيعة مدعمة بالحجة فقام القاضي عبد
الرحمن بذلك ، وبناء عليها أخذ البيعة للبدر من علماء زبيد ومن في تعز من
العلماء ورجال الدولة ، وقد أسرع الجميع إلى ذلك تزلفاً للإمام أحمد غير آبهين
إلى ما رمى إليه الأحرار من الدعوة إلى هذه البيعة من بذر بذرة الخلاف بين
أفراد الأسرة وتمزيق وحدتها .

ويتلقى القاضي عبد الله الشماحي وهو ما يزال بحجة رسالة من البدر
مرفقة بتعليمات من الشامي لأخذ البيعة للبدر بولاية العهد في لواء حجة فراح
الشماحي يدعو إليها ويلهب الجماهير بخطاباته المقتنة ، وفي أثناء هذا الحماس
المشوب بالمعارضة من بعض الشخصيات قدم ولي العهد محمد البدر إلى حجة
من الحديدة يصاحبه أحمد الشامي وأحمد نعمان فتقام الحفلات الكبرى لمبايعة
البدر والإشادة به ، ويبلغ الحماس لدعوة ولاية العهد درجة دفعت سيف
الاسلام الحسن وإخوته إلى إعلان معارضتهم لولاية العهد والضغط على الإمام
أحمد بأن يمنع الدعوة إليها وأن يرجع الأرياني ونعمان والشماحي والشامي
وغيرهم من دعايتها إلى سجن حجة ، فيأمر الإمام أحمد بوقف الدعوة إليها
ويظهر أنه غير راض بها ، ولكنه لم يسعد بأرجاع المطبقين إلى السجن ، كما ترك
ابنه وأعمامه يتصارعون .

ويقدم الملك سعود صنعاء آخر عام ثلاثة وسبعين فيستقبله الإمام أحمد في
صنعاء ويغادر سعود صنعاء ، ويستقر الإمام أحمد بصنعاء ويعيد بها الأضحى
ويستهل عام أربعة وسبعين وهو بصنعاء وحوله القاضي عبد الرحمن الأرياني
الذي تمكن من إقناع الإمام أحمد بإطلاقه من حجة فأطلقني مع الأمر ببقاء
عائلي بحجة فوصل الشماحي إلى صنعاء في العشر الأواخر من الحجة عام ثلاثة
وسبعين وضمه الإمام إلى حاشيته بجانب الأرياني ، ويقدم ولي العهد صنعاء

معه أحمد الشامي ومحمد الشامي ومجموعة ممن أطلقوا من السجن ، ويفتح البدر قصره دار البشائر لإقامة أندية علمية وأدبية يشرف عليها البدر ويحضرها كثير من العلماء كالعزي الشرفي والسيد بن محمد المنصور وعبد القادر بن عبد الله ومجموعة من الشباب المستنير كالاستاذ عبد الله البردوني وعبد الله حمران وغيره ، وكان حسن العمري مشرفا على الإذاعة فسخرها في تقوية ولاية العهد ولم يكن الحسن وأتباعه من استغلال الإذاعة ، ويبلغ الصراع بين البدر وعمه الحسن إلى درجة فتح الباب لتدخل القبائل في النزاع ، فقد أصبح كل من البدر والحسن بصنعاء يستميل القبائل إلى فكرته وصفه ، وتحكمت الوحشة بين الإمام أحمد وإخوته حتى اعتقد الإمام أحمد أن إخوته يدبرون اغتياله بصنعاء ففارقها بغتة إلى تعز تاركاً ابنه البدر في صراع مع عمه الحسن وإخوته ، صراعاً دفع الحسن إلى أن يعلن فكرته المعارضة لولاية العهد على صفحة جريدة الإيمان الرسمية ، مما زاد الخلاف والصراع شدة أجبرت الإمام أحمد على إخراج أخيه الحسن من اليمن وتمخض الصراع عن انقلاب المقدم أحمد الثلايا والحاج مرشد السريحي وإعلان عبد الله بن الإمام يحيى إماماً .

انقلاب المقدم أحمد الثلايا والحاج مرشد السريحي وإمامة سيف الإسلام عبد الله

يوم الخميس ١٤ شعبان عام ١٣٧٤ هـ - ٢٥ مارس عام ١٩٥٥

تمهيداً للإنتقلاب

إن فكرة ولاية العهد المنطلقة من سجون حجة ها هي قد نفجبت وراحت تأتي بشمارها المتوالية ، فالمجزرة البشرية وقفت ، والمسجونون السياسيون يفرج عن الكثير منهم ، وتنشق الأسرة التوكلية على نفسها ، ويتصل المطلقون السياسيون بالإمام أحمد وابنه (البدر ولي العهد) ، ويحير الإمام أحمد أخاه سيف الإسلام الحسن على مغادرة اليمن ، والحسن رغم بخله وجوده وقسوته سيما في جباية الأموال هو رجل الأسرة المالكة بعد الإمام أحمد في الإدارة والخبرة والعلم ودراسته النفسية اليمنية والشعب إلى جانب مقامه الروحي الديني المحترم في القبائل ، لأنه لم يظهر على الشعب يوماً متلبساً برذائل الشهوات وسقط العادات ومفساسف الفسوق ، وهو في نظر الأحرار دعاة الإصلاح عدو لدود وحجر عثرة ، وقد أملت عليه خبرته ونظرته الملكية العميقة موقفه المتصلب ضد ترشيح البدر لولاية العهد إذ كان مقتنعاً أنها خدعة انطلقت من مساجين حجة ليتخذوا من البدر وسيلة إلى إنهاء حكم الأسرة التوكلية . لأن البدر في نظر الحسن على حقيقته ساذج لا يعقد عليه أمل في حماية عرش ولا في التفاهم لحماية الملك ، ويرغم نظريته هذه فكم حاول أن يتفاهم مع البدر وأبيه الإمام أحمد ، فيحول

رجال فكرة ولاية العهد الإرياني ورفاقه دون تحقيق هذا التفاهم على قاعدة منطقية لصالح الأسرة المتوكلية ، وتلك القاعدة هي أن يتخلل البدر والإمام عن الإرياني ونعمان ورفاقهما وعن المستنير من الضباط وغيرهم الذين يطلق عليهم الحسن المعطلين والهدامين .

وقد تمسك الحسن بهذه القاعدة أساساً للتفاهم ، مما جعل الإمام وابنه يقتنعان بصحة الإشاعة المروج لها الأرياني وصحابة بأن الحسن وإخوته يتآمرون على الإمام والبدر ، وأن من خطط تنفيذ المؤامرة إقصاء أنصار البدر والإمام عن المناصب الحساسة والعسكرية من حول الإمام والبدر ، وإحلال أنصار الحسن محلهم ، وبهذا الشرط الذي يطلبه الحسن للتفاهم وتلك الدعاية المضادة له ، توسعت شقة الخلاف فأصبح الإمام في قلق من إخوته لا على مستقبل ابنه البدر بل على حياة الإمام وسلطته ، وهو يعرف الحسن وصرامته وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نظريته بالإستمالة ، وما هناك إلا أن يتخلص منه باخراجه من اليمن ، فكلفه بأن يقوم بجولة في خارج اليمن ، وفعلاً فارق الحسن اليمن ، وبفراقه استندى الإمام أحمد إليه أخاه سيف الإسلام عبد الله وفي تعز أقام عبد الله كرئيس وزراء ومستشار لأخيه الإمام أحمد .

بينما ترك أخاه الجاهل عباس بن الإمام يحيى في أعماله بصنعاء ولوائها والانغماس إلى قمته في شهواته وأبدى على أبناء أخوته عطقاً مادياً في حدود تأمين المعيشة المتوسطة .

وبدا الجحور كأنه قد هدأ وبدأت على ولي العهد عوارض التنكر لنا وللقضية وأسدل على ولاية العهد والتكلم لها أو عليها ستارة من الصمت ، خلا أن هذا الهدوء لم يتركه دعاة الثورة يستمر ، إذ عملوا إلى النقطة الحساسة فأثاروا تخوف البدر من عمه عبد الله وبقيّة الأسرة المتوكلية من أن يتمكنوا بلبينهم للإمام وإحاطتهم به من إثناء الإمام عن فكرة ولاية العهد سيما والمذهب الزيدي لا يقر ولاية العهد ، وقد كانت تبدو من الإمام أحمد كلمات تزيد من مخاوف البدر ، كقول الإمام للبدر : قوم لك سلبه ، (وهذا مثل يعني للمعاجز الكسول الكل الذي لا يقتدر أن ينفع نفسه دع من سواه) (والسلبه) الحبل من الليف ، كما

أثار دعاة الثورة مخاوف عبد الله ومن اليه على العرش وعلى الأسرة إذا ما تمكن البدر من السيطرة على اليمن بمساعدة أبيه ، وتسولى الأحرار المتظاهرين بمناصرة للبدر .

وسارت حركة الإثارة في الاتجاهين تعمل عملها وتؤدي نتائجها .

(الاجتماعات)

لقد نجحت الإثارة وما بقي إلا دراسة الوضع والتخطيط للثورة من جديد فتعددت الاجتماعات بتعز ، وصنعاء ، والحديدة بين دعاة الثورة والناقمين والمحرومين ، ويظهر على المسرح المقيادي العسكري المؤمن الطيب النفس المقدم أحمد الثلايا المتشبع بحب الله واليمن ومحط احترام الجيش وضباطه وعارفيه ويظهر بجانبه شخصية عسكرية قوية الملازم الحاج مرشد السريحي ، وحول الثلاثي التقى دعاة الثورة والناقمون فاضرموا عواطف الثلايا على الوضع القائم من احتجاب الإمام أحمد وادمائه المرفين إلى تحكم المفسدين المستغلين المعتمدين على صلتهم بتلك الحفنة التسافهة من الغلمان والنساء المحيطة بالإمام ، وكان الثلايا يلتهب غيظاً من تردي الوضع . إلا أن مأساة فشل ثورة سبع وستين هجرية وتجاربها التي شرب الثلايا كأس مرارتها ، جعلته يفكر ويتلمس الطرق إلى ثورة وأنقلاب يكفل مصلحة اليمن ، وكان يرى أن المصلحة لا تأتي عن طريق القتل وإراقة الدماء .

وقد كان الإمام أحمد يبدو وكأنه من التخدير والمرض اللذين كان يتظاهر بهما في شبه ميت مسلوب الإرادة ، وتفكير الثلايا هذا تركه لا ينزع إلى ثورة تقتلع من أول يومها حكم الأسرة المتوكلية ، بل ثورة تحجب الإمام أحمد عن مسرح الحكم وتنصب من الأسرة المتوكلية إماماً غير مستبد ، وعنده قابلية وتفتح للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ولا أمل في البدر أن يقوم ضد أبيه ، وقد بدأ البدر يتنكر لدعاة الثورة والاستنارة . والحسن متحجر مترمت وعدو للإصلاح والتطور ، ولا بد من انقلاب ونصب إمام سيف الاسلام عبد الله هو الذي يمكن يرشح ، وتشاء المصادفات أن يزداد البدر ابتعاداً عن الأحرار ومخلصاً من اللقاء معهم وأن تزداد مخاوف عبد الله فيتصل عبد الله بالثلايا من دون أن يعلم

ما لديه من تفكير وحيرة ، فيجتمع بالثلاثيا ويدي له تدمره من الوضع فيصادف هذا التدمر هوى في نفس الثلاثيا إلا أن عقله سيطر على أعصابه فلم يزد على بدائه مشاركته لعبد الله في إنكار الوضع ، مظهراً أن علاجه بيد الإمام ومساعدة ذوي الرأي الذين في طليعتهم عبد الله ، وأن كل ما بيد الثلاثيا وأمثاله القيام بالواجب العسكري في إجراء ما يأمر به القائد الأعلى الإمام .

ويفتزق عبد الله والثلاثي ، وكلاهما يستعرض الآخر ويزداد سبها في التفكير ، وتتجدد الاتصالات مباشرة ، وبواسطة السيد حسين الويسي والأمير الحسن بن علي بن الإمام يحيى وغيرهما من خاصة سيف الإسلام عبد الله تحببنا أن تلتفت الاتصالات المباشرة الإمام أحمد .

وقد نجم من هذه الاتصالات تأكيد الثقة المتبادلة بين الثلاثي وعبد الله فيصارع كلاهما الآخر فيقبل عبد الله خطة الثلاثي التي لمحننا إليها ويتعهد بالتزامها وإنهاض اليمن نهضة شاملة . ويطلق المسجونين ويالاتصال بالأرياني ورفاقه ذوي الرأي والوطنية ومعرفة رأيهم في الموضوع ودراسته ، فيعرض الثلاثي على الأرياني ونعمان خطته فيترددان في امامة عبد الله أولاً ثم يوافقان على الخطة وراح الأستاذ نعمان يتصل بعبد الله ، ويشرع الثلاثي في تهيئة الظروف للانقلاب فيواصل التردد بين صنعاء وتعز وكذا عبد الله للتعبئة والتمهيد ولم يحسبوا لا هما ولا الأرياني للبدر ومن حوله بالحديدة ، ولا لمحمد الزبيري وحزبه بمصر .

ولا للحكومة السعودية والجمهورية العربية الحساب الكامل .

فالزبيري لن يعارض في إزالة الإمام أحمد عن السلطة ، وكذا الجمهورية المصرية إنها سرحبان بتنحية الإمام أحمد ، والسعودية هي أميل إلى عبد الله من البدر وأما البدر فتافه النظر وقد بدأ يتنكر للأحرار وميؤوس أن يقوم بعمل ضد أبيه .

ولم يحسب دعاة الانقلاب لمكر الإمام أحمد ومراوغته وشخصيته القوية

الحساب اللازم فإن احتجاجه وإغراقه في المرفق وتظاهرة بالأمراض المنهكة لعقله وأرادته، ويدنه أقنع دعاة الانقلاب وغيرهم أن الإمام أحمد أصبح في حكم الميت ولم تبق فيه بقية يتخوف منها ، وأنه لأدنى ضغط عسكري سيتنازل لأخيه عبد الله راضياً بأن يعيش محترماً في قصوره مع الحریم سلب التفكير والإرادة المركزتين ويتنازله لعبد الله تنقطع حجة البدر في ولاية العهد ، وتنقاد القبائل وقد يقتنع الحسن ولو على مضض ، لأن في قيام عبد الله اقضاء خطر تولي محمد البدر للإمامة وهو في نظر الحسن كما سبق .

وكان سيف الإسلام عبد الله قد ضم إليه أكثر أفراد الأسرة المالكة وأقنعهم بنظرته واعتمد في صنعاء على أخيه سيف الإسلام عباس وعلى الأمير الحسن بن سيف الإسلام علي وغيرهما ، وعلى هذا الحساب والتقدير والمظاهر ينفى عمل الانقلاب ، ولم تكن الخطة قد اكتملت بوضع قاعدة بالحديدة من رجالها حمود الجايفي وأحد الشامي الموجودين بالحديدة وكان الثلاثي في طريق الاتصال بهما واقترح على سيف الإسلام عبد الله أن يعين عملاً بالحديدة لمحمد بن حسين عبد القادر وعبد الله الشماحي ليتمكنوا من إرساء القاعدة بالحديدة ويتصلا بالجايفي والشامي وغيرهما ومن مهمة هذه القاعدة هي القبض على محمد البدر يوم الانقلاب والسيطرة على الحديدة .

كما كان الثلاثي يفكر في تبديل الجنود بقاهرة تعز ، ودار النصر بصبر ، إلى غير ذلك ، وقبل أن تستكمل عملية خطة الانقلاب يتدخل القدر لتعجيل الانقلاب إذ حصل احتكاك من بعض الجنود وأهالي حوiban تعز فتكون حادثة الحويان .

(حادثة الحويان المنحوسة)

كان شيخ الإسلام عبد الرحمن الارياني ، والأستاذ أحمد نعمان وغيرهما ممن وافق على خطة الثلاثي الانقلابية بعد مناقشة وأخذ ورد ، وكانا مع الثلاثي يهتمون بإتقان الخطة للانقلاب ، وأن يعجل بالانقلاب مخافة أن يموت الإمام أحمد الذي كان يبدو وكأنه قد اقترب من الموت ، وبموت سيعود سيف الإسلام

الحسن ويستولي على الحكم حتما فيطول شقاء اليمن ، ويحجبه الحسن عن النور ، ويحمد منابع الحياة والإصلاح ، ويقضي على دعائها كالأرياني وكل متحرر لا يملوت فيريحهم ، بل يقبرهم أحياء في السجون ، ولا يصح من البدر شيء ، كما أن عبد الله سيتلاشى في أخيه الحسن . وفي جو هذه المناقشات خرج بعض الجنود النظاميين من معسكرهم (عرضي تعز)^(١) إلى الحويان صباح الأربعاء ١٥ شعبان للاحتطاب والصيد فجرت بينهم وبين بعض أهالي الحويان منازعة قتل بها أحد الجنود فعاد رفاقه مستصرخين الجيش ، وكانت دعاية دعاة الانقلاب قد فمرت الجيش ضد الإمام أحمد وجعلت الجيش يكاد يعتقد أن الإمام أحمد لم يعد ذلك الرهيب ، فخرج الجيش من جميع ثكناته ينهب قرى الحويان ويحرقها ويقتل من وجد ثم يعود إلى ثكناته بتعز بعد مغرب شمس الأربعاء .

ولم يكد الجيش يستقر في ثكناته حتى عادت إلى أفراده المخساوف من الإمام ، فيفكر أكثرية الجيش بالمفارقة بصفة جماعية إلى خارج حدود اليمن وفعلا بدأت سرايا الجيش تحزم أمتعتها ، وتأخذ أسلحتها ، وتحرك بعضها للفرار ، بينما اتصل الإمام أحمد سزا بمشايخ صبر وغيرهم وبالجيش البراني (القبلي) ليسحق الجيش النظامي .

وقد كان هذا الجيش النظامي هو المعول عليه للقيام بالانقلاب بتعز ، وكان ضباطه المهتمون معددين لذلك ، ومنهم الملازم الحاج مرشد السريحي فإذا تفرق هذا الجيش أو كان سحقه أو جله فمعناه تجميد الانقلاب واكتشافه ، فلم يبق بد من تعجيل الانقلاب . وراح الثلاثي والحاج مرشد ومن معها من الضباط ليلة الخميس يرجعون من غادر العرضي وتجميعهم ، ودفع الجيش للقيام بالانقلاب فجر الخميس ٥ شعبان سنة أربع وسبعين قبل أن يسبقهم الإمام أحمد إلى سحق الجيش مهوئين أمر الانقلاب ، فالإمام قد أصبح كميته وأتته بمجرد مهاجمته إلى قصره يستسلم ويتنازل لأخيه سيف الإسلام عبد الله

(١) أي العسكري

الذي يؤيد الجيش ، فاقتنع الجيش بهذه التعليقات التي دفعته هي وتخوفه إلى تفجير الانقلاب فجر الخميس .

(فجر الخميس ١٥ شعبان سنة ١٩٧٤)

صُلق الجيش شياما (تهوين) جانب الإمام ، مع الخوف العميق في قلوبهم منه الذي جعلهم يتصورون السحق والتعذيب ، ويفكرون في الخلاص وما هو عبد الله سيكون إماماً . فلا داعي للفرار . وعشي الجيش فجر الخميس رابع عشر شعبان عام أربعة وسبعين وثلاث مائة وألف وراء الملازم الحاج مرشد السريحي المجحزي (بطل الموقف ، ودغيت الانقلاب) فيحيطون بقصر الإمام أحمد القائم جنوب (المعسكر) عرضي تعز والملاصق له ، ويحتلون من سور القصر مخافر حراسته وأبواب سوره ، ويقبضون على ضباط الحرس وما هناك من سيارات ومعدات ويرسلونها إلى العرضي هاتفين بمطالبة الإمام أحمد بالتنازل عن الإمامة .

ثم استدعى المقدم أحمد الثلاثي إلى العرض جميع ذوي السراي والشخصيات من أعضاء الحكومة الأحمدية المتوكلية ، منهم نعمان والإرياني ، وأمير البيضاء محمد بن عبد الله الشامي ، ومحمد الداري ، وحمود الوشلي ، وزيد عقبات . وعبد الله الشماحي ويحيى السياحي ، وأحمد زياره ، ويحيى الكبسي ، ويحيى محمد باشا المتوكل ، وأمير جيشي تعز محمد الخوئي ، ومحمد بن علي المجاهد ، وعبد الله عبد الإله الأغبري ، وأحمد بن محمد المهدي ، وقاسم بن إبراهيم ، ومحمد بن حسني عبد القادر ، ومحمد بن قاسم بن الهادي ، ومجموعة كبيرة من الشخصيات ، ويحتمل النقاش فيستدعي الحاضرون سيف الإسلام عبد الله من غرفته بالقصر فيحضر ، ويبدأ الاتصالات مع الإمام أحمد فتظاهر بأنه في حالة مستحضر ولم يجب إلى التنازل .

فيندفع الحاج مرشد ويهاجم القصر وراءه الجيش والذي استمر في إطلاق الرصاص على حجرة الإمام بالقصر نحو خمس دقائق كما ضربت المدفعية شرفات القصر صارخين بتنازل الإمام ومبايعة عبد الله مهددين أنه إذا لم يستجب الإمام

ويبايع عبد الله فسينسفون الإمام مع قصره ويسحقون المجتمعين بالعرض فيذهب أمير الجيش محمد الحوثي وأمير لواء البيضاء محمد الشامي فيوقفان إطلاق النار ويتصلان بالإمام أحمد فإذا هو متناوم وفي مظهر مستحضر فيعرضان عليه تآزم الموقف ومطلب الجيش فيجيبهما في هدوء واستكانة إلى أنه متنازل ويحرر ورقة فيها شيء من المواربة : إذ يقول أنه متنازل لأخيه عن الأعمال وأنه من قبيل انتقال الخاتم من اليمين إلى اليسار ، ويتلقى المجتمعون هذه الورقة بالقبول متجاهلين أنها لم تصرح له بالتنازل عن الإمامة بل عن الأعمال : ويبايع الأعيان عبد الله في الساعة الثانية من صباح الخميس .

(الأستاذ أحمد نعمان)

سار الأستاذ نعمان والزعيم الإيراني مع مقدمات الانقلاب كما سلف ، ويحىء الانقلاب مفاجأة قبل استكمال الاستعداد فإذا بالثلاثي ورجال الانقلاب أمام الأمر الواقع الذي لم يبق معه خيار للإنسحاب ولا مبرر للانفلات عن مؤازرة الانقلاب مهما تكن النتيجة ، وتجري المبايعة لعبد الله بن الإمام يحيى وتظهر على وجه نعمان وهو يبايع ملامح التخوف عام فإن نعمان قد ذاق بثورة سبعة وستين هجرية مرارة المغامرة التي قذفته في سجن ذمار ثم جرت في الأغلال إلى حجة ومسجونها الرهيبة وإلى ما بعد المسجون مما هو أشد منها كما جرت اليمن إلى تلك المآسي ، فالأستاذ نعمان هو اليوم غير الشائر المغامر انه الثائر السياسي المجرب الحذر الحريص على رقبته من الأغلال ومن السيف وعلى رجله من القيد وعلى يديه من المغلقة . التي ذاق مرارتها في ثورة سبعة وستين وأصبح يتخيل أشباحها الرهيبة صباح يوم الانقلاب اليوم فالإمام يوارب في كلمة تنازله ، وعبد الله مدهوش ، والبدر محمد بالحديدة وله خطره ، ولم يكتف مشاعره سيما عن موقف البدر بالحديدة وينعقد اجتماع من الثلايا والإمام عبد الله والنعمان والإيراني وييدي فيه نعمان موقف البدر وأن إرجاء حل مشكلة البدر ساعة من نهار تكون الخطر ، وفي سرعة من النقاش وافق الثلاثي والإمام عبد الله على إرسال وفد برئاسة نعمان إلى الحديدة لإقناع البدر أو القبض عليه

قبل أن يتمكن من القيام بحركة معاكسة للانقلاب ، فيذهب النعمان على رأس وفد من أعضائه القاضي عبد الله عبد الإله الأغبري والسيد أحمد بن المهدي على طائرة الساعة الرابعة من صباح الخميس ويصل الحديدة ، فإذا به يعجز عن القبض على البدر ويقع في قبضة البدر فيقوي موقف البدر بالنعمان والسيد أحمد الشامي وحمود الجايفي ومحمد الرعيني وغيرهم فيضع البدر بالحديدة من يعتمد عليه مع القوة اللازمة ويرسل إلى الملك سعود وفدا من النعمان والشامي فيقيمان الدنيا ويقعداتها وإذا بالجمهورية العربية المتحدة والقاضي محمد الزبيري يوجهان دعاية إذاعية وصحافية ضد الانقلاب الثلاثي كان لها أثرها في جو الانقلاب فقد كان الأستاذان الزبيري والعيني والأحرار في الخارج يرون أن الأمير عبد الله بن الإمام يحيى عميل أميركا وأنه سيحول الانقلاب إلى أداة تجعل اليمن تحت النفوذ الأمريكي .

أضف إلى ذلك أن الأحرار بالخارج وفي مقدمتهم الزبيري والعيني وإن كانوا على صلة بالثلاثي وأهدافه الثورية إلا أنهم لم يكونوا ولا نحن قد انتهينا إلى قرار نهائي منه تنطلق الخطوة الأخيرة إلى الثورة ونظامها وحكومتها ، فإن حادثة الحويان كما سبق أرغمت الأحرار في الداخل إلى تلك الخطوة الأخيرة قبل التزود لها عسكرياً ونظامياً مما جعلهم يرون الإبقاء على مظهر الإمامة ، فأعلنوا سيف الإسلام عبد الله إماماً ديمقراطياً عن طريق تنازل الإمام أحمد له .

وبلا شك إن الأحرار في الخارج فوجئوا بأمرين اثنين بالانقلاب أولاً قبل أوانه ، وثانياً بإبقاء نظام الإمامة وإعلان عبد الله إماماً مع الإبقاء على أحمد ، ولكن هذه المفاجأة مهما كانت ما كان لأحرارنا بالخارج أن يندفعوا بها إلى محاربة الانقلاب بالداخل وإن كانوا قد ذعروا من إمامة عبد الله وبقاء أحمد ، فتخيل إليهم أن الانقلاب قائم في غابة بين شذقي الهول ، يكتنفه أسد مفترس « هو أحمد » وذئب مخاثل « هو عبد الله » .

ويفسر هذا التخوف أن الزبيري أرسل إلى الثلاثي رسالة شرح فيها هذا التخوف وطلب من الثلاثي إعدام الإمام أحمد ، والخلاص من سيف الإسلام عبد

الله ليستطيع الانقلاب السيطرة على الموقف ويلتف جميع الأحرار حول الانقلاب ، وقد حمل هذه الرسالة الأستاذان عمن العيني ويحيى جفمان إلى الثلايا وجرت بينها محاورة إنتهت بالتقاء التفكير حول ترسيخ الانقلاب في مراحل تنتهي بالتخلص من الإمامة وأحمد وعبد الله وعاد العيني وجفمان يحملان جواب الثلايا وأفكاره ليدرهما الزبيري ومن حوله ويوقفوا حملاتهم ضد الانقلاب ولكن الأستاذين العيني وجفمان لم يصلا إلى عسدن إلا وقد تغلب الإمام أحمد على الانقلاب وعلى رجاله ، ونال أحرار الخارج والداخل ما كانوا منه يحذرون كما ستراه قويا بعد^(١) ، فإن البدر قوى موقفه بعد وصول النعمان^(٢) إليه فثبت موقفه بالحديدة وصعد إلى حجة يصحبه النعمان والشامي اللذان بلسانيهما كهريا جو القبائل وشحناء بصواعق من نار يرسلانها من شوامخ حجة على الانقلاب ومقره ورجالاته ، ومن حجة هز البدر اليمن ببرقيات ورسائله يستصرخ القبائل والقادة لفك الحصار عن أبيه الإمام أحمد ، ويرسل إلى تعز ببرقيات التهديد ، ويرقية يعلم أباه سراً بواسطة مدير اللاسلكي بتعز العسولي بموقفه ، فيشتد أحمد ويتصل من حاله في كتمان بضايعة من الجيش البراني بتعز وما حولها ويحبل صبر وغيرها يعلمهم بموقف ابنه البدر وأن يستعدوا لما يتلقونه منه ويحمر منشورا بخطه ظاهره النصيح للجماهير بالهدوء ولرجال الانقلاب بالحكمة في التصرف كان له أثره ، وقد شعر الثلاثي بحسرة الموقف ، وإليهما وإلى رجال الانقلاب بتعز نقف ، أما النعمان فقد نجا بنفسه ، وبالبدر التحق وإعارة لسانه وقلمه هو والشامي .

(رجال الانقلاب بتعز)

تم الانقلاب من دون أن يراق بحجم دم وتنازل الإمام أحمد لأخيه عبد الله وبويج عبد الله إماما ، وتكنى بالمتوكل على الله وكان ما سلف ونوقشت مع ذوي الرأي والأعيان أهم المشاكل وغادر نعمان تعز إلى الحديدة في ثقة بأنه سيتغلب بأسلوبه على البدر فيغلق باب الفتنة (وقد أغلقه علينا) وفي ظل هذا الظن والاطمئنان

(١) انظر كلمة العيني في الملحق .

(٢) انظر في الملحق رسالتي الإمام أحمد .

إنصرف رجال الانقلاب إلى تدعيم حركة الانقلاب وما تطلبه من نظم جديدة ، فأرسلت البرقيات إلى عموم اليمن معلنة إمامة عبد الله المبنية على تنازل الإمام أحمد نظراً إلى ما عليه الإمام أحمد من مرضى اقعه عن القيام بأعباء الإمامة وواجباتها نحو الشعب ، وقد قوبل هذا التنازل بارتياح وتأييد وبطير الأمير الحسن بن سيف الإسلام علي من تعز إلى صنعاء يشرح الموقف لعمه سيف الإسلام عباس والمسؤولين والأعيان ويعرض عليهم صورة فوتوغرافية لتنازل الإمام أحمد ويأخذ البيعة لعبد الله .

ويحمل من عبد الله والثلاثي توجيهات أولية لتنظيم الأعمال في صنعاء والشمال ومشاورة ذوي الرأي ، ويعود الحسن بن علي آخر نهار الخميس إلى تعز بما لمسه من ترحاب عام ، ويحمل معه رسائل التأييد من أعيان صنعاء وعلمائها . وفي الساعة الثانية من مساء الخميس ليلة الجمعة عقد اجتماع بمقر الثلاثي بالعرضي حضره رجال الانقلاب وذوو الرأي .

وكان الحسن بن علي بعد عودته من صنعاء قد زار الإمام أحمد بعد المغرب فلمحه من وراء باب غرفته قبل أن يشعر به فإذا بالإمام يتمشى بساحة غرفته كأصح ما يكون ، ثم برك أحمد بركة الأسد وأخذ القلم يكتب والخداع والشر يتطاير من عينيه النجلاوين الرهيتين فتأسخروا الحسن بن علي من باب الغرفة خطوات ثم تحرك حركة تشعر أن هناك قادماً ، وتقدم في بطنه إلى غرفة الإمام ودخل فإذا بالإمام أحمد ملقى على سريره متظاهراً بأنه في حالة مستحضر فاقد الإحساس ولم يزد أن قلب عينيه إلى وجه الحسن الذي فارقه إلى المجلس المنعقد بالعرضي وشرح ما نظره مقترحاً اتخاذ خطة حازمة مع الإمام أحمد ولو بقتله ، وقد أيده الحاج مرشد مفيداً : أنا إذا لم نسبق إلى قتل أحمد فسيقتل رجال الثورة ، وشمر الحاج مرشد لينفذ القتل لأحمد فعورض فأوقف .

واستمروا في دراسة الوضع على ضوء ما حمله الحسن بن علي عن صنعاء . فاطمأنوا على الوضع الداخلي ، بأن أخطر المشاكل قد اختفت أكثرها بتنازل الإمام أحمد من دون أن يراق دم ، ثم إن أكبر الشخصيات المسؤولة يميلون إلى

عبد الله مثل أميري لوأمي البيضاء وإب محمد الشامي وأحمد السياغي ، ولم يكن هناك إلا البدر محمد ، وقد ذهب الأستاذ نعمان المرجح أنه سينجح في التغلب على البدر . وفي ظل هذا الاطمئنان والفرض تركز الاهتمام على موقف سيف الإسلام الحسن الموجود بالخارج ، وموقف الملك سعود والجمهورية العربية والجامعة العربية . فشكلت ثلاثة وفود ، ومن مهمة الوفد إلى الحسن إقناعه بمبايعة عبد الله وإيقافه بالخارج حتى تستقر الأوضاع ، وفعلوا عين أفراد الوفود وتم إعداد كل ما يلزم لسفرهم بعد صلاة الجمعة .

ويسفر صباح الجمعة ويفرغ من صلاة الجمعة لا عن ذهاب الوفود بل عن موقف البدر وضمه النعمان إليه وسفره إلى حجة وما قام به من تعميم البرقيات يستصرخ القبائل إلى آخره .

وهنا تنقلب الخطط رأساً على عقب ، ويلوح في الأفق الخطر يسرق ، فتوقف الاهتمام بالخارج فتتوقف الوفود ، وتكثر النواذب عن أنياب الإمام أحمد ، فيصدر منشوراً بخطه وزعه ليلة السبت يعلم فيه الجمهور أن ابنه البدر قد صعد إلى حجة وأن القبائل تلغ حوله ، وأن الإمام قلق لهذه المباغرات وأنه قد أمر البدر بأن لا يعرض اليمن للفتنة والحرب الأهلية ، وناشد الإمام الجمهور أن يخلدوا إلى الهدوء والسكون ، وطالب أخاء والثلاثي أن يكونا حكيمين في تصرفهما إلى ما هناك ، مما هز الشعور واستعاد إليه هيبة العملاق أحمد «فها هو بفكره القوي ، وعزمه القوي ، وخبطه القوي ، إذن هو غير مريض ، وهو لم يتنازل» هكذا تتجاوب الأوساط والأفكار في أي موضع ظهر فيه هذا المنشور الذي لم يكن في ظاهره أي غمز في الانقلاب ولا رجاله ولكن في باطنه السر والشر الخفيين ، فإنه لم يظهر في مدينة تعز إلا وحرك الأهالي بمظاهرة ضد الانقلاب يقودها الشيخ الغماري الأهنومي ، وحاول المتظاهرون أن يقتحموا مقر الانقلاب بالمعرضي ، وفعلوا دخل الغماري وأحد ذويه وبعض المتظاهرين إلى مقر القيادة واشتبكوا مع جنود الانقلاب ، فقتل الغماري وأحد رفاقه بعد أن قتل جنديين وجرحا أحد ضباط الانقلاب الشيخ محسن الصعر ،

وقد ترك المنشور البلبلة الكلامية والفكرية تسود المجتمعات ، ولكل هذه المباحثات عقد رجال الانقلاب جلسة مستعجلة فيها بحث الموقف .

(بحث الموقف على أثر فشل النعمان)

ها هو البدر احتفظ بسلطته بلواء الحديدية ، فأطلق من مستشفى الحديدية حمود الجايفي الذي كان قد نقل إليه من حجة ، وبالجاييفي ربط القيادة العسكرية وحفظ الأمن .

والتف حول الجاييفي محمد الرعيني ، ومجموعة من الضباط ، وأقام البدر بالحديدية للإدارة المدنية السيد يحيى عبد القادر ، واحتجز كل مشتببه به .

وتغلب على النعمان ورفاقه وضمهم إلى أنصاره وأرسل إلى الملك سعود وفداً مكوناً من الشامي والنعمان فأقاما الدنيا وأقعداها وتركوا في مسامع الجزيرة طنيناً ، وبعد أن ثبت البدر موقفه بالحديدية فارقها إلى حجة بصحبه أمير لواء الحديدية السيد محمد بن أحمد باشا المتوكل . إذ كان غير مطمئن إليه ، وتلطف حوله القبائل ويصل حجه فيطلق بقية المسجونين السياسيين منهم حسن العمري وعبد الله السلال والقاضي محمد بن علي الأكوع والشيخ علي محسن باشا والسيد عبد القادر وأبو طالب ، ويضمهم إليه فاخلصوا له في المعركة ، ومن حجه يستصرخ القبائل والأعيان والعلماء ، ويتصل بأبيه برقياً فيعلمه بموقفه ، فيشتد الإمام أحمد فيرسل منشوره السياسي السالف الذكر فيحدث تلك البلبلة ، ويدوي صوت القاضي محمد الزبير من مذياع صوت العرب ضد الانقلاب وميف الإسلام عبد الله ، فتجمعت السحب المنيرة بالخطر ، فقلبت خطط الانقلاب على رأسها ، دعت قادات الانقلاب لدراسة الموقف من جديد ووضع تخطيط جديد ، فينعقد اجتماع طارئ صباح السبت بمقر القيادة العرضي ، ويشتد فيه النقاش فيبرى العسكريون الذي منهم حسين الجناتي والجدي وأحمد الدفعي ومحسن الصعر وفي مقدمتهم الحاج مرشد ، يرون ويصرون على المسارعة إلى قتل الإمام أحمد ثم يفعل الله ما يشاء ، أو على الأقل إخراجه من قصره

الملاصق للعرضي واحتجازه في مقر القيادة بالعرضي ليؤمن من مكاسبه ومؤامراته سيما بعد عملية المنشور ، وكان في هذا الرأي الحزم والصواب إلا أنه عورض بشدة من عبد الله والثلايا وغيرهما بحجة أن الحكومة الانقلابية بنيت على تنازل الإمام أحمد ، وفي قتله أو احتجازه إثارة يستغلها البدر ، ورأوا أن يضغط عليه ليعلن تنازله بصراحة لا غموض فيها في محرر يصدره بخطه الذي كتب به المنشور ويحرر رسالة إلى ابنه البدر يوقفه عن أية حركة ، ويلزمه بمساندة عمه عبد الله ومبايعته ، ويستقدمه للمفاوضة إلى تعز أو صنعاء ورسالة ثالثة إلى الجمهور والأعيان بصفة منشور يعلن لهم فيه موجبات تنازله ويطلب منهم الطاعة لأخيه عبد الله ، فإن أي الإمام أحمد احتجز أو قتل .

ولذلك ذهب إليه وقد منهم القاضي عبد الرحمن الأرياني وأمير جيش تعز السيد محمد الحوثي ومجموعة يتقدمها الإمام المتوكل على الله عبد الله بن الإمام يحيى فيدخلون عليه وقد ظهر في جلد النمر كامل الصحة فيعرضون عليه الموقف وتشكك الناس وحراجه الوضع الذي قد يدفع الجيش إلى إقامة مذبحه فاجعة ، ويتبعون ذلك بعرض مطالبهم فيجيبهم إلى ذلك ، ويفيدهم أنه لم تبق عنده أية رغبة في الإمامة والقيام بأعبائها وإن كل ما يهيمه استقرار اليمن واستقلاله، وإن كل ما يطلبه ويشترطه هو الإبقاء على كرامته واحترامه ، ويتمنى لأخيه عبد الله النجاح والفوز ويعدده أنه سيسانده في كل أعماله لصالح الشعب . وحرر ثلاث وثائق أحدها عن تنازله لعبد الله عن الأعمال والثانية إلى الشعب والجيش والثالثة لابنه البدر .

فيعود الوفد من أحمد وهم مثلوجو الصدور مقتنعون بصدق ما قاله أحمد وأبداء ، ويأمر الإمام المتوكل عبد الله الثلاثي برسم آلاف الصور للثلاثة محررات وتوزيعها في أنحاء اليمن بالطائرة وغيرها وإذاعتها^(١) ويحدث نشرها نوعا من اقتناع الجمهور بتنازل أحمد لأخيه وتسود الطمأنينة والتفاؤل ، وخفيت على المراقبة من قبل القيادة الانقلابية على أحمد عملا بالشرط الذي طلبه

(١) أنظر الوثيقتين بالملحق .

عليه أصدر محرراته الثلاثة ، فتمكن أحمد من إيرام مؤامره بتعز في سرعة كما
سنمر بك ، وتبين ان كل ماعمله أحمد وأبداه مع الوفد لم يكن إلا مكيدة خدر بها
قادات الانقلاب فقد انصرفوا عن المراقبة على أحمد إلى تدعيم النظام الجديد في
الداخل ومواجهة ما يتمخض عنه موقف البدر إن هو أصر على العناد ، فيلزم
الإمام المتوكل عبد الله أخاه العباس بنشر محررات أحمد وإرسال صور منها إلى
البدر وأخذ إفادته ، وأن يجند من القبائل المحيطة بصنعاء ليحركهم إلى حجة إذا
لم يستجب البدر إلى دعوة أبيه كما أن إمامنا المتوكل على الله عبد الله استدعى
الأمير لواء إمام القاضي أحمد السياغي فوصل إليه يوم الأحد ويعقد معه جلسة
خاصة نحو ثلاث ساعات لم يحضرها حتى الثلاثي ، مما أوجب قلق قادة
الانقلاب واتهام إمامهم عبد الله بأنه يدبر مع السياغي خطة ضد العسكريين
ورجال الانقلاب مما جعل بعضهم يبرر موقف النعمان ، ويعود السياغي فور
انتهاء اجتماعه بالإمام عبد الله من دون أن يقف مع أحد فيترك وراءه قادة
الانقلاب في اضطراب فكري اجتمعوا له وبعد مشاورة قرروا الأناة إلى أن يتبين
موقف البدر وتنتهي مشكلته ثم لهم الرأي مع الإمام عبد الله إذا بدأ ينحرف .

وتغيب شمس الأحد ويأتي مساؤه بسكون ليلة الإثنين وكأن كل شيء هادئ
كل ما يهزه صوت الزبير ضد حكومة الإمام عبد الله والاذاعة جده ضد
الانقلاب . وانه لهدوء كان أحمد يعمل عليه ليحوله إلى جحيم ويسفر صباح
الاثنين ثامن عشر شعبان خامس يوم من عمر الانقلاب الثلاثي في وكره بعرضي
تعز ولم يأت عصر الاثنين إلا وشرع في تنفيذ مخططة فتغلب على المحافظين عليه
وأرسل النساء والأطفال من قصره بعرضي تعز إلى قصر صاله ثم شرع في
الهجوم على مقر القيادة الانقلابية بالعرضي الذي بدأ على النحو التالي .

معركة عرضي تعز

أبرم أحمد المؤامرة في سرية وسرعة خارقتين أعانه عليها مهارته الحربية
وقدرته في المداورة والمواربة . إلى جانب سداجة رجال الانقلاب وطيبة الثلاثي
وحنان الإمام عبد الله على أخيه أحمد من القتل ، فلم يسفر صباح الاثنين إلا

وقد فرغ من خطته ، ففي غفلة رجال الانقلاب اجتذب أحمد معظم المرتب بكل القلاع العسكرية بجبل صبر وصاله والجحلمية وتعز واستوثق منهم بأنهم إلى جانبه في أول حركة يقوم بها من قصره بالعرضي الذي كان قد ملأه بالزاد والماء والخطب والذخيرة ، كما استمال بعض مشايخ لواء تعز منهم إبراهيم حامييم وبعض الكتبية العسكرية المحافظة عليه في قصره بقيادة الضابط إسماعيل الأكوع واتصل بمعظم الجيش البراني (القبلي) وبعض مشايخ الشمال الذين كانوا بتعز ولم يبق بمدينة تعز وما جاورها من المواقع الجبلية وغيرها إلا بعض المراكز العسكرية النظامية وإلا مقر القيادة الانقلابية بعرضي تعز لم تنسحب إلى المراتبين بها خيوط المؤامرة .

ولم يكن مقر القيادة الانقلابية هذا بالموقع العسكري الحربي فهو عبارة عن مقر إدارة وتجمع يستقر به الجيش وينام ويتعلم التمرينات العسكرية الجسمية ، غير حصين ولا صالح للدفاع والإشراف ، تشرف عليه القلاع من صبر وغيره ويتمحكم عليه قصر الإمام اللاصق به ، ولا يثر فيه ولا مستودع وأوسع للماء ، ويأذن مضايقة على من فيه يقضى عليهم ، وإلى جانب هذا أنا لم ندخر فيه أية كمية من الماء والزاد ويأتي ظهر الاثنين وجانب المؤامرة الأحمدية بتعز أرجح من موقف الانقلاب ولا يتوقف نجاح المؤامرة إلا على ضرب من المغامرة يحرك بها .^{١٨٠} لغم المؤامرة لتفجره الفرصة التي ان تأخر اغتنامها فلربما فاتت على أحمد .

ومن الاعتراف بالحقيقة أن أحمد هو من أولئك القلة الذين لا يدعون الفرص الحربية ثم من بين أيديهم بل يأخذونها ولو من بين لهوات الأخطار ولم يكن أحمد رعديداً ولا متردداً عند أن يطلبه النجاح أن يغامر ليموت أو ينجح .

فقد كان معظم الكتبية المحافظة عليه الخروج متشددين لم يجد عندهم لئناً معه ، ومن المحتم تغلبه عليهم ، فإن مساعدة المرتبطين بأحمد في خارج قصره متوقفة على أن تبدأ من أحمد بحركة وفكه هو الحصار المضروب على قصره ، وإذا هو لم يعجل بحركة فإن المؤامرة ستتكشف ويسحقه في قصره الجيش ، ولذلك - وقد مهد أحمد لمبادلتة - أخذ لأمتة وسيفه في يده وتقدم إلى باب قصره ففتح

الباب بسبه نان لها دوي أخرج المحافظين من غرفتهم متجهين نحو الباب فإذا بهم مع أحمد وجها لوجه وسيفه مصلت بيده فصرخ فيهم ها هو إمامكم بينكم ما تريدون منه ، تريدون أن تقتلوا إمامكم أمير المؤمنين انكم لا تقدرون في إمامكم محروس بالله ، من يريد منكم المبارزة أو منع الإمام من الخروج فليتقدم ، فتأثر المحافظون ووقف كل واحد مكانه كأنه مسموم وتقدم الضابط اسماعيل الأكوع نحو أحمد فهجم عليه أحمد وأخذ بتلابيبه فخارت قوى الأكوع ولم يبد حراكا فنادى أحمد الجند خذوا هذا العلق إمامه واطرحوا بنادق الإمام فيلقون البنادق ويحتجزون الأكوع فيأمرهم أحمد أن يتركوا الأكوع فقد تاب وعفا عنه ، ثم أخرج أحمد النساء والأطفال من قصر العرضي وأمر الأكوع وبعض العبيد بإطلاعهم إلى قصر صالة ، وأمر الجنود الذين كانوا محافظين عليه بعدة أوامر فينفذونها كالآلات وفتحوا عن أمره مستودع النقود ونقلوا منه إلى داخل قصر القدر الذي طلبه ثم أغلق باب المستودع ولم يقفله إلا بحبل ووكل حفظه إلى جنديين من المحافظين محذرا إن فتح ليفعلن ويفعلن ، ثم أذن لأولئك الجنود بأن يأخذوا بنادقهم التي ألقوها بين يديه ووجه ثلة منهم ومن الجنود الذين كان أدخلهم في سرية قصره وجه الجميع إلى إحتجاز السيارات الواقفة بالساحة حول العرضي مقر القيادة وقبض كل سيارة تمر فينفذ الأمر ، بينما شرع من على قصره المشرف على مقر القيادة بضرب المقر والمراكز الانقلابية المتناثرة هنا وهناك بالبنادق والرشاشات ، وبدأت المعركة التي لم يكن رجال الإنقلاب يتشظرونها . فلم يعدوا لها أية عدة .

وفي بداية المعركة قام أحمد بجولة في مصفحة إلى بعض المراكز الخربية والحكومية كدار الضيافة يطمئن النازلين بها من أجنب وغيرهم ويعود إلى قصره يواصل قذف مقر القيادة الانقلابية وغيره ، وما أن نظر المتآمرون إلى ذلك وعرفوا جولة أحمد إلا وهب الجمع يتسابقون إلى أحمد .

وأسعدهم من كان الأسبق ، وما هي إلا ساعة من نهار إلا وقد ضرب على مقر القيادة الانقلابية الحصار وقد اشتعلت المعركة ، وعاد الضابط اسماعيل الأكوع من صالة على السيارة ماراً بباب مقر القيادة فيخرج إليها الحاج مرشد

ورفاق معه بين وإبل من رصاص أحد وتمكن الحاج مرشد من القبض على السيارة بعد أن قتل الضابط الأكوع وعبد الله العبد على السيارة التي اقتادها إلى المقر مع سائقها كامل خادم أحمد الذي أصيب بجراح مات منها .

واشتدت المعركة وطلب الثلايا من مدفعية القاهرة تعز وغيرها الضرب على قصر الإمام بالعرضي فلم ترفض بل ذهبت أولاً تضرب على غير الهدف حتى أثناء ليلة الثلاثاء وإذا بالمدفعية تصب قنابلها على مقر قيادة الانقلاب إلى جانب ماطر من رصاص الرشاشات والبنادق من كل جهة ، حول قيادتنا إلى أتون ونحن إلى ليوت تحترق في غابها مما اضطر رجال الانقلاب والجنود إلى مفارقة الطابق العلوي وانقطع الماء والزاد والنور ، وكانت ليلة من ليالي الهرير أظهرنا فيها من البسالة والمقاومة فوق ما تعبر عنه كلمة البطولة ، وتبين فيها إمامنا المتوكل على الله عبد الله رابط الجأش قويا .

فقد أرسل إليه أحمد إنذارا بخطه : انه سيسحقه ومن معه إذا لم يستسلموا وقد استهل أحمد إنذاره بالأبيات المشهورة مع تبديل بعض الكلمات .

أرى خلل (الجبال) وميض جمر ويوشك أن يكسون له ضرام
إذا لم يطفئها عقلاء قوم يكسون وقودها جشت وهام

فأجاب عليه الإمام المتوكل عبد الله جواباً كله حجة وقوة يذكره بغضية الجيش وتنازله ووعدته وعهده ، وكيف أنه حتى أحمد من الموت الذي يهدده به أحمد ثم قال : وما أنا وأنت إلا كما قيل : أريد حياته ويريد موتي .

ثم ناشده الوفاء بعهده وبما فيه صلاح الشعب الذي يجب أن يكون فوق كل اعتبار ومصلحة ذاتية إلى آخر تلك الرسالة الجوابية .

ولكن تلك الرسالة لم تغن ، فقد كان جواب أحمد أن ضاعف من إمطار المقر بالقذائف المدفعية وغيرها ، ويصبح صباح الثلاثاء والمقر قد تحول إلى أتون من نيران القنابل التي تصب عليه من كل جهة ، واشتد بالحصورين فيه العطش والجوع .

وبدا الجيش الانقلابي ينقسم ، فمنهم وهم الأكثرية من يطالب بالتسليم وطلب الأمان من أحمد ، ومنهم من أصر على القتال وفي مقدمتهم الثلاثا والحاج مرشد فقد دعيا إلى أن تضرب مدفعية المقر قصر أحمد حتى تنسف جانبه المتصل بالمقر ثم يقوم الجيش بالهجوم على القصر من جانبه المنسوف بينما يلتف نصف الجيش بقيادة الحاج مرشد على القصر من جوانبه الأخرى ويقتحمون أبوابه وينضم اليهم فوج (لواء) القناصة المرباط خارج المقر بعدد من المراكز والبيوت ، وهي خطة مغامرة ، الموت فيها هو الراجح ، أما النجاح بعد التضحية فهو بيد الله ، وعلى هذه المغامرة أصر الثلاثي والحاج مرشد ومن إنحاز إليهما وحاولا الاتصال بالقناصة .

ولكن أكثرية الجيش المحصور بالمقر كان الهلع قد استولى عليهم فرفضوا الخطة وأثاروا في المقر الشغب فاشتد النزاع وحاولت تلك الأكثرية أن تفتح باب المقر وتخرج منه معلنة استسلامها ، فتدخل الإمام عبد الله والمطري والوشلي وعقبات والشماحي فهدأوا الشغب وطلبوا من الجيش الثبات والمقاومة على أن يكون الاتصال بأحمد لإبرام صلح مشرف يتقدمه عقد هدنة وفي هذه الحالة صادف أن أرسل أحمد إنذاراً واتصل تلفونياً بأخيه عبد الله ، وبعد أخذ ورد وافق أحمد على الهدنة في خلالها يخرج إليه من المقر مندوب .

(الهدنة ومحمد الذاري صاحبه الله)

تمت الهدنة في عصر الثلاثاء فتوقف إطلاق النار من الجانبين ، وانتدب السيد محمد بن يحيى الذاري أحد المحصورين بالمقر ، فخرج الذاري عصر الثلاثاء من المقر على أن يذهب إلى أحمد لعقد صلح يضمن سلامة رجال الانقلاب وحياتهم وكرامتهم والتسليم لأحمد ، وكان أحمد مستعداً إذ ذاك لقبول تلك الشروط إذ كان يعرف أن في المحصورين مجموعة مستميتين لا يستهان بهم من الأشداء يتجاوب معهم لواء القناصة النظامي ولا يقل عددهم عن ستمائة شاب ، فإذا قرر المحصورون المهاجمة له فقد يكون لها أثرها .

ولكن الذاري خرج من المقر منهوك الأعصاب فنسي رجال الانقلاب فلم

يتجه إلى أحمد بل طار من خارج المقر إلى بيته ، وساد الهدوء فغلب علينا نحن والإمام عبد الله النوم .

ولكن الثلاثي والحاج مرشدا وعددا قليلا من الضباط لم يناموا ولم يبق لديهم أمل في المقاومة ، فالجيش لم تبق لهما عليه سيطرة ، ولا أمل في السلامة ولا في وفاء أحمد ، فانتظرا مع رفاقهما أول الليل ففتحوا من مطبخ المقر فجوة وخرجوا منها ومن تعز أمين الجنوب المحتل .

وعلى أثرهم خرج الجيش لا ليفروا بل لينضموا إلى أحمد بطريقة تجعله لا يعتقد أنهم من أتباع الثلاثي والجيش الانقلابي .

أما نحن وإمامنا فقد أرخينا أعصابنا المتعبة لنومة عميقة لم يوقظنا منها إلا تفجير قنابل المدفعية ورذاذ البنادق والرشاشات المتجدد اطلاقها في الساعة السابعة من ليلة الأربعاء ، لها استيقظ النائمون مذعورين فيتلمس إمامنا ومن حوله وهم لا يتجاوزون العشرة الحاج مرشد والثلاثي وضباط المدفعية والرشاشات فلا نجد إلا أنفسنا وثلاثة جنود أقعدتهم الشيوخوخة يحرسون باب المقر ، ومن هؤلاء الثلاثة عرفنا كيف فارق الجيش المقر ، فاستولت علينا الدهشة التي في سرعة تحولت ضربتها المذهلة إلى مهزلة بالحياة تركتنا نقهقه هازلين بالحياة ، وفي هذا الجو المذهل الساخر والمدفعية والرشاشات والبنادق تدك مقرنا بقذائفها وترقص شظاياها بيننا ، اتصل الإمام عبد الله بأخيه أحمد تلفونيا على ضوء شمععه ، يعاتبه على نقض الهدنة التي بموجبها أرسل منا المندوب الذاري لعقد صلح مع أحمد فأجاب أحمد أنه لم يصل الذاري ولا غيره ولذلك فالهدنة تعد ملغاة ولم يبق مجال لصلح ولا مراجعة وما لعبد الله ومن معه لديه إلا أن يستسلموا بلا قيد ولا شرط وإلا فسيأمر الجيوش باقتحام المقر وقتل كل من فيه ، وأعطانا مهلة نصف ساعة للتفكير ثم إعلامه بما نقرره في الساعة التاسعة التي فيها سيتصل بنا تلفونيا ، وأغلق التلفون ، وتوقف إطلاق النار ، وبالطبع قررنا الإستسلام الذي جرننا إليه مع رجال الانقلاب موقف الذاري الذي قوت فرصة الإستسلام المشروطة .

(الاستسلام ، ورجال الانقلاب)

كان الانقلاب قد لفظ أنفاسه ظهر الاثنين . وأبقى إمامه وبعض رجالاته في المقر ، وبعضهم خارج المقر ومن المقر بالساعة العاشرة من ليلة الأربعاء لفظت إمامة المتوكل على الله عبد الله أنفاسها ، فلهقت الإمامة الانقلابية الديمقراطية بإمامة الوزير الدستورية في الرفيق الأعلى .

وبقي رجال الانقلاب في المقر وغيره ، وكان يرجى لهم الحياة وعدم السجن لو تمت المصالحة مع أحمد خلال الهدنة إلا أن خروج الذاري وموقفه كان كارثة على رجال الانقلاب ، فقد خرجت حقيقة الوضع بالمقر من انهيار معنوية الجيش واختلافه ثم فراره ، خرجت تلك الحقيقة بخروج مغوارنا الذاري مما جعلت أحمد يلغي الهدنة ويرفض المصالحة وينذرنا كما سبق ثم يتصل بنا في الساعة التاسعة للإجابة على طلبه ، فيجيبه أخوه المتوكل عبد الله بالاستسلام المطلق وبذلك انتهت الإمامة الانقلابية الديمقراطية وما بقي إلا رجال الانقلاب .

(رجال الانقلاب)

وفي مقدمتهم الزعيم أحمد الثلاثي ، قبض عليه وهو في طريق فراره فجر يوم الأربعاء .

٢ - سيف الإسلام عبد الله ورفاقه المحصورون بالمقر وهم ١ - حمود الوشلي ٢ - عبد الله الشماحي . ٣ - علي المطري ٤ - زيد عقبات ٥ - يحيى الكبسي ٦ - يحيى محمد باشا المتوكل ٧ - علي حجر ، قبض على ثمانيتهم وغلت أيديهم بمعائهم واعتقلوا في مبنى وزارة الخارجية ، وسرعان ما أطلق البعض .

كما قبض في ليلة الأربعاء على بقية رجال الانقلاب خارج المقر بتعز وإب وصنعاء ، وفي مقدمتهم القاضي عبد الرحمن الارياني ، ولم يفلت من القبض إلا بطل الانقلاب الحاج مرشد ، فقد أعانته عضلاته ، وقدماء الحافيتان وحياته الحسنة وإيمانه بعدالة الانقلاب لإيمان العامة ، أعانته هذه الحلال على التسلق

واختراق الصعاب والجبال إلى الجنوب اليمني المحتل ، وما أخرج اليمن إلى مثل هذا الشاب وخلال ، إلى جانب قيادة جكيمة قديرة مهابة مخلصه ، فإننا واليمن لن نصل إلى أهدافنا وتطلع اليمن الشخصية اليمنية المنتظرة ونتجنب العثرات والمجازر إلا إذا تحققت تلك القيادة الخالصة اليمنية المخلصة لها حماة ومنفذون شباب غشوشون متمعدون ، ويؤمنهم ودينهم مؤمنون وعلى كرامة واستقلال بينهم حريصون . فالشباب هم القوة لرسوخ المبادئ ، ونهضة الشعوب ، ولن يكون الشباب قادرين على أداء هذا الواجب إلا إذا استمدوا قوتهم من أنفسهم ومن واقع بلدهم ، فلا يقعوا فريسة للمطامع الأجنبية والأفكار المستوردة المردية ، ولا ألعوية بيد أذعياء الثورات والوطنية والدين ، فإن هؤلاء الأذعياء هم أعداء الأوطان والأديان والسرطان المؤذي القاتل لقادات الإصلاح والثورات والانتفاضات والانقلابات ، فكما قضوا على ثورة عام سبعة وستين هجريا وساقوا أبطالها إلى بطون السباع ومخالب الطيور فهم هم الذين قبروا الانقلاب في مقره .

وساقوا معظم رجالاته ، إلى (الإعدام)

وفي صباح الأربعاء ٢١ شعبان ابتداء إعدام رجال الانقلاب فأعدم بتمعز :

- ١ - الزعيم المؤمن طيب النفس المقدم أحمد الثلايا .
- ٢ - الشيخ علي الغولي .
- ٣ - الشيخ علي المطري .
- ٤ - الشيخ محسن الصعر .
- ٥ - الأمير السيد محمد بن حسين عبد القادر ، ولما مثل في ساحة الإعدام قال كلمته الماثورة : اللهم إن أحمد قد أسرف في قتل الأبرار فلا تسلط سيفه على أحد بعدنا .

- ٦ - القاضي يحيى السياحي .
- ٧ - القاضي حمود السياحي .
- ٨ - الضابط أحمد الجلدي .

- ٩ - الضابط أحمد الدفعي .
- ١٠ - الضابط أحمد معصار .
- ١١ - الضابط عبد الرحمن باكر .
- ١٢ - الضابط حسين الجناتي .
- ١٣ - الضابط علي السمه .

وأرسل سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى مع أخيه سيف الإسلام العباس من مبنى وزارة الخارجية إلى حجة وكان إعدامهما هناك بقاهرة حجة ، كما أعدم في صنعاء عبد الله الشامي صهر العباس .

(القاضي عبد الرحمن الإرياني ونجاته والسيف مصلت على عنقه)
وأخرج القاضي عبد الرحمن الإرياني من معتقله بتعز وسبق غفورا مغلولاً إلى ساحة الإعدام ميدان عرضي تعز وهناك يجري الإعدام فأوقف الإرياني ينتظر دور إعدامه ولما فرغ السياف من الإطاحة ببعض رؤوس رجالات الانقلاب دعى الإرياني والسيف مصلت بيد الجلاد ليلحق رأس الإرياني بمن سبقه في تلك الساحة وتلك اللحظة وبذلك الصارم المصلت الذي يسيل الدم عليه ، وفي رباطة يتقدم القاضي الإرياني إلى النطع وذلك السيف وعلى مشهد من الناس وتحت نظرات أحمد الرهيبية وأن قاضينا شيخ الإسلام بين النطع والسيف إذ بالقدر يتدخل فيأمر الإمام أحمد بتأخير إعدام الإرياني ، وأن يرجع إلى معتقله ، ثم كان إطلاقه .

وقد كان في مقدور الإرياني أن يفر يوم الاثنين إلى عدن إذ كان في بيته بصالة لا رقيب عليه ، ولكنه كما سبق من أولئك القادة القلائل الذين لا يستجيزون أن يقودوا أمتهم حتى إذا فشلوا ووقعت الأمة في محنة ورفاق النضال في كارثة تخلوا عن الأمة وعن الرفاق ونسوا الدعوة وفروا لينعموا بعبيدين عن أمتهم ومصير رفاقهم .

ولقد تمسك الإرياني بفكرته في ثورة سبع وستين هجرية وفي انقلاب عام ٧٤ أربع وسبعين هجرية ، فأنجاه الله كما أنجانا من الغم ليؤدي ونؤدي

الرسالة ، فإن الانقلاب وإن فشل وأفقد اليمن مجموعة من الأبطال فقد ترك آثاره .

(آثار الانقلاب)

يعد الانقلاب امتداداً لثورة سبعة وستين هجرية ومن صنع رجال تلك الثورة وقد كان له آثاره ، فقد بلغت رهبة الإمام أحمد الذروة ، وبلغ سوء ظنه بإخوته وأبنائهم النهاية ، ولم يبق من أعيان إخوته إلا سيف الإسلام الحسن المنفي خارج اليمن .

وزادت ثقته بابنه محمد البدر ، وأعلن ولاية عهده رسمياً ، وكان من ولي العهد أن أخرج من السجون بقية رجال ثورة سبعة وستين هجرية وضمهم ومن كان قد أطلق منهم إليه ، وعليهم وعلى مجموعة من المستنيرين شباباً وضباطاً وعلماء وشخصيات كان جل اعتماد ولي العهد في استعداده لمقاومة عمه الحسن وأتباعه الذين منهم أبناء أعمامه ، ويجنح في سياسته الخارجية عن الكتلة الغربية إلى الحكومة السوفيتية والصين الشعبية ومن يصادقهما من الدول العربية ، وفي مقدمتها الجمهورية المصرية وقد نجم من ذلك وبإيجاء من المتصلين به إقامة ميناء الحديد ، وشق الطريق من الميناء إلى صنعاء وتسليح اليمن بالطائرات والدبابات وسائر الأسلحة المقدمة من الاتحاد السوفيتي ، وتدريب مجموعة من الشباب على تلك الأسلحة إلى غير ذلك مما لولاه لما نجحت ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ .

وعلى أثر فشل الانقلاب واستشهاد من قتل من رجاله ، كان من أحمد حل لواء القناصة وتمزيق شبابه ثم خلد الإمام أحمد إلى الراحة وأسرف في تناول المورفين حتى كاد يسلبه فتوته وحياته ، فقرر ذهابه إلى الخارج للمعالجة .

(سفر الإمام إلى روما)

اطمأن الإمام أحمد إلى استقرار الوضع باليمن وأراد أن يختبر ابنه ولي العهد ويمرنه على حكم اليمن ، ويتخلص هو من مرضه فقرر أن يسافر للعلاج

إلى روما فاستتاب عنه ابنه ولي العهد وجعل بجانبه أمير لواء إب القاضي أحمد السياغي ثم سافر معه مجموعة من ذويه وخدمه وحاشيته إلى شخصيات يرى فيها خطراً ومنهم القاضي عبد الرحمن الإرياني الذي كان الإمام يحترمه ويقدر آراعه ويتوسم فيه خطورة ، وكان غياب الإمام أحمد فرصة تراحم في اغتنامها المستنيرون الملتفون حول ولي العهد مع أتباع سيف الإسلام الحسن وذوي المصالح والميول الغربي .

وقد تمكن الملتفون حول ولي العهد من إصلاحات جزئية وإدخال شخصيات جديدة في أجهزة الحكومة وإقناع ولي العهد بإنشاء جيش قوي مزود بأنظمة وأسلحة عصرية ، وعملياً بدأت أول خطوة بتعليم مجموعة من الشباب وتشكيل لواء عرف بفوج البدر عهد تشكيله إلى السلال الذي أدخل فيه مجموعة من أفراد القناصة الذين طردهم الإمام أحمد ، إلى ما هناك من خطوات هادئة إصلاحية كان مقرر لها أن تتوسع لو طال غياب الإمام واستقرت الأوضاع في غيابه ، واستقدم عدداً كبيراً من الضباط من جمهورية مصر العربية لتدريب الجيش .

ولكن ذوو المصالح وأتباع الحسن لم يدعوا الأوضاع تستقر فهو خطر على مصالحهم المهدد لها ولي العهد واتجاهاته ، وفي الاستقرار قوته ومزيد ثقة والده به وإذا اضطربت الأوضاع زالت ثقة الإمام بإبنه وتحول بثقته إليهم وقد وجدوا في غياب الإمام الفرصة فيما كاد يستقر بروما إلا وقد تمكن هؤلاء من إثارة الإضطراب يساعدهم أحمد السياغي وأمثاله من ذوي الميول الحسنية ، فإذا بالجيش النظامي يتمرد بتعز ويصنعاء ويشير الرعب والدعر ، ويبدأ التمرد لا عن طريق القوة القيادية ، بل عن طريق الإدارة التي خلفت وراءها استمرار الدعر وضعف الأمن ومهابة الحكومة ، وغليان الجيش ، ونشاط هؤلاء الأتباع في بث الأراجيف التي بلغت في بعض الليالي إلى اعتقاد ولي العهد بأن الجيش سيهاجمه في قصره مما دفعه إلى أن يستنجد بالقبائل .

(الجيوش القبلية قدخل صنعاء)

استجابت القبائل لنداء ولي العهد في سرعة فدخل منهم إلى صنعاء بأيام

قلائل أكثر من خمسين ألفاً ، فازداد الموقف تعقداً ، فقد انطلق الناقمون وأتباع الحسن وذوو المصالح والميول الغربية وأشخاص معلومون في مضاعفة تعقيد الموقف بإثارة الأحقاد بين الجيش وبين القبائل وبث الأراجيف ، ثم تسجيل الموقف بأشرطة تسجيل للرهج والاحتفالات والخطب الحماسية المطالبة بالإصلاح ونحوها ، وإرسال تلك الأشرطة المرفقة برسائل مهولة للموقف إلى الإمام بروما محملين التبعية الملتفين حول ولي العهد سيما أولئك الذين أطلقوا من سجون حجة وتعز أمثال حميد بن حسين الأحمر وسان أبو لحوم مفيدبن أن هؤلاء يحاولون دفع ولي العهد إلى إقامة حكومة جديدة متحررة وخلع الإمام أحمد إلى ما هناك من إثارة للإمام زادها المحيطون بالإمام من الحسينيين تهويلات أغضبت الإمام أحمد وجعلته يكتب لابنه مهدداً له ويعلن أنه سيعود ويضرب أعناق هؤلاء المفسدين ، وأن أول من يضرب عنقه إنه محمد البدر ، وكان الإمام قد تحسنت صحته وقرب من استكمال المعالجة ، ولم تدعه الأحداث أن يتم المعالجة فعاد إلى اليمن وعند نبأ عودته وقبل وصوله الحديدة إندفعنا نحن وأولئك الذين أثاروا الإضطراب نرقص ، نحن خوفاً ، وهم فرحاً .

(الحديدة)

وللتخلص من الخطر القادم مع الإمام أقنعنا ولي العهد باستقبال والده إلى الحديدة وإظهار البهجة بمقدمه وإقامة المهرجانات الابتهاجية نتمكن فيها بالخطابات والشعر على استرضائه وتبديد تصورات المظلمة نحو ابنه ونحونا فاستجاب ولي العهد ، ومن الحديدة ذهب على زورق لمقابلة أبيه في الباخرة وسرعان ما أثر على والده بأسلوبه القصصي الساحر ، الذي كان يجيده ، وبروح النبوة السلاية ، فلم يصل الإمام الحديدة إلا وقد تغيرت نظرته الجافة في ابنه ، وخف غضبه بالنسبة إلينا ما عدا السلال والجاني في فكان حنقه عليهما شديداً وكانت الحديدة قد لبست حلل الزينة وامتلات بالجماهير المستقبلة سيدها الإمام ولم يصل إلى قصر البوني إلا بمشقة لازدحام المستقبلين المرحبة الفرحة بعودته وفي قصر البوني ومن على شرفات سورته أشرف على المحتشدين ، وألقى خطبته النارية ، التي رعد فيها وأبرق وتهدد بأنه سيهشم بمعوله أنوفاً متغطرسه

فأسددة ، ويشدخ بصرامة رؤوساً هدامة مخربة ، ثم استشهد بقول المتنبي مع
تبديل بعض الكلمات ماسخاً للمعاني الجعفية .

(سأحرس شعبي) بالقنا و (فوارس) كأنهم من طول ما التشموا مرء
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده وضرب كأن النار من حره برد

ثم أرسل جبل النقد للمطالين بالتطور وصب عليهم جام السخرية
اللاذعة وتعرض غير مصرح لشخصيات بأنها تريد الرياسة والسلطة عن طريق
الاضطرابات والتظاهر بالإصلاح والوطنية ، إلى غير ذلك ثم انه قال ليس عنده
لهؤلاء وغيرهم إلا السيف (وسل سيفه من غمده) ثم شهره أمام الجماهير
المحتشدة قائلاً ان صارمي ليلتهب عطشاً إلى دماء رقاب هؤلاء اللذين توسوس
لهم أنفسهم نيل الحكم وانتزاعه من أهله ثم قال : وإن من بقي في عروقه نبض
وفي نفسه وسوسة ، فليظهر (فهذا الفرس وهذا الميدان) ومن كذب جرب .

وكان لخطبته دويماً فما كادت تسمعها الجيوش القبلية عن طريق الإذاعة إلا
وفرت من صنعاء عن بكرة أبيها خوفاً وهلعاً . كأنما تلك الخطبة نفخ الصور ،
أما نحن فقد اتخذنا من الخطبة الوتر الذي يجب أن نوقع عليه لدفع الخطر عنا
فقد أقيمت حفلات أصغى فيها إلى كلمائنا المرحبة بمقدمه والخالعة عليه حلل
الثناء والشارحة مواقف ابنه الحكيم الخازمة التي مكنته من مقاومة الاضطرابات
والمؤامرات التي أثارها أعداء أمير المؤمنين وولي عهده الذي حفظ الأمانة التي
حمله إياها حتى سلمها إليه كما استلمها رغم المشاكل التي أثارها أولئك الحاقدون
إلى ما هناك من المواضع الحساسة التي استلقت غضب الإمام وحولت تخوفنا إلى
أولئك الذين رقصوا فرحاً بمقدمه ، فقد توجهت أصابع التهمة بالاضطراب
إليهم ، ومنهم أحمد السياغي .

وقد هدأت الأوضاع ، واستقر الإمام بالسخنة ولم تبق هناك جنوة إلا في
حاشد وبكيل تركت بعض قاداتها كأنهم على جمر الغضاء نجمت منها حركتا
حاشد وبكيل ، وكان لسنان بن عبد الله أبو لحوم في إشعالها نصيب كبير فآثار
الاحاسيس هنا وهنا ، كما اتصل بالقاضي عبد الله الحجري وأقنعه بتقديم مائة

ألف ريال وخمسين ألف ريال من خزانة المواصلات لتدعيم الحركة ، كما أنه أثر على أحمد السياغي بأن يعدل عن موالة آل حميد الدين إلى موالة الشعب اليمني وقد استماله عن طريق تخويفه من الإمام ففر السياغي بمساعدة سنان إلى بيعان . وبذلك خسر الإمام أقوى دعائم حكم آل حميد الدين ، مما شجع على قيام حركتي حاشد وبكيل .

(حركتا حاشد وبكيل ، ومحاولة اغتيال الإمام)

على أثر إعلان الإمام أحمد تحديه في خطبته بالحديدة ، لم يتحمل ذوو الإحساس والإباء هذا التحدي ، وأن تذلل أمة بأسرها فيقر خمسون ألف مسلح من صنعاء بمجرد سماع صوت أحمد من الإذاعة ، انه إذلال وتسلط باطن الأرض خير من تحمله علي ظاهرها .

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

ولمحاولة غسل هذا الإذلال والموت دون تحمله عقد مؤتمر سري بصنعاء من أعضائه القاضي عبد السلام صبرة . والقاضي عبد الله محمد الأرياني والشيخ حميد بن حسين الأحمر ، وعبد اللطيف بن قايد ، وسنان أبو لحوم ، وعبد الله الضبي ، وعبد الله السلال ، ومحمود الجايفي ، وصالح الرجبي ، قرر فيه المجتمعون وجوب التخلص من الإمام أحمد ، ووضعت لذلك عمليتان مزدوجتان ، هما - اغتيال الإمام أحمد بالسخنة - وقيام ثورة تبتدى بحركة تمرد حاشد وبكيل ، يهدف لها بالتفاهم بين رجالات حاشد وبكيل لجمع صفوفهم في وحدة تكفل بالنجاح ، ويندمج فيها الموثوق بهم من الشخصيات المدنية والثقفة والعلماء ، وقادات الجيش النظامي ، وبعد التفاهم تعلن حاشد وبكيل تمرداً على الحكومة بطرد موظفي الحكومة واحتلال المراكز الحكومية بخمر وحوث وريده وذبيبن ویرط والجوف ومأرب وصرواح وجحانه وغيرها ، وتعينت في هذا الاجتماع بصنعاء الشخصيات المسندة إليها الأعمال في الجهات .

فكلف الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والنقيب علي أبو لحوم ومحمد أبو

لحوم والنقيب عبد الولي القيري وعلي ناصر طريق والشيخ جابر الله الفردعي
والأستاذ سعيد أبليلس الحجري لاغتيال الإمام أحمد ، وكلف النقيب سنان أبو
لحوم والشيخ أحمد الزايندي وغيرهما بالعمل في خولان من صرواح ، والنقيب
حمود بن محمد بن ناجي أبو راس والشيخ عبد الله دارس والشيخ زيد معقل ،
وغيرهم ببرط ، والنقيب علي بن ناجي الشايف وغيره بالجوف ، والشيخ
حسين بن ناصر الأحمر وابنه حميد في حاشد على أن يقوموا بتجميع رجالات حاشد
عذري وعصيمي وخارفي وصريمي إلى آخره ، ومن هناك توجه رسائل إلى جميع
القبل والجيش والعلماء يشرح فيها الوضع المتردي ويطلب بجمع الكلمة على
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تكون كلمة الله ومصالح الشعب وكراماته
فوق تسلط الإمام وتحكمه ، وقد صيغت هذه الرسائل بصنعاء وحررت منها
نسخ كثيرة ، وفي صنعاء قام عبد السلام وعبد الله الأرياني وغيرهما بالاتصالات
مع قادات الجيش وغيرهم ، ويجمع التبرعات وقد قام كل بالعمل الذي كلف
به ، وابتدأت الحركة عام ثمانية وسبعين هجرياً ، فعقد حسين بن ناصر الأحمر
وابنه حميد مؤتمراً بحاشد وأرسلت من المؤتمر الرسائل إلى كل القبل وصنعاء
والجيش وغيرهم ، وبالنسبة إن الإمام عرف التحركات بحاشد ويكيل ، ولما كان
دارساً لأحوال اليمن وقبائلها عارفاً أمرها واتجاهاتها تظاهر بالهدوء وبدأ يستعد ،
ووجه جل اهتمامه إلى حاشد لإثارة الأشخاص والأسر التي يعرف منافستها
للشيخ حسين الأحمر ، ولاستمالة غيرها بالمال وغيره ، كما استخدم بعض
الشخصيات الحاشدية وغيرها في تخدير حسين الأحمر عن مواصلة استعداداته وعن
تعميل حركته ، وترغيبه في نيل مطالبه ومطالب حاشد ويكيل واليمن بطريق
التفاهم مع الإمام وابنه ولي العهد وقد نجح أحمد في ذلك .

وأبرق إلى ابنه ولي العهد بأن يقبض في صنعاء على سنان أبو لحوم ورفاقه
فأعلمنا سنان بما يبيت له فخرج مع رفاقه إلى خولان واتصل بقبيلة جهم التي
قامت بقيادة الشيخ أحمد الزايندي وتوجيه النقيب سنان عام ثمانية وسبعين
باحتلال صرواح وطرده موظفي الحكومة ثم دعوة خولان إلى ثورة شاملة ، فأمر
الإمام محافظ لواء البيضاء القاضي محمد الشامي بإخماد التمرد ، وجرت معارك

انتهت بتغلب الشامي وفرار سنان والزايدي والقيري وغيرهم .

وكان عبد السلام صبره قد وثق الصلات بين الشيخ حسين الأحمر وبين الموثوق بهم من قادات الجيش النظامي بأنه عند أن تثبت حاشد وجودها في أرضها فإن الجيش يؤدي واجبه ، وإذا أرسل إلى حاشد فإنه يادق مقاومة من حاشد سينضم إلى حاشد ويقية القبائل في الزحف على صنعاء ، وتنشط مجموعة من الضباط في التأثير على الجيش ويمثل هذه المجموعة من الضباط عبد الله جزيلان الذي كان يعقد اجتماعات بيت الملازم عبد الله الجرموزي ويتصل بعبد السلام والسلال وتأتي سنة تسعة وسبعين وقد فرغ الإمام أحمد من تفتيت الجبهة الحاشدية من داخلها كما سبق ، وفرغ من استعداداته للزحف على حاشد ثم برط والجوف ونهم وبحولان ذلك الزحف الذي قد مهد له بشق الوحلة الحاشدية .

فقد جمع جيوشاً جرارة من عذر والعصيمات والشرفين وحجور وشحه وقاره والأهجوم وسفيان والحصاريين وغيرهم حشدتها أمير لواء حجة السيد عبد الملك ، وتولى قيادتها عامل حوث السيد محمد ساري الذي زحف بها على معاقل آل الأحمر بالخمري وغيره وعلى خمر وبني صريم وخارف ، كما خرج من صنعاء الجيش الدفاعي بقيادة السيد عبد القادر أبو طالب والجيش النظامي بقيادة الشريف محمد الضميم ، وتوجه الجيشان مع من انضم إليهما من الجيوش القبلية إلى ريدة .

وقد وقف الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد في وجه هذا الطوفان وقفة صادقة فاحتلوا بعض المراكز الحكومية بخمر وغيرها وتقدموا نحو ريدة وجرت معركة خاضها في بسالة ، وانها في قلب المعركة إذ بعملاء الإمام ينسحبون من المعركة ومنهم من انقلب على الأحمر .

ولم يبق بجانب الأحمر إلا نفر قليل لا يغنون فتيلاً فعرض على الأحمر الأمان على أن يذهب إلى الإمام بالسحنة فاستجاب وإلى السحنة ذهب فاعتقل بها ، أما ابنه حميد فعن مخطط سابق ذهب مع بعض رجالات من ذو حسين إلى

الجوف ونزل مدينة الحزم وهناك اجتمع مع النقيب علي بن ناجي الشايف ، وكان عبد القادر أبو طالب قد وصل مع الجيش إلى الجوف فجرت بينه وبين الأحمر والشايف معركة جرح بها الشايف وتفرق عنها أصحابها ونفذ ما عندهما من مال وذخيرة ، فقبض على الشايف وانسحب حميد إلى الزاهر مدينة الأشراف ونزل دار الشريف على الضميم . وهناك قبض عليه ، وأرسل هو والشايف إلى السخنة ومن السخنة أرسل الثلاثة الشايف وخميد وأباه حسين إلى سجن حجة وأرسل بعدهم إلى حجة النقيب عبد اللطيف بن فايد بن راجح وهناك أعدم حسين الأحمر وابنه حميد والنقيب عبد اللطيف رحمهم الله ، واستمر النقيب علي الشايف في السجن .

وفي عام تسعة وسبعين خلال الحركة الحاشدية حاول الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ورفاقه إغتيال الإمام بالسخنة وانتدب لذلك الأستاذ سعيد ولما كاد ينفذ العملية قبض عليه وهو يحمل القنابل وعذب ليبيّن بمن هو متصل ومتآمر فلم يبح بأية معلومات فأعدم كما اعتقل الشيخ عبد الله الأحمر ثم أرسل إلى سجن المحابشة بالشرف .

ويفشل حركة الشيخ حسين الأحمر واستسلام حاشد ذهبت أعظم عقبة عن طريق مخطط الإمام الإخضاعي .

فتقدم محمد ساري بجيوشه الجزارية يحوس خلال الديار الحاشدية فيفرض عليهم ضيافته وضيافة الجيش أياماً معلومة يترك بها الجيش في كل البيوت يأكلون ويقبلون وينامون وهذه الضيافة الإجبارية هي المعبر عنها (بالخطاط) وفي خلال هذه الضيافة قبض ساري على أبناء الأعيان من كل قرية وأرسلهم إلى صنعاء ليقبوا بها ، رمزاً للخضوع ويعبر عنه (برهائن الطاعة) وقد أنخرّب ساري عدداً من دور أهالي حاشد كما أنخرّب دور الشيخ حسين الأحمر بالحمري وانتهب كل ما بها من مال وذخيرة .

وكما عمل ساري بحاشد عمل أبو طالب والضميم عن أمر الإمام في برط ونهم والجوف وأنخرّب بيرط ونهم بيوت وقبض على عدد من الشخصيات من

حاشد وغيرها منهم الشيخ عبد الله دراس والنجيب زيد مهفل والنجيب حمود أبو راس والشيخ مجاهد أبو شوارب واعتقلوا بصنعاء وغيرها .

ولم تلق هذه الجيوش الإمامية أية مقاومة بعد مقاومة الأحمر والشايف إلا في خولان فقد أوقفت جهم وغيرها جيشي أبو طالب والضميم مما أقلق الإمام وأبرق إلى القاضي محمد الشامي بأن يحل الموقف بما يراه وحول له بمائة بندق جرميل ومائة ألف ريال ، وقبل أن يقبض النقد والسلاح تغلب جيشا الإمام على خولان ودخل أبو طالب والضميم خولان يطبقان قانون (الخطاط) وبإخضاع حاشد ويكيل ، خبت الجذوة لا بالماء فتطفئ بل اختفت تحت رماد من التفرق ومن الأغلاط ومن الأوهام إذا هبت ريح من التلذر طار ذلك الركام وأشعلت ريح التلذر الجذوة نارا تحرق ما حولها ما تلبث أن تختفي تحت رمال الأغلاط لتضطرم من جديد وهكذا إلى أن تأتي القيادة اليمنية القديرة الحكيمة فتحول بكفاءتها تلك الجذوة إلى شعلة من نور تملأ الدنيا بأضوائها وتعيد إلى السعيدة سعادتها وكرامتها وحضارتها ، وتمكن اليمن من أداء رسالتها الإنسانية .

وإلى هذه الحياة المعبة بالأنوار تسير الأحداث باليمن ، فإن الجذوة لن تنطفئ ولو صب عليها الطغاة والمستغلون المحيطات ثلجاً ، فكم طاغية ورجالا ومستغلا ودعياً حاول إخماد الجذوة اليمنية فلم ينجح .

فالطاقة الكامنة في تلك الجذوة هي من نور الله الذي أودعه في أعماق النفسية اليمنية المتجلية مظاهرها في حركات جماعية استعرضنا مجموعة منها فيما كتبناه ، وقد تتجلى تلك المظاهر في حركات فردية فإن النكسات المتتابعة التي أصيبت الحركات الجماعية بها هي التي دفعت الثلاثة الأبطال الهمدانين العلفي واللقبي والهندوانه إلى ما قاموا به من عملية أنهت حياة الإمام أحمد .

(العلفي واللقبي والهندوانه)

لم تكن هؤلاء الثلاثة البواسل صلة تخطيطية بأية جماعة أو أفراد في اغتيال الإمام أحمد وإن ادعى تلك الصلة الكثير سيما بعد موت الإمام أحمد وثورة

سادس وعشرين سبتمبر عام ١٩٦٢ م ، إنا ومن يعرف محمد العلفي وعبد الله اللقيع يحكم أن هذين الشابين كانا أمة وحدهما ، وقد كان اللقيع أولهما تفكيراً في الوضع والأحداث من ثورات وانقلابات ونكسات ، وإنها لا تأتي إلا بانقلاب اليمن وبارتفاع الإمام أحمد وأمثاله ، وكان اللقيع يرى أن أهم الأسباب لهذه النتيجة تكمن في تلك التجمعات التي غالب ما يكونها الحرمان الشخصي فيحاول المتجمعون أو الداعون إليه أن يحلوا محل المحرمين لهم ، في الحكم ، ومن هنا تتخذ القرارات والخطط لا عن وحي الشعب ومطالبه الواقعية ، فيكون مصير القرارات وما فجرت من ثورات حتيا الفشل إذا واجهها رجل قوي كأحمد ، كان اللقيع مؤمناً بتنظريته هذه ومؤمناً بأن أحمد هو مصدر شقاء اليمن ، والسد الذي إذا انهار انطلقت اليمن إلى عهد جديد ولو بعد فوضى واضطراب ، ولقد عرفت هذا التذكير من حديث مع عبد الله اللقيع وقد كان هذا الشاب قوي الإيمان بالله مستقيماً كأنه من أصحاب طالب الحق الكندي كما كان مخلصاً لليمن في إيمان مجرد عن أي مصالح شخصية وقد أزعجته النهاية التي وقعت فيها اليمن بعد التضحيات الجسام ، وقد دفعته عقيدته وفكرته في التجمعات : أن يجعل من نفسه الرجل المخلص لليمن من الإمام أحمد ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

ولقد دفعه إيمانه بالله أن يستخير الله فيما يهم به ولما ذهب لأداء فريضة الحج أكثر من الدعاء والاستخارة ، وخرج مقتنعاً بأحقية ما يفكر فيه ، وكأنه وقد اقتنع رأى عملية قتل الإمام عملية هامة قد لا يطبق عليها منفرداً ، فظفر بعد بحث بمحمد العلفي ووجد فيه خير رفيق ، وثاني اثنين ، ثم ضمهما إليهما الهندوانة .

فقام الثلاثة بمراقبة الإمام فرأوا في ترده بعد غروب الشمس إلى المستشفى بالحديدة أحسن فرصة وكنموا له حتى إذا دخل المستشفى مع خاصته أمر العلفي بصفته مدير المستشفى بإغلاق باب المستشفى ثم اطفاء نور الممر وفي الممر وثب الثلاثة على الإمام يصبون على جسمه رصاص مسدساتهم فتفرق عنه بطانته الرعايد وسقط الإمام بين يدي الثلاثة مضرباً بدمائه المتباعدة من

الجراحات المتعددة سقط متماوتا حتى أيقن الثلاثة بعد تقليبيهم له أنه قد مات ، وقد تمكن أحمد في هذه المفاجأة المذهلة أن يضبط أعصابه فيخدع الثلاثة أنه جثة هامدة ، فيذهبون عنه مقتنعين بموته مسرودين بنجاحهم وسرعان ما حمل الإمام وهرع الأطباء إليه لعلاج وإخراج الرصاص من جسده .

وكم كانت دهشة أولئك الثلاثة لبقاء الإمام على قيد الحياة ، مما حمل العلفي على الانتحار أما رفيقه فقبض عليهما وبعد تعذيب ومحاكمة أعدما .

إلا أن الإمام أحمد لم يفلت من آثار تلك الجراحات ، إنها قد جرحت كبريائه وجعلته سجين قصره ، قرين الأنين من آلامها ، رهين القراش قرابة عامين ثم انتهت بموته في تاريخ واحد وعشرين ربيع الثاني عام اثنين وثمانين وثلاثماية وألف هجري الموافق عشرين سبتمبر عام اثنين وستين وتسعمائة وألف ميلاديا ، وموت الإمام أحمد إنهار السد كما قاله اللقي ، فقد خلفه ابنه محمد البدر وتكنى بالمنصور بالله ، ولم تمض على إمامته إلا ستة أيام حتى طوحت به ثورة ١٦ سبتمبر ١٩٦٢ ميلاديا الموافق ٢٧ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ هجري ، وبهذا انتهت دولة آل حميد الدين بالمنصور بالله محمد كما ابتدأت بالمنصور بالله محمد ، فلنلق نظرة (خاطفة متزعة مما أسلفناه) على أحمد ودولة آل حميد الدين والإمامتين الدستورية والانقلابية .

(الإمام أحمد)

إن الإمام أحمد كما سبق من أولئك القادة القلائل الذين تلتقي في مقوماتهم وحولهم المتناقضات فملاحمه تكاد تتحدث عن ذلك اللقاء وعن شخصيته القوية وما يمتاز به من أريحية وشجاعة وسرعة حركة وبادة وفك وإثارة في السلطة والحكم ، وذكاء يلمح الفرص فلا يدعها يثبت ريشها حتى يخطفها بمغامرة القائد العسكري الواثق بقدرته على اقتناص العظام .

وقد جاءت الأحداث فصقلت مواهب الخير والشر في هذا الرجل فإنه من عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف تاريخ احتلاله حجة وطرد شييان منها وهو في

صراع مع الأحداث والأخطار لا هوادة فيه ، ولا هدنة ، فما تغلب على خطر جليل إلا فاجأه حادث أخطر ، قل من يصمد لمواجهة أعاصيره فضلاً عن مصارعة تلك الأعاصير ثم التغلب عليها وإحناء أعناقها لمشيئه ، ولم يكن مرجع صمود هذا الرجل وتغلبه على منافسيه إلا لما ذكرناه ، وغمسه بالأهوال منذ ظهوره على مسرح الحياة السياسية إلى جانب دراسته النفسية والأوضاع اليمنية .

وعلى أثر تحركات حاشد وبكيل وتغلبه عليها بدا اليمن والإمام أحمد وكأنهما قد سئما الصراع وإن اليمن قد أخذ إلى راحة الاستسلام وأن أحمد قد شعر بالاطمئنان والاستقرار فرأى أن يتظاهر بأنه قد شرع في إخراج اليمن من سياسة العزلة فساعد إبنه ولي العهد بتقوية العلاقات مع الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي وعلى تحقيق بعض المشاريع كالميناء وشق طريق الحديد صنعاء وغير ذلك كما استجاب إلى مؤتمر القمة بجدة المكون منه ومن الرئيس جمال والملك سعود وإلى إقامة الاتحاد بين اليمن وجمهورية مصر العربية .

ولكن إخلاد اليمن إلى راحة الاستسلام لم يكن إلا نوبة استجمام لوثة يمنية جديدة ، بدأت بعملية اللقيح ورفيقه ونجسدت في الثورة التي أنهت حكم آل حميد الدين .

(دولة آل حميد الدين ، والإمامتان الدستورية والانقلابية)

مما أسلفناه نعرف أن مؤسس دولة آل حميد الدين القاسميين هو الإمام
النصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين .

عام ١٣٠٧ - ١٣٢٢ هـ
فخلفه ابنه .

الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد .
عام ١٣٢٢ - ١٣٦٧ هـ .

الذي حذا حذو سلفه في محاربة الأتراك انتهت بانتصار اليمن وإتفاقية
دعان عام ١٣٢٩ وقيام دولة آل حميد الدين المعروفة بالحكومة المتوكلية اليمنية
التي استقلت عام ١٣٣٦ هـ يحكمها الإمام يحيى إلى أن قتل في ثورة ٧ ربيع
الأخر عام ١٣٦٧ هـ وقامت حكومة دستورية ، إمامها .

الإمام الدستوري الداعي عبد الله الوزير

من ٧ ربيع الآخر عام ١٣٦٧ - ٣ جمادى الأولى عام ١٣٦٧

وهو أول إمام دستوري إنتهت إمامته بفشل الثورة ٣ جمادى الأولى عام
١٣٦٧ فعادت الإمامة الملكية إلى أسرة حميد الدين بتغلب أحمد .

الإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين

٣ جمادي الأولى عام ١٣٦٧ - ١٤ شعبان عام ١٣٧٤ هـ .
تاريخ الانقلاب الديمقراطي ونصب سيف الإسلام عبد الله بن الإمام
يحيى حميد الدين إماماً إنقلابياً ديمقراطياً .

الإمام المتوكل على الله عبد الله بن يحيى حميد الدين .

٤ شعبان عام ١٣٧٤ - ٢١ شعبان عام ١٣٧٤
ويفشل الانقلاب ٢١ شعبان ١٣٧٤ عادت الإمامة الملكية إلى الإمام أحمد
حتى مات .

٢١ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ فخلفه ابنه .

الإمام المنصور بالله محمد البدر بن أحمد بن يحيى بن المنصور محمد حميد
الدين

٢١ ربيع الثاني عام ١٣٨٢ - ٢٧ ربيع الثاني عام ١٣٨٢
تاريخ ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٣م التي أنهت الإمامة الملكية وأقامت الجمهورية
العربية اليمنية وعن هذه الثورة سنتكلم في كتاب خاص نتناول مقدماتها الممكن
معرفتها من هذا المؤلف ، كما سنتناول هذه الثورة مع ذوئها وقاداتها والدخلاء
عليها وما واكبها من أحداث وتيارات معاكسة ومساندة نتناول كل ذلك بقلم
التاريخ وأمانته ، وبالله الاستعانة ، وسنختتم مؤلفنا هذا بملحقات هامة
وملخص .

(خلاصة لما تناوله هذا المؤلف من تاريخ اليمن)

- ١ - اليمن مهد الساميين (العرب القدامى) وهو مهد الحضارة ومنه استمد السومريون والبابليون وقدامى المصريين وغيرهم العلوم والحضارة ونقلوها إلى الفرس واليونان والرومان .
- ٢ - قامت في اليمن قبل الإسلام دول عظيمة منها ما لم يعثر لها حتى اليوم على آثار في اليمن ، وهي :
العمالقة ، وعاد الأولى والثانية ، وثمود الأولى ، ويعرب ، ومنها ما عثر لها على آثار وأعظمها ثلاث .
- ١ - معين عام ٣٧٠٠ - ٩٠٠ ق.م تقديرا عاصمتها معين ، ثم قرن بالجوفا .
- ٢ - سبأ عام ٩٠٠ - ١١٥ ق.م عاصمتها مأرب .
- ٣ - حمير عام ١١٥ - وم ٥١٥ ب.م . عاصمتها ظفار (ذي ريدان) .
وبعد سقوط العرش الحميري عام ٥٢٥ ب.م . لم يستقر لليمن وضع وانحدرت حضارته إلى هوة من التأخر لا يعرف له قعر ، نتيجة الانقسام العقائدي من مسيحية ، ويهودية ، وزرادشتية ، ووثنية ، ودهرية ، وغيرها .
- ٣ - جاء الإسلام فكانت اليمن أول من ناصرته ، وأول شعب لبى بصفة جماعية الدعوة الإسلامية ، وتحققت . بعهد الرسول وخلفائه الراشدين الوحدة اليمنية في ضمن الوحدة الإسلامية .
- ٤ - اليمنيون هم الذين دفعوا حجلة الإسلام في صدر الإسلام ، مما أدى

٦ - الدول المستقلة باليمن والمنداخللة من عام ٢٠٠ إلى عام ١٣٨٢ هـ

عدد	دولة	اسم	نسب	تاريخ	ملاب	عاصمة	عدد طوك
١	دولة	آل زياد	قبل قرشين	٢٠٣ - ٤٠٩	سبون	زيد	٥
٢	دولة	آل يعفر	المعمرين	٧٢٥ - ٣٩٧	مجهدون	شبان ثم صنعاء	١٠
٣	دولة	آل الصليحي	المعدانيون	٤٣٩ - ٥٣٢	إسماعيلون	صنعاء ثم جبه	٤
٤	دولة	آل مهدي	المعمرين	٥٥٤ - ٥٦٩	مجهدون	زيد	٣
٥	دولة	آل أيوب	الكرديون	٥٦٩ - ٦٢٨	شافعية	تعز	٥
٦	دولة	آل حاتم	المعدانيون	٤٩٢ - ٦٢٥	أسماعيلون	صنعاء	٥
٧	دولة	آل رسول	الأزدون	٦٢٨ - ٨٥٨	شافعية	تعز	١٢
٨	دولة	آل طاهر	المحجرين	٨٩٨ - ٩٢٣	شافعية	المقراة	٤
٩	دولة	المماليك المعمرين ، والجراكمة		٩٢٣ - ٩٤٥	شافعية	زيد وصنعاء	
١٠	دولة	الإبراك	المعدانيون	٩٤٥ - ١٠٤٥	حفية	زيد وصنعاء	
١١	دولة	آل القاسم	المعدون	١٠٤٥ - ١٢٦٥	زيدية	ضوران ثم صنعاء	١٩
١٢	دولة	الإبراك مرة ثانية	المعدانيون	١٠٢٥ - ١٣٣٦	حفية	الحديدة ثم صنعاء	
١٣	دولة	آل حميد الدين	القاسميون	١٣٣٦ - ١٣٩٧	زيدية	صنعاء	٣
١٤	دولة	الإمام عبد الله الزعير	المعدوي	١٣٩٧ - ١٣٩٧	دستورية	صنعاء	١
١٥	دولة	آل حميد الدين مرة ثانية	القاسميون	١٣٩٧ - ١٣٨٢	زيدية	صنعاء	٣
١٦	دولة	الجمهورية العربية اليمنية		١٣٨٢ - ٥٥٥٥	مجهدون	صنعاء	

الإمارات اليمينية كثيرة وكلهم يمينون ما عدا انجاح بني شهرها كما يلي :

عدد	اسم	نسب	تاريخ	ملقب	عاصمة
١	بنو من	حميريون	٣٧٥ - ٤٣٩	يحميدون	عدن
٢	بنو الكرندي	حميريون	٣٧٥ - ٤٣٩	يحميدون	في جب العافر
٣	بنو النجي	حميريون	٣٧٥ - ٤٣٩	يحميدون	الشمر
٤	بنو وائل	حميريون	٣٧٥ - ٤٣٩	يحميدون	وحاظة من بلاد إب
٥	بنو الناهي	حميريون	٣٧٥ - ٤٣٩	يحميدون	مديخرة عدن
٦	بنو نجاح	أحمالي	٤٥٣ - ٥٥٥	شامية	زيد
٧	بنو الفصحاك	المعدانيون حاشبيون	٧٦٥ -	يحميدون	ريده بورن صمران
٨	بنو الدحام	المعدانيون الرحي	٧٦٥ -	يحميدون	الجوف
٩	بنو أبو الفتح	أخويلاي حميري	٣٤٥ -	يحميدون	جصانه عولان
١٠	بنو ذريح	المعداني	٤٦٧ - ٥٦٩	إسماعيليه	عدن
١١	بنو شرحيل	أخويريون المعدانيون	٤٥٠ - ٥٣٣	إسماعيليه	الجريب من أفلح
١٢	بنو سلاطين جنب	ملاحجين	٤٩٢ - ٥٨٣	يحميدون وزيديه	قملر

هذه هي الدول والإمارات التي قامت باليمن بعد الإسلام ، وقد قام بهاها الأمة المدريون كما يتل من مخرج الحادي والذي تلخصه في الملحق الآتي :

عليهم أعداء العروبة والإسلام واليمن ، ففتت أولئك الأعداء الوحدة تفتيتاً
ظهرت عوارضه أيام معاوية فإذا باليمن تعود إلى الانقسام .

٥ - فتعرضت لموجات سياسية ومذهبية وعصبية ، ولطماع خارجية اتخذت
الدين وسيلة أقعدت اليمن على بركان لا يهدأ من الثورات المختلفة الأساليب
والأهداف فمن ثورة القبل عباد الرعي عام ١١٠ هـ إلى ثورة طالب الحق
الكندي وأبي حمزة الأزدي عام ١٢٩ هـ إلى ثورة القبل الهيصم عام ١٧٤ هـ إلى
ظهور العلويين بالحجاز واليمن عام ١٩٨ هـ إلى استقبال اليمن عهد الدول
والإمارات المستقلة عام ٢٠٢ هـ .

ملحق حول الأئمة العلويين باليمن من عام ٢٨ - ١٣٨٢ هجرياً

استمر الأئمة العلويون باليمن أحد عشر قرناً لعبوا دوراً خطيراً في تاريخ اليمن .

ويعد الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، المؤسس الأول لمركز العلويين باليمن فقد استطاع أن يجعل من صعدة مقاطعة يعتصم بها الأئمة العلويون ، والدعوة الزيدية ، ويشنون منها غزواتهم ، ومعارضتهم للدول التي قامت باليمن من عام أربعة وثمانين ومائتين هجرياً إلى عام خمسة وأربعين وألف هجرياً أي مدة سبعمائة عام وواحد وستين عاماً ، فقد كان دور العلويين في هذه القرون السبعة والنصف دور المعارضة والمنازعة للدول القائمة باليمن والإمارات لأن العلويين مروا في اليمن في ثلاثة أدوار كما يلي :

١ - دور الدعاية من أيام الإمام علي كرم الله وجهه إلى عام ٢٨٠ هـ .

٢ - دور المعارضة ٢٨٠ - ١٠٤٥ هـ .

٣ - دور الحكم والملك ١٠٤٥ - ١٣٨٢ هـ .

هذه الأدوار الثلاثة عرفت بها عما كتبناه ، ويبتدىء دور حكم وملك العلويين في اليمن من العام الخامس والأربعين من القرن الهادي عشر هجرياً ، وينتهي

يعام ٨٢ / اثنين وثمانين من القرن الرابع عشر ، ولا يستثنى منه إلا فترة الحكم العثماني التركي الأخير في الشمال من عام ١٣٨٩ وفي تنامه من عام خمسة وستين ومائتين وألف إلى عام ستة وثلاثين وثلاث مائة وألف على أن الأتراك لم ينعموا في هذه الفترة بحكم مستقر وقد بلغ عدد الأئمة الظاهريين من العلويين باليمن في دوري المعارضة والمملك ثلاثة وسبعين إماماً .

اثنان منهم من أولاد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وهما : الإمام يحيى بن حمزة عام ٥٦٩ هـ في عصر الدولة الرسولية والإمام شرف بن محمد عشيش عام ١٢٩٦ هـ خلال الاحتلال التركي الأخير .

وبقية الأئمة من أولاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ، منهم ثلاثة من ذرية زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهم :

١ - الإمام محمد بن يحيى السراجي في عام ٦٥٩ هـ أيام بني رسول .

٢ - الإمام محمد علي السراجي الوشلي عام ٩١٠ هـ أيام بني طاهر .

٣ - الإمام أحمد بن علي السراجي في عام ١٢٤٧ هـ أيام بيت القاسم .

واثنان من أبناء علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهما :

١ - الإمام أبو الفتح الديلمي عام ٤٣٧ هـ أيام بني الصليحي .

٢ - الإمام أحمد بن علي الفتحي الديلمي عام ٧٣٠ هـ أيام بني رسول .

والباقيون ستة وستون إماماً من ذرية الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ،

ثلاثة من أولاد عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وهم :

١ - الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن عام ٤٣٦ هـ في الفترة بين

اليعفرين والصليحيين .

٢ - الإمام عبد الله بن حمزة عام ٥٨٣ هـ أيام بني أيوب وبني حاتم .

٣ - الإمام المطهر بن محمد الحمزي عام ٨٤٠ هـ أيام بني طاهر .

وثلاثة من أبناء محمد بن القاسم الرسي وهم :

١ - الإمام القاسم العياني عام ٣٨٩ هـ في الفترة بين اليعفرين والصليحيين .

٢ - الإمام الحسين بن القاسم العياني عام ٤٠٣ هـ في الفترة نفسها .

٣ - الإمام أبو طير أحمد بن الحسين عام ٦٤٦ هـ أيام بني رسول والباقون ستون إماماً من أبناء الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي .

(أئمة دور المعارضة)

ثلاثة وأربعون إماماً سنة ٧٨٤ - ١٠٥٤ هـ .

الأئمة الذين عارضوا بني زياد وبني يعفر وآل الضحاك ١٠ عشرة .

- ١ - الإمام الهادي يحيى بن الحسين ٢٨٠ - ٢٩٨ قبره بصعده
- ٢ - الإمام المرتضى محمد بن الهادي يحيى ٢٩٨ - ٣٠٠ قبره بصعده
- ٣ - الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى ٣٠٠ - ٣٢٥ قبره بصعده
- ٤ - الإمام المنصور يحيى بن أحمد بن الهادي يحيى ٣٢٥ - ٣٤٥ قبره بصعده
- ٥ - الإمام المختار قاسم بن يحيى بن أحمد بن الهادي يحيى قتله الضحاك قبره بصعده
- ٦ - الإمام المنتصر محمد بن المختار بن يحيى بن أحمد نقل أباه إلى صعده
- ٧ - الإمام الداعي يوسف بن يحيى بن أحمد
طالت أيامه يعزل ويعود وتغلب العيانيون بوقته
قبره بصعده

- ٨ - الإمام المنصور قاسم بن علي العياني بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي جاء من الحجاز عن طريق خثعم إليه ينسب العلويون العيانيون .
٣٨٩ - ٣٩٣ عيان قرية من حرف سفيان

٩ - المهدي الحسين بن القاسم العياني قتله بنو الضحاك عام ٣٩٣ - ٤٠٣

ادعى أنه المهدي المنتظر وراجت دعوته حتى أن أخويه الفضل وذا الشرفين لم يدعيا أخذاً بهذه النظرية وأن الحسين حي ويعرف أتباعه بالزيدية الحسينية .

١٠ - أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد ٤٢٦ - ٤٣١
الله بن الحسين بن القاسم الرسي هو جد الحمزات قبره بناعط
ودفن بناعط

الأئمة الذين عارضوا آل الصليحي وآل حاتم ٢ -

١ - الإمام أبو الفتح الديلمي الناصر بن حسين بن محمد بن عام ٤٣٧ -
عيسى بن محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن ٤٤٤
الحسن بن علي بن أبي طالب قتله الصليحيون ودفن قبر فيدعنس
بقاع فيد شرقي ذمار وقد خرج من فارس رأساً طعن في
نسيه العيانيون .

٢ - الإمام المتوكل أحمد بن سليمان الهادي حارب السلطان
حاتم واحتل صنعاء وبلغ ذمار ودخل زبيد ، ثم ضعف حيدان صعده
واعتقله العيانيون فأنجده السلطان علي بن حاتم وأرجعه
إلى صعده كما ادب العيانيين .

الأئمة الذين عارضوا دولة بني أيوب وآل حاتم أيضاً ٣ -

١ - الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وبعد من أعظم الأئمة عام ٥٨٣ -
صولة ودعاية شاعراً كاتباً فائقاً عبقرياً ، عارض آل ٦١٤
حاتم والأيوبيين واستأصل الفرقة الزيدية المطرفية بأن
قتل منهم أكثر من مائة ألف وأخرب مدنها وكفرهم
وسبهم لأنهم لا يرون حصر الخلافة في الفاطميين ،
وكان ينسبهم إلى الطبيعيين ، مغالطة .

٢ - الإمام محمد العفيف بن المفضل الهادي جد آل الوزير عام ٥٩٩ .
ثم تنازل لعبد الله بن حمزة وأزره فسمى بالوزير
وأبناءه .

٣ - الإمام المعتضد يحيى بن المحسن بن محفوظ الهادي جد
بيت الشامي تغلب عليه الأمراء أبناء عبد الله بن حمزة
وكان من عظماء العلماء .

١ - الإمام المهدي أبو طير أحمد بن الحسين من أبناء محمد بن
القاسم الرسي ، قوي أمره فأثار عليه المظفر أبناء عبد
الله بن حمزة فقتلوه .
عام ٦٤٦ -
٦٥٥
قبره بظفار
ديين

٢ - الإمام محمد بن يحيى السراجي من أولاد زيد بن
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قبض عليه
سنجر الشعبي وسمله ومات وقبر بمسجد الأجلد
بصنعاء المعروف بالوشلي .
عام ٦٥٩ -
٦٦٠
صنعاء

٣ - الإمام المنصور الحسن بن بدر الدين الهادي قام بهجرة
رغافة بخلاف صعبه وناصره إخوه الحسين مؤلف
الشفاء في الحديث .
عام ٦٦١ -
٦٧٠

٤ - الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين
إبن أخ الحسن بن بدر الدين ، قوي أمره نازله سنجر
حول صنعاء فتحول إلى ذمار فتلقيه المظفر بأفق جهران
بتهز وأسرهم فمات بالسجن بتهز .
عام ٦٧٠ -
٦٧٤

- ٥ - الإمام المتوكل المطهر بن يحيى الهادي المظلل بالغمام قام
بغسولان ثم فر من تنعم بني بهلول بين المطرفسمي
المظلل بالغمام ثم استقر بحصن ذروان حجة الذي
مات فيه من أعلام علماء الأئمة .
- ٦ - الإمام المهدي محمد بن المطهر بن يحيى من أعلم وأقوى
الأئمة استولى على صنعاء والمغرب وحجة وثلاء وجميع
الشمال ، دفن بجامع صنعاء .
- ٧ - « المؤيد يحيى بن حمزة الحسيني دعا بصعدة من أعلام
العلم عارضه ثلاثة .
- ٨ - « الولائي مطهر بن محمد بن المطهر تنازل للمهدي علي ابن
محمد ٧٥٠ كاتب شاعر .
- ٩ - الإمام أحمد بن علي الفتح الديلمي
- ١٠ - الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور الهادي
من عظماء الأئمة الدهاء امتد نفوذه إلى ذمار وريمه
وقضى على الفوضى بالشمال وصارع الإسماعيلية خلفه
ابنه صلاح الدين .
- ١١ - الإمام الناصر صلاح الدين بن المهدي علي بن محمد
أخذ صنعاء ووسع رقعة إمارته وتبع الإسماعيلية وأخذ
السيف في همدان صنعاء ثم طعن رؤوس القتل بالبقر
وجمع أضرأسهم وجعلها بخزانة جامعة صنعاء وكانت
دولة بني رسول قد شاخت .

١٢ - الإمام المنصور علي بن صلاح المذكور كان جاهلاً فاتكاً
مسعر حرب .
عام ٧٩٣ -
٨٤٠

قبره بصنعاء

١٣ - الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الهادي كان إماماً
علمياً وعلى مؤلفاته تعتمد الزيدية عارض علي بن
صلاح فقبض عليه علي وسجنه بصنعاء ثم فر واستقر
أخيراً بظفير حجه وبه قبر .
عام ٧٩٣ -
٨٤٠
ظفير حجه

١٤ - الإمام الهادي علي بن المؤيد بن جبريل الهادي قام
بهجرة قطاير من بلاد صعده وقبر بقلله من بلاد
صعده .
عام ١٠٠٠ -
٨٣٩
قلله

الأئمة الذين عارضوا بني طاهر والجراكسة والأتراك عدد ١٣

١ - الإمام المطر بن محمد الحمزي
عام ٨٤٠ -

٨٧٩ هـ

قبره في ذمار

صنعاء

٨٦٦ صنعاء

٢ - الإمام صلاح بن علي الهادي تعارض هو والمطهر

٣ - الإمام المنصور ناصر بن محمد الهادي تعارض هو والمطهر
خلفه ابنه

٤ - الإمام محمد بن الناصر نعمت صنعاء في أيامه بعهد

عام ٨٦٦ -

٩٠٨

صنعاء

زاهر خلفه أخوه أحمد الذي أسره عامر عبد الوهاب بن
طاهر .

٥ - الإمام عز الدين بن الحسن الهادي قام بقلله بلاد

عام ٨٧٩ -

٩٠٠

صعده .

٦ - الإمام الناصر الحسن بن عز الدين تركه الناس بعد أن

أخلوا خزاينه

- ٧ - الإمام محمد بن علي السراجي من أبشاء زيد بن عام ٩٠٠ -
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مات في سجن ٩١٠
عامر عبد الوهاب بن طاهر .
- ٨ - المتوكل يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي عام ٩١٢ -
أحمد بن يحيى بن المرتضى سالف الذكر ، وبعد هذا ٩٦٥
وابنه المطهر القوة التي قضت على الطموح اليمني إلى ظفير حجه
الملك والسلطة كما شرحناه .
- ٩ - الإمام مجد الدين الهادي قام بقلته صعدة ومات عام ٩٢٩ -
بالحرجة . ٩٤٢
- ١٠ - الإمام المطهر بن شرف الدين يعد هذا أعظم الأئمة عام ٩٦٥ -
صولة وفتكاً إن لم يكن أعظمهم ، عبد الطريق لقيام ٩٨٠
الدولة العلوية . ثلاء
- ١١ - الإمام الحسن بن علي بن داود تقي إلى الاستانة مع عام ٩٨٦ -
أولاد المطهر ممّا ساعد القاسم على وضع قواعد الملك ٩٩٤
لأبنائه . تاريخ نفيه
- ١٢ - الإمام المنصور القاسم بن محمد الهادي مؤسس الدولة عام ١٠٠٦ -
القاسمية . ١٠٢٩
شهادة
- ١٣ - الإمام المؤيد محمد بن القاسم المذكور ، جرت في عهد عام ١٠٢٩ -
هذا الإمام وأبيه القاسم وعهد المطهر وأبيه شرف الدين ١٠٥٤
معارك طاحنة بين اليمنيين وبين الأتراك استمرت مائة شياره
عام انتهت بخراب اليمن وجلاء الأتراك عن اليمن
١٠٥٤ هـ وفي هذا التاريخ انتهى دور المعارضة
العلوية .

وابتداءً دور الحكم والملك العلوي في اليمن وهو دور الدولة القاسمية
المهادوية العلوية وهذا الدور قد سبق أن بيناه وبيننا عدد أئمتته وهو يتبدى من
عام ١٠٥٤ - ١٢٦٥ ثم من عام ١٣٣٦ - ١٣٨٢ هـ وعدد الأئمة من عام
١٠٥٤ - ١٣٨٢ ثلاثون إماماً خمسة منهم غير قاسميين وخمسة وعشرون قاسميون
وعدد الأئمة في دور المعارضة من عام ٢٨٠ - ١٠٥٤ ثلاثة وأربعون إماماً كما
سبق بيانه .

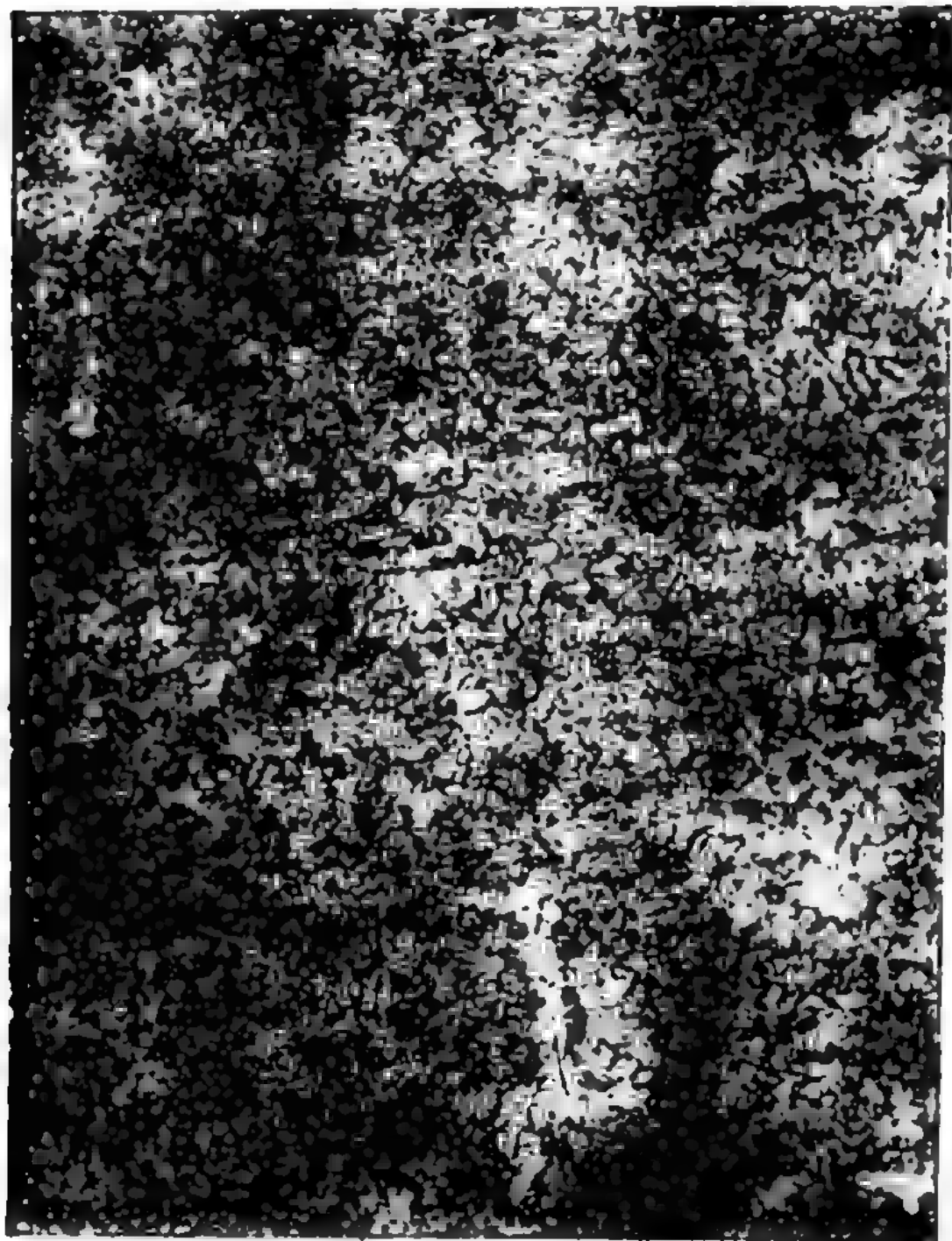
وقد انتهى دور الإمامة الفاطمية معارضة وحاكمة في اليمن بقيام
الجمهورية العربية اليمنية عام ١٣٨٢ هـ جرياً ١٩٦٢ م وإنا لنترجو لجمهوريةنا
الفتية البقاء وأن يتحقق في ظلها لليمن كل السعادة والتقدم والعدالة الاجتماعية
بقيادة المخلصين المؤمنين الأكفاء الحكماء من أبناء اليمن الحريصين على يمنهم
وإيمانهم وعرويتهم ووحدتهم وأداء رسالته الإنسانية والحضارية التي عرف بها اليمن
قبل الإسلام وبعد الإسلام حقق الله ذلك وجعلنا من المتخلفين بأخلاق القرآن
نحب الخير وندعو إليه ونحب الخير ونأخذ بيده كما ندعو الله أن يمنحنا ويمنح
جمهوريةنا الثبات والنصر حتى تتغلب قريباً على جحافل العدوان المحولة إمارة
جمهوريةنا ، (وهو ما لم يكن) فقد شاء الله لهذا اليمن أن ينطلق والله المستعان
وسبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم وصلى الله وسلم على محمد وآله
وصحبه .

ملحق، فيه نص بعض الوثائق .

١ - نص المحرر الاول بخط الإمام أحمد المؤرخ ٨ شعبان سنة ١٣٧٤ هـ

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

٢ - نص المحرر الثاني بخط الإمام أحمد المزور ٩ شعبان سنة ١٣٧٤ هـ .



٣ - ترجمة النص الأول .

بسم الله الرحمن الرحيم «أحمد الله تعالى»

الولد البدر حرمه الله وأعانه والسلام .

ما بلغ عزمك إلى عمران إلا من أخبار الناس فالتغراف مقطوع والشفرة وصلت وفيها أغلاط خطية فلم أتمكن من حل شيء منها وقد حصل الظن إنها لم تكن التي نعمل بها ، أو هي القديمة ولا والله أعلم أين هي الآن ، والمراد أن هذا بواسطة الأخ سيف الإسلام الفخري حرمه الله ، فقد كان التنازل له لقيامه بالأعمال على كتاب الله وسنة رسوله ، والشرعية المطهرة ، فعند وصول هذا أنا أحجرك بحجر الله سبحانه وألزمك بالتوقف الآن بعمران أو حيث يصلك هذا ، وسلم للمشائخ والعقال مصروفاً كل واحد بقدره ، وألزمهم بالعود محلاتهم ، وفي عزمي الوصول إلى عمران فالزم بافتقاد المطار ، والأخ الفخري حرمه الله قد كلفته بتدبير إرسال نظام إلى صنعاء ويجمع المواثر الموجودة ويكونوا عليها إلى صنعاء فالحشية هنالك ، كم ضعفاً ومساكين ونساء وأطفال ، فلا تترك مجهوداً في التوفيق ، وصدر كتب للمصلي وغيره عجلها إليهم الله الله والانتظار للإفادة ، والله المعين ، اجتهد في تسكين الناس ومنع الفتنة ولو تضحي بدمك ، فابذل الجهد ، هذا فإني والله أحب أن ألقاك عند الله وأنت شهيد ، ولا وأنت قائد فتنة وأنت بمحل من الكمال والله المعين .

٨ شعبان ٧١٢ إذا وصل هذا وأنت بحجة فتوقف مكانك

٤ - ترجمة النص الثاني :

بسم الله «أحمد الله تعالى»

إلى المحبين الكرام النظام سلمهم الله ، لقد كان عما سبق في علم الله سبحانه ،

والآن لعل الله سبحانه قد وفق الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح فإننا حملنا الأخ سيف الإسلام عبد الله حفظه الله الخنجة وكان التنازل على أن يقوم بالأمور ويحريها على شريعة الله سبحانه ، ولم يبق ما يوجب الأخذ والرد ، وقد كان هذا بحضور جماعة من العلماء ، فليعد كل واحد محله ، والأخ سيف الإسلام حفظه الله يخرج إلى محله - بالمرضي للقيام بأعمال الناس ، وعليكم جميعاً اعتماد أوامره ، ومن خالف هذا فعليه حجة الله والله المعين والسلام عليكم .

٩ شعبان ٧٤ وقد كان منا التحرير إلى الملحقات بوقوف كل أحد بمحله وعود من قد خرج بيته وسيرسلها الأخ الفخري حفظه الله .

٥- كلمة فخامة رئيس المجلس الجمهوري القاضي العلامة عبد الرحمن الأرياني تعليقاً على هذا المؤلف :

الحمد لله

الأخ رئيس الوزراء حياكم الله :

للأخ الفخري الشماحي مؤلف تاريخي هام كان منا نحن والولد مطهر مطالعته بدقة ، وقد تناول فقرات ومواضيع لم تطرق سبياً الفترة الممتدة من أول القرن الرابع عشر هجرياً إلى عام ٨٣ هجرياً ، فقد طرقها من جميع نواحيها إلى جانب دراسة ناقلة نافذة للمذهب الإسماعيلي والزيدي ، وكنا امرنا بطبعه هنا وأمرتم بذلك قبل نصف عام ثم ترجع أن يطبع بالخارج . ومن الرأي أن يكون بلبنان تحت إشراف الفخري والسفير هناك فتراجعوا مع الفخري في الطريق المحققة لتنفيذ الفكرة في الوقت المناسب .

عبد الرحمن الأرياني

رئيس المجلس الجمهوري

٦ - كلمة دولة رئيس الوزراء الأستاذ محسن العيني ٢٥/٥/٧٢
الأخ العلامة القاضي عبد الله الشماحي مستشار وزارة العدل الأكرم
حفظه الله .

تحية وتقديراً :

تصفحت مؤلفكم الفريد ، وقد أمضيت معه أمتع الساعات ، وعاد به
إلى المراحل التي مر بها شعبنا وخاصة في ربع القرن الأخير ، وهو أروع ما سطر
عن الحركة الوطنية قبل ١٩٤٨ وبعدها .

ولمي لأشارككم الرأي في ضرورة الإسراع بطبعه ، لنتمكنوا من مواصلة
الكتابة ، وخاصة في أحداث الثورة وحتى يومنا ، ليكون ذلك سجلاً لأبناء
الذين لا يعرفون كيف سارت الأمور ، وكيف تعاقبت الأحداث .

لكم تهنئي وتقدير وصادق التحية والسلام عليكم .

أخوك

محسن العيني

٧ - ملاحظة رئيس الوزراء الأستاذ محسن العيني على إنقلاب المقد
أحمد الثلايا ، الظاهر صفحة ٣٦٧ .

للحقيقة والتاريخ :

عندما فوجئنا بحركة ١٩٥٥ أقلقنا الإبقاء على حياة الإمام أحمد وتأكد
من الفشل ، كما استقرينا ظهور سيف الإسلام عبد الله ، ليس فقط لإرتباطات
الغربية وإنما لإحتمالات الغدر من جانبه ، ولهذا فقد كتب المرحوم الأستاذ محمد
محمود الزبيري رسالة إلى الشهيد العقيد الثلايا يشرح فيها هذا ، وينصح بأعداء
الإمام أحمد ، والخلاص من السيف عبد الله ليستطيع الانقلاب السيطرة على

الموقف ويلتف الجميع حول الحركة . وقد حملت الرسالة مع الأخ يحيى
جفمان ، ولكننا لم نكد نصل عدن حتى كان الانقلاب قد فشل وقد استعاد
أحمد السيطرة على الموقف .

محسن العيني

١٩٧٢/٢/١٥

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على محمد وآله وصحبه
تصفحت هذا المؤلف وشكرت الله الذي أعان ووفق الأخ القاضي عبد
الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي على إخراج هذا الكتاب المتضمن لمحات
من تاريخ اليمن ثم شرح الظروف والأفكار التي أثرت في حياة هذا البلد
وتولدت منها تلك الأحداث التي من فصولها ما تضمنه واشتمل عليه قرنتا الرابع
عشر الهجري الذي شاهدنا جانباً من أحداثه نحن والمؤلف والمجاهد الكبير الأخ
أحمد بن أحمد المطاع .

ومن الحق أن المطاع هو أبو الثورة كما لقبه الأخ المجاهد الشماحي فرحم
الله المطاع ورضي عنه وعن جميع المجاهدين والشهداء الذين سبقوا المطاع
وعاصروه ولحقوه . ويتحتم على أخينا الشماحي أن يتبع هذا المؤلف بعدة
مؤلفات وألا يدع معلوماته وقدراته محجوبه فيستل عن حجبها وكتمها ثم عن
ضياعتها والله الموفق بتاريخ الحجة سنة ١٣٨٦ .

عبد السلام صبره

(خاتمة)

قد عرفنا بما كتبناه أن اليمن طيلة الألفي عام الأخيرة استمرت تخوض صراعاً دموياً ، لا في سبيل شخصيتها فحسب ، بل في سبيل الاحتفاظ بالشخصية العربية المعبر عنها بالسامية ، لا بدافع عنصري بحث بل لما لتلك الشخصية من مولدات ومقومات إنسانية تمثلها العرب ونشروها ، وعليها قامت حضارتهم وآدابهم المنبثق فجرهما من اليمن ، تمدان الإنسانية بحياة تناسب مع الإنسان جسماً ومادة ، ومع الإنسان وجدانا وفكراً وروحاً . حضارة أطلقت للعالم من شرقه العربي أولئك الفلاسفة والمشرعين والمدننين والمعمرين . وهيأت وجدان الشرق السامي لتلقي الرسائل السماوية .

وكانت الإنسانية بهذه الحضارة ، وهذه الآداب ، وهذه الاشراقات السماوية تشق طريقها إلى أوج الكمال الإنساني مادياً وروحياً .

وكلما وهنت أمة عربية عن القيادة المتكاملة جاءت أمة من ذوي قرباها تعيد إليها القوة ، أو تحل محلها في المركز القيادي وكان العرب البابليون والفينيقيون والمصريون والحيثيون والايبيون في مستهل الألف الأول قبل الميلاد قد لينتهم الحضارة ودمتهم ترفها ، ومزقتهم المنافسات والمنازعات .

وكان من المقدر أن الجزيرة العربية اليمن كعادتها تمدهم من جديد بالقوة التي ترجع الحيوية إليهم ، خلا أن الإنسانية بمستهل هذا الألف قبل الميلاد

فوجئت بظهور الشعب الآري بتزعتة المادية البحتة يتطلع إلى الحضارة والسيادة ، وشاء القدر أن ينزع الماديون - أحد بطون الآريين - من أرض بابل ، وقد شرع الانحلال يهدد وحدة العرب البابليين ، وما هي إلا فترة وإذا بهؤلاء الماديين الآريين ينازعون البابليين الآشوريين السلطة ثم يشترك الماديون مع البابليين الكلدانيين في القضاء على المملكة البابلية الآشورية ويدمران عاصمتها « نينوى » ثم يأتي الفارسيون بطن آخر من الآريين بقيادة « قورش » الفارسي فيلتقي مع الماديين الآريين في محو المملكة البابلية الكلدانية ويتمكن « قورش » من التغلب على مليكها « نابونيدس » ومن هدم العاصمة « بابل » في القرن السادس قبل الميلاد .

ويصبح « قورش » وريث البابليين والسيد غير المنازع في سلطانه الممتد من حدود الهند إلى البحر الأبيض وجزره وآسيا الصغرى إلى حدود اليونان وحدود الجزيرة العربية .

ويعضي الآريون من فارسيين فيونانيين فرومانيين في توسعهم المنطوي على نزعاتهم المادية الجافة الهدامة للجانب الروحي في حياة الإنسان ووجدانه ، فإذا بالدول العربية تختفي تباعاً فيلحق بالبابليين المصريون والحيثيون ، والايحيون والفينيقيون ، ثم العبرانيون ، الكل التهمهم الآريون ، للشخصية العربية أو السامية ماحين ، ولأراضيهم مستعمرين مستوطنين .

ولم تبق إلا الحبشة أثيوبيا العربية وإلا الجزيرة العربية اليمن ، وبلغ الخطر قمته في القرن الأول قبل الميلاد ، فالحبشة العربية تحولت إلى عميلة ورأس حربة بيد الرومان .

وبذلك لم تبق هناك إلا اليمن التي أعارها القيصر « أغسطس » مزيد اهتمامه ، فأرسل لابتلاعها وإذلالها جيشاً جراراً بقيادة أكبر قواده نائبه على مصر « جالوس » ويتوغل هذا الجيش في الجزيرة العربية إلى أن قرع جبال عسير وسهل نجران ، وكانت الظواهر تنبئ بانتصار هذا الجيش الروماني الغازي ، وإنهاء الجنس العربي السامي وإخماد الوجدان الإنساني إلى الأبد .

ولكن هذا الجيش لاقى مصرعه بوادي نجران وهضاب اليمن عسير ،
بفضل الإعداد الذي مهد له الشرح بحضب كما سبق .

ومن ذلك اليوم من القرن الأول قبل الميلاد أصبحت اليمن القلعة الشفاء
الوحيدة التي اعتصمت بها العروبة والإنسانية ، وأصبحت في صراع مع الآريين
الرومانيين والفراسيين ، وعميلة الرومانيين الحبشة ، صراع عسكري وصراع
فكري استمر سبعة قرون في نهايتها انتصرت الإنسانية بقيادة العرب تحت لواء
الإسلام وروحه الإنسانية ومناصرة اليمنيين ، فاندحر البرابرة من فراسيين
ورومانيين ، وعادت أرض بابل وأشور ومصر وشمال إفريقيا وغيرها إلى أحضان
العروبة الإسلامية الإنسانية من جديد .

وكان اليمنيون القوة الرئيسية في تحقيق هذه الانتصارات الإنسانية التي
أعادت الأوطان العربية إلى ذوبها وأخرجت منها الغزاة الآريين .

ولم يكن هذا الانتصار بالسهل فقد كلف اليمن واليمنيين ثمناً باهظاً أنه
امتنص من اليمن طاقاته البشرية تدفعهم اليمن إلى خارج اليمن لنشر كلمة
الإسلام في أرجاء العالم وفي أنحاء المعمورة ، فخلت اليمن من معظم أبنائها
وفتيانها ، وقلت باليمن اليد العاملة ، فأصبحت بالانحطاط اقتصادي إلى جانب
انهيارها العمراني والاقتصادي ، وبذلك غدت اليمن عرضة لأطماع الطامعين
إلى المال والملك والسلطة لا بطريق الغزو العسكري فحسب ، بل عن طريق
الغزو المذهبي والفكري ، ولقد واجه اليمن الغزو العسكري والفكري قبل
الإسلام وبعد الإسلام .

وكان حظ الغزو العسكري قبل الإسلام وبعده هو الإفلاس كما عرفت مما
كتبناه ، فلم يجن الغزاة من وراء حملاتهم العسكرية إلا الماراة والخسران ثم
دفنهم مع أحلامهم وجيوشهم في أكفان العدم المحض بمهاوي جبال اليمن
السحيقة .

الغزو الفكري

أما الغزو الفكري فهنا هنا مصيبة اليمن ، ونكبة اليمن ع. الألفي عام ،

إنه السلاح الرهيب بيد أعداء اليمن والعروبة والإنسانية ، إنه الوباء الذي دمر اليمن، وحضارته ، وهد عمراته ، إنه الأعصار الذي نسف سد مأرب والحاتق وريعان وغيرها ، وأطاح بقصور ورياض مأرب وبيحان وصرواح وحاز وحضر موت وناعط ويينون وغيمان وغمدان ومعين ومحضب ، إنه الزلزال الذي حول السعيدة إلى أطلال ونخيمات للبوم والغريان ، ومثوى للدخلاء والدجالين والغرباء والمتوردين ، إنه الغول الذي وهب أعداؤنا أنيابه التي تخيلها شاعرنا القديم في قوله :

أبقتني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأياب أغوال

وكنتيجة لهذا الغزو الفكري فاني أكتب هذه الخاتمة ، والقلم يرتعش بين أنامي من مشهد من مشاهد الصراع البطولي في غير محله ، إني لأكتب هذه الخاتمة وأنا والأخ حسن العمري ورفاقنا الذين منهم قائد المنطقة محمد الأرياني والسيد عبد القادر بن محمد والقاضي إبراهيم الحمدي وصالح العروسي والشهيدان حمود الأشموري ومحمد الزهيري قد انتقلنا بعد معارك طاحنة بهمدان والمنقب وثلا وحضور ومصانع حمير إلى كوكبان ثم حصن بيت عز احد القلاع الجبلية بدراء جبال ضلع كوكبان شبام همدان المطل على سهل حبابة وشبام ، وقد أهدقت بكهفنا ببيت عز وجيشنا بدافع عقائدي من الإمامة إلى جانب توهم تدخل أجنبي . اهدقت فتيان همدان ومصانع حمير ومفاوير قبائلها بمدافعهم الخفيفة ورشاشاتهم وبنادقهم وحتى الفؤوس والختاجر ، وهم في شوق هستيري ، واندفاع جنوي ، ويطولة تغبط ، ينقضون كالسهام علينا وعلى مدافعنا ومواقعنا الخلفية بالضلع وسهل حبابة وشبام وكان ظهور إخواننا المصريين إلى جانبنا يزيد أولئك الفتيان اليمنيين ضراوة علينا وعلى جمعنا وحصننا إلى درجة عدم المبالاة بالقنابل والدبابات والطائرات وما تحمله من هول وموت ، ولكم شاهدنا شبابا ينطلقون إلى مراتض الدبابات محاولة اعتلائها فيصرعون وقد يتمكن أفراد من اعتلائها وتعطيلها والتغلب على طاقمها كما حدث ذلك غير مرة في معركتنا هذه وغيرها .

بطوله خارقة تذهب نتائجها أدراج الرياح ، فإنها وإن كان المحرك لها توهم التدخل الأجنبي ، إلا أن المولد لذلك التوهم ، والدافع لهذه المخامرة الهوجاء في مثل معركتنا هذه هو عقائدي أكثر خلفته في الوعي الباطن فكرة الإمامة الزيدية ، ولذا ذهبت كل محاولة للتفاهم ، ويرجى مع طول المدة والتوعية أن يجمعنا التفهم لمعنى الجمهورية .

وقد بينا كيف جاءت إلى اليمن فكرة الإمامة الزيدية مع المذهب الزيدي وتمنينا مخلصين أن إخواننا من القادة الفاطميين باليمن يتعاونون معنا في الاحتفاظ بالمذهب الزيدي وقوته كنظام وذلك بتخليصه من جهود الإمامة الهاشمية المتحجرة ، إنهم لو أبعدوا الإمامة الهاشمية عن المذهب الزيدي وفقهه وأصوله لكان المذهب الزيدي أقوى قاعدة ، لا لانطلاق اليمن وحده بل لانطلاق العالم الإسلامي .

ولكن إصرار قداماء القادة الفاطميين على شد المذهب الزيدي بالإمامة الهاشمية هو الذي جعل المذهب الزيدي مذهباً سياسياً وقف في وجهه القادة اليمنيون ، وذوو الفكر ، وجعل من اليمن مسرح صراع اشتد أواره من أواخر القرن الثالث هجرياً إلى هذه الساعة وإلى ما لا يعلم نهايته إلا الله .

ولقد جنى هذا الصراع على اليمنيين بمن فيهم الفاطميون ، وجر إلى الجميع النكبات ، وما الإمام يحيى إلا كغيره ضحية جهوده على نظرية الإمامة الضيقة الفارضة عليه إتباع حكم لا يتلاءم مع مقتضيات العصر ، واحتياجات شعبه ، وجعلته لا يصفى إلى حتمية التاريخ وتطوره مما نتج عنه تخلف اليمن وانعزاله عن التيارات الحضارية العالمية المتطورة فكان الإمام يحيى ضحية سياسته وتفكيره التي استثمرت آثاره بعد مصرعه في صراع مع قوى المعارضة ذات العناصر المختلفة والتي تلتقي في محاولة الإطاحة بأسرة الإمام يحيى واقصائها عن الحكم ، ولهذا الغاية قامت عدة محاولات أشرنا إلى بعضها حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٣ م وأعلنت انتهاء حكم الإمامة وقيام الحكم الجمهوري في اليمن .

إن قيام الجمهورية فوز كبير ، وخطوة فريدة غربية في بلد كاليمن اليف الحكم الملكي التابع عن حق إلهي مزعوم ، يتمثل في اكتسابه بموالاته الفاطميين الحسينيين عند الاسماعيلية ، وفي الإمامة الفاطمية عند الهاشمية الزيدية ، وفي الإمامة القرشية عند الشافعية .

وبرغم ما تركه الماضي من تخلف مادي وفكري ومن مشاكل اجتماعية فإن الجمهورية قد حققت إلى جانب رسوخها كثيراً من المكاسب فالمجتمع اليمني اليوم يتشر في جوانبه وأجزائه شعور الأخوة الوطنية ونظام تساوي جميع المواطنين في الحقوق ، وأصبح الفرد من أي قطاع يحس بقيمة عضويته في الكيان اليمني ، وأنه لم يبق في طريقه وطريق كل مواطن أي عائق من تقدمه وسموه إلى حيث ترفعه كفاءته وقدراته ، ويمكنانه من أن يحقق ويبعد أقصى ما يستطيع من صفاته الإنسانية النافعة الخيرة لإقامة الدولة اليمنية العصرية ، دولة الجمهور دولة العدالة والإخاء والمساواة والكفاءة والوحدة ، دولة تضافر جميع أبناء الوطن الواحد من أجل الشعب كل الشعب ، من أجل اليمن كل اليمن ، من أجل الوطن كل الوطن ، لا من أجل فرد وأسرة .

حقاً إن قيام الجمهورية لفوز وأي فوز ، وإنه لمن المعجز الغريب ما حققته من قواعد رسوخها ، ومن مكاسب اجتماعية من وراء خطواتها ، إن كل ذلك لمقدمات نتباً معها بأن اليمن السعيدة في طريقها إلى استعادة سعادتها ، وإقامة حضارة تعيد إلى اليمن مركزها القيادي للحضارة والمجتمع الإنساني المتطور ، وإنه لهدف قد تحققت مقدماته وما بعد المقدمات إلا النتائج المتظرة التي ستحققها جهود المخلصين من القادات والعلماء والشباب ، فالشعب قد عرف طريقه وسيشقها في ظل الحكم الجمهوري متغلباً على الصعاب والمخلفات العاتية التي تتطلب المزيد من الجد والصمود والتضامن والإخلاص والحكمة والفهم .

فإن قيام الجمهورية ورسوخها وما حققته من مكاسب إلى عامها الرابع الذي تكتب فيه هذه الخاتمة ليس معناه أن الطريق أصبحت مسفلته بين لسانين من الورود ، وأن الصراع أغمد سيفه أو انتهى وأن المشاكل أخذت عصاها

ورحلت ، كلا - إن الطريق ما زال طويلا شائكا لما خلفه الماضي من أفكار مفرقة ، وتخلف فكري ومادي ، التغلب عليها يحتاج إلى مجهود جبار وعزيمة وإيمان وحكمة تتجلى ، وقبل كل شيء في الزعماء حتى يكونوا قدوة لغيرهم ومن دونهم . وقوة تحتفظ بما لماضيها من حسنات وأمجاد وعادات مشرقة ، وتذيب كلما خلفه الماضي من مشاكل وما أضافه قيام الجمهورية (بطبيعة مرحلة التخلص من الحكم الاستبدادي) من مشاكل التحلل والميوعة والسرف والصلف وادعاء الثورة وتفتح شهوة التهام المال في غير تفكير بمصير ولا عقبى ؛ إنها مشاكل تستلزم انظار ذوي الغيرة واهتمامهم باليمن ووحدة ، وشخصيته .

إن الجمهورية في اليمن وريثة الإمامة فلا بد للجمهورية من زمن طويل تكون فيه القيادة بيد قادات كفأة مخلصين عندهم حزم الفكر العميق ، وعزم البطل الابي المغوار ، ونزاهة المؤمن برسالة المتفاني في الدعوة إليها^(١) .

فإن هذه القيادة ستواجه مشاكل مادية وحضارية ومعنوية وفكرية ، كل منها يتطلب جهودا وجهادا . وتبرز المشكلة المعنوية في حاجة اليمن إلى الوحدة الوطنية التي تلدوب في فيضها الأحزاب والمذاهب والشيع الضيقة والمصالح الشخصية ، وحتى يتحقق هذا الذويان في فيض الوحدة الوطنية فلا بد من رفع مستوى الوعي الوطني حتى يشعر البعض المستغل والبعض العميل والبعض المرتزق والبعض المتمرد بفائدة وأهمية الوحدة والاندماج في فيضها والمشاركة في بناء أركان الجمهورية الفتية . وإن أقرب وأنفع من يستجيب للدعوة ويتأثر بها ويؤثر فيها هو الشباب إلى جانب قاداتنا وشبابنا المناضل والجماهير من أولئك البعض المتمرد أما البعض العميل والمستغل والمتخلف فليس علاجه إلا الكي ، وإن رفع المستوى الوطني من الشباب القوي هو من الأهمية على جانب كبير .

إنه يجب أن نرتفع بالجماهير إلى مستوى من الوعي الوطني نتخلص معه

(١) كتبنا هذا عام خمسة وثمانين هجرية ونحن اليوم عند الطبع في العام الثاني والتسعين . وللقيادة والتوجيه الفكر الكبير الارياني . وقد تحقق السلام وتمتق الشعبان الكريمان اليمني والسعودي . ووضعت أسس الوحدة الكبرى لليمن .

اليمن من اثار النظريات والأفكار والمذاهب التي غزت اليمن ومزقت وحدته ، وفي الوقت نفسه يحمي الوعي الجماهيري من غزو فكري جديد .

وهذا التخلص ، وهذه الحماية ليس تحقيقها بالأمر السهل ، ولا يأتي من خارج اليمن ، فما حك جلدك مثل ظفرك ، إنه وقف على زعامة يمنية خالصة مخلصه قوية علمية بأوضاع اليمن ومثار مشاكله ، دارسة لعاداته وأحاسيسه قديرة على تنمية الصالح منها ، وإقامة المعوج منها ، وملازمة الفاسدة منها .

وملاك هذه الزعامة هو إيمانها بالله ، وثقتها بنفسها وشعبها ، وما فيه من قدرات وإمكانات حتى تواجه هذه الزعامة الحياة وتطوراتها في قوة وعزيمة وثبات ترتفع بها عن التبعية والتقليد لغيرها وترتفع إلى مستوى مسؤوليتها القيادية لليمن الحديث ، وبهذه الزعامة الواعية ، ومن مستوى مسؤوليتها ستضع هذه الزعامة يدها على ذوي الكفاءة والإخلاص والتجارب من اليمنيين الذين بهم تتمكن من رفع المستوى الفكري وإنارة الوعي الجماهيري بهدى الاسلام الصحيح الذي لا طبقية فيه ولا عصبية ولا جمود ولا انغلاق ولا ضر ولا ضرار ولا احتكار ولا استغلال ولا اهدار ولا اباحية ولا أمعية ولا ميوعة ولا تكاسل ولا جبن ، ولا ملق ولا رياء ولا إفراط ولا تفريط ولا سيد ولا مسود بالأنساب والأموال واللون والدم ، إن في الاسلام وتعاليمه الصحيحة كل ما تتطلع إليه الإنسانية الحائرة اليوم من عدل وخير ورخاء وارتقاء وطمأنينة .

وفي هذه الطريقة ، وبهذه الزعامة المثالية حتماً تتخلص اليمن لا في طرفة عين من أثار الأفكار والمذاهب السياسية التي نخرتها ومزقتها ، وتتحصن من غزو فكري يطرقها من جديد بمبادئ وعقائد لا تتفق ومنهج اليمن في الحياة ، وطريقها في العيش ، ورسالتها في دنيا الناس ، وفي الوقت نفسه تستعين هذه الزعامة في المجالات الاقتصادية والعمرانية والصناعية والحضارية والعسكرية بذوي الخبرات من أية رقعة في العالم فالحكمة ضالة المؤمن .

أما في المجال النظري والعقائدي والتشريعي فأهل اليمن أخبر (بشعوبها) وما على الزعامة الجمهورية إلا أن تفتش عن حماة الأفكار ، ومخلصيها من الأوهام ، فتستعين بهم وتشجعهم مادياً ومعنوياً على إنارة الوعي الجماهيري

بروح الإسلام الصافية ، لا أن تفتح هذه الزعامة الباب من جديد لغزو فكري جديد ؛ فكفى بالمناضي موعظة وعبرة ، فإن اليمن لألقي عام ها هو بين أيدينا ، وما نرى فيه إلا يمنا ما يكاد يتخلص من موجة فكرية غازية إلا وفاجأته موجة جديدة تحمل على سطحها من الخارج مواكب الطامعين والسياسيين والمستغلين في مسوح الرهبان ، ومسايح النسك وحنان الأمهات ، حتى إذا تثبتت أقدامهم وقويت قبضتهم فإذا بالرهبان ذئب ، وبالسبعات أغلال ، وبالمسوح فسو الضربان وبالأمهات هرر تأكل اليمن وخيراته وتنتظر الجنين .

وإذا كان الإسلام انتصر باليمنيين وخلص اليمن من النظريات المسيحية واليهودية والزرادشتية والمزدكية ، فإن اليمن ما كاد يفلت من حبال تلك النظريات حتى وقع في شباك نظريات سياسية جديدة مستوردة ، فمن عثمانية وعلوية وحرورية وأباضية إلى شافعية وزيدية هادوية وجارودية ومطرفية إلى إسماعيلية إلى نعرات عدنانية وعمرية وهاشمية وقحطانية وقبلية ضعيفة ، وإننا وها نحن واليمن في القرن العشرين ميلادياً ، وآخر القرن الرابع عشر هجرياً ، ونهاية القرن العشرين لانتصار اليمن عسكرياً بقيادة اليشرح يحضب على الجيش الروماني بعسير ونجران ، ومع هذا فلما نرى اليوم بعد مواعظ الألفي عام ، نرى - ويا للأسف - آذاناً تصغي إلى طنين نظريات جديدة تتوارد على اليمن من الشرق ومن الغرب ، غير نابعة من واقع اليمن ومتطلباته حتى يرجى معها تحقيق وحدة ، أو ارتفاع وعي ، أو نهوض من عثرة ، أو تخلص من انحطاط اقتصادي وحضاري .

يا قوم :

لقد مل اليمن السرى في ليلة مر عليها ألفا عام ولا يعرف أين فجرها ، وأن الرجاء في جمهوريتنا الفتية أن تجعل لهذا الليل نهاية فتطلع من ظلمته المعتمة فجراً يشرق بالإخاء الصادق الموحد ، والعمل الصالح المثمر العادل ، وصبححدث ينتهي الصراع وتحقق الوحدة ويشمل العدل والإخاء والرخاء فينطلق اليمنيون قحطانيهم وعدنانيهم لأداء رسالتهم العالمية التي طالما عُرف بها اليمن ، واعتاد تقديمها إلى الإنسانية ، والله المستعان .

ملحقات

إن الذي دفعنا إلى أن نتبع هذا المؤلف بالملحقات الآتية هو إكمال الفائدة بالوثائق على ما بيناه في خلال الكلام عن المذهب الزيدي الاسمعيلى وإن من أسباب تعثر الأول على قوته التشريعية والنظرية ، هي نظرية الإمامة وتمسك قادات الهادوية بها ، تمسكا عبر عنه الإمام عبد الله بن حمزة في أرجوزته وستراه في جواب الإمام يحيى على وفد مكة .

وأما المذهب الاسمعيلى فمرجع تعثره إلى انطوائه على نظريات وفلسفة غامضة معقدة رمزية معمأة يصعب على الجمهور فهمها والتفاعل معها ومع تعاليم الإسلام الأصولية ، ويتخذ من ظواهرها أعداء الاسمعية وسيلة إلى محاربة الاسماعيليين وتجريح عامتهم وتكفير قاداتهم وأية حجة بيد محاربي الدعوة الاسماعيلية تبلغ في قوتها كوصف العقل الفعال والإمام بأسماء الله وصفاته كما نراه في بعض قصائد عالم الاسماعيلية ومقول قحطان وفارسها السلطان الخطاب الحجوري الحمداني تلك القصائد المناجي بها إمام عصره المستور في شطره ومؤلفاته .

وقلنا ان الإمام يحيى أضاع الفرصة التي أتاحها سعيد باشا لضم الجنوب اليمنى المحتل إلى اليمن الأم على أثر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ومن هنا جاءت الملحقات الآتية .

أولاً^(١) جواب الإمام يحيى على وفد مكة المرسل من الخليفة العثماني عبد الحميد^(٢) وقد وصل إلى صنعاء ١٨ شعبان ١٣٣٥ (أكتوبر عام ١٩١٧ م) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتيبته للناس ولا تكتُمونه ، والصلاة والسلام على القائل من كنتم علماً الجمه الله بلجام من نار ، وعلى الله المطهرين من الأرجاس ، المصطفين على كافة الناس ، وعلى صحابته الراشدين ، أولى العفة والعزيمة في الدين .

أما بعد ، فإنه وصل إلينا كتاب جليل من علماء مهابط التنزيل ومعارج ميكائيل وجبرائيل ، السيد الجليل عبد الله بن عباس ، ورفقائه العلماء التسعة الأكياس ، أفرغ الله عليهم سحاب الرضوان والتسليم ، وأوضح بحميد سعيهم الصراط المستقيم ، وصرف عنهم كل شيطان رجيم ، ونزههم عن خدمة ضمير كل جبار أثيم ، ووقفهم إلى مطابقة مراده ومراد سلطان الإسلام وحامي حمى الدين القويم . . متضمنا للنصيحة ، معرفا بمادهم الإسلام من تكالب ذوي الملل القبيحة ، ملوحا بما لم يكن من مواد ، ومن حاد الله ورسوله ، ومعرفا بما هو المعروف من حق وقدر سلطان الإسلام أيد الله به الدين ، ونصره على الكفرة والمشركين فنقول :

الحمد لله الذي قيض لنا من يفهم الخطاب ، ويعرف الخطأ من الصواب ويدرك مدارك الأحكام ، ويحكم الشرع الذي ارتضاه لنا العلام وما نحن نقدم نفثة مصدور ، وزفرة مصدور . اعلموا حاكم الله تعالى أن الله والله الحمد اختار لنا ديناً قوياً هو أشرف الأديان ، فبعث الله به أفضل الرسل سيد ولد عدنان ، وأكمل له ذلك الدين ، فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم » ثم قبض الله رسوله إليه ، وقد أوضح المنهج ، وأزال الموعج عن خير القرون . فما زال الإسلام ينمو ويرتفع . والضلال ينقص ويتضع . وكان كلما حدثت بدعة أزيلت ، أو مظلمة

(١) أنظر الجواب بنصه في صفحة ٣١١ - ٣١٨ من تاريخ اليمن للوأمسي .

ارتفعت . حتى تولى ذو الملك العضوض ، فتناقص ذلك لتمام ، وتكاثر الفساد من عام لعام . واختلف على الدين الولاة ، ومدت إلى جانبه أعناقها لابتلاع الإسلام العداة . وطغت نيران الشر ، وظهر الفحشاء والمنكر . وكان ما كان من مغلوب وغالب ، ومطلوب وطالب ، ومكن الله الدولة العثمانية من الحماية للدين ، وحفظ حوزته من الكفرة المعتدين .

وكانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الآل الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخ ، ولم ينفك قائم الحق منا إما متوليا لجميعها أو بعضها ، كما هو معروف في تواريخ اليمن وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوهم لرغبة أهل اليمن في ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضي الله عنهم ، واعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم .

وكما يعرفون من أحوالهم وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر المخوف ، وإقامة الشريعة وتعديل المائل وإرشاد الجاهل ، وتقريب المؤمنين وإبعاد الظالمين . ثم لما توجه أحمد مختار باشا من الحضرة السلطانية إلى اليمن ، وكان قائما ذلك الوقت الإمام عمن بن أحمد وكان بينه وبين المأمورين ملاحم ، ثم بعده الإمام شرف الدين ولا زال ظلم المأمورين يتضاعف من عام إلى عام ، وتنوعهم في المعاصي وارتيكاب الشهوات ظاهر بلا حياء ولا إحشام .

وكلما ظهر شيء أو زاد كثرت البغضاء في قلوب أهل اليمن للمأمورين ، فالإيمان والحكمة يماينية ، حتى قام والدنا رضي الله عنه . وقد ضرب ضلال المأمورين بجراته . وتطاردت أفراس شهواتهم في حلبة الفجور ومبداه ، وكان بينه وبين المأمورين ما كان حتى مضى لسبيله ، ولحق بحزب جده الأمين وجيله ، فانتصبنا لذلك للمقام ، حين نفر أهل اليمن من مأموري السلطنة على الدوام ، ولم نقم والله للرهم ولا دينار ، ولا لطلب علو ولا فخار ، ولكنه أكرهنا على ذلك قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ونحوها من صرائح الكتاب والسنة .

ثم كان بين أهل اليمن والمأمورين ما كان ، وكان منا غاية الإحسان
لأتباع سلطان الإسلام . كما قد عرفه من له بما كان أي إمام . وعقد الصلح
بيننا وبين المأمورين مؤكداً بذمة الله وذمة رسوله مع إغفالها النظر عن إمكان
القدر وخضر الذمم . فلم يرعنا إلا محركات من الحاج أحمد فيضي باشا ، مشعرا
بما تقشعر منه الجلود من نقضه تلك العقود ، وخفزه لتلك الذمم والعهود ،
فراجعناه ونصحناه وأعلمناه بما في خفر ذمة الله من التعرض للوبال والاستعجال
للتكالم فيها زاده إلا شدة ، وثقة بغير الله بل من التعرض للوبال والاستعجال
للتكالم فيها زاده إلا شدة ، وثقة بغير الله بل بما في يده من العدد والعدة ، وكان
ما كان من إخراج الدور وسفك الدماء وذهاب الأموال ، ولم يكن منا إلا مجرد
الدفاع المأمور به شرعا . ثم أردنا السكون والاشتغال بما أمانة المأمورين من
إحياء للعلم الشريف وإقامة شريعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعلم
الناس معالم الدين ، وإرسال المعلمين إلى القرى لتعليم أهلها الصلوات فلم
يشعروا إلا تجاوز يوسف باشا الحدود ، وتبني الأبناد وتجنيد الأجناد ، وإدخالهم
إلى أطراف بلاد حاشد وإلى ما هو بأيدينا فلم يسعنا السكوت فكان ما كان .
نعم والمأمورون لم يزالوا يثيرون غضب السلطان على أهل اليمن ، ويستجدون
منه الأجناد المترادفة والأموال المتكاثرة ، ويشيرون باستئصال أهل البيت النبوي
والدين المصطفوي ، وينسبوننا عندهم إلى الخوارج والرافضة ، وربما يفرجوننا
عن دائرة الملة المحمدية ، وإلا والله ما لنا مذهب غير ما كان عليه خير القرون
والسلف الصالحون ، وإنا لنبرأ إلى الله من الخوارج والروافض وأهل البدع
المحدثين والمأمورون يعرفون ذلك منا لكنه حداهم على ذلك ما جبلوا عليه من
حب جمع الأموال والتسليق لأخذها من غير الوجه الحلال ، ولم يتم ذلك إلا
باستمرار القتال ، والتنقل من حال إلى حال فتراهم يحسبون على الأموال الميرية
ما يأخذونه على الأهالي بيد العدوان ، ويضاعفون أجر الحيوانات ، على أنهم
كثيراً ما يختصونها ولا يعطون أهلها شيئاً وهم مع ذلك على اللذات والشهوات
عاكفون ، وعلى التفتن في الفجور يتنافسون منهم المتنافسون ، فتكرهم المساجد
والجوامع ، ويحجدهم شهر الصوم الذي هو لكل خير جامع . وتعرفهم الكؤوس

والأقداح . وتساقبهم ربات القنود الملاح . وكل هذا بين واضح سترونه عياناً
إن لم يضرب عنكم الحجاب ، وترصد الأبواب .

ومع ذلك تراهم يصادقون لرابطة عداوتنا كل ضال ، حتى أنهم ليقربون
الباطنية الكفرة ويعطونهم كثيراً من الأموال . ولا وأيم الله ما دندنتهم الجامعة
غير عداوتنا آل محمد ، إن مصادقتهم لثلل الباطنية عما يزيدنا إلى الناس حباً
ويزيدهم إلى الناس كراهة وبغضاً . واسألوا أهل الإنصاف عن جميع ما
حررنا .

ولقد أكثر المأمورون على سلطان الإسلام تزويرات الكلام ، حتى خيلوا
إليه أن محاربتنا أقدم من مجاربة الكفار الطغاة . وأشعلوه لمحاربة آل النبي
المختار . وفي خلال المدة السابقة أرسل سلطان الإسلام أيد الله به شريعة سيد
الأنام ، هيئة بعد هيئة ، ومفتشين بعد مفتشين ، وكلما خرج أحد منهم تلقاه
المأمورون بالإحسان وأدخلوا عليه من يتكلم بمراءهم ، وحالوا بينه وبين ما هو
مأمور بإمضائه . وسيكون ذلك أو نوع منه معكم أو قد كان حتى لقد أرسلنا
كتباً عديدة إلى الباب العالي من طرق شتى لم يعد لنا جواب رأساً لاحتفال
المأمورين بردها عن ذلك الباب .

وأما الأحكام الشرعية فما كانهم أمروا بغير هدمها وعمر إسمها ، وطمس
رسمها فإننا لله وإننا إليه راجعون . عوداً على بدء . النصيحة مقبولة إن شاء الله
تعالى ، غير أننا نحب أن تطلعوا على ما دار بيننا وبين الوالي أحمد فيضي ومن
كاتب إلينا من المأمورين لتعرفوا مسلكنا في الإنصاف ، وبعدها عن الميل
والإعتساف ، وستعرفون حقيقة الحال ، وما نحن ننشدكم الله والإسلام ، هل
تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف ، أم هل تجدون من
محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والنفوس والبنات والبنين ، أم هل من مانع
لقتال من أضاع أركان الإسلام ، أم هل من تثريب على من اقتضى الأثر بالآل
قرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عمر وأوان ، الذين أوجب الله محبتهم على
كل بني الإنسان ، أم هل من ناسخ لآيات : ومن لم يحكم بما أنزل الله . وإننا

نحذركم من دسائس المأمورين فإن لهم طرقاً إلى جلب أمثالكم إلى اتباع مقاصدهم ، كما انتخبوا لخدمة أفكارهم أناساً من أهل اليمن ، وجعلوهم آلة لهم في كل مكان حتى بلغ بهم الحال إلى أن أرسلوهم للوفادة للباب العالي للتعبير عنهم بما علموهم إياه كما يفعلونه إذا وصل مثل حضراتكم أو مفتش فهم يمرون عليه في كل يوم بأماكن الأمراء ، ويدلسون بأقوال لا يعباون ولا يباليون بظهور الكذب فيها والافتراء ، ثم ابحثوا عن العلة الباعثة فإن من عرف الداء ، عرف الدواء .

وإننا نغد إلى الله أكف الإبتهاال أن يحصل على أيديكم جبر كسر اليمن الميمون ، وأن يقلف في قلب سلطان الإسلام الرأفة والرحمة باستدراك حشاشة أهله فهم مؤمنون .

وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر في ١٨ شعبان المعظم سنة ١٣٢٥ هـ

إن هذا الكتاب الطويل لصورة صادقة لواقع اليمن في تاريخه ولما كان عليه معظم أمراء العثمانيين في إدارتهم وسلوك معظمهم كما أن المطالب المعروضة لحل الأزمة اليمنية هي التي كانت تفرضها تلك المرحلة بالنظر إلى أوضاع اليمن وإلى وضع الدولة العثمانية المهترئ الذي كان المفكرون من رجال الدولة العثمانية يشعرون به ويعملون لإعادة القوة إلى هيكل الدولة ، ومن هؤلاء حسن حلمي باشا ثم عزت باشا وعزيز علي المصري وسليم الجزائري وعصمت باشا وغيرهم من الشخصيات بالعاصمة العثمانية الذين التقى تفكيرهم إلى انتهاء الأزمة اليمنية باتفاق دعان عام ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م بإشراف عزت باشا وعصمت باشا ، وكان الإمام يحيى واضحاً في عجزه بالنظر إلى اليمن ومطالبه والأمراء العثمانيين وإلى ما يراه الإمام ويعتقله في أسرته الفاطمية ، وكان يتكلم من مركز قوي على إثر معارك طاحنة بشهارة وما تلاها ألحقت بالأتراك الهزائم المتتالية وكبدتهم نفقات كبيرة وعشرات الآلاف من القتلى مما جعل الأتراك يرسلون عزت باشا في قوة عسكرية كبيرة فك بها حصار الإمام لصنعاء فاستعاد بها جانباً من المهابة للدولة العثمانية مكنته من إبرام إتفاقية دعان .

والذي يستوقفنا من كتاب الإمام يحيى هذا هو اقتفاء الإمام لسلفه في التمسك بانحصار الإمامة العظمى والخلافة في أسرته الفاطمية وأن انحصارها فيهم من قبيل الحق والإصطفاء الإلهي ، ومن هنا نراه في كتابه بما فيه من جماملة - لم يصف الخليفة عبد الحميد بالإمامة أو الخلافة بل بالسلطان ، ويصرح في غير جملة بأنه وأسرته الفاطمية هم أبناء النبي وآله وقرناء القرآن والحجة على الأمة في كل عصر وأوان ، وأن طاعتهم واجبة وأنهم سادات اليمن وأن اليمن لا يرضى إلا بولايتهم وحكمهم إلى آخره . وتمسك الإمام بهذه النظرية وهذا الإصطفاء هو الذي جد اليمن من التطور وأثار المعارضة ومصرع الإمام يحيى وما تلاه من أحداث ، وجعله يترك الفرصة التي خولها سعيد باشا لضم الجنوب اليمني المحتل إلى اليمن الأم فيحقق الوحدة الشاملة لليمن ، فقد ترك الفرصة والجنوب اليمني يطيران من يده ، وفي ظروف مواتية ، تلك الفرصة التي يقدمها سعيد باشا في خطابه التالي .

خطاب سعيد باشا من لحج

إلى القائد العثماني أحمد توفيق باشا في صنعاء (١)

٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ م جفزه

إن القلاع المهمة والأراضي التي استرددنا مثل قلعة باب المندب والشيخ سعيد وسواحل المخاوذباب ، وكذا النواحي التسع الموجودة الآن تحت إشغالنا وتأثيرنا وهي :

لحج والصبيحة والحواشب والضالع ، ويافع العليا والسفل ، وبلاد الفضل تلك النواحي باعتبارها أوسع من لواء تعز في داخل جنوبي اليمن ، وعلى الساحل من باب المندب إلى شقره ما عدا شبه جزيرة عدن ؛ فجميع هذه الأراضي المذكورة في قبضتنا ونحن المحافظون عليها ، وأما البلدان التي تعود تابعيتها إلينا ، حضر موت ، وبلاد الصومال ، حتى بلاد الدناكل ، وقد

(١) هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن من ٣٥١ - ٣٥٣ لأحمد فضل .

عقدت مقاولاتهم بتابعيتنا ، وأوراق المقاوله المعقودة محفوظة بأيدينا تحت أسماء كل من الأمراء والمشايخ وعقال وأهالي البلدان المذكورة . أما المواقع والخطط الحربية والنقط المهمة الموجودة فيها قوتنا العسكرية ، وعليها المدار والمقابلة لباب عدن والشيخ عثمان فهي كما سيأتي :

الدرب وبير ناصر ودار هيثم المسمى دار المشايخ ، والمجهالة ، وكدمة الأصلع . وبير جابر ، والمحاط ، ولما أن حكومتنا المتبوعة قد قبلت أساسات الصلح مع حكومة انكلتره وحلفائها ، وعقدت الهدنة بتاريخ تشرين أول سنة ١٣٣٢ هـ رومي ، وبعد أن رست مراكب الإنكليز وحلفائهم في مراسي دار السعادة - بالصورة الودية ، وسويت أمور وضع المهادنة ، فهذه الصورة التي هي من قواعد الهدنة المبلغة رسمياً من حكومة انكلتره حصل هيجان عظيم بين العساكر والأهالي في داخل الخطط الحربية فتلافت الأمر مسرعاً لأجل تسكين ذلك الهيجان . ولكي نفهم من قريب نوايا العدو ، وكان ضرورياً أن تلاقت مع والي وقومندان عدن لأجل هذا الغرض ، ولتأمين المخابرة بين اليمن ودار السعادة لا لغرض آخر يوجب الشك وسوء الظن ، كما ظهر لي من جواب سيادة الإمام بتعبير كلمة « لقد ساءنا » قاصداً بهذا التعبير تقييحي ، وما حمله على ذلك إلا مقاصدكم وأغراضكم الخصوصية لبعض أسباب كاشتراككم مع والي ولاية اليمن بشرياتكم وإشاعاتكم غير اللائقة والمخالفة للحقيقة ، قاصدين بذلك إهانتني عند عموم أهالي اليمن المحترمين ، الذين ليس لهم وقوف على الحقيقة لسوء تفسيركم لها .

ولكنني قانع وقائل كل ذلك ليس له عندي أهمية مثقال الذرة ، لما لي من سوابق الخدم ، خصوصاً في هذه التربة المقدسة اليمانية ، وما قمت به من المحافظة والمدافعة والثبات والمحاربة المتواصلة ضد العدو في باب المندب وباب عدن منذ أربع سنوات ، وكل ذلك بمساعدة ومظاهرة رؤساء ومجاهدي وأهالي لواء تعز ، لما بذلوا من أرواحهم وأموالهم خدمة للدين والوطن .

أما حضرة الإمام ووالي الولاية ، وجنابكم فلم يكن لكم نصيب في شيء من المعونة المادية أو الفعلية نحونا سوى الكلام لا غير ، مع حرماننا من كل شيء .

ويشهد على ذلك كل من أرباب الشرف وأصحاب الوجدان ، من عموم أهالي اليمن من ذكر وأنثى حتى الصبيان ، وفوق كل شيء فالتواريخ والوثائق ستبين بالصراحة . والحاصل أن لليمن مفتاحين مهمين ، وهما لحج وياب المندب اللذان هما من أهم ما يكون لسلامة ومحافظة عموم اليمن ، فكل من له علاقة وصلاحيّة من النوات فليشرف سريعا للاستلام . أما نحن فقد أمرت حكومتنا المتبوعة المفخمة بإجازتنا ، وختمت وظيفتنا ، فلسنا مأذونين بالبقاء نحن بصفة محاريين في هذا الوطن الذي نعتبره وطننا الثاني ، وقد كفانا ما لقينا نحن العساكر العثمانيين والفدائيين في هذه المدة الطائلة من المتاعب المضيئة للأجساد ، والمفاداة بأرواحنا العزيزة ضد العدو وتحت قذائف الطائرات والمدافع « والمكائن » وبين الرمال والخبث من غير ماء في أيام الصيف الجهنمي ونحن معرضون للحميات لشدة الرطوبة في داخل الخنادق أيام الشتاء من جهة ، ومن الجهة الأخرى كل هذه الدماء التي أرقناها والأرواح التي أزهقناها في هذا السبيل ، إنما هي للمحافظة على عرض وشرف ووجدان أهل اليمن المقدس الذي هو من ضمن الحرمين الشريفين من تجاوز الأعداء ، والحالة هذه مع كوني لا زلت ولم أزل مضجياً بروحي ليلا ونهاراً في سبيل الدين والوطن ، وبحسب الوظيفة مع الحرمين الكلي ، ففوق كل هذا ترموننا من بعيد بما يسهل على طباعكم ، ولكنه عندنا من أغلظ القول مشيعين في حزم وإصرار أي لمقابل بعض المنافع الخسيسة من أعيد لحجا وما حولها للأعداء . فإننا نرجوكم خاصة أن تفضلوا بالتبليغ لمن يلزم ، ليسارع بإرسال أي كائن يكون عن له حمية وطنية قهرمانية بالوفود إلى باب المندب وإلى لحج لإسلامهما قبل فوات الوقت .

ومع أي لا أقبل أصلا أن أكافأ بالثمن المهينة التي يقصدون بإذاعتها وافترائها أن يلصقوها بي ، ولكن المفتريات مردودة ومعادة لمذيعيها وقائلها وناشريها بتمامها .

قائد منطقة الحركات بلحج

أمير اللواء

علي سعيد

٣ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي

علي سعيد باشا كان قائد القوات العثمانية في الجنوب اليمني ، وهو شخصية ما تزال حتى اليوم محط احترام اليمنيين ، ويعرف « بسعيد باشا » .

وكان علي جانب من الشجاعة والكفاية العسكرية مع الإيمان بالله ، وقد استطاع بكفاءته ومساعدة اليمنيين سيما أبناء لواء تعز وإب من الاستيلاء على معظم الجنوب ومحاصرة الانكليز ، ولم يتمكن من اقتحامها لحصانها الطبيعية ولتحصينها المضاعف عسكرياً من الانكليز .

وكان الإمام يحيى في الحرب العالمية الأولى محايداً إلا أنه ترك لليمنيين الحرية في مساعدة سعيد بالمال والرجال لأنه يحارب كافراً محتلاً هو الانكليز ، ولم يكن سعيد بروحه العسكرية مقتنعاً بهذه المساعدة ، وأنه يريد مشاركة الإمام لتركيا في الحرب وإعلانه ذلك قولاً وعملاً ، ولكن الإمام لم يشأ أن ينضم إلى أحد المعسكرين لأنه صراع بين ألمانيا وحلفائها من جهة ، وبريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة لا يعني في نظر الإمام المسلمين ولا يكسبهم فائدة ، فأصر على حياده ووقوف مساعدته في حدود السماح والتشجيع لمن يريد أن يشترك في القتال إلى جانب سعيد . وكان هذا الموقف مرضياً للوالي العثماني محمود نديم وغيره ممن كانوا من القادة الاداريين والعسكريين بصنعاء والحديدة وتعز وإب ، ما عدا سعيداً الذي كان وكتائبه يتحملون أعباء المعركة ولذلك كانت العلاقات بين سعيد والإمام فاترة عكس ما كانت بين محمود نديم ورجاله الاداريين والعسكريين فقد كان الوالي العثماني ورجاله يقدرون موقف الإمام ويرون فيه الخليفة الطبيعي للعثمانيين باليمن إذا لم يكن لهم النصر ، ولذلك مهدوا له واستدعوه إلى صنعاء وإليه سلموا اليمن .

أما سعيد باشا فكان غير راض عن خطة الإمام الحياضية فلم يحرص في تمكينه من الجنوب إلا في اللحظة الأخيرة وبعد هزيمة ألمانيا وتركيا فقد عز عليه أن يعود الجنوب اليمني إلى بريطانيا فأرسل خطابه هذا فلم يلب في سرعة لا الوالي ولا الإمام نداء سعيد ، فاستلم الانكليز معظم ما كان بيد سعيد باشا ما عدا باب المتدب والشيخ سعيد وذباب والمخا وسواحلها ، ولذلك طارت الفرصة

باليمن المحتل وعدن إلى اليوم ، وإن يوم استرجاعها وإنفاذها لقريب بإذن الله ،
فأحرار الجنوب في ثورة عارمة ضد المحتل الغاصب وإن يروق انتصار أولئك
الأحرار الأبطال ليلوح في أفق الجنوب وتضيء شمسان الأبى وميناء اليمن
الأبدى عدناً^(١) .

وإلى أن يأتي انتصار إخواننا في الجنوب نذهب إلى الوالد السلطان الخطاب
الحجوري الحمدي ونظيرته الإسماعيلية المودع لها في مؤلفاته وقصائده التي سنأتي
بنماذج من تلك القصائد كما وعدنا به .

نماذج من شعر الخطاب المذهبي وذكر بعض مؤلفاته

إن بعض كلام الخطاب يبدو متافياً ومصادماً للشريعة وصرائح الكتاب
المنزل ، وقبل أن نورد تلك النماذج من كلماته وشعره نعهد لها بكلمة قصيرة عن
الفلسفة الإسماعيلية عن الطبيعة وما وراء الطبيعة الذي نبع من أعماقها شعر
وكلام « السلطان الخطاب الحمدي » العقائدي فنقول : إن الدعوة الإسماعيلية -
وإن كانت سياسية النشأة كما سنبينه في غير هذا المؤلف إلا أنها في الوقت نفسه
دعوة دينية واجتماعية ، وإن الفرقة الإسماعيلية بكل فروعها هم كغيرهم من
الفرق الإسلامية والدينية ، بالله الخالق مؤمنون ، وله موحدون ، إيماناً
وتوحيداً ، جعلاهم يعنون بوجود الخالق وكماله المطلق الواجب الوجود .

وفي الطريق القرآني سلكوا في إثبات وجود الخالق وكماله الأكمل ،
فقالوا : إن وجود الخالق وأزليته وكماله الأكمل لا ضرورة لإثباته عن طرق
الفلسفة المعقدة المتناقضة ، لأن وجوده ، واجب الوجود بارز للعيان ساطع سطوع
الشمس ، فهو متجلي لخلقه بخلقه ، وإن من فكر في نفسه وما حوله وفي خلق
السموات والأرض وما في الآفاق وألا الآفاق من الآيات واختلاف الليل والنهار
والحياة والموت تبين له وجود الخالق المبدع تبيناً لا يطرقة شك في وجود الخالق
وقدرته ووحدانيته ، فكثرتها دليل على وحدانيته ، وازدهاجها على فرديته وانتقالها
على دوامه ، وعجزها على قدرته وضعفها على قونه ، إلى آخرها ، ولكنها قدرة

(١) كان هذا عام ١٣٨٥ هـ . أما اليوم فقد عاد الجنوب الحبيب وتخلص من الاستعمار وأساليبه .

ووحداية وفردية ودائمة وقوة وعظمة إلى آخر صفات وأسماء الكمال فوق فهم وقدرة الإنسان وإدراكه ، فلا ضرورة لعرض صفات الله وأسماء الخالق المبدع على الإنسان أضعف وعقله أعجز عن الإحاطة بأمر أسماء وصفات الخالق ، ويلخصون رأيهم في استحالة وصف الله ، بأن الإنسان لا يقدر أن يدرك إلا صفات تميز الكائنات المؤلفة من المادة ومن الصورة ، في حين أن الخالق منزّه عن الجسمية .

هكذا يقول علماء الإسماعيلية ومنهم « الخطّاب » ولو وقفوا هنا لأحسنوا صنعاً وتلقوا ما جاء في الكتب المنزلة من أسماء الله الحسنى بالتسليم وإنها أسماء وصفات تدل على الحمد والتقديس للمخالق الواجب الموجود ليس كمثله شيء ، وإن تلك الصفات والأسماء المقدسة الحسنى لا يراد منها شرح ماهية ولا تشخيص مادة ، حتى يكون الموصوف غير الصفة والصفة غير الموصوف .

ولكن إخواننا الإسماعيليين كلّفوا الإنسان وكلّفوا أنفسهم وكلّفوا أفكارهم وعقولهم فوق قدراتهم الإنسانية عندما حاولوا أن يعرفوا كيفية خلق المخلوقات من عقل ونور وهوى وجسم فوقعوا فيها وقع فيه إخوان الصفاء والصوفية والأفلاطونيون في بحر لجى من الألغاز والمعميات والظنون فبعد أن قرروا أن بوجود الخالق أمر ضروري يتجلى في مخلوقاته وأنه كان وليس معه كائن آخر ، انطلقوا مع الخيال في محاولة معرفة كيفية خلق المخلوقات ، فقالوا : إن الخالق أحدث العالم عن طريق الإفاضة^(١) ، فخلق الأشياء كلها بالقوة ، ثم أخرجها من القوة إلى الفعل الشيء بعد الشيء ، مبتدئاً بالعالم الروحاني العلوي ثم العالم الجسمي السفلي ، وأول ما فاض عنه هو العقل الكلي المستكمل الفضائل القريب كل القرب من علته ومصدره من حيث الصفات^(٢) ، ثم فاض عن العقل الكلي الفعال ، النفس الكلية ، وإن نسبة العقل إلى الخالق كنسبة نورا الشمس إلى الشمس ، ونسبة النفس إلى العقل نسبة ضوء القمر من الشمس ، ثم فاض عن النفس الكلية الهوى الأولى التي هي ذات بالقوة لا وجود

(١) أي العلة والسبب فالله هو مصدر كل شيء نور السماوات والأرض وعلة العال .

(٢) ومن هنا جعلوا أسماء الله وصفاته « للعقل الفعال » .

بالفعل ، ثم فاضت عن الهوى الطبيعة السابقة للنفس الجزئية ، والطبيعة هي سبب مواليد الكائنات وأصل تركيب أحياء الحيوانات والنبات تمدها الهوى الأولى بقوى روحانيتها لقربها من النفس الكلية وهنا ينتهي الحدوث العلوي .

ويبتلىء الحدوث السفلي والمادي ، وذكر أن النفس الكلية بتأييد من العقل الكلي الفعال تحرك الهوى الأولى طولا وعرضاً وعمقاً فتكون منها الجسم المطلق ، وبواسطة هذا تركيب عالم الأفلاك ، ثم دارت الأفلاك حول الأركان بحيث يختلط بعضها ببعض ، فظهرت منها المتولدات الكائنات^(١) من المعادن ليكون النبات ، ثم النبات ليكون غذاء الحيوانات ، ثم الحيوانات ثم بدأت الحيوانات يتركب منها الأدنى فالأدنى حتى الإنسان ثم الفلاسفة والأنبياء والأئمة .

فالبداية في الخلق الأول النوراني كان بالأفضل « وهو العقل الفعال » إذ عالم الجواهر النورانية لا تركيب فيها ولا تغاير ولا تباين إلا شرف السبق بالرتبة والقرب من الخالق الباري ، أما الخلق المادي الجسماني القابل للفساد والاستحالة فكانت البداية فيه بالأدنى حتى تكون النهاية بالأفضل .

فالعقل الفعال : هو أول مخلوق وأقربه إلى الخالق في النور والإبداع . أما في عالم المادة والأجسام والدنيا فغاية الكمال تتمثل في الأنبياء والأئمة ، وأنها « أي العقل الفعال والأنبياء والأئمة » هم الذين يمكن وصفهم بالصفات المقدسة والأسماء الحسنة ولذلك أول الاسماعيليون كل ما ورد في الكتب المنزلة من أسماء الله الحسنى ، أنها من قبيل التقريب والمجاز وأنها في الحقيقة أسماء وصفات « للعقل الفعال » في عالم الإبداع ، وأنها تنطبق على الإمام في عالم الأبدان .

أما الله فهو منزّه من الصفات ، ويوردون هم والإمامية الذين منهم الرضوي جامع نهج البلاغة ، يوردون كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام المحكي في النهج وهو قوله عليه السلام : أول الدين معرفة الله ، وكمال معرفته

(١) للخطاب مؤلف عام في المواليد سماه « غاية المواليد الثلاثة » وهو من أهم ما تعمد به الاسماعيليون .

التصديق به وكمال التصديق به توحيديه وكمال توحيديه الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حده ، ومن حده فقد عدّه ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أدخله .

انتهت الكلمة المنسوبة إلى علي كرم الله وجهه ، وإذا ثبت أنها من كلامه عليه الصلاة والسلام ، فالمراد هو نفي الصفات الشخصية لا الصفات المراد بها الحمد والتقديس المجردان عن التمييز والتشخيص حتى تستلزم الصفات المادة المتغيرة ، والجسمية المحددة ، كما تباخر إلى أفكار إخواننا من الإمامية والإسماعيلية ، فاضطروا إلى تأويل أسمائه وصفاته الحسنى بأنها من قبيل المجاز والتقريب ، وتجاوز الإسماعيليون فعدوها أسماً وصفات للعقل الفعال ، في عالم النور والإبداع ، وإنما على الإمام المعصوم تنطبق في عالم الأجسام والدنيا . ومن هذا التأويل النابع عن مقدمات وهمية لمعرفة كيفية خلق المخلوقات جاء شعر الخطاب العقائدي الذي منه ما تراه :

(النماذج)

شعر الخطاب ، ككتابته سهل مطبوع برىء من التعقيدات اللفظية والمعنوية ، يمتاز بالعفة لا وصف منه للخمر والنساء والغلمان ، ولم يتكسب بالشعر ، ومداثمه للأئمة والداعي النؤيب والملكة السيدة ، روي أنه يصدر من عقيدته في المذهب الفاطمي الذي اعتنقه ، ويتميز بالموسيقى النابعة من السلاسة والوضوح ، ومن تكرار الحرف أو الحرفين في الجملة والبيت كما نراه في قصيدته الثانية التي يصف فيها النفس ورجوعها إلى عالم النور والخلود عن طريق الاستقامة فقد تكرر في هذه القصيدة حرف التاء في البيت الواحد بصفة إيقاعية كما تراه في هذا البيت :

إن النفوس إذا صفت وتهذبت ونجوهرت تعلو إلى جناتها

وكذا قصيدته العينية التي يمدح فيها السيلة أروى يكونها حجة الإمام فقد
تكرر في كلماتها حرف العين والميم بشكل مركب تلمسه في هذا البيت :
وقبولك مسموع وعزك أقعس ورايك متبوع وريحك زعزع
والخطاب يتحدث عن النظرية الإسماعيلية القائلة أن كل النفوس متكونة
من نفس الخميرة الإبداعية أي النفس الكلية الصادرة من العقل الفعال كما
تقدم ، وأن ذوات النفوس الجزئية لا أفراد الإنسان ، كانت موجودة بالقوة في
هذه النفس الكلية المعبر عنها « بالخميرة » وعند المعتزلة والزيدية بعالم الذر الذي
يطبق عليها بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا
يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ . فالخطاب بهذه النظرية يرى أن ذاته
وذاوات الإمام كانتا ممتزجتين متصلتين متعارفتين في النفس الكلية وعالم الإبداع
الذي منه هبطتا وإليه ستمودان . فيقول مخاطباً الإمام :

أنا أنتم أم أنتم أنا بينوا حقيقة ما أعني فقد خفيت عني
تراكم بشخصي مقلتي عند رؤيتي وتسمعكم في حال نطق فمي أنفي
وفي هذه النظرية وما أسلفناه من كلام الإسماعيلية عن العقل الفعال
والإمام ، ومن طريق تنزيههم الله عن الصفات ، نرى الخطاب في صراحة
يكشف حقيقة العقيدة الإسماعيلية فيخاطب إمام عصره المستور وكأنه أبو
القاسم الطيب ، على طريقتهم أن الإمام في عالم الدين مقام العقل الفعال في
عالم الإبداع ، وبذلك اندفع الخطاب مع الوهم المجنح والتأويل غير المفهوم
شريعاً ولا المفهوم عقلاً يناجي الإمام بهذه المناجاة التي ما كنا نحب أن نحكيها
لولا أمانة التاريخ فقال :

يا من نسميه تعريضاً نقرره شخصية في نفوس القوم تقريراً
إشارة ورموزاً تحتها نكت من العلوم سترناها تستيراً
ولو نشاء لقلنا في النداء له بالصدق ، يا حي يا قيوم مشهوراً
يا عالم الغيب منا والشهادة يا باري البرية تركيباً وتصويراً

شهدت أنك فرد واحد صمد شهادة لم تكن ميناً وتزويراً
وجهت وجهي في سري وفي علي إليك حداداً وتهليلاً وتكبيراً
أبا علي إمام العصر ناطقه كناية عنه لا تحتاج تفسيراً

إلى آخرها مما يعد ظاهره خروجاً على الشريعة والإسلام ، جر إليه
التدخل في الفلسفة حول خلق المخلوقات وكيفية بدايته إلى أعماق لا يمكن
للعقل الانساني أن يقوم في سراديبها إلا مع الخيال والأوهام فإذا به يصدر من
ظلمات تلك الأعماق يمثل هذه الألفاظ والمعميات التي يصفها حتى الخطاب
« بأنها إشارة ورموز تحتها نكت إلخ » إنها نكت وتأويلات يمجها الفكر السليم ،
ولا تقدر الجماهير أن تفهمها ، ومثل هذه المعميات هي التي جعلت الدعوة
الاسمعية تتعثر وتتخذ منها أعداء الاسماعيلية الحجة على الطعن في الدعوة
الاسماعيلية ، وتحريم متبعيها ، وتكفير قادتها ، مع أنا نقطع بأن مثل الخطاب
والسيدة أروى والتبع علي بن محمد الصليحي والداعي الذويب وأمثالهم هم
متدينون وبخالفهم فاطر السموات معترفون ، وله موحدون ومنزهون ، ويرسله
مؤمنون .

ولما صدر من كلمات من مثل الخطاب ومناجاته هو عن خطأ في التأويل
نجم عن تلك الفلسفة التي أشرنا إليها ، ويتضح ذلك في أعمالهم
واستقامتهم .

وهذا هو الخطاب يتكلم عن الباطنية « أي الاسماعيلية » فيصف الباطني
بما يتحلى به المؤمن المستقيم القوي الإيمان ويرد على أولئك الطاعنين المغرضين
والمروجين الدعاية ضد الباطنية ونسبتهم إلى الإباحية والاستهتار كالحمادي
 وأمثاله فيقول الخطاب في ذلك هذين البيتين :

إن صبح ما قالوا وما شنعوا من الكلام الفاسد الفاضح
ديني لعن الباطني الذي يصد عن نهج الهدى الواضح

وما هو يخاطب الملكة السيدة أروى بصفتها حجة الإمام ومدار الدعوة

ويذكر مواقفه من نصرة الدعوة ونشر الدين والهداية فيقول :

حرام علي النوم غير ضرار ولم يجفني بعد طول نهار
وسلّ على نفسي السلوالى مدى أنال به حقي وأدرك ثاري
وأظهر أعلام الهدى مستنيرة أشعة أقمار لها ودراري
وأعلي منار المؤمنين ودينهم يهدمي من الفجار كل منار
ومنها :

فمن مبلغ مولاتنا بنت أحمد تهاثي القصوى وقطب مداري
وما كان من كشف القناع للذهبي ولكن لم أخش العدا قاداري
خطبت لمولانا وأظهرت سكة عليها اسمه طارت بكل مطار
لدى معشر جبل الضلالة عندهم مغار وحبل الدين غير مغار
ثلاثة أصناف ، أباض وناصب لدي ، وزيدي أحطن بداري
ضربتهم بعضاً ببعض كأنما اصطك حجراً منهم بحجار
ولي غرض لا بد لي من ركوبه بلا رقة مني ولا بحسار
سامضي له عزمي فإما منية تحين بكفي من وثاق أساري
ولا غدت لي دعوة آمرية بها وإليها نسبي وشعاري

وحسبنا من شعر السلطان بخطاب هذه الطائفة ، ويعد الخطاب من أعظم الدعاة الاسماعيليين ، وقاداتهم وفقهائهم وفلاسفتهم ، وله عشرات المؤلفات التي تعتمد عليها الدعوة الاسمعية سيما الفرقة المستعلية والطيبية المعروفة بالبهرة ، ومؤلفاته مما يحتفظ بها الاسماعيليون في اليمن بنجران وحراز وهمدان صنعاء وعراس يريم ومزاحن العدين ، وفي الهند وباكستان ، ويوجد منها مجموعة « بدار الكتب بالأعظمية بباكستان ومنها كتاب « المواليد الثلاثة » وكتاب « استتار الإمام » ويعدان من أهم المصادر المعتمد عليها محمد حسن الأعظمي ، في مؤلفه « عبقرية الفاطميين » ونحن معترضون أن نخرج كتاباً يحمل هذا العنوان « اليمن مع الزيدية والاسمعية والشافعية » ونرجو أن نحقق هذه الأمنية فقد لعبت هذي المذاهب الثلاثة دوراً هاماً في حياة اليمن وأحداثه .

وبالكلام عن السلطان الخطاب والنظرية الاسماعيلية ننهي هذا المؤلف
وسيتبع بمؤلف (اليمن وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢) والله المعين وسبحان الله
وبحمده وصلى الله على محمد وآله وصحبه :

مؤلفه : عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي الكهلاني

« تم بحمد الله »

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٧
تمهيد	١١
إهداء	١٣
أرض الجمهورية العربية اليمنية	١٥
حاشد ويكيل	١٩
جزيرة العرب	٢١
تطور الحياة على الأرض والانسان الأول	٢٣
الجفاف واليمن العربية السعيدة	٢٧
العرب والساميون	٣١
اليمن المهد الأول للحضارة السامية	٣٥
اليمن قبل الاسلام	٤١
الفصل الأول ما قبل العمالقة	٤٣
الفصل الثاني العرب القديمة ذات الأخبار	٤٥
الفصل الثالث الدول اليمنية الأثرية قبل الاسلام	٥٥
معين	٥٦
سبأ	٦٢
حمير	٧٤
النظام الاجتماعي للدول اليمنية قبل الاسلام	٨٣

اليمن في عهد الإسلام	٩١
اليمن في عهد الخلفاء الراشدين	٩٥
الصراع السياسي في اليمن بعد الإسلام	٩٧
اليمن في العهد العباسي	١٠٣
الدول والامارات في اليمن	١٠٧
اليمن والمذهب الهادي الزيدي	١١٣
دولة الصلحيين الهمدانيين ووحدة اليمن	١٢٩
دولة آل مهدي الرعيني الحميري	١٣٧
دولة بني أيوب الكردية	١٤١
دولة بني رسول الغسانيين الكهلانيين	١٤٥
دولة بني طاهر المذحجين	١٤٧
دولة الجراكسة المعاليك في اليمن	١٥١
الدولة العثمانية في اليمن للمرة الأولى	١٥٥
العمود الفاطمي وتأثره بالفزو الخارجي	١٥٦
الدولة القاسمية العلوية الرسمية	١٦٣
الدور الثالث للعلويين في اليمن	١٦٥
الدولة العثمانية في اليمن مرة ثانية	١٧٣
المفكرون والثلاثة قرون	١٧٧
الامام المهدي الفقيه سعيد العنسي	١٧٨
الأئمة الأربعة والقرن الرابع عشر وآل حميد الدين	١٨٢
اليمن والإمام يحيى بعد اتفاقية عام ١٣٢٩	١٨٥
الإمام يحيى والروح الثورية في الدعوة الزيدية	١٩٠
الاتجاهان المتضادان على أثر الحرب السعودية اليمنية	١٧٤
هيئة النضال وأبو الثورة احمد المطاع	١٩٦
القاضي محمد محمود الزبيري وأبو طالب	٢٠٣
الوريث	٢٠٦

٢٠٨	الموشكي والشامي
٢٠٩	منظمة حزب الأحرار بعدن
٢١٠	جمعية الإصلاح باب
٢١٣	السجون تستقبل الأحرار
٢١٥	اشتداد الصراع
٢١٨	وفد هيئة النضال إلى الملك عبد العزيز آل سعود
٢٢١	التعرف بالإمام حسن النبا
٢٢٢	سنة ٦٦ هـ وشيخ الثورة
٢٢٤	الإمام عبد الله بن أحمد الوزير
٢٢٧	نص الميثاق المقدس
٢٤١	يوم الثورة ٧ ربيع الآخر
٢٤٦	القرار الحازم الذي لم يتم
٢٤٨	رجال الثورة وموجات الأدعيا
٢٥٠	أحمد في حجة
٢٥٤	الاعتماد على الوهم
٢٥٦	حملتا عمران وشبام
٢٦١	الموكب النعماني
٢٦٣	الموكب الموشكي
٢٦٤	الإرياني ونظرية سقراط
٢٦٥	صنعاء الأسبوع الثالث للثورة
٢٦٨	الرئيس جمال جميل والقيادة العسكرية
٢٧٠	أحمد الشامي وعبد الله الشماحي
٢٧٤	كيف نجحت مؤامرة أحمد
٢٧٧	رجال الثورة وليلة السبت
٢٨١	رجال الثورة بعد فشلها
٢٨٢	صفوة الشعب تساق إلى حجة

٢٩٠	ولاية العهد
٢٩٥	انقلاب الثلاثا
٣٠٧	بحث الموقف على أثر فشل النعمان
٣١٣	الهدنة ومحمد الداري سامحه الله
٣١٨	آثار الانقلاب
٣١٨	سفر الإمام إلى روما
٣٢٢	حركتا حاشد ويكيل ، ومحاولة اغتيال الإمام
٣٢٨	الإمام أحمد
٣٣١	دولة آل حميد الدين
٣٣٣	خلاصة لما تناوله هذا المؤلف من تاريخ اليمن
٣٣٧	ملحق حول الأئمة العلويين باليمن
٣٣٩	أئمة دور المعارضة
٣٥٣	خاتمة
٣٦٣	ملحقات



منشورات المدينة

ص.ب : ٦١٦٦ - ١١٣ بيروت - لبنان

نطلب كافة كتب : منشورات المدينة ، من	
<div style="text-align: center;"> شركة دار التنوير للطباعة والنشر </div>	
رقم : ١١٣.٦٤٩٩ هاتف : ٨٦٣٥٩ بيروت - لبنان	اصدري اوراق زلفه اللبانه ناهيك عن مسافه